

جامعة أم القري
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب



القَصْرُ وَأَسَالِبُهُ

مع
بَيَانِ أَسْرَارِهَا

في

الثلث الأول من القرآن الكريم

بمبحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية

من الطالبة:

نخاعة أحمد عبد الكريم الظهاري

إشراف

د. معادة الدكتور: علي محمد صبر العماري



١٩٨٢ - ١٩٨٣ م = ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَبِنِعْمَةِ رَبِّیْ

شکو تقدیر

- اسی والدیٰ الکریمہ اللزین تفانیا فی حب العلم ، و مہر الی طریقہ الوصول الی
- ہذہ المرحلہ ، و غرسا فی اعما فی احترام العلم و العلماء ،
- الی استاذی الشرف الکریم "علی محمد حسن بختاری" الی بذل جہوداً
- صادقہ فی تقویٰ و معاونتی و ارشادی .
- الی جمیعہ مدالیہ الی یعونہ قریباً و بعیداً .
- اقدم جزیل شکری و بالغ امتنانی و عظیم تقدیری .

نجاح احمد عبد الکریم لظہار

المقدمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأُمي الذي أرسله الله رحمة
للعالمين

أما بعد :

فلما كان القرآن الكريم هو المصدر الأسمى للعربية الفصحى
وبه كان التحدى للثقلين الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله
(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) (١)
فقد نشأت كثير من الدراسات من أجل خدمة القرآن وبيان اعجازه ،
ومن أهم تلك الدراسات الدراسة البلاغية ، ولما كانت معايشة
لغة القرآن من خلال القرآن نفسه من أجل الدراسات وأمتعها . أحببت
أن أشارك فى هذا المضمار الجليل .

ففى أثناء دراستى لحظت أن أسلوب القصر ، أسلوب شائع
فى القرآن لاتكاد سورة تخلو منه . كما لحظت أن معظم الدراسات
التي تناولته كانت من ناحية نظرية ، فبدأ لى أن أتناوله من
ناحية تطبيقيه تظهر لطائفه ودقائقه البلاغية .

وكنت أؤثر فى بداية الأمر دراسة هذا الأسلوب فى القرآن بأكمله
ولكن تبين لى بعد الشروع فى البحث أن ذلك يستغرق وقتاً أطول
وجهداً مضاعفاً فاقتررت على الثلث الأول من القرآن راجية أن اكمل
دراسة الباقي فى مرحلة دراسية قادمة - ان شاء الله - .

(١) البقرة: آية ٢٣ .

(ب)

ولقد واجهت في البحث صعوبات منها :

- قلة المراجع والصادر المتخصصة التي تتحدث عن أسلوب القصر

حيث لم يتوفر لدى سوى :

- مفتاح العلوم .

- دلائل الاعجاز .

- شروح التلخيص .

وأن ما كتب في المراجع الأخرى لا يخرج في كثير من الأحيان عن

المعلومات التي جاءت بها هذه المصادر .

- ان كثيرا من كتب التفسير مطبوعة طبعة رديئة من غير ترقيم

للآيات مما يصعب على الباحث الرجوع المباشر لكل آية . ومن أهم

مراجع التفسير التي اعتمدت عليها :

- تفسير الطبري .

- الكشاف .

- البحر المحيط .

- الفخر الرازي .

- البيضاوي .

- ابن كثير .

- تفسير ابي السعود .

- روح المعاني .

(ج)

ولقد بدأت بحثي بتمهيد يتضمن :

- حظ مبحث القصر من الدراسات الحديثة .

ولقد تعرضت لهذا الموضوع لبيان مدى اهتمام الباحثين بموضوع القصر

- ثم تحدثت عن القصر والحصن والاختصاص لغة واصطلاحا مستعينة ببعض

المعاجم اللغوية القديمة والحديثة لمعرفة ما اذا كان هناك فرق

بينها أو أنها مصطلحات تؤدي معنى واحدا .

وكذلك لمعرفة مدى ارتباط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي .

- ثم تعرضت لتأريخ مصطلح القصر - على وجه التقريب - وكان

هدفى من ذلك بيان أصالة هذا الموضوع ، فأنى أعتقد أن الاجدى

عند دراسة أى موضوع ، البحث عن أصوله وجذوره لمعرفة جميع

ملاساته .

ثم بعد هذا التمهيد بدأت ب :

(الباب الاول)

ويتضمن ا فصلين :

الفصل الأول :

يتحدث عن تقسيمات القصر :

أ - من حيث الحقيقة والاضافة .

فينقسم من حيث الحقيقة الى :

أ - حقيقى تحقيقى .

ب - حقيقى ادعائى .

(د)

وينقسم من حيث الاضافه ثلاثة أقسام :

- افراد.

- قلب.

- تعيين.

كما تضمن هذا الفصل تقسيم القصر الى :

١ - قصر موصوف على صفة.

٢ - قصر صفة على موصوف.

الفصل الثاني :

ويتضمن :

أساليب القصر :

١ - أساليب غير اصطلاحية تفيد معنى القصر.

٢ - الأساليب الاصطلاحية وهي :

١ - العطف.

٢ - النفي والاستثناء.

٣ - انما.

٤ - التقديم.

٥ - تعريف الجزئين.

٦ - ضمير الفصل.

٣ - أوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحية.

ولقد تعرضت للناحية النظرية ليكون الموضوع شاملا للناحيتين النظرية

والتطبيقية.

ولبيان مدى انطباق القواعد النظرية على الوجوه التطبيقية.

(الباب الثاني)

وقد عمدت فيه الى استخراج أساليب القصر الستة .
 - الراجع عند علماء البلاغة - من الثلث الأول من القرآن .
 وقمت ببحث كل آية من هذه الآيات في جميع التفاسير - الوارده في
 فهرس المصادر والمراجع - وكثيرا ما كنت أجد السكوت عن معالجة
 بعض أساليب القصر في معظم هذه التفاسير ، و احيانا كنت أجد
 في بعضها اشارة عابرة عن ورود القصر . فكنت ألجأ في معرفة نوع
 القصر من حيث الصفة والموصوف الى موقع المقصور والمقصور عليه
 في الجملة من الناهية الدعراية .

ولمعرفة نوع القصر من حيث الحقيقة والاضافة ، ولمعرفة حال
 المخاطب أو المتكلم . كنت أبحث عن أسباب نزول الآية معتمدة في
 ذلك على كتب الصحاح - أن كانت واردة فيها - والا فعلى كتب
 التفسير الموثقة .

ولمعرفة سر القصر كنت أبحث عن فقه الآية والسياق الذي وردت
 فيه بمعرفة ما سبقها وما لحقها من الآيات وقد تضمن هذا الباب
 ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

أ - أسلوب النفي والاستثناء .

ب - أسلوب انما .

مع بيان :

- نوع القصر في كل آية .

- أسرار استعمال كل في كل موضع .

(و)

الفصل الثاني :

أ - أسلوب العطف .

ب - أسلوب التقديم .

مع بيان :

- نوع القصر في كل آية .

- أسرار استعمال كل في كل موضع .

الفصل الثالث :

أ - ضمير الفصل .

ب - تعريف الطرفين .

مع بيان :

- نوع القصر في كل آية .

- أسرار الاستعمال في كل في كل موضع .

وأخيرا الخاتمة وتتضمن النتائج التي ظهرت لي في هذا

البحث .

وهذا خلاصة جهدي المتواضع أضعه بين أيدي أساتذتي الأفاضل

طامعة منهم في كل توجيه صادق ونقد بناء .

فان كنت فيه على شيء من التوفيق فهذا بفضل الله وتوفيقه

(الذي علم الانسان ما لم يعلم) . (١)

(ز)

وان كنت قد قصرت فالتقصير من طبيعة البشر .

وفى الختام أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من مد لى
يد العون وبخاصة أستاذى المشرف " على محمد حسن العمارى" الذى
فتح لى باب علمه أطرقه وقت ما أشاء - وما أكثر ما طرقته -
من غير أن أسمع منه كلمة ملل أو ضجر .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى أعضاء اللجنة الأجلاء
الذين نظروا فى هذا الجهد المتواضع بعين التقويم والتسديد
والله الموفق الى سواء السبيل

خط مبحث القصر

من

الدراسات الحديثة

رست قواعد البلاغة على يد السكاكي (١) ، وان كان السكاكي ، لم يميز علوم البلاغة الثلاثة (المعاني - البيان - البديع) . الا ان الفضل في جميع هذه العلوم ، يرجع اليه من غير شك ، فقد ألف كتابه (مفتاح العلوم) وضمنه خمسة علوم :

(١) النحو (٢) الصرف (٣) البلاغة (٤) المنطق (٥) العروض .

ثم جاء الخطيب القزويني (٢) ، ولخص القسم الثالث من كتاب المفتاح في متن سماه (متن التلخيص) ، ثم وضع كتابا كالشرح له سماه الايضاح ، وبنى الخطيب (التلخيص والايضاح) على خمسة مباحث :

- (١) مقدمة في الفصاحة والبلاغة .
- (٢) علم المعاني .
- (٣) علم البيان .
- (٤) علم البديع .
- (٥) خاتمة (السراقات الشعرية) .

ومنذ ذلك الحين اصبح العلماء ، يسيرون على نهجه ، فكل كتب البلاغة التي الفت في عصره ، اوبعده . تضمنت هذه الالوان الخمسة . وبعد الخطيب القزويني ، جاء عصر الشرح والحواشي ، فظهر ابن السبكي (٣) وشرحه المسمى (عروس الافراح) وكذلك سعد الدين التفتازاني (٤) ، وله كتاب (المطول على التلخيص) و(المختصر على التلخيص) ، ثم جاء ابن يعقوب

(١) هو يوسف بن ابي بكر السكاكي . صاحب المفتاح . اخذ عن شيخ الاسلام محمود بن صاعد الحارثي . كان حنيفا اماما كبيرا عالما بارعا متبحرا في النحو والصرف وعلم المعاني والبيان والعروض توفي سنة ست وعشرين وستمائة من الهجرة / شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

(٢) هو جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن ابي دلف العجلي القزويني الدمشقي الشافعي ولد بالموصل سنة ست وستين وستمائة من الهجرة وثقفه على ابيه ، وسكن معه الروم ولي الخطابة بدمشق ، ثم القضاء بها . كان لطيف الذات حسن المحاضرة كريم النفس توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من الهجرة دفن بمقابر الصوفية / شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) احمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي ابن شيخ الاسلام تقي الدين ابي الحسن ولد سنة ٧١٩ هـ . وقد شرع في شرح مطول على الحارثي وشرح مطول على مختصر ابن الحاجب وكمل قطعة على شرح المنهاج لابيه وله النظم الفائق توفي سنة ٧٧٣ بمكة بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٤) هو مسعود (وقيل محمود) بن عمر بن عبد الله الامام العلامة عالم النحو والتصريف والمعاني والبيان ولد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بتفتازان وتوفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة / شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

(١) المغربي وشرحه المسمى (مواهب الفتح) . وكتب الدسوقي (٢) كتابه (حاشية الدسوقي على مختصر السعد) .

وظلت هذه الكتب تدرس الى الان ثم ما كان بعد هذه المؤلفات ، لا يتعدى التغيير في الترتيب لا في الاصول . اذ ان الباحثين في البلاغة لم يزيدوا شيئاً ذا بال على ما كتبه المتقدمون . ومن ذلك نعلم ، ان كل من ادعى ، انه جدد في علم البلاغة ، لم يجاوز مجرد الدعوى ، فتتحصر جهود علماء عصرنا في ثلاثة اشياء :

(١) افراد بعض العلوم بالتأليف

(٢) نقل فصل من الفصول او الابواب من علم الى علم اخر .

(٣) الاكثار من الشواهد

فاذا كان هذا هو حظ البلاغة بجملتها من الدراسات الحديثة ، فلا نعجب اذا قلنا : ان حظ مهج البحث القصر من الدراسات الحديثة ضئيل جداً .

فمعظم الدراسات التي قامت حوله دراسات غير متعمقة ، وانما هي مجرد تبسيط لقواعد ، وتقديمها للطلبة لتسهيل دراستها ، ويظهر فيها الاختصار الشديد لهذه القواعد . ولا اجد له - فيما لدى من المراجع - دراسة مستقلة تحمل عنوانه ، وانما درس ضمن علم المعاني ، وربما كانت اكثر الدراسات تعمقا ، ما كتبه الدكتور محمد ابو موسى (٣) في كتابه " دلالات التراكيب " ، فقد افرد له فصلاً طويلاً من ص ١٤ - ١١١ ، وناقش فيه اراء القدماء والمحدثين ، ووضح فيه مهمة القصر ودوره في التراكيب ، ويلي هذا البحث من حيث القيمة

(١) المتوفى سنة ١١١٠ هـ / محاضرات في تاريخ البلاغة العربية / عبد الرحمن الكردي ، ص ٥٤ .

(٢) هو محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي المالكي من علماء العربية بمصر وكان من المدرسين في الازهر له كتب منها (الحدود الفقهية) في فقه الامام مالك ، و (حاشية على المغني) توفى سنة ١٢٣٠ هـ / الاعلام ج ٦ ، ص ١٧٠ .

(٣) استاذ مساعد بكلية اللغة العربية جامعة الازهر وهو استاذ متخصص في علم البلاغة حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٠ بمرتبة الشرف الاولى . قام بتدريس علوم العربية في جامعة الازهر الشريف / (التصوير البياني محمد ابو موسى) .

ويعمل حالياً بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

العلمية كتاب " علوم البلاغة " لاحمد مصطفى المراغى (١) . وان كان يميل الى المنهج المدرسى ،
ثم كتاب (جواهر البلاغة) لأحمد الهاشمى (٢) ، ويسير ايضا على نهج سابقه . وذكر ان الدافع
الذى دفعه الى التأليف على هذه الطريقة المدرسية ، اشتغاله بالمدارس الثانوية ، فقال :
(ولاشغالى بتدريس البيان بالمدارس الثانوية ، كانت البواعث داعية الى تأليف كتاب
(جواهر البلاغة) ، جامعا للمهمات فى القواعد والتطبيقات) (٣) .

اما كتاب (البلاغة الواضحة) تأليف على الجارم (٤) ومصطفى امين (٥) ، فهو اكثر
الدراسات اتباعا للمنهج المدرسى . ومن الكتب الحديثة ايضا كتاب " علم المعانى " لدرويش
الجندي (٦) ، وقد افرد للقصر بابا قصيرا من ص ١٢٢ - ص ١٥٥ . وكذلك كتاب علم المعانى
لعبد العزيز عتيق (٧) ، وقد افرد للقصر فصلا من ص ١٦٠ - ١٧٣ .

وهناك ايضا كتاب (البلاغة فى ثوبها الجديد) لبكرى شيخ امين (٨) والحقيقة اننى
لم اجد فيه اى ثوب جديد على مبحث القصر وغيره ، بل هو فى حقيقته اكثر الدراسات اختصارا .

-
- (١) مفسر مصرى تخرج بدارالعلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرسا للشرعة الاسلاميه بها توفى
بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ .
له كتب منها : (تفسير المراغى) (الوجيز فى اصول الفقه) (الحسبة فى الاسلام) / الاعلام
ج ١ ص ٢٥٨ .
- (٢) هو احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمى اديب ومعلم مصرى من اهل القاهرة كان مديرا
لثلاث مدارس اهلية تلمذ على يد الشيخ محمد عبده وصنف كتبها منها (اسلوب الحكيم)
(ميزان الذهب) ولد سنة ١٢٩٥هـ وتوفى سنة ١٣٦٢هـ / الاعلام ج ١ ص ٩٠ .
- (٣) جواهر البلاغة ، احمد الهاشمى ، ص ٣ .
- (٤) هو على بن صالح بن عبد الفتاح الجارم اديب مصرى من رجال التعليم له شعر ونظم كثير ولد
فى رشيد وتعلم بالقاهرة وانجلترا وجعل كبيرا لفتش اللغة العربية بمصر ولد سنة ١٢٩٩هـ
وتوفى سنة ١٣٦٨هـ / الاعلام ج ١ ص ٩٠ .
- (٥) عالم مصرى معاصر للشيخ على الجارم ، اشتغل مفتشا بوزارة المعارف المصرية

(٦) دكتور كلية دارالعلوم جامعة القاهرة ،

(٧) استاذ بجامعة بيروت العربية ، من مؤلفاته : (فى تاريخ البلاغة العربية) (علم البيان)
(علم البديع) - علم العروض والقافية .

(٨) من اساتذة الادب العربى بالجامعات السورية (حلب - دمشق) .
له مؤلفات ادبية فى الادب السعودى من اهمها (الحركة الادبية فى المملكة) .

اما كتاب (بغية الايضاح) لعبد المتعال الصعيدي ^(١) ، الذي يقع في اربعة اجزاء ، فكان شرحا للإيضاح وهناك مذكرات الشيخ سليمان نواره ^(٢) التي حوت دراسة متعمقة لمبحث القصر . وقد حاول فيها الخروج عن المعهود في بعض مفاهيم القصر . مثل اعتراضه على قول العلماء في تعريف مصطلح القصر (بطريق مخصوص) ، فرأى اطلاق المصطلح ، وعدم تحديده بهذا القيد . الى غير ذلك ، مما سنتعرض له في حينه .

(١) استاذ بكلية اللغة من كليات الجامع الازهر ، له مؤلفات في البلاغة والادب واللغة منها (الكميته بن زيد) .

(٢) استاذ بكلية اللغة العربية في جمهورية مصر العربية وعميد الكلية فيما بعد .

- آ - معنی الفجر لفظاً واصطلاحاً
ب - معنی الفجر لفظاً واصطلاحاً
ج - معنی الفجر لفظاً واصطلاحاً
و - اوجہ اختلاف و الاختلاف فیہ ہذہ اصطلاحات

- يرى بعض العلماء ان القصر والحصر والاختصاص الفاظ توهم معنى واحدا .
- ويرى اخرون ان هناك فروقا بينها . فبدا لي انه من الضروري معرفة المعنى اللغوى لكل لفظ من هذه الالفاظ ، وتطور ذلك اللفظ ، والزيادات التى طرأت على معناه .
- ولهذا الهدف سرت فى عرض المعنى من المعاجم حسب الاسبقية فى التأليف - بحسب ما توفر لدى من معاجم - .
- كما انه من الضروري النظر الى اوجه الاختلاف والاتفاق فى المعنى الاصطلاحى .
- وصلة المعنى اللغوى بالمعنى الاصطلاحى . للتحقق من مدى صحة ما قيل عن الفرق بينها
- او عدمه .

(١)

جاء في جمهرة اللغة :

القصر واحد القُصُور معروف - والقصر العشي بين اصفرار الشمس الى غروبها -
والقصر من قولهم (كان ذلك قصري وقصاري) ، اي ما اقتصرت عليه . ويقولون (هذا قصرك
وقصارك وقصارك) ، بمعنى - وكل شيء حبسته في شيء فقد قصرته فيه - وجارية مقصورة
في خدرها اي محبوسة . ومنه قوله تعالى : (حورٌ مقصوراتٌ في الخيام) (٢) ، اي محبوسات
والله اعلم . والنساء القضاير كذلك . واما قول الشاعر - كثير عزة (٣)

أحبُّ من النسوان كلَّ قصيرة

لها نسبٌ في الصالحين قصير (٤)

فالقَصِيرَةُ المُخَدَّرَةُ ، وذات النسب القصير ، التي تكفي باسم ابائها . وقال كثير :

وانتِ التي حَبَّبتِ كلَّ قصيرة

الي وما تدري بذاك القضاير

اردت قصيرات الخدور ، ولم أرد

قصار الخطى شر النساء البهاتير (٥)

البهترُ والبَحرُ واحد ، وهو القصير المجتمع الخلق .

وقصرت في الامر تقصيرا ، اذا توانيت فيه . واقتصرت عنه ، عجزت عنه . وقصرت عن الشيء
قصورا ، اذا لم تتله . والمقصورة اصغر من الدار ، كأنها دار صغيرة ، يقصر فيها اي يحبس فيها ،
ويقتصر عليها . والقصير خلاف الطويل (٦) .

(١) لابن دريد ، ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بعمان ، وطلب علم النحو ،
واخذ عن ابي حاتم السجستاني ، و ابي الفضل الرياشي وعبد الرحمن ابن اخي الاصمعي .
مات سنة احدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة / شذرات الذهب ٢٨٩/٢ نزهة الالباء
ص ١٩١ .

(٢) الرحمن آية ٧٢ .

(٣) هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة . وانما صغر لشدة قصره . وهو من غلاة
الشيعة الموقنين بالرجعة ، وكان بمصر وعزة بالمدينة توفي سنة خمس ومائة من الهجرة /
شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٤) ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه احسان عباس ، ص ٥٠٣ .

(٥) وفي لفظ الديوان : غنيت قصيرات ، الحجال ولم أرد
قصار الخطا شر النساء البهاتير

ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه احسان عباس ص ٣٦٩ .

(٦) جمهرة اللغة ، باب (ر ص ق) .

وذكر الجوهرى فى الصحاح ^(١) ما ذكره ابن دريد ، وزاد معنى الاكتفاء ، وعدم

المجاوزه الى الغير .

فقال : القَصْرُ : واحد القُصُورِ .

وقَصَرْتُ من الصلاة بالفتح ، أَقْصَرْتُ قَصْرًا .

وقَصَرْتُ الشَّيْءَ على كذا ، اذا لم تُجَاوِزْ به إلى غيره . يقال قَصَرْتُ اللِّقْحَةَ على فرسى ، اذا

جعلت دَرَّهاله . وامرأة قاصِرَةٌ الطرفِ ، لاتمدُّه الى غير بعلمها .

وقَصَرْتُ الثَّوبَ أَقْصَرَهُ قَصْرًا : دَقَّقْتُهُ . والِإِقْتِصَارُ على الشَّيْءِ : الاكتفاء به ، وأَقْصَرْتُ

عنه : كفت ، ونَزَعْتُ مع القدرة عليه ، فان عجزت عنه ، قلت قَصَرْتُ بلا الف . وأَقْصَرْتُ من الصلاة :

لغة فى قَصَرْتُ . ^(٢)

وكذلك ذكر ابن سيده : ^(٣) ايضا معنى الحبس وعدم المجاوزة ، فقال :

والقَصْرُ خلاف المد ، والفعل كالفعل والمصدر كالمصدر ، قصر الشئ يقصره قسرا : حبسه .

وامرأة مقصورة وقصيرة : مصونة محبوسة .

^(٤)

واقصر على الامر لم يجاوزه ، وما قصر : يرعى المال حوله لا يجاوزه .

^(٥)

والى نفس هذا المعنى ذهب جار الله الزمخشري - فى كتابه (اساس البلاغة) ،

الا انه ذكر ، ان القصر يفيد معنى الاختصار الى جانب الحبس ، قصرته : حبسته ، وهو كالنازع

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى الامام ابو نصر الفارابى . كان من اعاجيب الزمان ذكاه

وفطنة وعلمًا . واصله من فاراب من بلاد الترك . كان اماما فى اللغة والادب قرأ العربية

على ابي على الفارسى والسيرافى مات سنة ٣٩٦ هـ / بغية الوعاة م ١ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٢) الصحاح ، باب الراء ، فصل القاف .

(٣) هو الحافظ ابو الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده الرُسى . كان اماما فى

اللغة العربية حافظا لهما . وله كتاب (المحكم) فى اللغة وكتاب (المخصص) . توفى

سنة ثمان وخمسين واربعمئة من الهجرة وعمره ستون سنة / وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٣٠ .

(٤) المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيده ، باب القاف والصاد والراء .

(٥) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشري . الامام الكبير فى

التفسير والحديث والنحو واللغة من مصنفاته (المجازة بالمسائل النحوية)

(المفرد والمركب)

كان معتزلي الاعتقاد متظاهرا به ولد سنة سبع وستين واربعمئة بزمخشر وتوفى سنة

ثمان وثلاثين وخمسائة من الهجرة بجرجانية خوارزم / وفيات الاعيان ج ٥

ص ١٦٨ - ١٧٣ .

وأقصر عن الامر : كَفَّ عنه ، وهو يقدر عليه . وقصر عنه قصورا : عجز عنه ولم ينله . وخذ
مخاصر الطرق ومقاصرها : وهي ما يختصر منها .

ومن المجاز : هو قصير اليد ، ولهم ايد قصار . واقصر المطر اقلع . (١)

وجاء ابن منظور بأمثلة كثيرة من الشعر العربي ، والحديث النبوي لتوضيح معنى

الجبس ، وان معنى القصر بلوغ الغاية . فقال :

ويقال قصرك ان تفعل كذا ، اى حسبك وكفايتك وغايتك . وكذلك قصارك وقصاراك ، وهو من
معنى القصر الجبس ، لانك اذا بلغت الغاية ، حبستك .

وفي حديث معاذ : (فان له ما قصر فى بيته) (٣) اى ما حبسه . وفي حديث

اسماء الاشهلية : انا معشر النساء محصورات مقصورات . (٤) (٥)

وفي حديث عمر رضى الله عنه : (فاذا هم ركب قد قصر بهم الليل) اى حبسهم . (٦)

يقال قصرت نفسى على الشئ ، اذا حبستها عليه . والزمتها اياه . (٧)

واضاف ابوبكر الرازى (٨) ، ان قصر من باب نصر ، معناه حبس . وقصر وبابه ،

دخل بمعنى عجز .

ويقصر (تصيرا) . يوزن غيب معناه عدم المجاوزة . فقال وقصر الشئ حبسه ، وبابه نصر وقصر

عنه الشئ . عجز عنه ، ولم يبلغه . وبابه دخل يقال قصر السهم عن الهدف . وقصر الشئ

بالضم ضد طال .

(١) اساس البلاغة ، كتاب القاف .

(٢) هو ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفى
سنة ٧١١هـ / فوات الوفيات تحقيق احسان عباس ، ج٤ ، ص ٣٩ .

(٣) لم اقف عليه .

(٤) هي اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية إحدى نساء بنى عبد الاشهل ابنة عمه معاذ
بن جبل ، وتكنى ام سلمة ، وقيل ام عامر روى عنها انها كانت من ذوات العقل والدين .

(٥) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر - القسم الرابع تحقيق على محمد
البيجاوى حديث رقم ٣٢٣٣ ، ص ١٢٨٢ .

(٦) لم اقف عليه .

(٧) لسان العرب ، باب الراء ، فصل القاف .

(٨) الامام محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى مؤلف مختار الصحاح فى اللغة فرغ
من تأليفه سنة (٧٦٠هـ) ولم يعثر على تاريخ وفاته / معجم المؤلفين ، ج ٩ ،

ص ١١٢ .

يقصر الشيء على كذا ، لم يجاوز به الى غيره . وبأبهما قصر . و (قصر) الثوب : دقسه ،
وبابه نصر . ومنه (القصار) و (قصره تقصيرا) مثله . والتقصير في الامر التواني فيه .
(١)

واضاف صاحب المصباح المنير (٢) ، ان الفعل (قصر) فعل متعدٍ : (قصرت
الصلاة ومنها قصرا) من باب قتل ، وهذه هي اللغة العالية التي جاء بها القرآن . قال
تعالى : (فلا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة) (٣) . و (قصرت الصلاة) بالبناء للمفعول
فهى (مقصورة) ، و (قصرت بنا النفقة) : لم تبلغ بنا مقصدنا ، فالبناء للتعدية مثل خرجت
به .
(٤)

واوجز صاحب القاموس (٥) ايجازا شديدا في بيان المعنى ، فاقصر على قول : (القصر
خلاف المد ، واختلاف الظلام والحبس والحطب الجزل) (٦) .

وكذلك ذكر الزبيدي في تاج العروس ، ان القصر ايضا معناه الحبس ، واستشهد
بالاحاديث التي جاء بها ابن منظور . وزاد صاحب محيط المحيط زيادة طفيفة ، فذكر ان القصر
معناه الحبس ، ثم بين انه مصدر . فقال : (القصر مصدرٌ ، ويستعمل اسما ايضا لخلاف الطول .
والاقتصار عند اهل العربية الحذف من غير دليل على المحذوف ، (المقصور اسم مفعول) .
(٧)

اما عن معنى الحصر لغة :

فجاء في جمهرة اللغة :

والحصر مصدر حصرت الرجل احصره ، وأحصره اذا حبسته . وأصل الحصر الضيق ، ومنه الحصرُ

-
- (١) مختار الصحاح ، باب القاف .
 - (٢) هو احمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي لغوي اشتهر بكتابه المصباح ، ولد ونشأ
بالقيوم ثم رحل الى حماة فقطنها واصبح خطيبا في جامع الدهشة الذي بناه الملك
المؤيد اسماعيل توفي سنة ٧٧٠هـ / معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
 - (٣) في سورة آل عمران اية ١٠١ (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) .
 - (٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . كتاب القاف مع الصاد .
 - (٥) بديع الجاويدي المرتضى الزبيدي وهو شرح للقاموس المحيط اخذ من عدة كتب اخصها شرح ابن الطيب ،
ولسان العرب / معجم المؤلفين ، ج ١١ ، ص ٢٨٢ .
 - (٦) وهو الفيروزبادي : مجد الدين ابوالظاهر محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن عمر الفيروزبادي
اللغوي الشافعي . ولد في ربيع سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكارزون ونشأ بها وحفظ
القرآن وهو ابن سبع اخذ عنه الصفدي وابن عقيل وابن هشام توفي سنة سبع عشرة
وثمانمئة من الهجرة / شذرات الذهب ج ٧ ص ١٢٤ - ١٣١ .
 - (٧) القاموس المحيط فصل القاف ، باب الراء .

وهو احتباس النجو كناية عن ضيق المخرج • وحَصِرَ الرجل في خطيته او كلامه اذا عسى عنها • والحَصْرُ: الذي لا يبيح بسره • قال الشاعر جرير بن عطية الخطفي: (١)

ولقد تسقطنى الوُشاة فصادفوا

حصرا بسرك يا أميمَ ضنيننا (٢)

والحَصِيرُ ايضا المحبس، وكذا فُسِّرَ في التنزيل في قوله عز وجل (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) (٣) اي محبسا • وأحَصَرَتِ الرجل إحصارا: اذا منعته من التصرف • فكأن الحصر الضيق، والاحصار المنع •

وفي التنزيل (فان أحصرتهم) (٤) فان منعتهم من مرض او غيره • وأحصر الرجل

إذا منع من التصرف لمرض او عائق • وحَصَرَتِ الرجل عن وجهه: اذا منعته عنه • وحَصَرَتِ البعير أحصره حصرا اذا شد دته بالحصار، وهو كسأ يطرح على ظهره • ثم يكتفل • وذكر

الجوهري في الصحاح نفس المعاني، التي ذكرها ابن دريد وزاد عليها معنى البخل:

حَصَرَهُ يحصره حصرا: ضيق عليه واحاط به • الحَصِيرُ الضيق: البخيل (٦) • وذكر ابن سيده

معنى الحبس والضيق، ولم يذكر معنى البخل، وانما زاد معنى الاستيعاب • فقال: حَصَرَهُ

يحصره حصرا، فهو محصور وأحصره كلاهما حبسه عن السفر وغيره • أحصرهم فرض الجهاد: اي منعهم • وحَصَرَ الشيء حصره حصرا استوجبه (٧)

وذكر الزمخشري في (اساس البلاغة) • وابن منظور في (لسان العرب) • والرازي في (٨)

(مختار الصحاح) • والفيومي في (المصباح المنير) جميع المعاني السابقة من: الضيق والحبس (٩) (١٠) (١١)

الامتناع - الاستيعاب - العى - البخل - العجز - نقلا عن سبقوهم •

(١) اسمه حذيفة، والخطفي لقبه • كان من فحول شعراء الاسلام وكانت بينه وبين الفرزدق

مهاجاة ونقائض، وهو اشعر من الفرزدق - عند اكثر اهل العلم - بهذا الشأن • توفي

سنة عشر ومائة • وقيل سنة احدى عشرة ومائة من الهجرة / وفيات الاعيان، ١، ٤

ص ٣٢٦-٣٢١ •

(٢) شرح ديوان جرير، تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، ص ٥٧٨ •

(٣) الاسراء اية ٨ •

(٤) البقرة اية (٩٦) (فان احصرتهم فما استيسر من الهدى) •

(٥) جمهرة اللغة باب الحاء والراء مع باقى الحروف •

(٦) الصحاح باب الراء فصل الحاء •

(٧) المحكم والمحيط الاعظم، باب الحاء والصاد والراء •

(٨) كتاب الحاء •

(٩) باب الراء، فصل الحاء •

(١٠) باب الحاء •

(١١) المصباح المنير كتاب الحاء مع الصاد •

وجاء في محيط المحيط ذكر المعاني السابقة ، مع بيان معنى الحصر عند اهل

العربية ، وعند اهل البديع ، وعند اهل المنطق ، وعند العامة . وما ذكر :

الحصر : مصدر بمعنى الاحاطة والتحديد والتعديد والتضييق والحبس والمنع . وعند اهل

العربية هو اثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عما عداه ، كما يُعرف بالقصر ايضا . وعند البديعيين

هو ان يعتمد المتكلم الى بعض افراد الحبس ، فيجعله الجنس بأسره تعظيما . والحصر عند

العامة الغم (١) .

واما معنى الاختصاص فذكر في جمهرة اللغة (خَصَّه) بالشئ ، يخصه خصا وخصوصا

وخصوصية ، اذا فضله به ، وخصه بالود كذلك . وخصان الرجل : من يختصه من إخوانه

والخص : بيت من قصب او شجر ، وانما سمي - خصا - لانه يرى ما فيه من خصاصة . والخصاص :

الفرج والخصاصة : الحاجة (٢) .

(٣) وقد ذكر الجوهري نفس هذه المعاني ، وزاد عليها ان الخاصة : خلاف العامة .

وزاد ابن سيده المعنى وضوحا حين ذكره ، ان الاختصاص : هو الانفراد دون الغير . فقال :

خَصَّه بالشئ ، يَخْصُهُ خَصًّا وَخُصُوصًا ، وَخَصَّصَهُ وَاخْتَصَّصَهُ : اَفْرَدَهُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ . فَأَمَّا

قول ابى زبيد :

(١) محيط المحيط : بطرس البستاني ، باب الحاء . وما ذكره عن اهل العربية واهل

البديع عبارة عن المعنى الاصطلاحي للقصر .

(٢) جمهرة اللغة ، حرف الخاء ، وما بعده .

(٣) الصحاح باب الصاد فصل الخاء .

ان افرأ خَصَّنِي عَمَدًا مَوَدَّتَهُ

(١) على التثاني لَعِنْدِي غَيْرَ مَكْفُورٍ

فإنه أراد خَصَّنِي بمودته ، فحذف الحرف ، وأوصل الفعل . ويجوز أنه يريد خَصَّنِي لمودته
إيأى ، فيكون كقوله :

(٢) (وَإَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ إِذْ خَسَّرَهُ)

وانما وجهناه على هذين الوجهين ، لانا لم نسمع فى الكلام أن خصصته مُتَعَدِيَةً إِلَى مَفْعُولِينَ .
والخاصة من تختصه لنفسك . وَسَمِعَ ثَعْلَبٌ يَقُولُ : إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ فِي خَاصَّةِ أَبِيكَرٍ . وَإِذَا
ذَكَرَ الْأَشْرَافَ فِي خَاصَّةِ عَلِيٍّ . وَخَصَّ بِكَذَا : أَعْطَاهُ شَيْئًا كَثِيرًا . (٣)

وزاد الزمخشري فى اساس البلاغة المعنى المجازى (لخصص) ، ومن المجاز اصابته خصاصة :
خلَّةٌ . واختص الرجل : اختل اى افتقر . وسددت خصاصة فلان : اى فقره . وسعت اهل
السراة يقولون : رفع الله خصتك . (٤)

وكذلك ذكر ابن منظور معنى الانفراد . فقال : واختصه : افرده به دون غيره
ويقال : اختص فلان بالامر ، وتخصص له اذا انفرد . وخص غيره واختصه بغيره . ويقال :
فلان مخصٌ بفلان : اى خاص به ، وله به خصية . (٥)

ولم يزد الرازى على هذه المعانى شيئا ، وكذلك صاحب المصباح المنير وان كل ما
اضافه ان (خصصته بكذا ، اخصه خصوصا) من باب قعد بالفتح والضم لغة : اذا جعلته
له دون غيره .

(١) هو لابي زييد الطائى يمدح اخاه لاه وليد بن عقبه عامل الكوفة فى خلافة عثمان
رضى الله عنه وسبب ذلك ان بنى ثعلب اخواله كانوا قد اخذوا له ابلا فاقتلعها
منهم وليد المذكور / شرح شواهد المغنى ج٢ ص ٩٥٣ رقم الشاهد ٨٤٤ .

(٢) صدر بيت لحاتم الطائى ، وعجزه (واعرض عن شتم اللثيم تكرا) .

(٣) المحكم والمحيط الاعظم ، باب الخاء والصاد .

قوله (فبخاصة ابوبكر - وبخاصة على) بالرفع لعله خطأ من الناسخ ، لان الاسم بعهد
خاصة يكون منصوبا دائما .

(٤) اساس البلاغة ، كتاب الخاء .

(٥) لسان العرب ، باب الصاد ، فصل الخاء المعجمة .

وخصصته بالتثقيـل مبالغة واختصصته به ، فاخص هو به وتخصصه و (خص الشيء خصوصا)
(١)
• من باب تعدد خلاف العامة

وذكر صاحب القاموس المحيط ، ان الفعل اخص يستعمل لازما ومتعديا :
(اخصه بالشيء : خصه به ، فاخص وتخصص لازم متعد) (٢) • وكذلك صاحب تاج
العروس ، ان الفعل خصص يأتى لازما ومتعديا • وزاد على هذا ، بان اوضح المقصود من
الانفراد ، فقال : (التخصيص) ضد التعميم ، وهو التفرد بالشيء مما لا تشاركه فيه الجملة •
واخصه بالشيء اختصاصا : (خصه به ، فاخص وتخصص لازم متعد) • ويقال اخصص
(٣)
فلان بالامر ، وتخصص له اذا انفرد •

ولم يزد صاحب محيط المحيط على هذه المعاني شيئا (٤) •

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | المصباح المنير ، كتاب الخاء مع الصاد • |
| (٢) | فصل الخاء باب الصاد |
| (٣) | تاج العروس ، فصل الخاء من باب الصاد |
| (٤) | محيط المحيط ، باب الخاء |

بعد ان انتهيت من عرض هذه الالفاظ على معاجم اللغة ، ظهر لى انه لا فرق
بينها فى المعنى اللغوى ، فالقصر كما رأينا معناه الحبس ، وعدم التجاوز الى الغير ، وكذلك
الحصر معناه الحبس .

فلا خلاف بين علماء اللغة ، وكذلك علماء المعانى ، فى كون هذين اللفظين بمعنى واحد
فى الجملة .

وان كان الدسوقى يذكر لنا فرقا بين الحبس وعدم التجاوز ، وان القصر مأخوذ

من عدم التجاوز وليس من الحبس ، بدليل التعبير بعلى فقال :

(القصر فى اللغة الحبس ومنه قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)^(١) اى محبوسات
ثم يقول : (وقال بعضهم هو فى اللغة عدم المجاوزة الى الغير ، فهومن قصر الشىء على كذا ،
اذا لم يتجاوز به الى غيره ، لا من قصرت الشىء حبسته بدليل التعبير بعلى)^(٢) .

ورد ابن يعقوب على من قال هذا القول بقوله : (هو فى اللغة الحبس ، قال تعالى :

(حور مقصورات فى الخيام)^(٣) ، اى محبوسة : فيها وهو فى الاصطلاح مأخوذ
من ذلك ، ولا ينافى ذلك تعدية بعلى)^(٤) . فلا خلاف اذا بين علماء المعانى فى المعنى

اللغوى بين القصر والحصر ، وانما وقع الخلاف بين معنى القصر والاختصاص ، ويبدو لى انه

لا فرق فى معناهما اللغوى ايضا ، وذلك لقول ابن سيده فى معنى الاختصاص :

خصه بالشىء يخصصه خصا وخصوصا وخصه واختصه : افرده به دون غيره . ولقول

صاحب تاج العروس : التخصيص ضد التعميم ، وهو الثغرد بالشىء ، مما لا تشاركه فيه الجملة .

فكلاهما اذا بمعنى واحد ، والخلاف الذى وقع بين العلماء ، انما هو فى المعنى الاصطلاحى ،

فمنهم من ساوى بينهما ، والى هذا رأى ذهب اكثر اهل المعانى ، ومنهم من فرق وهم القلة .

قال الدسوقى : * واعلم ان الاختصاص والقصر بمعنى واحد عند علماء المعانى ، وذلك لانهم

نصوا على ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص ، وقابلوه بالاهتمام ، فدل على انه غير ،

(١) الرحمن ، اية (٧٢) .

(٢) شرح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٣) الرحمن : اية (٧٢) .

(٤) شرح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

وعدوا التقديم المذكور من طرق القصر ، وكون القصر لايتأتى فى بعض المواضع ، مما لاينكسر
القوم ، لانهم قالوا بافادته غالبا . واما قول ابن السبكى بالفرق بين القصر والتخصيص ،
فمخالف لما عليه اهل المعانى (١) .

ومن الذين فرقوا بينهما ابن السبكى ، نقلا عن والده فى بحث مطول سماه
(الاقتصاص فى الفرق بين الحصر والاختصاص) ومفاده :

" ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر ، فاذا قلت : زيدا ضربت ، يقول معناه ما
ضربت الا زيدا ، وليس كذلك ، وانما الاختصاص شىء ، والحصر شىء اخر ، والفضلاء لم يذكروا
فى ذلك لفظة الحصر ، وانما قالوا الاختصاص (. . .) . ثم بعد هذه المقدمة البسيطة ذكر
السبكى الفرق بين الاختصاص والحصر ، فقال :

(فالاختصاص افتعال من الخصوص ، والخصوص مركب من شيئين : احدهما مشترك بين شيئين
او اشياء ، والثانى منضم اليه يفصله عن غيره كضرب زيد ، فانه اخص من مطلق الضرب ، فاذا
قلت ضربت زيدا ، اخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص ، فصار ذلك الضرب المخبر به ،
خاصا لما انضم اليه منك ، ومن زيد ، وهذه المعانى الثلاثة ، اعنى مطلق الضرب ، وكونه
واقعا منك ، وكونه واقعا على زيد . قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السواء ، وقد
يترجح قصده لبعضها على بعض ، ويعرف ذلك بما ابتداء به كلامه . فان الابتداء بالشىء
يدل على الاهتمام به ، وانه هو الارجح فى غرض المتكلم . فاذا قلت زيدا ضربت ، علم ان خصوص
الضرب على زيد هو المخصوص " .

فالفرق الاول يكون من جهة قصد المتكلم .

وقد تابع ابن السبكى سرد الفرق بين الحصر والاختصاص فذكر فرقا اخر من ناحية العموم ،
والخصوص فقال : " ولاشك ان كل مركب من خاص وعام له جهتان ، فقد يقصد من جهة عمومه ،
وقد يقصد من جهة خصوصه . فقصد من جهة خصوصه هو الاختصاص ، وانه هو الأهم
عند المتكلم ، وهو الذى قصد افادته للسامع ، من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفسى .

ثم بين ابن السبكي المقصود من الحصر، واشترط فيه وجود النفي والاثبات، بأن يصح تقدير ما وإلا فقال: (وأما الحصر فمعناه نفي غير المذكور، وإثبات المذكور يعبر عنه بما وإلا، أو بإنما فإذا قلت ما ضربت إلا زيدا، كنت نفيت الضرب عن غير زيد، وأثبتته لزيد. وهذا المعنى زائد على الاختصاص. فقوله تعالى:

"أفغير دين الله يبغون" اختصاص، ولا يجوز فيها معنى الحصر، لأنه لو جعلنا غير دين

الله يبغون، في معنى ما يبغون الا غير دين الله، وهمزة الانكار داخله عليه، لزم ان يكون المنكر الحصر، لا مجرد بغيتهم غير دين الله، ولا شك ان مجرد بغيتهم غير دين الله منكر. وجاز الحصر في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) (١)، للعلم بانه لا يعبد غير الله، ولا يستعان بغيره) فالحصر هنا من خصوص المادة لا من موضوع اللفظ (٢).

فملخص رأيه: ان التخصيص هو قصد المتكلم إفادة السامع خصوص شيء من غير

تعرض لغيره بنفي أو اثبات.

اما الحصر فقائم على النفي والاثبات.

وممن ذهب مذهب الإمام ابن السبكي الإمام السيوطي (٣) فذكر في عقود الجمان، ان ابن الحاجب (٤) و ابا حيان (٥)، وصاحب الفلك الدائر، قدر فرضوا كون التقديم يفيد الاختصاص، وان الذي اوقعهم في ذلك ظنهم ان الحصر هو الاختصاص، فقال:

(١) الفاتحة آية (٥).

(٢) شرح التلخيص عروس الافراح ج ٢ ص ١٥٧.

(٣) هو الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي الشافعي المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفاتحة النافعة. ختم القرآن العظيم، وله من العمر دون ثمان سنين ثم حفظ عمدة الاحكام ومنهاج النووي والقيه ابن مالك ومنهاج البيضاوي فاجازه علماء عصره ولد سنة تسع واربعين وثمانمائة وتوفي سنة احدى عشر وتسعمائة من الهجرة / شذرات الذهب، ج ٧، ص ٥١-٥٢.

(٤) هو ابو عمرو بن عثمان بن عمر بن ابي بكر المعروف بابن الحاجب الملقب بجمال الدين ولد سنة سبعين وخمسمائة من الهجرة بأسنا وهي بليدة صغيرة من الاعمال القوصية بالصعيد الاعلى من مصر / وفيات الاعيان ج ٣، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٥) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الجبالي، امام المفسرين. ولد بمطبخشارس من حضرة غرناطة سنة اربع وخمسين وستمائة اخذ النحو عن ابي علي الشلوين و ابي جعفر الطباع الرعيني وقرأ القراءات بالاسكندرية على يد عبد البصير المريوطي / توفي سنة خمس واربعين وسبعمائة من الهجرة / شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٤٥.

((...)) على ان يعرضهم كابن الحاجب، ابن ان يكون التقديم يفيد الاختصاص، ووهم من ظن ذلك، واستدل بقوله تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين)^(١) ، وقوله تعالى : (بل الله فاعبد)^(٢) - ، وتابعه ابو حيان ، وكذا صاحب الفلك الدائر ، واستدل بقوله تعالى - (كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل) . والذي اوقعهم في ذلك ظن ان الاختصاص هو الحصر)^(٣) .

فيهم من عبارة السيوطي هذه ، انه يفرق بين الحصر والاختصاص .
وكذلك ذهب الامام الشهاب الى التفرقة بينهما ، حيث قال : بعد ان بين رأى ابن السبكي ولخصه :

(..الحق ان ما ذكر من الفرق بين الحصر والاختصاص مسلم ، فان اختصاص شئ بشئ ثبوته له ، على وجه خاص به ، فلا يقتضى القصر ، وان كان لا ينافيه ، ولذا حمل عليه في كثير من المواضع ...)^(٥) .

وحتى الذين ساوا بينهما ، فرقوا بينهما في التعدية . فقولنا " تخصيص شئ بشئ " يكون المقصور عليه هو الشئ الاول ، والباء داخلة على لفظ الشئ الثاني ، وهو المقصور . اما قولنا قصرت كذا على كذا ، فعلى العكس يكون المقصور هو الشئ الاول ، والمقصور عليه هو الشئ الثاني .

ويظهر لى ان المعنى الاصطلاحى للمصطلحات الثلاثة (الحصر والقصر والاختصاص)

معنى واحد . وان للمعنى اللغوى علاقة وثيقة الصلة بالمعنى الاصطلاحى .

(١) الزمره اية (١١) .

(٢) الزمره اية (٦٦) .

(٣) عقود الجمان السيوطى : ص ١٥٣ .

(٤) هو احمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجى المصرى قاضى القضاة وصاحب

التصانيف فى الادب واللغة ، ولد ونشأ بمصر ورحل الى بلاد الروم ، واتصل بالسلطان

مراد العثمانى من اشهر كتبه (ريحانة الالباب) و (شفاء العليل فيما فى كلام العرب

من الدخيل) . ولد سنة ٩٧٧ هـ وتوفى سنة ١٠٩٦ هـ / الاعلام ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٥) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

فالقصر او الحصر فى اللغة : الحبس والمنع ، وقصرت الشىء على كذا ، اذا لم تجاوز به غيره . فقولنا قصرت الشىء على كذا تضمن معنى الاثبات ، وقولنا (اذا لم تجاوز به غيره) تضمن معنى النفى . وكذلك الحال فى الاختصاص ، فالاختصاص فى اللغـة : الانفراد بالشىء دون الغير .

فقولنا الانفراد بالشىء ، تضمن معنى الاثبات ، وقولنا دون الغير ، تضمن معنى النفى . وهذا هو حاصل معنى القصر عند البلاغيين ، فالقصر قائم على معنى النفى والاثبات ، فاذا كان ذلك كذلك فاعلم ان القصر والحصر والاختصاص بمعنى اصطلاحى واحد ، لا فرق بينها . وعلى هذا يكون معنى القصر او الاختصاص كما جاء فى مفتاح العلوم للسكاكى .

" وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف ثان او بوصف مكان اخر او الى تخصيص الوصف بموصوف " (١)

وركز البيانىون العبارة ، وعرفوا القصر بانه تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص . (٢)

وشرح الدسوقى المقصود من هذه العبارة ، فقال : قوله " تخصيص شىء بشىء " ، اى تخصيص موصوف بصفة ، او صفة بموصوف . فالباء داخل على المقصور ، والشىء الاول ان اريد به الموصوف ، كان المراد بالشىء الثانى الصفة والعكس . وذلك لان التخصيص يتضمن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوب ومنسوب اليه ، فان كان المخصص منسوبا ، فهو الصفة ، وان كان منسوبا اليه فهو الموصوف ، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء الاخبار بثبوت الشىء الثانى للشىء الاول دون غيره) (٣) . فالشىء الاول هو المقصور عليه ، والشىء الثانى هو المقصور . والطريق المخصوص هو احد طرق القصر المصطلح عليها عند علماء المعانى . وايضا عرفه السيوطى بقوله : (أما الحصر ويقال له القصر ، فهو تخصيص أمر باخر بطريق مخصوص . ويقال ايضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه) (٤) . وكلا التعريفين بمعنى واحد ، وان اختلفت الالفاظ .

(١) مفتاح العلوم . السكاكى ، ص ١٣٩ .
(٢) شرح التلخيص ، مختصر السعد ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
(٣) شرح التلخيص ، حاشية الدسوقى ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
(٤) الاتقان ، السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن ط ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

ولقد قيد علماء المعاني معنى القصر بقولهم (بطريق مخصوص) احترازا من التعميم في تعريف القصر ، الذي ذهب اليه بعض المعاصرين ومنهم الشيخ سليمان نوار ، الذي قال معترضاً على وضع هذا القيد : (زاد العلماء في تعريف القصر قيده سمعته ، وهو بطريق مخصوص - لماذا ؟ قالوا لاخراج نحو (والله يختص برحمته من يشاء)^(١) وهكذا من كل تخصيص ، عبر عنه بشيء من مادة قصر او حبس او خص . لان هذه ليست من الطرق المخصوصة ، التي هي النفي والاثبات - العطف - انما - التقديم - ضمير الفصل - تعريف المسند - تعريف المسند اليه بلام الجنس - الاستثناء من الاثبات ، على ما يراه بعض العلماء ، كذلك اخرجوا بهذا القيد نحو : محمود مقصور على الكتابة . ونحن نرى ان نحو قول الله تعالى : (يختص برحمته من يشاء)^(٢) من القصر ، لان صيغة اختص وقصر ، وحبس ، هي الصيغ الاصلية . ولست ادري لماذا يجعلون شبه ومشبه به من صيغ التشبيه ، ولا يجعلون نحو اختص من صيغ القصر .

وعرف القصر بقوله :

(خير ما يقال في تعريف القصر ، انه دلالة جملة واحدة على اختصاص امر باخر ، سواء اكان منشأ تلك الدلالة الوضع ، ام العقل ، ام الذوق ، فيشمل نحو :

لايَسَلُّ الشَّرْفُ الرِّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
حتى يراق على جوانبه السدم^(٣)

وهكذا من كل اسلوب ينحدر منه الذهن الى معنى القصر ، وان لم توجد اداة من

ادواته المعروفة .

نعم لايشمل نحو :

وليس أخى من ودنى رأى عيْنِه
ولكن أخى من ودنى وهو غائب^(٤)

(١) البقرة آية ١٠٥ .

(٢) ال عمران ، آية ٧٤ .

(٣) البيت لابى الطيب المتنبى احمد بن الحسين الجعفى الكندى / ديوان ابى الطيب المتنبى بشرح ابى البقاء ، ج٤ ، ص ١٢٥ .

(٤) لم أقف لحص على قائل .

مما كان التخصيص فيه استفادا من جملتين ، او من جملة (١) واحدة . كذلك لا يشمل القصر العملي ، لان الاول ليس فيه اختصار ، والثاني ليس من مباحث علوم اللغسة ، التي تبحث عن الكلام لا عن الاعمال (٢) .

ويبدو لي أن في تعريفه هذا توسعا وتعميما . ولعل اخراج العلماء لمثل هذه الالفاظ - التي ذكرها الشيخ سليمان نوار - ووضعهم لهذا القيد ؛ لانه لا يترتب عليها احكام ولطائف .

(١) الظاهر ان هناك خطأ مطبعيا فالعبارة الصحيحة كما يبدو لا من جملة واحدة .
(٢) مذكرات الشيخ سليمان نوار ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

شأن مصطلح بقصر

استخداماً وتفسيراً

انه لمن الصعب جدا ان نضع تأريخا لمصطلح "ما" على وجه الجزم والتأكيد .
ولكن هذا لا يمنع من اظهار تاريخه على وجه التقريب . ويبدو لى - وذلك حسب ما توفر
لدى من مراجع - ان نلحق القصر ظهرت اول ما ظهرت بمعناها فى القرن الثانى الهجرى
(١)
عند سيويه .

وصحيح انه لم يذكر مصطلح القصر كما هو عند البلاغيين ، ولكنه اعطانا معناه
واضحا ، وتناوله فى اداتين من ادواته . " العطف بلا - والنفى والاستثناء " . فاما حديثه
عن العطف بلا ، فكان حديثا مقتضبا ، ويتضح من خلال حديثه عن النعت ، ان يقول :
((ومنه مررت برجل راع لا ساجد ، لاخراج الشك ، او لتأكيد العلم فيهما)) (٢) .

فقوله لاخراج الشك ، هو ما اطلق عليه علماء البلاغة قصر التعيين ، فالمخاطب
هنا متردد فى كون الرجل راعا ، او ساجدا ، فاراد المتكلم ازالة هذا الشك ، فقال : راع
لا ساجد . واما قوله لتأكيد العلم فيهما ، فالمتكلم اراد ان يؤكد للمخاطب ان الرجل راع
وليس بساجد ، وهذا ما اصطلح البلاغيون على تسميته بقصر القلب ، او قصر التعيين . لان قصد
التوكيد يصلح ايضا مع قصر التعيين . اما حديثه عن القصر عن طريق النفى والاستثناء ،
فذكر فى باب (ما يكون استثناءً بآلاً) :

((اعلم ان الا يكون الاسم بعدها على وجهين))

فاما الوجه الذى يكون فيه الاسم بمنزلة قبل ان تلحق الاء فهو ان تدخل الاسم فى شىء
تنفى عنه ما سواه ، وذلك (قوله) :

ما اتانى إلا زيد ، وما لقيت إلا زيدا ، وما مررت إلا بزيدا ، تجرى الاسم مجراه ، اذا قلت ما
اتانى زيد ، وما لقيت زيدا ، وما مررت بزيدا . ولكنك ادخلت الاء لتوجب الافعال لهذه الاسماء ،
ولتنفى ما سواها . فصارت هذه الاسماء مستثناة . فليس فى هذه الاسماء فى هذا الموضع

(١) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيوية مولى بنى الحارث بن كعب ، وقيل
ال الربيع بن زياد الحارثى كان اعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو : اخذ النحو عن
الخليل بن احمد وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب واخذ اللغة عن الاخفش الاكبر
توفى سنة ثمانين ومائة وقيل سنة سبع وسبعين من الهجرة وعمره اثنين واربعون سنة /
وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٢) الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ص ٤٣٠ .

وجهٌ سوى ان تكون على حالها قبل ان تلتحقِ إلا (.....) (١)

والوجه الذي ذكره هو ما اطلق عليه النحويون الاستثناء الفرج، وهذا الاسلوب

يفيد القصر عند جميع علماء البلاغة .

ثم جاء الفراء (٢) ، وذكر ايضا القصر بمعناه ، فتحدث عن (انما) ، وخطأ من قال :

انها للتحقير ، وذكر فيها معنى النفي ، والاثبات ، ونقل رأيه هذا ابن فارس (٣) في كتابه

الصاحبي ، في باب (انما) قال : (سمعت علي بن ابراهيم القطان يقول : سمعت ثعلباً

يقول : سمعت سلمة يقول : سمعت الفراء يقول : اذا قلت ((انما قلت)) ، فقد نفيت عن

نفسك كل فعلٍ الا القيام ، ولذا قلت : ((انما تام انما)) فذلك نفيت الصيام عن كل احدٍ وأثبتت لنفسك .

قال الفراء : يقولون : (ما انت إلا اخي) ، فيدخل في هذا الكلام الافرادُ كأنه ادعى انه

اخٌ ومولىٌ وغير الاخوة ، فنفي بذلك ما سواها . قال : وكذلك اذا قال : (انما انت اخي) .

قال الفراء : لا يكونان ابداً الا رداً . يعني إن قولك : ما أنت الا اخي " و " انما قام انما " ،

لا يكون هذا ابتداءً ابداً ، وانما يكون رداً على آخره ، كأنه ادعى انه اخٌ ومولىٌ واشياءٌ آخره ،

فناها وأقر له بالاخوة . او زعم زاعم : انه كانت منك اشياءٌ سوى القيام ، فنفيتها كلها ما خلا

القيام .

وقال قوم : ((انما)) معناه التحقير . تقول : (انما أنا بشرٌ مثلكم) (٤) محقراً

لنفسك . وهذا ليس بشيء ، قال الله جل ثناؤه : (انما الله واحد) (٥) . فأين التحقير هاهنا ؟

(١) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٢) هو ابو زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء مولى بنى اسد وقيل موسى بنى منقر كان

ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب له كتاب (الحدود) (والمعاني)

وكتاب (اللغات) توفي سنة سبع ومائتين من الهجرة / وفيات الاعيان ج ٦ ص ١٧٦ - ١٨١ .

(٣) هو ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا قيل انه من اهل قزوين كان كريماً جواداً ،

وكان فقيهاً شافعياً له من التصانيف كتاب المجمل وكتاب متخير الالفاظ ، كتاب

مقاييس اللغة ، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة وقيل سنة ستين وثلاثمائة ورجح السيد

صقران وفاته سنة ٣٩٥ هـ / معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ - ٨٤ .

(٤) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٥) النساء آية ١٧١ .

وعلق ابن فارس على قول الغراء :

(والذي قاله الغراء صحيح ، وحجته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم :
(١) ، (٢)
• (انما الولاء لمن اعتق))

لو تأملنا هذا النص نجد انه ذكر من طرق القصر الى جانب (انما) طريق

(النفي والاستثناء) ، في قوله (ما انت الا اخي) • ويبدو من نصه هذا ، انه لم يتطرق

الا الى القصر الاضافي ، حيث قال : لا يكون هذا ابتداءً ابداءً ، وانما يكون رداً على آخر •

الا انه لم يفرق بين اقسامه (الافراد - القلب - التعيين) •

حيث ذكر تعريفاً ، جعل فيه قصر الافراد والقلب بمعنى واحد • فعند تعليقه

على الامثلة - (انما انت اخي) ، (ما انت الا اخي) - قال : فيدخل في هذا الكلام

الافراد ، كأنه ادعى انه اخ ، ومولى ، وغير الاخوة • فنفي بذلك ما سواها •

فقوله : ادعى انه اخ ، ومولى ، هو ما اصطلح البيانين على تسميته قصر افراد • اما قوله

وغير الاخوة ، فهذا قصر قلب •

فيبدو لي ان الاظهر ان تكون العبارة كما يلي :

كأنه ادعى انه اخ ومولى ، او غير الاخوة ، بدل من (واو) العطف •

وكذلك يلح من كلام الامام الطبري ، عند تفسيره لقوله تعالى : (لا علم لنا

(٣)
(٤)
• (انما علمتنا انك انت العليم الحكيم)

ان الاية مفيدة للقصر حيث قال : (وتاويل ذلك انك انت يا ربنا العليم من غير

تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن والعالم للغيب دون جميع خلقك) (٥) فذكر القصر هنا

بمعناه فقط •

(١) رواه مسلم ، كتاب العتق ، باب بيان ان الولاء لمن اعتق ، م ٥ ج ١٠ ص ١٤٨ •

ورواه البخاري ، كتاب في اللقطة في المظالم والغصب ، باب ما يجوز من شروط

المكاتب ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ •

(٢) الصاحبى ، تحقيق السيد احمد صقر ، ص ١٨٢-١٨٣ •

(٣) هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري كان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث

والفقه والتاريخ ، كان من الائمة المجتهدين لم يقلد احدا ولد سنة اربع وعشرين

ومائتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة ببغداد / وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٩١ •

(٤) البقرة اية ٣٢ •

(٥) الطبري ، م ٦١ ص ١٢٥ •

ويبدو لي ان القصر لم يظهر كمصطلح علمي يدل على تخصيص شيء بشيء بطريق
مخصوص - الا في القرن الخامس الهجري فنجده عند الامام عبد القاهر الجرجاني (١) في
كتابه دلائل الاعجاز. فقد تحدث عن انما ومواقعها - طريق التقديم - النفي والاستثناء -
التعريف . وتكلم عن العطف به ص ٢٥٩ - وما قبلها وما بعدها .

كذلك نجده عند الامام الزمخشري ، (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) في كتابه الكشاف .
اذ تطرق الى افادة التقديم للاختصاص ، وكذلك النفي والاستثناء - انما - ضمير الفصل -
التعريف .

ثم اتى ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ)
فذكره مشروحا مفصلا بمعناه ، وطرقه في كتابه (مفتاح العلوم) . وعنه نقل القزويني
ومن جاءوا بعده .

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ابوبكر النحوي صاحب التصانيف منها المغنى
في شرح الايضاح ثلاثون مجلدا وكان شافعيًا اشعريًا اخذ النحو بجرجان عن ابي
الحسين الفارسي ابن اخت ابي علي الفارسي توفي سنة احدى وسبعين واربعمائة
من الهجرة / شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٠ .

الباب الأول

« دراسات البدعيين للقصر »

الفصل الأول :

تقسيمات القصر :

أ-

١، حقيقي

٢، إضافي :

افراد

قلب

تعيين

ب - ١، صفة على موصوف

٢، موصوف على صفة

بعد ان تناولت في الفصل السابق معنى القصر لغة واصطلاحاً ، ووضحت

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي .

سأشرع في هذا الفصل - ان شاء الله - في بيان تقسيمات القصر من حيث

الحقيقة والاضافة ، ورأى العلماء في هذا التقسيم ، ثم تعريف القصر الحقيقي مع بيان اقسامه

(حقيقي حقيقي - حقيقي ادعائي) . ثم تعريف القصر الاضافي ، مع ايضاح اقسامه ايضا :

(افراد - قلب - تعيين)

كما سأعرض لتقسيمه الى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف . وكذلك

سأبين المقصود من المصفة في باب القصر ، والفرق بينها وبين النعت النحوي .

(١) ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمين :

(١) قصر حقيقي .

(٢) قصر غير حقيقي ، وهو الاضافي .

ويرى بهاء الدين السبكي ، ان المراد بالحقيقي هو المعنى المقابل للمجاز ، وغير الحقيقي عنده هو المجازي . يقول :

(. . .) وهو منقسم بالاستقراء الى قصر حقيقي ، وقصر غير حقيقي اي مجازي .

واعلم ان القصر الحقيقي ينظم حكمين : اثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عما عداه ، وكلاهما حقيقة . والقصر المجازي ينظم حكمين : اثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عن غيره ، وهو مجاز " (٢) .

وينبغي ان يراد (بغيره) في كلامه - (غيرا) معينا .

والى مثل هذا ذهب العلامة السيد في حواشي المطول ، فذكر : (ان الحقيقي نسبة للحقيقة ، بالمعنى المقابل للمجاز ، وان المراد بالاضافي المجاز بمعنى ان تخصيص الشئ بالشئ ، بحسب الاضافة الى شئ معين ، مجازي له) (٣) .

وعلق الدسوقي معترضا على قول العلامة السيد بقوله :

(١) لم يذكر صاحب المفتاح هذا التقسيم .

(٢) شرح التلخيص : عروس الافراح ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٣) نقلا عن شرح التلخيص : حاشية الدسوقي ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(وفيه نظر لان كلا من المعنيين حقيقى للقصر . وليس الغرض من سوق الكلام ،

افادة ان بعض المعنيين معنى حقيقى للفظ القصر ، والبعض الاخر معنى مجازى له . كما

(١)

فهمه العلامة السيد فلا يصح ما ذكره (. . . .) .

ثم رجح الدسوقى رأى الحفيد (٢) ، الذى يقوم على ملاحظة حال المخاطب ،

فالحقيقى عنده ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر يدون ملاحظة حال المخاطب ، والاضافى

ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب .

قال الدسوقى : (والاولى كما قال الحفيد ، ان المراد بالحقيقى ما لوحظ فيه

الحقيقة . ونفس الامر يدون ملاحظة حال المخاطب ، من تردد او اعتقاد خلاف او شركة .

والاضافى ما لوحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب السابق .

ومن ثم صرحوا بان قصر الافراد ، وقصر القلب ، وقصر التعيين ، اقسام للقصر

(٣)

غير الحقيقى ، لانه هو الذى يعتبر فيه حال المخاطب) .

كذلك رد ابن يعقوب على قول بهاء الدين السبكى ، ومن ذهب مذهبه بقوله :

(وليس المراد بالحقيقى هنا ما يقابل المجازى ، لان التسمية فى كليهما حقيقة اصطلاحا) .

ثم ذكر ان الذى اوجب تسمية احدهما بالحقيقى ، والاخر اضافى ، هو كمال الحقيقة فى

احدهما دون الاخر ، ولتحقق نفي المشاركة فيه مطلقا ، عن كل ما عدا المقصور عليه .

اما القصر الاضافى ، فهو تخصيص شىء بشىء ونفيه عن بعضه ، ما عدا المقصور

عليه ، اى بالنسبة الى شىء معين مخصوص .

فلصحة وجود مشاركة اخرى فيه ، امتنع عن تسميته بالحقيقى ، وان كان فى

تخصيص مضاد للمشاركة ، الا انه تخصيص بالاضافة الى معين .

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) هو احمد بن يحيى بن محمد الهرورى المعروف بحفيد التفتازانى سيف الدين عالم مشارك

فى بعض العلوم كالبلغة والفرائض من تصانيفه (حاشية على المختصر) للتفتازانى و(حاشية

على المطول) للتفتازانى ، وكلاهما فى المعانى والبيان ، توفى سنة ١١٦ هـ / الاعلام ،

م ٥١ ص ٢٧٠ / معجم المؤلفين م ٥١ ج ٢ ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) شروح التمهيد ، ج ٢ ، ص ١٦٦-١٦٧ .

ويفترض ابن يعقوب سوء الا ، ويجيب عليه ، فافتراض ان يقول قائل : بما ان الاختصاص ضد المشاركة ، فكيف تكون الحقيقة في الاول اكمل ؟ مع ان المعروف ان الحقيقة لا تغاوت فيها . واجاب على ذلك :

ان الكمال حصل بنفى كل مشارك .

اما في القصر الاضافي ، فكان نفى البعض ^(١) ، وقد اعترض بعضهم على تقسيم القصر الى حقيقي واذافي ، بحجة ان القصر هو التخصيص ، وهو من الامور الاضافية ، لكونه نسبة بين المقصور والمقصور عليه . بمعنى ان القصر الحقيقي كان بالاضافة الى كل ما عداه ، وان القصر الاضافي كان بالاضافة الى بعض ما عداه . فكل منهما اذافي ، اذ لا يتحقق في احدهما ثبوت التخصيص الا بالنسبة الى سلب الغير ، فكيف يسمى احدهما اذافيا دون الاخر؟

ويجيب السعد في مختصره على هذا الاعتراض ، بان تقسيم القصر الى حقيقي

واذافي ، لا ينافي كون التخصيص مطلقا من قبيل الاضافات ، فيقول : (وانقسامه الى الحقيقي والاذافي بهذا المعنى ، لا ينافي كون التخصيص مطلقا من قبيل الاضافات) ^(٢) . وكذلك يجيب ابن يعقوب على هذا الاعتراض بقوله : (فانقسام القصر الذي هو اذافي مطلقا كما قرر الى اذافي وغيره صحيح ، لان الاضافة المنقسم اليها خلاف مطلق الاضافة الموجودة في كليهما وهو ظاهر) ^(٣) .

وفي موضع اخر يجيب بان احدهما خص باسم (الاذافي) ، لان المضاف اليه

مخصوص معين ، ويجيب على هذا الاعتراض ايضا الدسوقي في حاشيته بقوله : (وحاصل الجواب انه ليس المراد بالحقيقي ، ما يكون تعقله في حد ذاته ، لا بالقياس الى الغير . بل المراد به ما كان بالاضافة الى جميع ما يغير . فهو حينئذ نوع من الاذافي ، بمعنى ما يكون تعقله بالقياس الى الغير . كما ان الاذافي هنا نوع منه ايضا ، وهو ما يكون بالاضافة الى بعض ما يغير . والحاصل انه ليس المراد بالحقيقي ما ليس اذافيا مطلقا ، بل ما كان بالاضافة الى جميع المقصور عليه .

(١) شرح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج٢ ، ص ١٦٧-١٦٨ .

(٢) شرح التلخيص ، مختصر السعد ، ج٢ ، ص ١٦٨ .

(٣) شرح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج٢ ، ص ١٦٨ .

كما ان المراد بالاضافى ، ما كان بالاضافة الى بعض ما عدا المقصور عليه . وحينئذ
فكل منها قسم من مطلق اضافى (١) .

ثم يضع الدسوقى فرقا بين الحقيقى والاضافى ، وذلك حسب اعتبارالمعتبر . فقال :
(وحاصله ان الحقيقى والاضافى بحسب اعتبارالمعتبر ، فان اعتبرالتخصيص بالنسبة الى
جميع الصفات الباقية ، فهو حقيقى ، سواء وجد الجميع ، ام لم يوجد شىء منه . وان اعتبر
التخصيص بالنسبة الى بعضها ، فهو اضافى ، وان لم يكن موجودا الا ذلك البعض) (٢) .

(١) شرح التلخيص: حاشية الدسوقى ، ج٢ ، ص ١٦٨ .
(٢) شرح التلخيص: حاشية الدسوقى ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

تقسيم القصر الحقيقي

(١) سبق ان قلت ان القصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمان :

(١) قصر حقيقي .

(٢) قصر غير حقيقي ، وهو الاضافى .

والقسم الاول منهما ، وهو (الحقيقي) ينقسم قسمين :

(١) حقيقى تحقيقى .

(٢) حقيقى ادعائى .

فالحقيقى التحقيقى : (هو تخصيص الشئ بالشئ بحسب الحقيقة ، ونفس الامر بان لا يتجاوزها الى غيره اصلا) (٢) . بمعنى ان الحقيقى التحقيقى ، هو تخصيص الشئ بالشئ بحسب الحقيقة والواقع ، ونفيه عن كل ما عداه . وسمى قصرا حقيقيا ، لان النفى وقع على جميع ما عدا المذكور .

وتحقيقيا ، لان الواقع يشهد بذلك ، وقصر الموصوف على الصفة من الحقيقى التحقيقى

متعذره لا يكاد يوجد وذلك لتعذر الاحاطة بصفات الشئ (٣) . وقد تكلف البعض هذا

المثال - انما الله تعالى متصف بكل كمال ، ونزه عن كل نقص (٤) . اما قصر الصفة على

الموصوف قصرا حقيقيا ، فكثير كقولنا : (لا اله الا الله) .

أثبتنا الالهية لله وحده ، ونفيناها عن كل ما عداه ، فلا احد يتصف بالالهية

اتصافا حقيقيا غير الله سبحانه وتعالى .

واما الحقيقى الادعائى : فهو اثبات الشئ للشئ ، وجعل الغير فى حكم

العدم مبالغة وادعاء . فقولنا : ما البطل فى البلد الا عامر .

قصرنا الشجاعة على عامر ، وانزلنا كل من عداه منزلة العدم . ولكن الواقع مخالف لذلك . ان

ان فى البلد ابطلا كثيرين غير عامر . وهذا المثال من قبيل قصر الصفة على الموصوف .

(١) لم يذكر صاحب المفتاح هذا التقسيم .

(٢) شروح التلخيص : مختصر السعد ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

(٣) الايضاح : القزوينى : تحقيق عبد المنعم خفاجى ، ج١ ، ص ٢١٣ .

(٤) بغية الايضاح : عبد المتعال الصعدي ، ط٧ ، ج٢ ، ص ٤ .

اما قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي الادعائي فمثاله :

(ما محمد الاكريم) • نريد ان محمدا لايتصف بغير الكرم من الصفات ، مبالغة في كمال كرمه ،
فكان غير صفة الكرم في محمد - بالنسبة الى كرمه - معدومة • وسمى قصرا حقيقا ، لان النفس
وقع على جميع ما عدا المذكور ، وادعائيا ، لان الواقع مخالف لذلك •

القصر الاضافي :

هو (تخصيص الشئ بالشئ ، بالشئ ، بحسب الاضافة الى شئ اخر ، بان لايتجاوزه الى
ذلك الشئ ، وان امكن ان يتجاوزه الى شئ اخر ^(١) . بمعنى ان القصر الاضافي ، هو تخصيص
شئ بشئ ، ونفيه عن بعض ما عداه . مثال : ما كاتب الاعلى •
اثبتنا الكتابة لعلى ، ونفيناها عن زيد مثلاً •
ولم نقصد نفيها عن جميع الافراد •
انما كان النفي بالنسبة الى فرد معين مخصوص •

(١) مختصر السعد ، ج٢ ، ص ١٦٧ •

واعترض الدسوقي على قوله (وان امكن) لان معناه : والحال انه امكن ، فالواو للحال ،
وان وصلية • فيرى ان القصر الاضافي ، لايد فيه من مجاوزة الشئ للشئ ، بالفعل •
فقولنا (ما زيد الا قائم) ، معناه ان زيدا لايتجاوز القيام الى القعود ، ولكن يتجاوزه
الى غيره من العلم او الشعر او الكتابة • فالاولى ان يقول (وان تجاوزه) ، لان الذي
ينافي الحقيقي ، انما هو المجاوزة بالفعل • واما الامكان فلاينافيه واجيب بان المراد
بالامكان ، الامكان الوقوعي لامطلق الامكان • فامكن في كلام السعد بمعنى وقوع •
وهذا ايضا رأى الصفوى • وذكر الحفيد ان الشرط في الاضافي عدم التجاوز الى ما
يعتبر القصر بالاضافة اليه ، كالقعود في المثال المذكور • واما غيره فلايشترط
التجاوز اليه بالفعل ، بل يكفي فيه امكان التجاوز ، وان لم يوجد ، كما اشار اليه
الشارح •
بخلاف الحقيقي ، فان عدم التجاوز فيه بالنسبة لجميع ما عدا المقصور عليه ، من غير
امكان التجاوز لغيره •

اقسام القصر الاضافى :

ينقسم القصر الاضافى باعتبار حال المخاطب ثلاثة اقسام :

- (١) افراد
- (٢) قلب
- (٣) تعيين

وانفرد القصر الاضافى بهذا التقسيم - لان القصر الاضافى يلاحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر مع ملاحظة حال المخاطب - وليس كذلك القصر الحقيقى اذ انه يلاحظ فيه الحقيقة ، ونفس الامر دون ملاحظة حال المخاطب .

(١) قصر الافراد :

هو التخصيص بشىء دون شىء ، لمن يعتقد شركة صفتين فى موصوف واحد . ففى قصر الموصوف على الصفة ، وشركة موصوفين فى صفة واحدة ، فى قصر الصفة على الموصوف . فمثلا اذا اعتقد المخاطب اشتراك الموصوف فى صفتين ، فنرد على اعتقاده هذا ، بانفراد الموصوف بصفة واحدة ، كقولنا : " ما زيد الا كاتب " . قصرنا زيدا على الكتابة ، ردا على من اعتقد انه شاعر وكاتب . هذا فى قصر الموصوف على الصفة . واذا اعتقد شخصان سعدا وكرا ومحمدا اشتروا فى صفة الكرم مثلا ، فاننا نرد على اعتقاده هذا بقصر صفة الكرم على سعد دون غيره ، فنقول : ما كريم الا سعد ، وهذا من قبيل قصر الصفة على الموصوف . وسمى بقصر الافراد لقطع الشركة ، اى لاننا نفينا به الشركة المعتقد ، فأفردنا موصوفا بصفة ، او صفة بموصوف .

واشترط الامام القزوينى فى قصر الموصوف على الصفة افرادا ، عدم تنافى الصفات اثباتا ونفيا ، فالمنفى فى قولنا ما زيد الا شاعر ، هو صفة الكتابة لا كونه غير شاعر . وشرط هذا الشرط فى قصر الافراد ، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف (١) والشرط عام لقصر الموصوف على الصفة ، والصفة على الموصوف ، وانما خص الاول بالذكر ليجريانه فى جميع

(١) الايضاح : الخطيب القزوينى ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، ط ٥ ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

صوره ، بمعنى ان الموصوفات لا تكون الا متنافية بخلاف قصر الصفة على الموصوف ، فانه انما يصح ، حيث يمكن اتصاف اثنين واكثر بصفة واحدة .

(١)

(٢) قصر القلب :

(٢)

التخصيص بشئ^١ مكان شئ^٢ ، اذا اعتقد المخاطب عكس الحكم ، الذي اثبتته المتكلم .
ففى قصر الصفة على الموصوف ، اذا اعتقد المخاطب ان القارى^٣ على لا احمد . فنقول نفيًا
لذلك الاعتقاد ما القارى^٤ الأ على .
وفى قصر الموصوف على الصفة : اذا اعتقد المخاطب ان محمدا شاعر لا كاتب . فنقول نفيًا
لذلك الاعتقاد ما محمد الأ كاتب .
" وانما يسمى قصر قلب ، لان فيه قلبا وتبيديلا لحكم المخاطب كله بغيره . بخلاف قصر
الافراد ، فانه وان كان فيه قلب وتبديل ، لكن ليس لكل حكم المخاطب ، بل فيه اثبات البعض
ونفى البعض " (٣)

واشترط الخطيب القزوينى فى قصر الموصوف على الصفة من قصر القلب ، تحقق تنافى
الوصفين : *ليكونا لثباتا شعرا بانتفاء غيرها . فاطنفر في قولنا (ما زيد لا قائم) ، كونه قائدا
وما الى ذلك مما لا يمكن اجتماعه مع الصيام .* (٤)
واشترط على قصر الموصوف على الصفة انفرادا عدم تنافى الوصفين ، ولصحة اعتقاد المخاطب اجتماعهما .
ولقد اهل السكاكى ما اشترطه القزوينى ، من عدم تنافى الوصفين فى قصر
الموصوف على الصفة افرادا ، وضرورة تحقق تنافيهما فى قصر القلب . ولقد استحسنت السعد ،
والدسوقي ، وابن يعقوب ، اهمال السكاكى لهذا الشرط . (٦) (٧)

ورد تعليق القزوينى واشتراطه ، بأن العقل مستقل بالحكم ، بعدم اجتماع المتنافيين
فى قصر الافراد . وانه قد يقع القصر قلبا ، مع عدم تنافى الوصفين . كما فى قولنا (ما زيد الأشاعر)

- (١) عقود الجمان : السيوطى ، ص ١٥٨ .
- (٢) شرح التلخيص : مختصر السعد ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
- (٣) شرح التلخيص : ج ٢ ، شرح الدسوقي ، ص ١٨٠ .
- (٤) الايضاح : القزوينى ، ج ١ ، ص ٢١٤ .
- (٥) شرح التلخيص : مختصر السعد ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .
- (٦) المرجع السابق ، شرح الدسوقي ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .
- (٧) المرجع السابق ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

لمن اعتقد انه كاتبه ، وليس بشاعر . فلا داعى اذا لهذا الاشتراطه لان اداة القصر ايضا
مشعرة بالتنافى . كما ان الانتفاء قد يفهم من القرينة الموجودة فى العبارة .
(١)

(٢) قصر التعيين :

اذا تساوى الامران عند المخاطب ، بمعنى انه غير حاكم على احدهما بعينه ،
ولا باحدى الصفتين بعينها ، فانه يسمى قصر تعيين ، لتعيينه ما هو غير معين عند المخاطب .
فالمخاطب بقولنا ما زيد الا قائم لمن يعتقد انه اما قاعد ، واما قائم من غير علم بالتعيين .
ويقولنا ما شاعر الا زيد ، لمن يعتقد الشاعر زيد او عمرو ، من غير ان يعلمه على التعيين .
(٢)
ولا يشترط فى قصر التعيين تردد المخاطب بين شيئين فقط ، بل لو تردد بين عدة اشياء ،
وعين بعضها سمي قصر تعيين .

ولقد اختلف البلاغيون فى قصر التعيين ، هل هو قسيم للافراد والقلب ، او يندرج

تحت الافراد .

ففى السكاكى يدرجه تحت الافراد . وذلك لان الافراد عنده ، ((هو قطع الشركة
سواء كانت بطريق الاعتقاد او الاحتمال)) .^(٣) وبذلك يكون القصر الاضافى عنده نوعين فقط .
قصر افراد - قصر قلب .

اما القزوينى فمن رايه ان الافراد ، هو ((قطع الشركة الاعتقادية فقط . فلا يتناول
التعيين ، لانه قطع الشركة الاحتمالية ، لاشترار الصفتين او الموصوفين فى ان كلا منهما ، يحتمل
ان يكون ثابتا بدل الاخر)) .^(٤) وعلى هذا يكون التعيين عنده قسيما لكل من الافراد ،
والقلب .

(١) شرح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) انظر شرح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

عقود الجمان فى المعانى والبيان : (شرح العمري) ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٣) شرح التلخيص : حاشية الدسوقي ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) المرجع السابق : نفس الصفحة .

وهكذا نرى ان الفرق بين قصر الافراد والتعيين دقيق جدا . فالافراد هو ازالة

الشركة الحقيقية او الاعتقادية . والتعيين هو ازالة الشركة الاحتمالية .

ومما يجدر الاشارة اليه ، ان احدا من البلاغيين ، لم يدرج قصر الافراد تحت

(١)

قصر القلب ، لظهور أن لا عكس فيه أصلا .

(٢) - أ - قصر الموصوف على الصفة .

ب - قصر الصفة على الموصوف .

قبل توضيح المقصود بقصر الموصوف على الصفة ، او الصفة على الموصوف . لابد من

الاشارة الى المقصود بالصفة في باب القصر ، هل هي النعت النحوي ، او خلاقه . مع بيان

الطريقة في معرفة نوع القصر ، من حيث هو صفة على موصوف ، او موصوف على صفة .

فالمراد بالصفة في باب القصر ، هي الصفة المعنوية لا النعت النحوي ، اي المعنى

القائم بالغير ، سواء دل عليه بلفظ النعت النحوي كقائم ، او غيره . كالفعل نحو : ما زيد

الآيقوم^(٢) ، أو كل ما يمكن ان يؤدى معنى الصفة كالحال ((ماجاء محمد الآضحكا)) .

كما يقع القصر بين اسم الاشارة والمشار اليه نحو : ((ما هذا الآجتهد)) .

والمعلوم ان الصفة في باب النعت ، تكون في المشتق . ولكنها في باب القصر قد تأتي اسما

جامدا ، نحو (هل الجود الآ الجود بالنفس) ، (ما الورد الآ خده) . فاعتبر احد الاسمين

صفة والاخر موصوفا . وقد تكون متعلق ظرف او جار ومجرور .

فالصفة المعنوية اذا امر لوحظ قيامه بغيره . والموصوف : كل شىء لوحظ قيام غيره

به ، والشىء الواحد قد يكون صفة لغيره ، وقد يكون موصوفا بغيره ، فيكون صفة من جهة ،

وموصوفا من جهة اخرى ، والمدار على الجهة الملاحظة في الاسلوب فان لوحظ جهة قيام

غيره به ، جعلته موصوفا . وان لوحظ جهة قيامه بغيره ، جعلته صفة . فقولنا ((الاقبال على

المصنوعات الوطنية ، لا يزال ضعيفا)) . فالاقبال هنا لوحظ كونه موصوفا . ويصح في مثال اخر ،

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

(٢) شرح التلخيص ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

ان نجعله صفة ، فنقول : على مَقْبِل . ولا لزوم لتأويل العلماء الخبر في مثل هذا الاسلوب
بالمسمى ، كما لا حاجة لما يراه بعض العلماء ، من ان المشتق هو الخبر تقدم او تأخر (١) .

اما الطريقة التي نتعرف بها على نوع القصر ، من حيث هو صفة على موصوف ، او
موصوف على صفة . فقد ذكر فيها الشيخ سليمان نوار كلاما مركزا سهل الدلالة ملخصة :
ان القصر - في المبتدأ والخبر - اذا كان المبتدأ مشتقا ، فيكون من قصر الصفة على
الموصوف : (انما الشجاع محمود) ، قصرت الشجاعة وهي صفة على محمود . واذا كان المبتدأ
جامدا ، فهو من قصر الموصوف على الصفة : (انما حافظ شاعر) .

واذا كان المبتدأ والخبر مشتقين ، فالاولى ان تُعتبر الصفة في جانب الخبر ،
فيكون الاسلوب ، من قصر الموصوف على الصفة . مثال (انما الفائز المجد) . قصر الفائز على
المجد .

اما اذا كانا جامدين مثل : (انما الغنى غنى النفس) ، فقد ذهب البلاغيون الى
التأويل في جانب المقصور عليه . والامثلة المشهورة في ذلك قولهم : (ما زيد إلا أخوك ،
وما الباب إلا ساج ، وما هذا إلا زيد) . فهذه كلها من باب قصر الموصوف على الصفة تأويلا ،
اذ المعنى انه مقصور على الاتصاف ، بكونه اخا او ساجا او زيدا . وقيل انه قد يعتبر التأويل
في جانب المقصور على معنى قصر الكون زيدا على اخيك ، والبابية على الساج ، والهاذية على
زيد . فحينئذ يكون من قصر الصفة على الموصوف ، لكنه لا يخلو عن تكلف . وملخص القول ان
الخبر اذا وقع مقصورا عليه ، وكان مشتقا او جامدا او جارا ومجرورا ، فهو من قصر الموصوف
على الصفة . واذا وقع المبتدأ مقصورا عليه ، يكون من قصر الصفة على الموصوف لقوله تعالى :
(وإن تولّوا فانما عليك البلاغ) (٣) ، وقوله : (وما على الرسول إلا البلاغ) (٤) . اما القصر
في الفاعل ، اى وقوع الفاعل مقصورا عليه ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف مثل (ما جاء الآ
على ، و (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٥) . وقصر الفاعل على المفعول في نحو (انما

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار ، ص ١٣٣-١٣٤ .

(٢) شروح التلخيص حاشية الدسوقي ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) سورة ال عمران اية ٢٠ /

(٤) سورة النور اية ٥٤ / العنكبوت اية ١٨ .

(٥) سورة فاطر اية ٢٨ .

اخشى سيل تلعتى) . ذكر الشيخ سليمان نوار ، ان اخصر طريق فيه ، ان يكون معناه
قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، قصر الخشية على سيل التلعة ، الا ان الخشية
لما كانت وصفا للفاعل ، وهو المتكلم لا للمفعول ، وهو التلعة ، اضطر العلماء ان يأخذوا
من الفعل اسم مفعول ، ويجعلونه نفس الصفة المقصورة ، ففى المثال : يأخذون من اخشى
(مخشى) ، ويكون نظم المثل فى التقدير : (انما المخشى سيل تلعتى) ، ولا ريب ان المخشى
صفة لسيل التلعة — ويكون قصر الفاعل على المفعول فى المآل ، من قصر الصفة على الموصوف
ولك ان تلاحظ فى قصر الفاعل على المفعول ، قصر الفاعل على الفعل المتعلق به — هذا
المفعول ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة . وذكر الشيخ سليمان نوار ان الوجه الاول
متكلف ، وان الاولى من هذين الاعتبارين ملاحظة ان الفعل مقصور على المفعول ، بتأويل
انه مقصور على تعلقه وارتباطه بذلك المفعول . ويؤيد هذا قولهم فى بحث المجاز
العقلى . وللعمل ملابس شتى يلبس الفاعل ، لقيامه به او صدوره منه . ويلبس المفعول
بوقوعه عليه — على هذا نعتبر نفس الفعل موصوفا ، وتعلقه بهذا المفعول صفة . تقول
ما نذكرت الا درسا واحدا ، وتريد قصر مذكرتك على التعلق بدرس واحد ، فلا يتجاوز الى
التعلق بدرسين او ثلاثة . وهذا الوجه قليل التكلف ، ومنظور فيه الى المقصور . واذ كان
المقصور عليه حالا ، فهو من قصر الموصوف على الصفة ، لان الملاحظ هنا قصر صاحب الحال
على الحال (١)

ومما ينبغى توضيحه ايضا ، انه كثيرا ما يقع الجار والمجرور موقع المقصور عليه ،
فان كان متعلقا بفعل هو المقصور ، فالمقصور عليه هو المجرور ، كما فى قول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى
أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب (٢)

ويكون القصر هنا من قبيل قصر الصفة على الموصوف ، وان كان الجار والمجرور متعلقا بصفة .
وفى هذه الحالة يكون المقصور اسما ، فالمقصور عليه هو متعلق الجار والمجرور ، كما فى

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار ، ص ١٣٨ — ١٤١ .

(٢) هو للغطمش الضبى وهو شاعر جاهلى .

(الى الله المشتكى ، فالمشتكى مقصوره ، والى الله متعلق بحاصل مثلاً ، فهذا هو المقصور عليه ، ويكون من قبيل قصر الموصوف على الصفة (١) بعد ان اوضحت المقصود بالصفة نفسى باب القصر ، وعالجت الطريق الى معرفة نوع القصر ، من حيث هو صفة على موصوف ، او موصوف على صفة . ساشرع فى بيانها فى اقسام القصر الحقيقى والاضافى ، مع ضرب الامثلة التوضيحية لكل نوع .

- ٢ -

ينقسم القصر الحقيقى والاضافى الى نوعين :

- (١) قصر موصوف على صفة .
- (٢) قصر صفة على موصوف .

(١) - قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى :

هو ان لايتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى ، لكن يجوز ان تكون تلك الصفة لموصوف اخر . (٢)

وقصر الموصوف على الصفة من الحقيقى ، متعذر لايكاد يوجد ، لتعذر الاحاطة بصفات الشئ عادة ، حتى يمكن اثبات شئ منها ، ونفى ما عداها بالكلية . والعاقلة لا يحيط بصفات نفسه ، فكيف يحيط بصفات غيره . ولان لكل من الصفات المنفية نقيضا وهو ثبوتها ، وهو من الصفات التى لا يمكن نفيها . لان نفى جميع الصفات ، يترتب عليه لزوم ارتفاع النقيضين .

فاذا قلنا (ما محمد الا شاعر) وارادنا انه لايتصف بغير صفة الشاعرية ، لزم من ذلك نفى اتصافه بالقيام والقعود والاكل ولزم ان لايتصف بالحركة ولاينقيضها ، ولنزم ان لايتصف بالكتابة ولا بنقيضها . وهذا امر محال لامتناع ارتفاع النقيضين (٣)

ولذا نجد البلاغيين يعبرون عنه بانه نوع عزيز لا يكاد يوجد الا على سبيل المبالغة والادعاء ، وبخاصة فى مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقول الشاعر :

هل الجود الا ان تجود بانفس

على كل ماضى الشفرتين صقيل (٤)

(١) توضيح المعانى على محمد حسن ، ط ٦ ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) شروح التلخيص ، مختصر السعد ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

(٣) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) لم أفت له على ما نقل .

(ب) قصر الموصوف على الصفة من القصر الاضافى :

وهو الا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى معينة ، وان امكن ان يتجاوزها الى صفات اخرى (١) . مثال قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) (٢) . قصر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على صفة الرسالة لايتعداها الى الخلود والحياة الدائمة . وان كان يتصف بصفات اخرى كالصحة والوقار والمحبة .

(ج) قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي :

ان لا تتجاوز الصفة موصوفها الى موصوف اخر مطلقا ، وان كان الموصوف يتجاوزها الى صفات اخرى ، كقولنا : (لا اله الا الله) فالألوهية مقصورة على لفظ الجلالة ، لا تتعداه الى غيره ، وان كان المولى عز وجل يتصف بصفات اخرى كالأحياء والاماتة الى غيرها من الصفات الالهية الجليلة ، التي لا تعد ولا تحصى ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة ، قوله تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٤) .

قصر الله سبحانه وتعالى خشيته على العلماء دون غيرهم ، لعدم الاعتداد

بخشيته ذلك الغير .

قصر الصفة على الموصوف قصرا اضافيا :

هو ان يحكم بان هذه الصفة لا تتجاوز هذا الموصوف الى موصوف اخر معين متحد او متعدد ، وان كانت هى تتجاوز الى غير ذلك المعين ، كان يعتقد المخاطب ان الشعر وصف لعمر فقط ، اوله ولزيد ، فتقول : ما شاعر الا زيد . فقصر الشعر على زيد بحيث لا يتعداه الى عمرو فقط ، وان كان يتعدى الى غير عمرو .

ومعلوم ان هذا ايضا لا يقتضى كون الموصوف مقصورا على صفة الشعر ، بل يجوز

ان يتعداه الى الكتابة وغيرها (٥) . ومن قصر الصفة على الموصوف من القسم الاضافى على سبيل

(١) شرح التلخيص . مواهب الفتاح ، ج٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) سورة ال عمران . آية ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

(٥) شرح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

المبالغة والادعاء قولنا: (ما بطل الأعلیٰ) ، ای لا محمد ، وان كان محمد يتصف بالبطولة ،
ولكننا ننزل صفته هذه منزلة العدم ، لنبالغ في صفة بطولة علی .

الفصل الثاني

طرق القصر :

١. - اجاب غير اضلاعية تفيد معنى بقصر
٢. - لاجاب لاضلاعية
٣. - اوجبه لتفاوت والا فبها بظرفه لاضلاعية

• هناك كثير من الاساليب التي تؤدي معنى القصر ، ولكنها لا تدخل في بابها .
• فعلماء المعاني ، وضعوا للقصر حدا وتعريفا ، منعنا للفوضى في مسائل العلوم ، فعرفوا
القصر : بانه ((تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص) فقولهم بطريق مخصوص : اخرج مثل
هذه الاساليب من باب القصر .

• ولا مانع هنا من ذكر بعض تلك الاساليب ، فمنها : محمد شاعر وحده .

• وكذلك قولنا : اجد الله دون غيره .

• قام محمد منفردا .

• خصني على بالزيارة .

• قصرت حبي على الله ورسوله .

• ومنها قوله تعالى : " حور مقصورات في الخيام " (١)

• ومنها ايضا :

(١) - قوة الكلام تدل على قصر الحصر بالادعاء :

• وما قاله السعد في مختصره ، شرحا لقول البحترى يمدح المعتز ويعرض بالمستعين .

شَجْوَحَسَادِهِ وَكَيْدَ عِدَائِهِ

(٢)
أَنْ يَرَى مُبْصِرٍ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

(بل لا يبصر الرائي الا تلك الاثار ، ولا يسمع الواعي الا تلك الاخبار) .

• وقد نبه بذلك على ان اسلوب البيت يفيد الحصر كما هو ظاهر .

• ثم علق الدسوقي على قول السعد ، فقال : (قوله : بل لا يبصر الرائي) .

• اي من المحاسن الا تلك الاثار ، اي محاسنه ولا يسمع الواعي : اي لاخبار احد

• الا تلك الاخبار ، اي اخبار مآثرة . لانه لو رُوئيت غير محاسنه ، او سمعت غير اخبار

• مآثره ، لتأتى ادعاء المشاركة ، في استحقاق الامامة ، فلا يكون وجود الروئية ،

• والسماع شجو حساده . فالمقصود انما يحصل بالانفراد فيه .

• فان قلت : انه لا يلزم من كون روية آثاره ، وسماع اخباره لازمين لمطلق الروئية

(١) سورة الرحمن ، آية (٧٢) .

(٢) ديوان البحترى ، م ١ ، ص ١٥١ .

والسمع، ان يكون غير آثاره واخباره . كذلك ان ليس هنا ما يدل على الحصر، فروية آثاره ،
لاتنافى روية آثار غيره ، وكذلك سماع اخباره ، لاينافى سماع اخبار غيره ، فيجوز حصول
الامرین معا . اجيب بان قوة الكلام ، تدل على قصد الحصر بالادعاء . لان ذلك انسب بالمقام ،
الذى هو مقام المدح باستحقاقه الامامة دون غيره ، ان لاشك ان هذا لا يتم الا اذا كان
فيه من الجزايا ، ما ليس فى غيره . لان اعداءه لايتهمرون ، ولايشهدون له باستحقاق الامامة
دون غيره الا اذا كان كذلك .

والدسوقي فيما قاله تابع لابن يعقوب المغربي حيث يقول فى نفس الموضع :

(. . .) بل ادعى اللزوم بين مطلق الروية والسمع ، وكون الرائي والسامع لايرى الا تسلك
المحاسن ، ولايسمع الا تلك الاخبار . لانه لو رويت غير محاسنه ، او سمعت غير اخبار مآثره ،
تأتى ادعاء المشاركة فى الاستحقاق . فلا يكون وجود الروية والسمع شجوا حساده .
فالمقصود انما يحصل فى الانفراد فيه . وعلى هذا لايرد ان يقال : لايلزم من استلزام مطلق
الفعلين لهما ، متعددين حصرهما فى محاسنه واخباره . لان قوة الكلام تدل على قصد الحصر
بالادعاء . لان ذلك انسب بجعله منفردا ، ففحوى الكلام يدل على ان قصد جعل الفعلين
لازمين ، يستلزمان انفسهما ، متعددين مع حصرهما فيما تعديا له ، وذلك نهاية البالغة . . .) (١)

(٢) مفهوم اللقب :

قال السعد تعليقا على بيت المتنبي :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهِنْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ (٢)

(قال على بن عيسى الرعى : وفيه اى فى البيت : وجهان اخران من المدح .
احدهما : انه نهب الاعمار دون الاموال ، كما هو مقتضى علو الهمة . وذلك مفهوم من تخصيص
الاعمار بالذكر .

والاعراض عن الاموال ، مع ان النهب بها اليق . وهم يعتبرون ذلك فى المحاورات

(١) شرح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٢٨ - ١٣٠ .

وهذا تبين ان الدسوقي ليس ابا عذر هذا الكلام ، وكثيرا ما ينقل ، ولاينبه .

(٢) ديوان ابي الطيب بشرح ابي البقاء العكبرى . ج ١ ، ص ٢٧٧ .

والخطابيات، وان لم يعتبره ائمة الاصول).

وعلق الدسوقي في حاشيته على مختصر السعد : (قوله : انه نهب الاعمار دون الاموال ، اى وهذا يستلزم مدحه بعلو الهمة ، وان همته انما تتعلق بمعالي الامور ، لان الذى يعيل للمال ، انما هو ذو الهمة الدنية ، والاموال يعطيها ولا ينهبها ، والارواح ينهبها . فالعدول عن الاموال الى الاعمار ، انما هو لعلو الهمة ، وذلك مما يمدح به .
(قوله : وذلك) اى نفى نهب الاموال ، مفهوم من تخصيص الاعمار بالذكر ، والاعراض عن الاموال . لان تخصيص الشئ بالذكر يقتضى الحصر . (قوله فى المحاورات : اى الخصومات ، وقوله (والخطابيات) : اى الظنيات ، (قوله وان لم يعتبره) : اى التخصيص المذكور ، (ائمة الاصول) : اى اكثرهم . فهو لا يفيد الحصر عندهم ، لانه لقب ، وهو لا مفهوم له كقولهم : على زيد حج^٢ . واعتبره الدقاق والصيرفى من الاصوليين .
(١)

وقد يقال : هذا ظاهر بالنظر للمجرور فقط ، اى الاعمار ، اما اذا نظر لمجموع

الجار والمجرور فهو قيد ، وائمة الاصول يعتبرون مفهومه . (هـ . س).

وقد سبق ايضا ابن يعقوب بما يتعلق بالحصر وسببه ، قال : (انه نهب الاعمار دون الاموال ، لان ذلك يستلزم كونه ممدوحا بعلو الهمة ، وان همته تتعلق بمعالي الامور ، فالاموال يعطيها ولا ينهبها ، والارواح ينهبها .

فالعدول عن الاموال الى الاعمار ، انما يكون لعلو الهمة ، وذلك مما يمدح به . ولا يقال : لا يلزم من الاخبار بنهب الاعمار ، العدول عن الاموال ، لصحة الجمع بينهما ، فلا يدل الكلام على المدح بعلو الهمة ، لانه لا مفهوم للقب ، ولا حصر يفيد التخصيص .
لانا نقول : تخصيص الاعمار بالذكر ، والاعراض عن الاموال ، مع ان النهب اصله ، ان يتسلط على الاموال يفيد التخصيص ، لانهم يعتبرون مفهوم اللقب من جهة ان تخصيصه بالذكر ، انما يكون فى محاوراة البلغاء وخطابياتهم لفائدة ، وليس الا اخراج ما سواه عن الحكم ، والا كان الصواب ان يقول مثلا : نهبت كل شئ^٢ للاعداء . وحيث عدل الى تخصيص الاعمار بالذكر ، اعتبر له

(١) الصيرفى : فقيه شافعى ، كان اعلم الناس بالاصول بعد الشافعى ، كما يقول عنه الثعالبي . توفى سنة ٣٣٠ هـ . /وفيات الاعيان ٣/٣٢٧ - طبقات الشافعية ٣/١٨٦ .

المفهوم عند البلغاء في محاوراتهم ، فكانه يقول : مانهبت الا الاعمار دون الاموال ، لعلو

همتكم .

ولا يضر الغاء ائمة الاصول مفهوم اللقب ، لان القائلين بذلك ، قالوا به بالنسبة

لاستفادة الاحكام الشرعية ، التي ينبغي ان تحصل عن ظن قريب من اليقين . واما اعتبارات
البلغاء التي يكفى فيها اى رمز ، فيصح فيها ما ذكره ، لان الخطاب فيما بينهم كذلك يتفاهم . (١)

(٣) - تعين المسند اليه ، وهذا ما يرجح حذفه . ومعنى تعينه ان المسند معين

للمسند اليه ، منحصر فيه ، فلا حاجة لذكره ، كقولك :

خالق لما يشاء : اى : الله . قال ابن السبكي : (ينبغي ان يلحق هذا بما يحصل به القصر ،

(٢)

ويذكر في بابيه) .

(٤) - مسألة : مثل قوله : (تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم) ولا قرينة عهد ، يفيد

(٣)

الحصر نطقا ، على كلام القاضى فى التعليق ، واختاره المقدس وابوالبركات والمحققون ، وقيل :

فهما .

(٤)

وعند ابن الباقلانى ، واكثر الحنفية لانفيد الحصر) .

(١) شرح التلخيص ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ .

ولا حاجة الى التنبيه بمدى سطو الدسوقى على كلام ابن يعقوب .

(٢) شرح التلخيص ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٣) التعليق : كتاب للقاضى ابي يعلى .

(٤) المختصر فى اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل .

على بن محمد بن على بن عباس بن شيبان المعروف بابن اللحام ص ١٣٦ .

طرق تقصير الاصطلاحية

(١) العطف

(٢) النفي والإستثناء

(٣) إنمّا

(٤) التقديم

(٥) تعريف الجزئين

(٦) ضمير الفصل

للقصر طرق عديدة اوصلها بعضهم الى اربعة عشر طريقا . كما في الاتقان

للسيوطي . ولكن المتفق عليه عند جمهور البلاغيين اربعة طرق هي :

١- العطف

٢- النفي والاستثناء

٣- انمساك

٤- التقديم

وزاد عليها بعضهم :

١- توسط ضمير الفعل

٢- تعريف المسند او المسند اليه

وهذا تكون طرق القصر الاصطلاحية ستة طرق . وما ياتي خلاف ذلك ، يعد

من الطرق غير الاصطلاحية .

(١) العطف :

ويفيد القصر بالاحرف : لا ، ويل ، ولكن .

وينصرف على الميثب والمنفى ، بخلاف بقية الطرق . فان النصرف فيها على الميثب ، اما النفى

فيفهم ضمنيا . ويكون القصر بالعطف بحرف يقتضى ثبوت ضد حكم ما قبله لما بعده ، والحكم

الذى يفيد الحرف ثبوت ضده لما بعده . اما اثباته ، فيكون الثابت لما بعده نفيًا

— كقولنا فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : زيد شاعر لا كاتب . فأثبتنا له الشاعرية ، وهى

الصفة التى قبل لا ، ونفيًا عنه الكتابة ، وهى الصفة التى بعد لا — واما نفى ، فيكون الثابت

بالحرف لما بعده اثباتا — كقولنا فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : (ما زيد كاتبًا بل شاعر) .

(١)

فقد نفيًا الكتابة اولًا ثم اثبتنا الشاعرية .

اشتهر عند بعض البلاغيين ، ان القصر عن طريق العطف ، لا يكون الا اضافيًا .

فرد ابن يعقوب على هذا بقوله :

(الحق أنه أكثرى لا كلى ، لصحة كونه من الحقيقي ، اذا كان هو جميع ما سوى المذكور . كقولك : زيد عالم البلد لاغيره ، اذا فرض أن لا عالم فى البلد سواه) . (١) ونهب السوقى الى أن القصر عن طريق العطف يكون من الحقيقي والاضافى على حد سواء فقال : (واعلم أن العطف يكون للقصر الحقيقي والاضافى ، وذلك لأنه ان كان المعطوف خاصا نحو : (زيد شاعر لا عمرو) فالقصر اضافى ، وان كان عاما نحو : (زيد شاعر لاغير زيد) ، فالقصر حقيقى) (٢) .

والعطف ب (لا) يستعمل فى قصر الافراد والقلب ، والتعيين . فان لوحظ كونه لرد الخطأ ، جاز استعماله فى قصر القلب والافراد ، وان لوحظ كونه لحفظ السامع من الخطأ جاز استعماله لقصر التعيين . (٣) خلافا للشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، فعنده ان العطف ب (لا) ، لا يستعمل الا فى قصر القلب فقط . ذكر فى الدلائل : (ثم اعلم أن قولنا فى (لا) العاطفة ، أنها تنفى عن الثانى ما وجب للأول ، ليس المراد به ، أنها تنفى عن الثانى ، أن يكون قد شارك الاول فى الفعل ، بل انها تنفى أن يكون الفعل الذى قلت انه كان من الاول قد كان من الثانى دون الأول) (٤) .

واشترط فى القصر ب (بل) أن تأتى بعد نفي . لأنها بعد النفي تفيد الاثبات للتابع ، فتفيد القصر . فقولنا : (ما على شاعرا بل كاتب) ، نفينا الشاعرية عن على وأثبتنا الكتابه له . أما اذا جاءت بعد الاثبات ، فلا تفيد القصر ، لأنها تجعل المتبوع فى حكم المسكوت عنه ، أى أن مهمتها اقتصرت على اثبات الشئ للشئ فقط ، دون نفيه عن غيره . (٥)

-
- (١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٩١
 - (٢) شروح التلخيص ، شرح السوقى ، ج ٢ ، ص ١٨٦
 - (٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢
 - (٤) دلائل الاعجاز : تحقيق محمد رشيد رضا ، ط ٦ ، ص ٢٢٠
 - (٥) شروح التلخيص : حاشية السوقى ، ج ٢ ، ص ١٨٢

وقد اختلف النحاة والبلاغيون في افادة (لكن) القصر ، فيرى

النحاة أن (لكن) لا تستعمل الا في قصر الافراد ، لانهم جعلوها للاستدراك .

وهو رفع ما يتوهم من الكلام السابق .

أما لكن عند البلاغيين ، فتستعمل للاثبات بعد النفي لقصر القلب فقط ، ومدار الخلاف بينهما ، انما هو في النفي دون الاثبات . واشترط بعض البلاغيين ، أن تُسَبَقَ (لكن) بنفي أو نهى ، فذكر السوقي أن : (لكن تخالف لا في الاستعمال ، من حيث أن لانما تستعمل بعد الاثبات ، ولكن انما تستعمل بعد النفي)^(١) . وخالف ابن السبكي الجمهور في كون العطف طريقا من طرق القصر ، فيرى ان العطف بلا ليس فيه معنى القصر ، وانما هو مجرد نفي واثبات . وأما القصر ببل فهو أبعد . قال : (أما العطف بلا فأقصر فيه انما فيه نفي واثبات فقولك : (زيد شاعر لا كاتب) ، لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة ، والقصر انما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبت اما حقيقة أو مجازا . وليس هو خاصا بنفي الصفة ، التي يعتقدها المخاطب وأما العطف ببل فأبعد ، فان قولك : (ما زيد قائما بل قاعد) ، لا قصر فيه ، وهو أبعد عن القصر عما قبله)^(٢) .

والقصر عن طريق العطف ب (لا - بل - لكن) ، لا يتحقق الا بتوفر شروط في كل أداة من هذه الادوات .

وفيما يلي سأحاول بيان شرط كل أداة .

١ - لا :

وتأتي (لنفي الحكم الثابت لما قبلها عما بعدها . فلذلك لا يعطف

بها الا بعد الاثبات ، وذلك كقولك : (جاءني زيد لا عمرو)^(٣) .

(١) شروح التلخيص ، حاشية السوقي ، ج ١ ، ص ٣٨٣

(٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح ، ج ٢ ، ص ١٨٢

(٣) شرح شذور الذهب ، ص ٥٣١ .

ولقد لخص ابن هشام^(١) في المغنى شروط العطف ب (لا) ، فقال:
« . . الوجه الثالث أن تكون عاطفة ، ولها ثلاثة شروط ، أحدها :
أن يتقدمها اثبات ، ك (جاء زيد لا عمرو) ، أو أمر : ك (اضرب زيدا
لا عمرا) . قال سيبويه : أو نداء : هو (يا ابن أخي لا ابن عمي) ، وزعم
ابن سعدان أن هذا ليس من كلامهم . الثاني : أن لا تقترن بعاطف . فإذا
قيل « جاءني زيد لا بل عمرو » فالعاطف بل ، ولا رد لما قبلها ، وليس
عاطفة . وإذا قلت « ما جاءني زيد ولا عمرو » ، فالعاطف الواو ، ولا توكيد
للنفي . وفي هذا المثال مانع آخر من العطف بلا ، وهو تقدم النفي . وقد
اجتمع أيضا في (ولا الضالين) . والثالث : أن يتعاند متعاطفاها ، فلا
يجوز جاءني (رجل لا زيد) ، لانه يصدق على زيد اسم الرجل . بخلاف (جاءني
رجل لا امرأة) ، ولا يمتنع العطف بها على معمول الفعل الماضي . خلافا
للزجاجي ، أجاز (يقوم زيد لا عمرو) ، ومنع (قام زيد لا عمرو) ، وما منعه
مسموع ، فمنعه مدفوع^(٢) .

٢ - بل :

وبل العاطفة التي تحقق معنى القصر ، لا بد أن يتقدمها نفي ،
فتكون لتقرير ما قبلها على حالته ، وجعل ضده لما بعدها . نحو (ما قام
زيد بل عمرو) ، و (لا يقيم زيد بل عمرو) ، أما إن تقدمها أمر أو إيجاب
ك (اضرب زيدا بل عمرا) ، و (قام زيد بل عمرو) . فهي تجعل ما قبلها
كالمسكوت عنه ، فلا يحكم عليه بشيء ، واثبات الحكم لما بعدها^(٣) .

(١) وهو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام
الأنصاري الحنبلي النحوي ، ولد سنة ثمان وسبع مائة ولزم الشهاب
عبد اللطيف بن المرحل وتلا على ابن السراج وسمع على أبي حيان ديوان
زهير بن أبي سلمى توفي سنة إحدى وستين وسبع مائة من الهجرة / شذرات
الذهب ج ٦ ، ص ١٩١

(٢) المغنى ، ج ١ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٢

كما أنه لابد أن تكون عاطفة لمفرد على مفرد . جاء في المعنى (وان تلاها مفرد فهي عاطفة) .^(١)

أما اذا عطفت جملة على جملة ، فتكون حرف اضراب ، ويكون معنى الاضراب (اما الابطال نحو) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون^(٢) .
وأما الانتقال من غرض الى آخر . وذكر ابن مالك^(٣) في شرح الكافية ، أنها لاتكون في التنزيل الاعلى هذا الوجه ، قال : (وأما (بل) فلاضراب وحالها فيه مختلف ، فان كان الواقع بعدها جملة ، فهي للتنبيه على انتها غرض واستثناف غيره . ولاتكون في القرآن الاعلى هذا الوجه)^(٤) .

وأورد ابن هشام في المعنى أن ابن مالك ، قد زعم في شرح كافيته ، أنها لاتقع في التنزيل الاعلى هذا الوجه ووهمه ، وذكر أنها اذا كانت للاضراب فهي حرف ابتداء لا عاطفة . جاء في المعنى : (بل حرف اضراب ، فان تلاها جملة ، كان معنى الاضراب : اما الابطال نحو) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه : بل عباد مكرمون^(٥) . أي بل هم عباد . ونحو (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق)^(٦) . واما الانتقال من غرض الى آخر ، ووهم ابن مالك اذ زعم في شرح كافيته ، أنها لاتقع في التنزيل الاعلى هذا الوجه ، ومثاله (قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه صلى بل تؤثرن الحياة الدنيا)^(٧) .
ونحو (ولدينا كتاب ينطق بالحق . وهم لا يظلمون ، بل قلوبهم في غمرة)^(٨) .

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

(٢) الأنبياء : آية : ٢٦ .

(٣) شرح الكافية الشافية : تحقيق عبدالمنعم احمد هريدي ، ج ٣ ، ص ١٢٣٣

(٤) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك جمال الدين صاحب التصانيف

النحوي ولد سنة ستماية أو احدى وستماية أخذ العربية عن غير واحد

وجالس بحلب ابن عمرون وغيره . كان شافعي المذهب . توفي بدمشق سنة

اثننتين وسبعين وستماية من الهجرة / شذرات الذهب ج ٥ ، ص ٣٣٩

(٥) الأنبياء : آية : ٢٦ .

(٦) المؤمنون : آية : ٧٠ .

(٧) الأعلى : آية : ١٦ .

(٨) المؤمنون : آية : ٦٢ .

وهي في ذلك كله حرف ابتداء ، لا عاطفة على الصحيح. (١)

لكن :

لكن المخففة على ضربين أحدهما مخففة عن الثقيلة ، وهي حرف ابتداء
لا يعمل بل تفيد الاستدراك لا العطف ، لاقترانها بالواو . وذكر الفراء أن (لكن)
إذا تقدمتها الواو آثرت العرب تشديدها ، فإذا أُلغيت الواو آثروا تخفيفها (٢)
والضرب الثاني منها لكن العاطفة ، وقد اُخْتَلِفَ في كونها عاطفة ، فرأى
ابن مالك في شرح الكافية ، أنه ان دخلت عليها الواو ، عَرِيَتْ عن العطف
قال : (فان دخلت عليها الواو كقوله تعالى : (ولكن رسول الله) (٣) ، عَرِيَتْ
(لكن) من العطف ، وقُدِّرَ ما بعدها جملة معطوفة على ما قبلها بالواو ، لأن بقاء
(لكن) بعد الواو عاطفة ، ممتنع لامتناع دخول عاطف على عاطف ، وجعل
الواو عاطفة وحدها ، مع كون ما بعد (لكن) مفردا ممنوع لمخالفته في الحكم
للمعطوف عليه ، وحق المعطوف بالواو ان كان مفردا ، أن يستوى هو والمعطوف
عليه في الحكم . فان كانا جملتين اغْتَفِرَ تخالفهما في الحكم كقولك : (قام
زيد ولم يقم عمرو) ، و (أكرم خالد وأهين بشر) ، و (أطع الله ولا تتبع
الهوى) .

وزعم ابن خروف ، أن المعطوف بعد (لكن) لم يَسْتَعْمَلْ الا مع الواو .
وذكر بعض الاثمة ، أن يونس لا يرى (لكن) عاطفة) وكأنه انما لم يُعِدَّهَا
من حروف العطف ، لعدم استعمالها غير مسبوقه بواو . (٤) وكذلك اشترط
اكثر النحويين في كونها عاطفة ، عدم اقترانها بالواو (٥) . وذكر الفراء
في معاني القرآن (فاذا الغيت من (لكن) الواو التي في أولها ، آثروا
تشديدها ، وانما فعلوا ذلك ، لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام . فَشَبَّهَتْ
ببل ، اذ كان رجوعها مثلها ، ألا ترى أنك تقول : (لم يقم أخوك بل أبوك)
ثم تقول : (لم يقم أخوك لكن أبوك) ، فتراهما بمعنى واحد والواو لاتصلح

(١) المغني : ج ١ ، ص ١١٢ (٤) شرح الكافية الشافية ، ج ٣ ، ص ١٣٣٠-١٣٤١

(٢) معاني القرآن ، ج ١ ، ص ٤٦٤ (٥) المغني : ج ١ ، ص ٢٩٢

(٣) الاخزاب ، آية : ٤٠

في بل ، فاذا قالوا (ولكن) فأدخلوا الواو تباعدت من (بل) ، اذ لم
 تصلح الواو في (بل) ، فأثروا فيها تشديد النون ، وجعلوا الواو كأنها
 واو دخلت لعطف لالمعنى (بل) ^(١) . وذكر البعض : انها عاطفة ، تقدمتها
 الواو ، أو لم تتقدمها ^(٢) . كما يشترط في لكن : أن يتقدمها النفي أو النهي
 ذكر سيبويه أن لكن لا يتدارك بها بعد ايجاب ، فقال (.. فان قلت مررت
 برجل صالح ولكن طالح ، فهو محال ، لأن لكن لا يتدارك بها بعد ايجاب ،
 ولكنها يثبت بها بعد النفي) ^(٣) .

وذكر في شذور الذهب ، أن الكوفيين أجازوا العطف بها بعد الاثبات .
 (وأما لكن فلا يعطف بها الا بعد النفي أو النهي ، ومعناها كمعنى بل
 وعن الكوفيين جواز العطف بها بعد الاثبات ، قياسا على بل ، وأباه
 غيرهم لأنه لم يُسمع) ^(٤) .

٢ - النفي والاستثناء :

اختلف علماء البلاغة في طريق القصر (النفي والاستثناء) ، هل
 يأتي من التام الموجب ، أم من التام المنفي ، أم من الاستثناء المفرغ ؟
 فأجمعوا على أنه يأتي من الاستثناء المفرغ ، أما التام الموجب ، فقد
 ذهب معظم البلاغيين ، الى أنه لا يفيد القصر ، لأن الغرض منه الاثبات ،
 والاستثناء قيد ، فكأننا قلنا : (جاء القوم المغايرون لزيد) ، فلو
 عددنا هذا من طرق القصر ، لكان من طرقه أيضا الصفة . كما في قولنا :
 (جاء الناس الصالحون) . قال ابن يعقوب (... الاستثناء من الاثبات ،
 كقولك : جاء القوم الازيدا ، ليس من طرق القصر ، اذ الغرض منه
 الاثبات ، والاستثناء قيد ، فكأنك قلت : جاء القوم المغايرون لزيد ،

(١) معاني القرآن ، ج ١ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥
 (٢) أوضح المسالك ، ج ٣ ، ص ٣٧ - ٣٨
 (٣) الكتاب ، ج ١ ، ص ٤٣٥
 (٤) شرح شذور الذهب ، ص ١٣١

ولو كان من طرفه ، لكان أيضا من طرفه نحو ، جاء الناس الصالحون (١) .
 ولقد ذكر الاستاذ محمد ابوموسى فى كتابه (دلالات التراكيب) ، أن علماء
 البلاغة أجمعوا على اخراج الاستثناء الموجب من طرق القصر ، فقال : (أما
 الاستثناء فى الكلام الموجب فى مثل قولنا : جاء القوم الازيد ، فلم
 ينهب أحد ممن رأى فى هذا الباب ، الى أنه من طرق القصر ، لأن الغرض
 منه الاثبات . أى اثبات المجيء الى القوم ، والاستثناء يقع مصححا لهذا
 الغرض ، وقيدا فيه) (٢) .

ويظهر لى أن هناك أناسا ممن لهم رأى فى علم البلاغة ، قد
 خرجوا عن هذا القول ، وعدوا الاستثناء الموجب من طرق القصر ، منهم
 ابن السبكي ، حيث قال : (والاستثناء قصر ، سواء كان مع النفي أم ،
 الايجاب ، كقولك : قام الناس الازيديا ، فانك قصرت عدم القيام على زيد
 ليقال ، لو قصرت عدم القيام على زيد ، لكان فى قولك : قام الناس
 الازيديا ، نفي لقيام غير الناس ، لأننا نقول هو قصر ، لعدم القيام
 بالنسبة الى الناس على زيد . كما أنك اذا قلت : ما قام الناس الازيديا ،
 لم تقصر القيام على زيد مطلقا ، انما قصرت عليه القيام بالنسبة الى
 الناس . فقولهم من طرق الحصر النفي والاستثناء لا يظهر فيه مناسبة للتعرض
 للنفي) (٣) . ولا يفهم من قولى هذا أننى أعتد برأى ابن السبكي ، وانما
 أقصد أنه ليس هناك اجماع ، كما ذكر الأستاذ محمد ابوموسى ، وأن ابن
 السبكي ممن لهم رأى فى علم البلاغة ، ولكنه يرى أن الاستثناء الموجب
 من طرق القصر .

أما القصر عن طريق الاستثناء التام المنفى ، فذهب ابن يعقوب
 وأيده الدسوقي ، الى أن القصر يأتى من النفي والاستثناء ، سواء ذكر

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج ٢ ، ص ١٩١

(٢) دلالات التراكيب ، ص ١٢٤

(٣) شروح التلخيص ، عروس الاقراخ ، ج ٢ ، ص ١٩١

المستثنى منه أم لا . قال ابن يعقوب : (. . . سواء ذكر المستثنى منه أم لا ، فان الغرض منه النفي ثم الاثبات المحققان للقصر ، والمحكم في ذلك الاستعمال والذوق السليم المتقرر بتتبعه . ولذلك يستعمل النفي ثم الاستثناء عند الانكار ، دون الاثبات ثم الاستثناء ، ولو كان الاستثناء من الاثبات نفيا على الصحيح ، كالعكس لاقادة السكوت عن المستثنى .^(١))

ولقد اتفق علماء البلاغة على افادة الاستثناء المفرغ للقصر ، لأن الاستثناء المفرغ ، يتوجه النفي فيه الى مقدر ، وهو مستثنى منه . والاستثناء اخراج ، فيحتاج الى مخرج منه ، والمراد بالتقدير هنا التقدير المعنوي لا الصاعى ، ولا بد أن يكون عاما ، لأن الاخراج لا يكون الا من عام . ولا بد أن يكون مناسباً للمستثنى منه في جنسه ، مثل : (ما قام الازيد) ، أى لا أحد ، و (ما أكلت الاثمرا) : أى ما كولا ، ولا بد أن يوافق في صفته : أى اعرابه . وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شيء بالضرورة ، فيبقى ماعداه في صفة الانتفاء .^(٢)

ولقد آثار الدكتور ابراهيم أنيس^(٣) في كتابه (من أسرار اللغة) قضية (النفي والاستثناء) في اللغة ، ورفض أن يكون طريقا من طرق القصر ، لأنه يرى أن الغرض منه التوكيد فقط ، وليس نفي الشيء عن الشيء واثباته لغيره ، وانما هو وسيلة من وسائل التلميح والتعريض . قال : (ان استعمال (النفي مع الا) كان في أصله ، وفي معظم ما جاءنا من نصوص قديمة ، لايفيد ظاهر معناه . ولكنه وسيلة من وسائل التلميح والتعريض ، يهدف بها المتكلم الى تأكيد النفي في كلام سابق) .^(٤)

-
- (١) شروح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج ٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢
- (٢) المفتاح ، ص ١٢٩ - / أنظر شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢
- (٣) استاذ معاصر من اساتذة كلية دارالعلوم ، جامعة القاهرة ، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . له مؤلفات وبحوث لغوية عديدة من مؤلفاته : (موسيقى الشعر) (الاصوات اللغوية) .
- (٤) من أسرار اللغة : ابراهيم أنيس ، ط ٦ ، ص ١٩١

على الصفة افرادا :

ألا انما الدنيا بلاغ لغاية

فاما الى غي واما الى رشد (١)

هذا لمن ظن أن الدنيا بلاغ وغير بلاغ فقصرته الدنيا على البلاغ ومعنى غير البلاغ أي أن حياة دائمة لنا في ما رب غير ما نتزود به لغيرها .

ومثاله من قصر العوصوف قلبا او افرادا : (انما شجاع على) ، ويصلح أيضا مثلا للتعيين .

ومن قصر انما قصر احقيقيا : (انما غدرك من ذلك على الاساءة) .

ونهب الامام عبدالقاهر في كتابه دلائل الاعجاز ، الى غير ما نهب اليه الجمهور ، فرأى ان انما تستعمل في قصر القلب دون الافراد ، قال (٥٥) فاذا قلت : (انما جاءني زيدا) ، لم يكن غرضك ان تنفى أن يكون قد جاء مع زيد غيره ، ولكن أن تنفى أن يكون المجيء الذي قلت انه كان منه كان من عمرو وكذلك تكون الشبهة مرتفعة . في أن ليس ههنا جائيان ، وأن ليس الاجاء واحد ، وانما تكون الشبهة في أن ذلك الجائي زيد أم عمرو ، فاذا قلت : (انما جاءني زيد ، حققت الامر في أنه زيد ، وكذلك لاتقول :) انما جاءني زيد ، حتى يكون قد بلغ المخاطب ، أن قد جاءك جاء ، ولكنه ظن انه عمرو مثلا ، فأعلمته انه زيد) (٢) .

ولقد نهب فريق من العلماء الى انكار افادة انما القصر . فرد عليهم الجمهور بأنها تفيد القصر ، لتضمنها معنى ما والا .

أ - ولقولا المفسرين في اطباق قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة) (٣) بنصب الميتة . فمعنى الآية (ما حرم عليكم الا الميتة) ، وهذا مطابق

(١) البيت لابن المعتز : هو ابو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد . اخذ الادب عن ابي العباس الهبرد و ابي العباس ثعلب وغيرها ولد سنة سبع واربعين وقيل ست واربعين ومائتين وقيل سنة ست وتسعين ومائتين قتله مونس الخادم . له من التصانيف (كتاب الزهر والرياض) ، (البديع) ، (الجوارح والصيد) ، شذرات الذهب ، ج ٢

(٢) ص ٢٢١ - ٢٢٣ دلائل الاعجاز ، ص ٢٢٥ .

(٣) البقرة : آية ١٧٣ .

لقراءة الرفع .

ومعنى الآية فيها (المحرم عليكم الميتة) ، الا أن القصر فى القراءة الثانية مستفاد من تعريف الطرفين . فمطابقة القراءات أمر واجب ، ولا يتم الا اذا جعلنا انما بمعنى ما والا .

ومما يجدر الاشارة اليه ، أن تضمنها معنى ما والا ، لايعنى أنها نفس ما والا ، فليس كل كلام تصلح فيه ما والا ، تصلح فيه انما ، والعكس كذلك .

ب- ولقول النحاة المحتج بقولهم : أن انما تأتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه .

ج- ولصحة انفصال الضمير معها ، كقولك (انما يَضْرِبُ اَنَا) ، كما تقول (ما يضرب الا أنا) (١) .

وعلق الاستاذ عبدالمتعال الصعدي على هذه الأدلة بقوله : (لا يخفى أن دلالة - انما - على القصر بالوضع ، فلا يحتاج الى دليل فى دلالتها عليه) (٢) .

ويبدو لى أن علماء البلاغة لاشك أنهم يعلمون أن القصر مفاد بالوضع ، ولكنهم احتاجوا الى سوق هذه الأدلة رداً على من أنكر افادتها للقصر . واختلف النحاة والبيانين فى المقصور عليه مع انما . فىرى البيانين - أن المقصور عليه مع انما ، هو المتأخر عنها دائماً . أما النحاة فيقولون أن الاخير ، هو المحصور . ذكر ابن السبكي فى عروس الافراح : (واعلم أن النحاة يقولون أن الاخير هو المحصور ، فاذا قلت : (انما زيد قائم) ، فالقائم هو المحصور ، ومقتضاه أن تكون هذه الصيغة من قصر الصفة على الموصوف . وعبارة البيانين هى المحررة ، فان الأول هو المحصور ، والثانى مصور فيه .

(١) أنظر المفتاح ، ص ١٢٦

الايضاح ، ج ١ ، ص ٢١٦

شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٩٣ - ٢٠١

(٢) بغية الايضاح ، عبدالمتعال الصعدي ، ج ٢ ، ص ١٣

وعبارة النحاة فيها تجوز . والصواب : أن الأخير محصور فيه ، لا محصور
غير أنهم تساهلوا في ذلك(١).

والقصر بأنما المفتوحة ، مثله مثل القصر بانما بالكسر . فكلاهما
متضمن لمعنى ما و الا .

قال النسوقى (واعلم ان الموجب للحر في انما بالكسر ، موجود في أنما
بالفتح . فمن قال سبب افادة ، انما الحر ، تضمنها معنى ما وإلا ،
قال بذلك في أنما المفتوحة . لوجود هذا السبب فيها . ومن قال ان السبب
اجتماع حرفى توكيد ، قال به فى أنما أيضا(٢).

التقديم :

وهو قسمان :

١ - التقديم بين جزئى الجملة :

أ (تقديم المسند اليه .

١ - تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى .

٢ - تقديم المبتدأ على الخبر المشتق .

ب (تقديم المسند .

٢ - التقديم فى المتعلقات :

أ (تقديم المتعلقات على العامل .

ب (تقديم بعض المتعلقات على بعض .

(١) شرح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٩١

(٢) شرح التلخيص : شرح النسوقى ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

١ - التقديم بين جزئى الجملة :

أ - تقديم المسند اليه .

١ - تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى:

من دراسة تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى ، يتضح أنه لايلزم افادته الاختصاص فهو تارة يفيد ، وتارة يفيد التقوى . وقد اختلف علماء البلاغة فى صور افادته الاختصاص ، فاشترط الامام عبدالقاهر ، أن يتقدم المسند اليه حرف نفى ، سواء كان المسند اليه نكرة ام معرفة ، ظاهرا أم مضمرا ، فان لم يتقدمه حرف نفى أصلا ، أو كان متأخرا فتارة يفيد التقديم الاختصاص ، واخرى يفيد التقوى من غير تفريق بين النكرة والمعرفة ، ظاهرة أو مضمة ، فحاصل منهجه التعويل على حرف النفى .

أما السكاكى فحاصل منهجه : ان كان المسند اليه نكرة فهو للتخصيص ، وان كان معرفة (اسما ظاهرا) ، فلا يكون الا للتقوى ، اما اذا كان معرفة مضمة فيحتمل الامرين التقوى والتخصيص ، ولم يشترط السكاكى ، ما اشترطه الامام عبدالقاهر من تقديم حرف النفى ، وانما اشترط فى افادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها :

جواز تأخير المسند اليه ، على أن يكون فاعلا فى المعنى فقط . كقول القائل : (أنا درست) ، فيجوز أن تقدر أن أصله درست أنا ، على أن يكون الضمير (أنا) تأكيدا للفاعل فى درست .

ومنها : تقدير كونه مؤخرا فى الأصل ، وقدم لافادة التخصيص .

ومن هذا يتضح لنا :

— أن تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، يفيد الاختصاص وجوبا

عند الامام عبدالقاهر الجرجانى ، بشرط تقدم النفى على المسند اليه ، نحو :

(ما زيد قال هذا) . وخالفه السكاكى ، فتقديم الاسم الظاهر على الخبر

الفعلى ، يفيد عنده التقوى ليس غير .

- الاسم الظاهر الواقع قبل النفي ، نحو : (زيد ما قال هذا) ، فهو محتمل عند الشيخ عبدالقاهر ، متعين للتقوى عند السكاكي .
- واذا كان المسند اليه نكرة واقعه قبل النفي نحو (رجل ما قال هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند السكاكي ، محتمل عند الشيخ .
- اذا كان المسند اليه معرفة مظهرة ، واقعة في الاثبات ، نحو : (زيد قال هذا) فهو متعين للتقوى عند السكاكي ، محتمل عند الشيخ عبدالقاهر .
- النكرة الواقعة في الاثبات ، نحو : (رجل قال هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند السكاكي ، وجائز عند الشيخ عبدالقاهر .
- المضر الذي ولي حرف النفي ، (ما أنا قلت هذا) ، فهو متعين للتخصيص عند الشيخ عبدالقاهر ، محتمل للتخصيص والتقوى عند السكاكي .
- واتفق الجميع على أنه اذا كان المسند اليه ضميرا سابقا لحرف النفي - مثال : (أنا ما قلت هذا) - فهو محتمل للتخصيص والتقوى .

- كما اتفقوا في حالة كون المسند اليه نكرة ، وليت حرف النفي ، فيفيد الاختصاص عند الجميع .

مثال : (ما رجل قال هذا) . فأفادت الاختصاص ، عند الشيخ عبدالقاهر لتقدم النفي ، وعند السكاكي لتنكير المسند اليه .

- واذا كان المسند اليه مثبتا مضرا ، والمسند غير منفي . مثال : (أنا قلت هذا) . فيحتمل التقوى ، والتخصيص عند الجميع . (١)

(١) دلائل الاعجاز ، ط ٦ ، ص ٩٢ - ٩٤
المفتاح ، ص ١٠٠ - ١٠١

التقديم على الخبر المشتق :

اختلف علماء البلاغة في افادة التقديم على الخبر المشتق القصر ،
فمنهم من ذهب الى أن المشتقات كلها مشتركة في سبب افادة التخصيص ، لأن
الخبر اذا كان وصفا ، صدق عليه أنه فعلى ، لأنه يعمل عمل الفعل .
ومن ذهب الى هذا الرأي الامام الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى :
(ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير) (١) .

فقال (وقد دل ايلا ضميره حرف النفي ، على أن الكلام واقع في الفاعل
لا في الفعل ، كأنه قيل : وما أنت علينا بعزير ، بل رهطك هم الاعزة علينا
ولذلك قال في جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ، ولو قيل وما عززت
علينا ، لم يصح هذا الجواب ، فان قلت : فالكلام واقع فيه وفي رهطه ،
وأنهم الاعزة عليهم دونه ، فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله ؟ قلت :
تهاونهم به ، وهو نبي الله ، تهاون بالله ، فمن عز عليهم رهطه دونه
كان رهطه أعز عليهم من الله) (٢) .

وأيده في ذلك السكاكي (٣) عند تعرضه لهذه الآية ، وكذلك ابن السبكي في
عروس الافراح ، حيث قال : (وقوله (٤) بالخبر الفعلى ، يدخل فيه الخبر
الذى هو فعل . مثل أنا قمت ، أو صفة مثل - وما أنت علينا بعزير - وانما
أدخلنا الصفة ، لأن الخبر اذا كان وصفا ، صدق عليه أنه فعلى ، لأنه يعمل
عمل الفعل) (٥) .

وكذلك تبع الامام البيضاوي (٦) الزمخشري فيما ذهب اليه ، وأيده الشهاب

(١) سورة هود : آية (٩١) .

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٨٩

(٣) المفتاح ، ص ١٠٠

(٤) يعنى بذلك صاحب الايضاح .

(٥) شروح التلخيص ، ج ١ ، ص ٤١٨

(٦) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ١١٩

هو ناصر الدين ابوالخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي قاضي - القضاة
البيضاوي توفي سنة ٦٨٥ هـ وقيل ٦٩١ هـ . صاحب المصنفات وعالم انزبيجان
ولى قضاء شيراز ، وكان اماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا توفى
بمدينة تبريز / شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٢ - ٣٩٣

في حاشيته ، ورأى أن التقديم في الآية مفيد للحرص ، وهو اما قلب أو افراد . والظاهر عنده انه قصر قلب ، فقال (وقوله (١) وفي ايلاء ضميره حرف النفي الخ) ، اشارة الى أن التقديم يفيد التخصيص ، وأنه قصر قلب أو قصر افراد ، والظاهر الاول ، وقد تبع فيه صاحب الكشاف (٢) وممن ذهب الى رأى الزمخشري الامام ابوحيان ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

(انى جاعلك للناس اماما) (٣) .

وكذلك الأئوسى (٤) عند تفسيره لقوله تعالى : (ونحن له عابدون) (٥) . فقال (وتقديم المسند اليه ، لافادة قصر ذلك الاختصاص عليهم ، وعدم تجاوزه الى أهل الكتاب) (٦) .

أما الخطيب القزوينى ، فقد ذهب الى أن التقديم على الخبر الفعلى ، لايفيد الحرص ، فبعد أن ذكر تفسير الزمخشري لقوله تعالى (لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) قال : (وقال الزمخشري دل ايلاء ضميره حرف النفي ، على أن الكلام فى الفاعل ، لا فى الفعل كأنه قيل : وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ، وفيه نظر ، لأننا لانسلم أن ايلاء الضمير حرف النفي ، اذا لم يكن الخبر فعليا يفيد الحرص) (٧) .

فمراده بالخبر الفعلى ، هو ما كان فى أوله فعل ، وكان فاعله ضمير المسند اليه ، لا المتضمن لمعنى الفعل ، لتصريحه بأن الصفة المشبهة فى قوله تعالى (وما أنت علينا بعزيز) ، ليست خبرا فعليا .

(١) يعنى بذلك الامام البيضاوى .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٥ ، ص ١٣٠

(٣) البقره : آية ١٣٤

(٤) هو ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى ، مفسر ، محدث اديب ، من المجددين من اهل بغداد مولده ووفاته فيها ، كان سلفى الاعتقاد ، تقلد الافتاء ببلده ولد سنة ١٢١٧هـ وتوفى سنة ١٢٢٠هـ / الاعلام

ج ٧ ، ص ١٧٦

(٥) البقره : آية ١٣٨

(٦) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٣٩٨

(٧) الايضاح ، ج ١ ، ص ١٤٦

تقديم المسند :

كتقديم الخبر على المبتدأ ، وشرط افادته القصر ، أن لا يكون المبتدأ نكرة ، وقدّم عليه الخبر . قال الدسوقي : (ومحل كون تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر ، ما لم يكن المبتدأ نكرة ، وقدّم عليه الخبر ، والا فلا يفيد) (١) .

ويقدم المسند ليخص بالمسند اليه ، أي لقصر المسند اليه على المسند . وهذا هو المشهور عند علماء البيان .

ومن أمثلة هذا التقديم قوله تعالى (لاقبها غول ولا هم عنها ينزفون) (٢) .

قصر نفي الغول على خمور الجنة ، بخلاف خمور الدنيا ، فانها تنهب العقول .

ولم يقدم الظرف في قوله تعالى (لاريب فيه) (٣) ، لثلا يفيد ثبوت

الريب في سائر الكتب (٤) . وقد ذكر الامام العلوي (٥) تحقيقا جميلا في تقديم

خبر المبتدأ عليه ، فقال (تقديم خبر المبتدأ عليه في نحو قولك : (قائم

زيد في زيد قائم) ، فانك اذا أخرجت الخبر ، فليس فيه الا الاخبار بأن

زيدا قائمٌ لاغير ، من غير تعرّض لمعنى من المعاني البليغة ، بخلاف ما اذا

قدمته وقلت : قائم زيد ، فانك تفيد بتقديمه ، أنه مختص بهذه الصفة

من بين سائر صفاته من الأكل ، والضحك ، وغيرها ، أو تفيد تخصيصه

بالقيام دون غيره من سائر أمثاله (٦) ، وتفيد وجها آخر ، وهو أنه يكون

كلّما مع من يعرف زيدا ، ويُنكر قيامه . فتقول : (قائم زيد) ، ردا لإنكار

من ينكره ، ومن هذا قوله تعالى " وظنوا أنهم ما نعّتهم حصونهم من الله " (٦)

(١) شروح التلخيص : حاشية الدسوقي ، ج ٢ ، ص ٢٠٢

(٢) الصافات : آية (٤٧)

(٣) البقرة : آية (٢)

(٤) الايضاح : ج ١ ، ص ١٩٣

(٥) هو يحيى بن حمزة العلوي اليمنى ولد سنة ١٢٧٠هـ وتوفي سنة ١٣٤٨هـ كان امام

الائمة تقلد في اليمن امارة المؤمنين سنة ١٣٢٨هـ .

(٦) من نص الإمام العلوي أنه اعتبر المقدم في مثل قائم زيد مصحورا مرة ومصورا عليه مرة .

(٧) الحشر بعض آياته (٢) .

فانما قدم قوله (مانعتهم حصونهم من الله) وهو خبر المبتدا في أحد وجهيه
ليدل بذلك على فرط اعتقادهم لِحصانتهم ، ومبالغة في شدة وثوقهم بمنعها
اياهم ، وأنهم لا يُبالون معها بأحد ، ولا يُنالُ فيهم نَيْلٌ ، وفي تقرير
ضعير (هم) اسما ، واسناد المنع والحصون اليهم ، دلالة بالغة على تقريرهم
في أنفسهم ، أنهم في عزة ومنعة ، لا تُرقي حوزتهم ، ولا يُغزُونَ في عُقْرِ
دارهم ، ولو أُخِرَّ الخبر لم يُعط شيئا من هذه الفوائد ، (١) .

تقديم المتعلقات على العامل :

كتقديم المفعول به ، والمفعول معه ، والمفعول فيه ، والجار
والمجرور ، والظرف ، والحال .
ويشترط في كون التقديم مفيدا للاختصاص ، أن لا يكون المعمول مقدا وضعا
فان ذلك لا يسمى تقديما حقيقة ، وذلك كأسماء الاستفهام ، وكالمبتدأ عند
من يجعله معمولا لخبره .

وأن لا يكون التقديم لمصلحة التركيب . مثل (وأما ثمود فهديناهم) (٢)
على قراءة النصب ، وهذا خلافا لما في الايضاح ، فقد أوجب الخطيب
القزويني في هذه الآية ، كون التقديم للاختصاص . فقال : (وأما نحو
قوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم) ، فمن قرأ بالنصب فلا يفيد الاالتخصيص
لامتناع تقدير أما فهدينا ثمود) (٣) .

ورأى شراح التلخيص (السعد - ابن يعقوب - السبكي - الدسوقي) ، أن التقديم
مع أما . لاملاح اللفظ . وعللوا ذلك بانه لو كان التقديم في هذه الآية
مفيدا للتخصيص - كما قال الخطيب القزويني - لاقتضى أنه ليس أحد من الكفار

(١) الطراز ، ج ٢ ، ص ٦٨-٦٩ (٢) فصلت آية : ١٧

(٣) الايضاح : تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ج ١ ، ص ٢٠٥

هدى ، أى دل على الطريق الموصل ، واستحب العمى على الهدى غير ثمود
وليس الامر كذلك . (١)

أما اذا كان التقديم من باب الاشتغال . نحو : (زيدا عرفته) . فان قدر
المفسر المحذوف قبل المنصوب ، أى : عرفت زيدا عرفته ، فهو من باب
التوكيد ، أى تكريرا للفظ ، وان قدر بعده أى زيدا عرفت عرفته أفاد
التخصيص . ورأى الشيخ عبدالمتعال الصعیدی ان التقديم فى باب الاشتغال
لايفيد الا التوكيد ، لانه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ، ليوافق مفسره
فى تقدمه على الضمير . (٢)

وذكر جمهور البيانين ان التقديم لازم للتخصيص غالباً . فقولهم غالباً
اشارة الى عدم لزومه دائماً ، لصحة أن يكون التقديم لاغراض أخرى
كالاهتمام ، والتبرك . والاستلزام .

والاهتمام عندهم تابع لسر التخصيص ، ويكون بمعنيين : أحدهما : كـون
المقدم مما يعنى بشأنه ، لشرف وعزازة وركنية . فيقتضى ذلك تخصيصه
بالتقديم ، وهذا المعنى يناسب بحسب الظاهر ، أن يقال لانهم يقدمون
الذى شأنه أهم ، وهم ببيانه-أى ذكر ما يدل عليه-أعنى ، ونفس الاهتمام
فى هذا الموجب للتقديم ، ولا يدل تقديمه الا على أن المتكلم له به الاعتناء
المطلق . والآخر كونه مما فى تقديمه معنى لا يصل عند التأخير ، فان المفعول
مثلاً اذا تعلق الغرض بتقديمه لافادة الاختصاص ، فلم يتعلق الاهتمام بذاته
وانما تعلق بتقديمه للغرض المفاد ، وليست الاهمية ههنا هى الموجبه للتقديم
بل الحاجة الى التقديم هى الموجبة للاهتمام بذلك التقديم (٣)

وفهم ابن الاثير (٤) وتبعه العلوى ، ان منزه الزمخشري فى تقديم المفعول

(١) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ - ٢٠٢

(٢) بغية الايضاح ، ج ١ ، ص ٢٦٦

(٣) شروح التلخيص ، حاشية السوقي ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٥٤

(٤) هو ضياء الدين ابن الاثير ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة
حفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الاحاديث النبويه وطرفاً صالحاً من النحو
واللغة وعلم البيان زويهاً كثيراً من الاشعار له كتاب (الوشى المرقوم) توفى سنة
سبع وثلاثين وستمائة من الهجرة ببغداد وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٨٩

وهو للاختصاص فقط.

ويبدو لى أن الامام الزمخشري ، لايقول بلزوم التقديم للاختصاص دائما ، بل

غالبا . وهو رأى جمهور البيانين كما ذكرنا .

ورأى ابن الاثير ان التقديم ينقسم قسمين :

أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ .

وثانيهما : يكون التأخير فيه هو الابلغ .

فأما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الابلغ ، فكتقديم المفعول على

الفعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء

على العامل . وهكذا يجزى الحكم فى تقديم الظرف كقولك : (ان الذى مصير

هذا الامر) .

ثم قال :

" وقال علماء البيان ومنهم الزمخشري - رحمه الله - : أن تقديم هذه الصورة

المذكورة ، انما هو للاختصاص وليس كذلك ، والذى عندى فيه أنه يستعمل على

وجهين :

أحدهما : الاختصاص .

والآخر : مراعاة نظم الكلام ، وذلك أن يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم

وإذا أُخِّرَ المقدم ذهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ ، واوكد من الاختصاص .

وذكر المثال الدال على الاختصاص قوله تعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد

أيها الجاهلون) (١) .

وذكر مثال الوجه الثانى - الذى يختص بنظم الكلام - قوله تعالى

(اياك نعبد و اياك نستعين) (٢) .

وذكر رأى الزمخشري فى هذه الاية ، وأوضح أنه على خلاف مذهبه فقال :

(١) الزمر : ٦٤

(٢) الفاتحة : ٥

" وقد ذكر الزمخشري في تفسيره ، ان التقديم في هذا الموضع ، قُصِدَ به الاختصاص ، وليس كذلك فانه لم يُقَدِّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قَدِّم لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله (اياك نعبد و اياك نستعين) . " (١)

ورأى العلوي ان التقديم قد يفيد الاختصاص ، وقد يفيد مراعاة النظم ، وقد يفيدهما معا فقال :

" والمختار عندنا أنه لامنافاة بين الامرين ، فيجوز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص ، والتشاكل ، فيكون في التقديم ، مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعا ، فالاختصاص أمر معنوي ، والتشاكل أمر لفظي ، وعلى هذا ورد قوله تعالى " فأوجس في نفسه خيفة موسى " (٢) . وقوله تعالى : " خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه " (٣) . فبالقديم تحصل ملاحظة الامرين جميعا (٤) .

ويبدو لي من خلال تحليلي للآيات - في الباب الثاني - أنه لامانع من افسادة التقديم الاختصاص ، مع افادته مراعاة النظم ، لانه لاتزاحم بين المقتضيات ورأى ابن السبكي أن القول برفض التقديم في المعمولات للاختصاص ، مبني على أن الاختصاص هو الحصر . وعنده أن الاختصاص غير الحصر (٥) - وقد ذكرنا رأيه عند الحديث عن الفرق بين الحصر والاختصاص .

(١) المثل السائر : ابن الاثير ، م ٢ ، ط ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩

(٢) سورة طه : آية : ٦٧

(٣) سورة الحاقة : آية : ٣١

(٤) الطراز ، ج ٢ ، ص ٦٧

(٥) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٥٤

تقديم بعض المعمولات على بعض :

كتقديم الفاعل على المفعول . نحو : ضرب زيد عمرا . وتقديم المفعول
الاول على الثاني . نحو : أعطيت زيدا درهما ، وكتقديم المبتدأ المعرف ،
والفاعل على المفعول ، والحال والتمييز ، وكتقديم المفعول الذي وصل
اليه الفعل بلا واسطة ، على المتعدى بالحرف الثاني .^(١) فالتقديم هنا املأن
ذلك التقديم هو الاصل ، ولا مقتضى للعدول عنه ، أو لانه ذكره أهم ، واما
لرعاية الفاصلة .

ونهب جمهور البلاغيين ، الى عدم افادته الاختصاص . ونهب ابن الاثير
وتبعه العلوى الى خلاف منهب الجمهور ، فرأى أن تقديم الظرف فى الكلام
المثبت يفيد الاختصاص . نحو : ان الذى مصير هذا الامر . فقال : " وهكذا يجرى
الحكم فى تقديم الظرف كقولك : ان الذى مصير هذا الامر . وقولك ان مصير
هذا الامر الى ، فان تقديم الظرف دل على ان مصير الامر ليس الا اليك ،
وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الامر الذى . اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف
على غيرك ، فيقال الى زيد ، أو عمرو ، أو غيرهما" ^(٢) .

وكذلك ذكر العلوى (٠٠ أن الظرف لا يخلو حاله ، اما أن يكون واردا فى
الاثبات ، أو يكون واردا فى النفي . فاذا ورد فى الاثبات ، فتقديمه على
عامله انما يكون لغرض لا يصل مع تأخيره ، فلا جرم التزم تقديمه ، لأن فى
تأخيره ابطالا لذلك الغرض ، ثم هو على وجهين ، أحدهما : أن يكون واردا
دلالة على الاختصاص ، وهذا كقوله تعالى (ألا الى الله تصير الأمور) ^(٣) . لأن
المعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الامور اليه دون غيره . ونحو قوله
تعالى : " ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم " ^(٤) ، وقوله تعالى " له الملك
وله الحمد وهو على كل شىء قدير " ^(٥) فهذه الظروف لوجه لتقديمها على عاملها ،

(١) أنظر التلخيص ص ١٣٥ // شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٦٠

(٢) المثل السائر ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٣) سورة الشورى : آية : ٥٣

(٤) سورة الغاشية : آية : ٢٦

(٥) سورة التافاتن : آية : ١

الا ما ذكرناه من الاختصاص (١) .

وعلق ابن السبكي على رأى ابن الأثير فى افادة تقديم بعض المعمولات على بعض الاختصاص . فبعد أن ذكر أغراض التقديم فيها قال : (وبقي من أسباب تقديم بعض المعمولات على بعض ، افادة الاختصاص كما تقدم عن ابن الأثير فى نحو : ان الينا ايا بهم ، وجاء راكبا زيد . لكنه مخالف للكلام الجمهور والله تعالى أعلم) . (٢)

تعريف المسند :

خص بعض علماء البلاغة أَل الجنسية فى افادة التعريف القصر . ولكن الظاهر أن أَل الجنسية قد تفيد القصر ، وقد لاتفيد ، وكذلك أَل الاستغراقية وأَل العهدية . فقولنا (زيد المنطلق) تأتى للتعريف بمعهود سابق ، فالخطاب فى الجملة لمن عرف ، أن انطلاقا قد حصل ولكنه لايعلم ممن وقع ، أهو من زيد أم من عمر . فقولنا (زيد المنطلق) تعيين لصاحب ذلك الانطلاق (٣) . والتعريف بلام الجنس ، قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ ، وذلك من وجوه :

١ - يفيد التعريف بأَل الجنسية قصر الجنس حقيقة ، لعدم وجود معنى الجنس فى غير ذلك المقصور عليه . نحو (زيد الامير) ، اذا لم يكن هناك أمير سواه . (٤)

٢ - يفيد القصر مبالغة لاحقيقة .

وذلك كما قال الشيخ عبدالقاهر :

" أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة ، وذلك قولك (زيد هو الجواد) ، و (عمرو هو الشجاع) ، تريد انه الكامل ، الا أنك

(١) الطراز ، العلوى ، م ٢ ، ص ٢٠ - ٢١

(٢) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٦٥

(٣) دلائل الاعجاز : ط ٦ ، ص ١٢٤

(٤) دلائل الاعجاز ، ط ٦ ، ص ١٢٥

تخرج الكلام فى صورة توهم ، أن الجود أو الشجاعة لم توجد الا فيه ، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره ، لقصوره عن أن يبلغ الكمال. (١)

٣ - ان نقص الخبر على المبتدأ ، لا باعتبار ذاته بل باعتبار القيد (من وصف او حال أو ظرف . نحو قولك : (هو الرجل الكريم) ، أى انصرت الرجولية الموصوفة بالكرم فيه لاتوجد فى غيره ، بخلاف مطلق الرجولية ، وقولك (هو السائر راكبا) ، أى انحصر فيه السير بحال الركوب دون مطلق السير. (٢)

وكقول الاعشى : (٣)

هو الواهب المائة المصطفاة

اما مخاضا واما عشارا (٤).

وعلق الشيخ عبدالقاهر على هذا البيت بقوله :

(فأنت تجعل الوفاء - فى الوقت الذى لا يفى فيه أحد - نوعا خاصا من الوفاء ، وكذا تجعل هبة المائة من الابل نوعا خاصا ، وكذلك الباقي ثم أنك تجعل كل هذا خبرا على معنى الاختصاص ، وأنه للمذكور دون من عداه ألا ترى أن المعنى فى بيت الاعشى ، أنه لا يهب هذه الهبة الا الممدوح (٥).

وذكر الشيخ عبدالقاهر أن الخبر ، اذا كان اسم موصول ، فانه يفيد مع الاختصاص غرضا آخر نشأ من الصلة . مثل قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) (٦) قد خول الالف واللام على المسند ، قد يفيد القصر - كما ذكرنا - وربما لا يفيد ، كقصر المعرفة على ما حكم عليه به ، أى أن

لا يقصد قصر المعنى فى جنسه على المذكور . كقول الخنساء :

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٠١

(٣) هو اعشى قيس بن قيس ، شاعر جاهلى اشتهر بوصفه للخمر .

والمخاض : الحوامل من النوق

والعشار : الوالدات من الابل واحدها عشار .

(٤) ديوان الاعشى : ص ٨٤ ، دار بيروت

(٥) دلائل الاعجاز : ص ١٢٦

(٦) المؤمنون : آية ٧٨

اذا قَبِحَ البُكَاءُ على قَتِيلٍ

رَأَيْتَ بُكَاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلَ (١)

لم ترد (أن ماتعدا البكاء عليه ، فليس بحسن ولا جميل ، ولم تقيد الحسن بشيء فيتصور ان يقصر على البكاء ، كما قصر الاعشى هبة المائة على الممدوح . ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر ، الذي لا ينكره أحد ولا يشك فيه شك) (٢) . وقد يُراد من تعريف الخبر بالالف واللام مجرد الإشارة الى بلوغ المسند اليه مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المقصورة في الذهن كقولنا (هو البطل المحامي ، وهو المتقى المرتجى) يقول الامام عبدالقاهر في هذا الوجه (٠٠٠ مسلك ثم دقيق ولمحة كالخلس ، يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر . وذلك قولك : (هو البطل المحامي ، وهو المتقى المرتجى) .

ففي هذا الوجه يلاحظ أنه لم يقصد شيء مما تقدم ، فليس المراد الاشارة الى معنى ، قد علم المخاطب أنه كان ، ولم يعلم أنه ممن كان . كما فى قولنا : (زيد هو المنطلق) . كما أنه ليس المراد قصر المعنى على الخبر على معنى ، أنه لم يحصل لغيره على وجه الكمال . كما فى قولنا : (زيد هو الشجاع .

ولكن وجه افادته أنك تريد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل المحامي ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل ، حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فان كنت قلته علما ، وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك ، فهو ضالتك وعنده بغيتك) (٣) .

والمعول عليه فى فهم هذا المعنى وادراكه - كما قال الشيخ عبدالقاهر - مراجعة النفس واستقصاء التأمل ويرى بعض علماء البلاغة ، أنه اذا عُرِّف

(١) الخنساء : هي تهاضر بنت عمرو بن الشريد ، الصحابية الشاعرة ، البكاء .

على أخيها صخر / وفيات الاعيان ج ٦ ص ٣٤

(٢) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٧

(٣) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

أحد الجزئين بأل دون الآخر ، (فلا فرق بين تقديم المُعرّف بأل على أنه مبتدأ أو تأخره على أنه خبر في افادة التركيب ، قصر الجنس المذكور له على حسب الاسم الآخر) (١) .

ويرى الامام عبدالقاهر خلاف ذلك ، فعنده ان (مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر ، غير مذهبها وهو مبتدأ) (٢) . فقولنا : (أنت الشجاع) ، أردنا قصر الشجاعة على المسند اليه دون غيره ، أما قولنا : (الشجاع أنت) فتفيد الاستغراق ، وكذلك فرق بين قولنا : (أنت الحبيب) ، و (الحبيب أنت) ، فجملة (الحبيب أنت) معناها (أنه لأفضل بينك وبين من تحبه ، اذا صدقت المحبة وأن مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان . كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال : الحبيب أنت الا انه غيرك : فهذا كما ترى فرق لطيف ونكتة شريفة ، ولو حاولت أن تفيدها بقولك : أنت الحبيب : حاولت ما لا يصح ، لأن الذى يعقل من قولك أنت الحبيب ، هو ما عناه المتنبي (٣) في قوله :

أنت الحبيب ولكنى أعوذ به

من أن أكون محبا غير محبوب (٢) (٣)

وذكر فرقا آخر دقيقا ، فقال : (فمتى رأيت اسم فاعل أو صفة من الصفات قد بُدئ به ، فجعل مبتدأ ، وجعل الذى هو صاحب الصفة فى المعنى خبرا . فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل أو الصفة خبرا . كقولك : (زيد المنطلق) (٤) .

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج ٢ ، ص ٩٩

(٢) دلائل الاعجاز ، ص ١٣٥

(٣) هو أبو الطيب احمد بن الحسين الكندى الكوفى المعروف بالمتنبي الشاعر المعروف وقيل هو احمد بن الحسين بن مره بن عبدالجبار حواله اعلم . التحق بسبب الدولة بن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، مدح كافور الاخشيدى / وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٢٠

(٤) ديوان ابى الطيب بشرح ابى البقاء ، ج ١ ، ص ١٧٦

(٥) دلائل الاعجاز ، ص ١٣٢

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٠

ويذكر ابن يعقوب ان المُحَلَّى بأل الجنسية ، ان حُكِمَ به فانه يفيد الحصر ويلزم حينئذ تعريف المحكوم عليه كما تقدم . وان حُكِمَ عليه افاد الحصر ، لو كان ما حُكِمَ به عليه نكرة . كقولنا : (التوكل على الله) ، أى لا على غيره والكرم فى العرب لاقى غيرهم (١) أى ان جُعِلَ المَعْرِفَ بلام الجنس مبتدأ ، فهو مقصور على الخبر ، سواء كان الخبر معرفة أو نكرة . وان جُعِلَ خبرا ، فهو مقصور على المبتدأ .

وذكر بعض البيانين أنه اذا عُرِّفَ كلا الجزئين باللام كقولك (القائم هو المتكلم) ، احتمال أن يكون المبتدأ مقصورا على الخبر ، وأن يكون الخبر مقصورا على المبتدأ ، ولكن الاظهر قصر المبتدأ على الخبر ، لأن القصر مبنى على قصد الاستغراق وشمول جميع الافراد . وذلك أنسب بالمبتدأ ، لأن القصد فيه الى الذات ، وفى الخبر الى الصفة . وقيل يُقَصَّرُ الأعم على الأخص سواء قَدِّمَ الأعم وُجِعِلَ مبتدأ ، أو أُخِّرَ وُجِعِلَ خبرا ، نحو (العلماء الناس) أو (الناس العلماء) . وان كان بينهما عموم وخصوص من وجه ، نلجأ الى القرائن كقولنا : (العلماء الخاشعون) اذ يُقَصَّدُ تارة قصر العلماء على الخاشعين وتارة يُقَصَّدُ قصر الخشوع على العلماء ، فان لم توجد قرينة ، فالأظهر قصر المبتدأ على الخبر . (٢)

تعريف ضمير الفصل :

هو حرف (٣) يقع بين المبتدأ وخبره . أو ما أصلهما كذلك ، وهو ما يسميه البصريون فصلا ، كأنه فصل الاسم الأول عما بعده ، وأذن بتمامه وان لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل الا الخبر لاغير . ويسميه الكوفيون عمادا ، كأنه عَمَدَ الاسم الاول ، وقواه بتحقيق الخبر بعده . (٤)

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتح ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٢) شروح التلخيص ، حاشية النسوقى ، ج ٢ ، ص ١٠١

(٣) يبدو لى انه من الافضل تسميته حرفا بدلا من ضمير ، لان تسميته ضميرا من باب المجاز - كما سيأتى .

(٤) شرح المفصل : ابن يعيش ، م ١ ، ج ٣ ، ص ١٠

وله ستة شروط منها ما يتعلق بما قبله ، ومنها ما يتعلق بما بعده ، ومنها ما يتعلق به .

فالذى يتعلق بما قبله أمران : أن يكون مبتدأ فى الحال أو فى الأصل ، نحو :
(اولئك هم المفلحون) (١) و (انالحن الصّاقون) (٢) .

والثانى : كونه معرفة ، وأجاز الفراء وهشام ومن تابعهما من الكوفيين كونه نكرة نحو : (ما ظننت أحدا هو القائم) و (كان رجل هو القائم) . وحملوا عليه (أن تكون أمة هي أربى من أمة) (٣) فقدروا أربى منصوبة .
ويشترط فيما بعده أمران :

أن يكون خبرا للمبتدأ فى الحال أو فى الأصل ، وكونه معرفة أو كالمعرفة .
قال سيبويه (واعلم أن هو ، لا يحسن أن تكون فضلا ، حتى يكون ما بعده معرفة أو ما أشبه المعرفة ، مما طال ولم تدخله الالف واللام ، فصار زيدا وعمرانحو : خير منك ومثلك) (٤) فالمقصود بالشبيه بالمعرفة باب أفعل التفضيل ، لأنه مشابه للمعرفة ، لأنه غير مضاف (٥) . فشرطه أن يكون اسما ، وخالف الجرجاني فى ذلك فألحق المضارع بالاسم لتشابههما . وجعل منه (انه هو يبدى ويعيد) (٦) .

والى مثل هذا ذهب الامام السكاكى (٧) والقزوينى (٨) ، ومعظم اصحاب شروح التلخيص (٩) حيث مثلوا له ب (زيد هو يذهب) (أو يقوم) ، حيث وقع الضمير بين مبتدأ خبره فعله ، واعترض عليهم ابن السبكي ، فقال : (ومثل فى

(١) سورة الاعراف : آية : ١٥٢

(٢) سورة الصافات : الآية : ١٦٥ (٣) سورة النحل : آية : ٩٢

(٤) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٣٩٢

(٥) شرح المفصل ، ابن يعيش ، م ١ ، ج ٣ ، ص ١١٢

(٦) سورة البروج : آية : ١٣

(٧) المفتاح ، ص ٨٣ .

(٨) الايضاح ، ج ١ ، ص ١٣٥

(٩) شروح التلخيص ، ج ١ ، ص ٣٨٦

الايضاح بقولك : (زيد هو يقوم) وليس بصحيح ، لانه ليس بفصل لأن بعده
فعلا مضارعا . وأما المصنف والبيانين فاتبعوا فيه الجرجاني ، فانه ذكر
ذلك في شرح الايضاح والجمهور على خلافه (١) .

ويشترط فيه ثلاثة أمور :

أحدها : أن يكون بصيغه المرفوع ، فيمتنع " زيد إياه الفاضل) ، و (أنت
اياك العالم) وأما (انك اياك الفاضل) . فجائز على البدل عند البصريين
وعلى التوكيد عند الكوفيين .

الثاني : ان يطابق ما قبله فلا يجوز (كنت هو الفاضل) . (٢)

ثالث : ان يطابق المصنوع هنا من حيث النوع (انكم والخطاب والغيب) .

الثالث : ان يشترط فيه كما ذكرنا سابقا (ان يكون بين المبتدأ وخبره
أو ما هو داخل على المبتدأ وخبره من الافعال والحروف . نحو : ان واخواتها
وكان واخواتها وظننت واخواتها) . (٣)

" واعلم ان الفصل لا يظهر له حكم في باب ان واخواتها ، وباب المبتدأ والخبر
لأن أخبارها مرفوعة . فاذا قلت : (زيد هو القائم) و (ان زيدا هو القائم) .
لم يعلم ان المضمرة فصل او مبتدأ الا بالارادة والنية . ويظهر مع الفعل
الناسخ ، لان اخباره منصوبة " (٤) .

(١) شروح التلخيص : عروس الافراح ، ج ١ ، ص ٣٨٢

(٢) المغني ، ج ٢ ، ص ٤٩٥

(٣) شرح المفصل : ابن يعيش ، م ١ ، ج ٣ ، ص ١١٠

(٤) المرجع السابق ، م ١ ، ج ٣ ، ص ١١١

محلّة من الاعراب :

أُخْتَلِفَ فِي محلّه من الاعراب ، وذكر البصريون أنه لامحل له ، وقال
أكثرهم بأنه حرف فلا اشكال . وقال الخليل اسم ونظيره على هذا القول
أسماء الأفعال عند من يراها غير معموله لشيء ، وأل الموصوله - غير أن
اعراب أل الموصوله ظهر فيما بعدها ، بسبب كونها على صورة الحرف - وزعم
الكوفيون أنه محل ، ثم قال الكسائي : محلّه بحسب ما بعده ، وقال الفراء
بحسب ما قبله ، فمحلّه بين المبتدأ والخبر رفع ، وبين معمولي ظن نصب ،
وبين معمولي كان رفع ، عند الفراء ونصب عند الكسائي ، وبين معمولي ان
بالعكس . (١)

ورجح السوقي في شرحه على مختصر السعد ، أنه حرف جى به على صورة الاسم
وليس بضمير . ولا مرجع له ، وانما سمى ضميرا على سبيل الاستعارة والعلاقة
المشابهة في الشكل والصورة . (٢) وربما التبس الفصل بالتأكيد والبدل في
مواضع ، ولكن هناك فروقا دقيقة تفصل بينهما .
فالفرق بين الفصل والتأكيد ، انه اذا كان التأكيد ضميرا ، فلا يؤكّد
به الا مضمّر نحو : (قمت أنت) و (رأيتك أنت) ، والفصل ليس كذلك ، بل
يقع بين المضمّر والظاهر .

فاذا قيل : (كان زيد هو القائم) لم يكن (هو) هنا الا فصلا . واذا قيل :
(كنت أنت القائم) ، جاز في (أنت) هنا ، أن يكون فصلا وتأكيدا ، ومن
الفصل بينهما أنه اذا جعل الضمير تأكيدا ، يبقى على أسميته ، ويحكم على
موضعه باعراب ما قبله ، وليس كذلك اذا كان فصلا . والفرق بين الفصل والبدل
انه اذا أُبدِل من منصوب جى بضمير المنصوب . فيقال : (ظننتك اياك خيرا من
زيد) ، و (حسبته اياه خيرا من عمرو) ، ولكن إذا أُكِّد أو قُصِل ، فلا يكون
الا بضمير المرفوع . ومن الفرق بين التأكيد والبدل والفصل أن لام التأكيد
تدخل على الفصل ولا تدخل على التأكيد والبدل . (٣)

(١) المغتني ، ج ٢ ، ص ٤٩٢

(٢) شروح التلخيص : حاشية السوقي ، ج ١ ، ص ٣٨٦

(٣) شرح المفصل : ابن يعيش ج ٣ ، ص ١١٣

فائدته :

لضمير الفصل ثلاث فوائد :

فائدتان تتعلقان بعلم النحو . احدهما : لفظية ، وهي الاشارة الى أن ما بعده خبر لاتابع ، ولهذا سُمي فصلا ، لانه فصل بين الخبر والتابع .
والثانية : معنوية ، وهي التوكيد ، ولذا فهو لا يجامع التوكيد . فلا يقال :
(زيد نفسه هو الفاضل) .

الفائدة الثالثة : وهي من اختصاص البيانين وهي : افادته الاختصاص والحصر (١) .

وقد ذكرها الزمخشري عند تفسير قوله تعالى (أولئك هم المفلحون) فقال (و " هم " فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لاصفة ، والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره) (٢) .

واختلف في ضمير الفصل ، هل هو لافادة تخصيص المسند اليه بالمسند أو العكس . فذهب السكاكي الى أنه لتخصيص المسند بالمسند اليه . فقال : (وأما الحالة التي تقتضي الفصل ، فهي اذا كان المراد تخصيصه للمسند بالمسند اليه . كقولك : (زيد هو المنطلق ، زيد هو أفضل من عمرو ، أو خير منه زيد هو يذهب) (٣) .

وتبعه في ذلك الامام البيضاوي (٤) والشهاب واكد الامام الشهاب أنه : (يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه لا عكسه . كما ذهب اليه بعض شراح المفتاح وهذا مما اطلقوه وأثبتوه ، بقوله تعالى (كنت انت الرقيب عليهم) (٥) .

وذكر الامام الزمخشري انه لتخصيص المسند اليه بالمسند فقال عند شرحه لقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) . ان من فوائد ضمير الفصل ، : " ايجاب

(١) المعنى ، ج ٢ ، ص ٤٩٦

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ١٤٦

(٣) المفتاح ، السكاكي ، ص ٨٣

(٤) البيضاوي ، ج ١ ، ص ٦٥

(٥) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٢٥١

أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره^(١) . والى مثل هذا نهى
شرح التلخيص . وذكر ابن السبكي أن ما نهى اليه السكاكي ، إنما هو سهو
منه . فقال : " قول المصنف تخصيصه أى تخصيص المسند اليه بالمسند ، وهذه
العبرة هي الصواب . وأما قول السكاكي فى المفتاح تخصيص المسند بالمسند
اليه ، فهو سهو^(٢) .

ذكر الامام ابو حيان أن ضمير الفصل يأتى فى كل موضع ، يحتاج الى تأكيد
ورفع توهم من يتشكك فى المسند اليه الخبر ، أو ينازع فيه ، أو من يتوهم
التشريك : فقال عند تفسيره لقوله تعالى (أولئك هم المؤمنون) أن (الخال
هو فى مثل هذا التركيب أحسن ، لأنه محل تأكيد ورفع توهم من يتشكك فى
المسند اليه الخبر ، أو ينازع فيه ، أو من يتوهم التشريك فيه . ألا ترى
الى قوله تعالى : (أنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه هو أغنى
وأقنى^(٤) . وقوله " وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى وأنه أهلك عادا الأولى^(٥) ")
كيف أثبت هو دلالة على ما ذكر ، ولم يأت به فى نسبة خلق الزوجين
وأهلك عاد ، إذ لا يتوهم اسناد ذلك لغير الله تعالى ، ولا الشركة فيه
وأما الاضحاك والابكاء ، والاماتة والاحياء ، والاعناء والاقناء ، فقد يدعى
ذلك او الشركة فيه متوافق كذاب كنمرود . توأما قوله تعالى (وأنه هو رب
الشعري) فدخول هو للاعلام بأن الله هو رب هذا النجم ، وان كان رب كل
شئ ، لأن هذا النجم معبد من دون الله ، واتخذ لها ، فأتى بهو لينبئ
بأن الله مستبد بكونه ربا لهذا المعبود ، ومن دونه لا يشاركه فى ذلك أحد^(٦))
فذكر التوكيد هنا ، ولم يذكر معنى الحصر ، على الرغم من أن عبارته
الاخيرة تشير الى ارادة الحصر . وذكر ابن السبكي ان السهيلي استدلى على
افادة ضمير الفصل القصر ، بأنه يأتى فى كل موضع ، ادعى فيه نسبة المعنى

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٤٦

(٢) شرح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ١ ، ص ٣٨٨

(٣) سورة آية

(٤) النجم آية

(٥) النجم آية

(٦) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٤

الخاص بالله الى غيره . كقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) وذكر أن التنوخي
نهب الى مثل هذا ، الا أنه لم يذكر الحصر ، وجعل الضمير للتوكيد
ورد عليهما ، بقوله (وفيما قاله نظر ، لقوله تعالى : (وأنه هو أمات وأحيا)
خلاف ما زعماه ، وان كان الاماتة والاحياء قد نسب لغير الله تعالى ، كما
تضمنه قول النمرود : " أنا أحياي وأميت " فقوله تعالى (وانه خلق الزوجين)
لم يؤكد بالفصل مع أنه منه ، ثم ما قاله ليس بصحيح ، لان هذا الضمير
لا يصح اعرابه فصلا ، لان الفصل لا يقع قبل خبر هو فعل ماضى (١) . ويبدو لى أن
ما ذكره أبو حيان والسهيلي ، فى افادة ضمير الفصل القصر فى ذلك الموضع
صحيح ، ولكن ليس على سبيل التعميم ، بل انه معنى لطيف ، لافادة الفصل
القصر فى بعض المواضع .

واستدل ابن السبكي فى افادة الفصل القصر بقوله تعالى : (فلما توفيتنى
كنت انت الرقيب عليهم) ، لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل
رقيبا عليهم . وانما الذى حصل بتوفيه ، أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى
وذكر أنه لهذا المعنى وجب اعرابه فصلا ، واستشهد أيضا بقوله تعالى :
(لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) (٢) . ورأى أن
الضمير هنا يتعين كونه فصلا ، فلا يعرب مبتدأ ولا تأكيدا ، الا فى حالة
اعتبار ان القصر من تعريف الخبر . (٣)

(١) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ١ ، ص ٢٨٦

(٢) الحشر : آية (٢٠)

(٣) شروح التلخيص : ابن السبكي ، ج ١ ، ص ٢٨٦

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحية :

تتفق هذه الطرق في افادتها القصر - كما ذكرنا سابقا في بيان وجه افادة كل طريق القصر - وهذه الطرق وان اتفقت في افادتها القصر ، تختلف من وجوه عدة :

١ - ان التقديم يكون عن طريق الفحوى ، أى عن طريق الفهم والذوق السليم ، بمعنى أن صاحب هذا الذوق ، يعرف أن التقديم يفيد القصر، وان كان غير ملم بأساليب البلغاء . أما الطرق الثلاثة الاولى ، وهى العطف والنفى والاستثناء وانما ، فانها تدل على القصر بطريق الوضع ، لأن الواضع وضعها لمعان تفيد القصر .

٢ - الأصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت والمنفى ، ويترك فى مقام الاختصار لكراهة التطويل ، أما الطرق الثلاثة (انما - التقديم - النفى) فتدل على المثبت دون المنفى .

٣ - ان النفى بلا العاطفة لا يجامع النفى والاستثناء . فلا يصح أن نقول (ما على الا كاتب لا شاعر) ، ويجامع النفى بلا العاطفة التقديم ، وانما فيجوز أن تقول : (هو يأتينى لا زيد) .
وأن تقول : (انما محمد شاعر لا كاتب) .

لأن النفى فى انما والتقديم ضمنى ، فلا يقبح تأكيد ما تضمناه ، أما النفى بلا فهو بخلاف (ما والا) . فقد صرح فيهما بالنفى ، وليس الصريح كالضمنى . واشترط السكاكى فى مجامعة النفى بلا انما ، أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف . كما فى قوله تعالى : (انما يتذكر أولوا الألباب)^(١) ، فلا يجوز القول : (انما يتذكر أولوا الألباب لا السجها) .

أما الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فلم يجعله شرطا للمجامعة ، انما جعله شرطا للحسن . قال : (ومما يجب أن يعلم ، أنه اذا كان الفعل بعدها فعلا ، لا يصح الا من المذكور ، ولا يكون من غيره . كالتذكر الذى يعلم أنه

(١) سورة الرعد : آية : ١٩

لا يكون الا من أولى الالباب . لم يحسن العطف بلا فيه ، كما يحسن فيمما لا يختص بالمذكور ، ويصح من غيره تفسير هذا ، أنه لا يحسن أن تقول : انما يتذكر أولو الالباب لا الجهال ، كما يحسن أن تقول : (انما يجيء زيد لا عمرو) (١) ونهب البلاغيون الى أن هذا أقرب من قول السكاكي . لأنه لا دليل على امتناع أن يقال ، انما يفهم العاقل لا غيره عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد . أما مجامعة التقديم لانما ، فاختلِف في الذي يُسند اليه القصر قال بعضهم : أنه يُسند الى التقديم لانه أقوى ، وقيل يُسند الى انما لانها هي الأقوى . ويبدو لي أن نُقدم ما يقتضيه السياق والاسلوب . ولقد ذكر الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز فرقا بين انما ولا العاطفة . فقال : (أعلم انها - أي انما - تفيد في الكلام بعدها ايجاب الفعل بشيء ، ونفيه عن غيره . فاذا قلت : (انما جاءني زيد) ، عَقِلَ منه أنك أردت ، أن تنفي أن يكون الجائي غيره . فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك : (جاءني زيد لا عمرو) ، الا أنها مزية ، وهي أنك تعقل معها ايجاب الفعل لشيء ، ونفيه عن غيره . دفعة واحدة وفي حال واحدة . وليس كذلك الامر في : (جاءني زيد لا عمرو) ، فإنك تعقلهما في حالين . ومزية ثانية : وهي أنها تجعل الامر ظاهرا في أن الجائي زيد ، ولا يكون هذا الظهور اذا جعلت الكلام بلا . فقلت : جاءني زيد لا عمرو) (٢) .

٤ - ان أصل النفي والاستثناء أن يكون لأمر يجهله المخاطب وينكره

فلا يقال : (ما هو الا مخطيء) الا للشخص المنكر .

وكذلك اذا رأيت شيئا من بعيد ، فقلت : (ما هو الا زيد) ، لم تقل ذلك الا لاعتقاد المخاطب أنه ليس بزيد .

وكذلك يُستعمل النفي والاستثناء ، فيما اذا نُزِلَ المعلوم منزلة المجهول .

(١) دلائل الاعجاز ، ص ٢٢٩

(٢) دلائل الاعجاز ، ص ٢١٩ - ٢٢٠

كقوله تعالى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) . (١)

قصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على الرسالة ، لا يتعداها الى الخلود . ولقد حُوِّطِ الصَّحَابَةُ الكرام بهذا الخطاب انزالا لهم منزلة من أنكر هلاك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . كما سيأتى تحقيقه فى موضعه فى الباب الثانى ان شاء الله .

أما إنما فانها تسمى لخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحتة ، أو لما ينزل هذه المنزلة . فقولك للشخص : (انما هو أبوك) ، لايعنى أن ذلك الشخص جاهل بهذه الابوة أو يدفع صحتها ، وانما كان قصدك تنبيهه لواجب الأخوة وتذكيره بحرمتها .

ومنه قول المتنبى :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا

طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ (٢)

وعلق الشيخ عبدالقاهر على هذا البيت بقوله :

" لم يرد أن يُعلم كافورا أنه والد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبئني عليه استدعاء ما يوجب كونه بمنزلة الوالد (٣) .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لتخيل المتكلم ظهوره . قال الامام عبدالقاهر (٠٠) قد تدخل فى الشيء على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم ، ويدعى أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع " .

كقول الشاعر :

إِنَّمَا مَصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّيْلِ
(م) تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلَمَاءُ (١)

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٤

(٢) البيت : لاحد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والخطاب لكافور الاخشىدى .

(٣) دلائل الاعجاز ، ص ٢١٦

(٤) البيت لعبدالله بن قيس ، الرقيات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام .

ادعى الشاعر أن كون مصعب - كما وصفه - جلي واضح معلوم . وأهم مواضع
انما التعريض ، بمعنى أن لا يقصد بها نفس المعنى الظاهر . كقوله تعالى :
(انما يتذكر أولوا الألباب) (١) . فليس الغرض هو اعلام السامع ظاهر معنى
الاية ، ولكن الغرض ذم الكفار ، فهم من فرط عنادهم فى حكم من لاعقل له . (٢)
ولقد ذكر الدكتور محمد ابو موسى كلاما لطيفا فى معانى انما مؤداه : أن المعانى
التي تدخل عليها انما ، غالبا ماتكون معانى مألوفة ناعمة قريبة من النفس
ولاتدخل على الحقائق الغريبة والافكار البعيدة ، وهذا بخلاف ما وإلا ، فانها
تستعمل فى المعانى القوية الشديدة الوقع على النفس ، والتي يُسَمَعُ لها
جلبة ورنين ، والحقائق النادرة التي من شأن النفوس أن تنكرها ، وتقيم
دونها الأسوار . (٣)

-
- (١) الرعد : آية : ١٩ / الزمر : آية : ٩
(٢) ينظر فيما سبق ، دلائل الاعجاز ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢
شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ - ٢١٦
الايضاح تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ج ١ ، ص ٢١٧ - ٢٢٦
(٣) دلالات التراكيب ، محمد ابو موسى ، ص ١٥٠

الباب الثاني

أساليب القص في الثلث الأول
من القرآن الكريم

بعد أن انتهيت - بفضل الله - من البحث عن القصر من النواحي النظرية .
وعالجت قضاياها من حيث المعنى اللغوي والاملاحي وارتباطهما ببعض
كما تعرضت له من حيث الحقيقه والاضافه والصفه والموصوف .
وذكرت طرقه الاملاحيه وغير الاملاحيه سأشرع - ان شاء الله - في هذا
الباب في الناحية التطبيقية لمعرفة مدى انطباق القواعد النظرية - التي
قعدتها العلماء على الثلث الأول من القرآن ويشمل هذا الباب ثلاثة
فصول :

الفصل الاول :

- أ - النفي والاستثناء .
- ب - انما .

الفصل الثاني :

- أ - العطف .
- ب - التقديم .

الفصل الثالث :

- أ - ضمير الفصل .
- ب - تعريف الجزئين .

الفصل الأول

آ - أسلوب النفي والاستثناء

ب - أسلوب إنشائي

مع بيان

- نوع القصر في كل آية

- اسرار استعمالات كل في كل موضع

— (يُخَادِعُونَ اللَّهَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ) (١)

المقصور : الخدوع .

المقصور عليه : أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصرها اضافة ، قصر قلب .

سر القصر :

حاول المنافقون خداع الله ، والذين آمنوا ، باخفاء نفاقهم ، واطهار
ايمانهم . ولاظهار شناعة فعلتهم هذه ، جيء بأسلوب القصر . فقال تعالى :
(وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) . أى (أنهم ما يضررون بذلك الا أنفسهم . حيث
يغرونها بالاكاذيب ، فيلقونها فى مهاوى الردى) . (٢)

فهم حين يحاولون بفعلهم هذا خداع الله تعالى ، وخداع المؤمنين ، كأنهم
ينكرون أن يكونوا مخادعين لانفسهم . وخداع النفس أمر من شأنه أن ينكسر
المخاطب . فمن هنا جاء القصر بالنفى والاستثناء . على أن نفي المخادعة
عن حاولوا خداعهم ، وقصرها على أنفسهم ، فيه غاية الازدراء بهم ،
والانتقاص لفعالهم ، ومحاولتهم ، وتعجيب شديد من غباوتهم ، واطهار
لهم بمظهر العابث ، الذى لا يفكر فى العواقب ، ويجهل الطريق التى توصله
لغايبته ، ويرمى السهم الذى يرتد الى صدره ، فيصيب منه مقتلا نافذا . . .

— (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ،
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (٣)

المقصور : الاضلال

المقصور عليه : الفاسقون

(١) آية (٩)

(٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٣) آية (٢٦)

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

ذكر علماء البلاغة ، أن النفي والاستثناء ، يأتي لأمر ينكره المخاطب ، أو ما يُنزل هذه المنزلة ، أو لأمر يجهله المخاطب ، أو ما يُنزل هذه المنزلة ولكن الامام أبا السعود - عند تفسيره لهذه الآية - يلفتنا الى نوع جديد ، وهو أن المخاطب في الآية غير مُنكر ، ولا مُنزل مُنزل من ينكر . بل كأن المخاطبين ، كانوا يعلمون أن الاضلال للفاسقين . فجاء القصر لتأكيد هذا المعنى ، وزيادة تعيينه . حيث ذكر أن في الآية (زيادة تعيين لمن أريد اضلالهم ، ببيان صفاتهم القبيحة المستتعبة له ، وإشارة الى أن ذلك ، ليس اضلالا ابتدائيا ، بل هو تثبيت على ما كانوا عليه في فنون الضلال) (١)

وهو قصر حقيقي فيه مبالغة ، اذا كان المقصود بالفاسقين هنا هم اليهود لانهم اهل كتاب يعلمون اساليب الكتب السماوية في ضرب الامثال فانكارهم اياها ، مع علمهم بها ، قمة الضلال . فكانه لاضلال سواه .

— (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ، إِلَّا أَمَانِيٌّ . وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) . (٢)

المقصور : هم

المقصور عليه : يظنون

قصر موصوف على صفة قصر اضاфия ، قصر قلب ، أما قوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى) .

(١) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ٧٥

(٢) آية ٧٨

فالاستثناء فيه - كما ذكر الامام الزمخشري^(١)، وأبوحيان^(٢)، والقرطبي^(٣)،
وأبو السعود^(٤) - استثناء منقطع، لأن الأمانى ليست من جنس علم الكتاب
ولا تندرج تحت مدلوله. والاستثناء المنقطع لا يفيد القصر، وإنما يفيد الاستثناء المفرغ.

سر القصر :

صور لنا السياق القرآنى صورة مؤمنين . عندهم أمل فى اهتداء اليهود
مع ارتجاء الخير منهم . فهم بذلك كأنهم يجهلون صفاتهم القبيحة ، من
الاعراض عن الكتاب بعد معرفتهم ما فيه من الحق ، ومن خداعهم للذين
آمنوا ، باظهارهم الايمان وابطانهم للكفر .

فجاء الخطاب للمؤمنين يحذرهم من اليهود ، وابتدأ هذا التحذير
بالاستفهام الانكارى ، فقال تعالى (أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ، وَقَدْ كَانَ
فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ .
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ)^(٥)
وفى هذا السياق جاء القصر ليكشف حقيقة فريق آخر منهم ، حيث قصره على
الظن ، لينبه المؤمنين بقوة ، الى أن من كانت هذه صفاته فلا أمل فيه ،
ولا خير يرتجى منه . أى (ما هم الا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد ، من غير
أن يصلوا الى رتبة العلم . فأنتى يُرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد
اليقين)^(٦) .

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٩٢ .

(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٥٠ . / هو ابو عبدالله محمد بن احمد
بن ابى بكر بن فرج الانصارى الخزرجى القرطبى وحكى فى تفسيره مذاهب
السلف كلها توفى سنة احدى وسبعين وستمائة / شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ .

(٤) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٥) آية ٧٥ - ٧٦ .

(٦) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ص ١١٩ .

— (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً . قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ، فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١)

المقصور : مساس النار

المقصور عليه : الايام المعدودة

وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

اعتقد اليهود أنهم أحباب الله ، وأنهم مهما ارتكبوا من ذنوب فيكون مصيرهم الجنة . فهم هنا يخاطبون من أنكر عليهم دخول الجنة ، وأثبت لهم التأبيد في النار . فأرادوا تأكيد بطلان ما ذهب اليه فجاءوا بأسلوب النفي والاستثناء ، لاثبات ادعائهم وتأكيدهم . وحتى يتخلى المخاطب عن انكاره ، ويستقر في اعتقاده ، أن عدم تخليدهم في النار أمر حقيقي لا مجال للشك فيه . فكان في بيان همتهم بمراد الطريق ، قلباً لاعتقاد المؤمنين ، وتحذيراً سيدياً ، وتذكيراً مورياً لملكائهم . وزيادة في تأكيد ما دعوه وصنعوا الأيام بقولهم معدودة معبرين بذلك عن القلة (يعنى أن الوصية به مؤول بالقلّة) . (٢)

— (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ، وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) (٣)

(٢) حاشية الشراب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(١) آية (٨٠)

(٣) آية (٨٣)

- المقصور : المعبود
- المقصور عليه : لفظ الجلالة
- قصر صفة على موصوف قصرًا اضافيًا • قصر افراد

سر القصر :

كان اليهود يعلمون أن العبادة يجب أن تكون لله وحده • بدليل ان الله سبحانه وتعالى أخذ عليهم وعلى اسلافهم الميثاق بذلك • فقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا ۞۞ بصيغة الماضي • وفي هذا دليل على معرفتهم بوجود تفرد الله بالعبادة • ولكنهم عندما اتخذوا العجل اشركوا مع الله غيره ، ونسوا ما أخذ عليهم من الميثاق • وبذلك صاروا منكرين لتفرد الله بالعبادة فجاءت الآية تذكرهم بنص ذلك الميثاق • ولأن أمر التفرد ، هو الذى وقع عليه الانكار • جاء التذكير به عن طريق القصر • وجعلت جملة القصر مبدوءة بأسلوب الالتفات - لمن قرأ تعبدون بالتاء - (وحكمته الاقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول ، وأقرب للامثال • اذ فيه الاقبال من الله على المخاطب بالخطاب) (١) .

ولشدة انكارهم فاجأهم بأسلوب النفي والاستثناء ، فنفي العبادة عن غيره - كعبادة العجل - واكدها وأفردها لذاته العليا ، وجعل المستثنى اسما ظاهرا لأن (فى العدول الى الاسم الظاهر من الفخامة ، والدلالة على سائر الصفات ، والتفرد بالتسمية به ما ليس فى المضمرة) (٢)

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨٢

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٣

— (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ • ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَقًا
مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ
يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (١)

المقصور : الجزاء .

المقصور عليه : الخزي

قصر موصوف على صفة قصرا اضافيا قصر قلب .

سر القصر :

ان من أبرز سمات بنى اسرائيل نقضهم للمواثيق ، وعدم وفائهم بها
ففي هذه الاية ، أخذ الله الموثيق من بنى اسرائيل ، بأن لا يقتل اليهودى
اليهودى ، ولا يخرجهم من داره ، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبـد
الاوثان • وأن يفدى بعضهم بعضا من أى قبيلة كانوا • فقد جاء فى التوراة :
انك لا تجد مملوكا من بنى اسرائيل ، الا أخذته فأعتقته .
وحدث أن نشبت الحرب بين الاوس والخزرج ، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس ،
وبنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج ، فأخذ كل فريق يقاتل مع حلفائه
فيقتل اليهودى اليهودى • - وفى هذا انكار لما جاء فى الميثاق - ثم بعد
انتهاء الحرب ، يأخذ اليهود بافتداء الاسرى عندهم ، أو عند حلفائهم
أو عند اعداء حلفائهم ، (٢) ووطنوا أنهم قد عملوا بما جاء فى التوراة ، وأنهم
بذلك أهل للتكريم ، والتفضيل ، وحسن الجزاء • ولاعتقادهم هذا ، جرى
بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، حيث قصر جزاؤهم على الخزي ،

(١) آية ٨٤ - ٨٥

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٢

وهو وصف جامع لجميع أنواع العذاب ، ونُفي عنهم الاكرام ، والتفضل بالعفو والمغفرة . قلبا لاعتقادهم ، وقطعا لاطماعهم ، وتحقيرا لصنيعهم ذكر الامام ابوالسعود : (ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر ، لقطع اطماعهم الفارغة ، من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب ، واطهاراً أنه لا أثر له أصلاً ، مع الكفر ببعض) .^(١)

— (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)^(٢)

المقصور : الكفر .

المقصور عليه : الفاسقون .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقياً . تحقيقياً .

سر القصر :

أنكر اليهود الايمان بما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من البينات وزعموا أنهم مؤمنون بكتاب ، لاجابة لهم بهداية في غيره . فجاء القرآن بأسلوب النفي والاستثناء ، لأنه يواجه مخاطباً شديد الانكار . فكان لابد أن يُقابل انكارهم هذا بأسلوب أشد ، فنفي الكفر عن كل من عدا المقصور عليه ، وأثبتته لنوع خاص هم الفاسقون مبالغة في الذم والتحقير ، وهو قصر حقيقى . لأن الواقع يشهد بأنه لا يكفر بهذه الايات الا من كانت عقيدته فاسدة . وقصر الكفر على الفاسقين دون غيرهم ، لشمول هذا الوصف كل ممعن في الكفر (الفاسقون) هم المتمردون في الكفر ، الخارجون عن الحدود ، فإن من ليس على تلك الصفات من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات . قال الحسن : اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي ، وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره . فاذا

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ١٢٦

(٢) آية (٩٩)

قيل هو فاسق في الشرب ، فمعناه هو أكثر ارتكابا له (١).

— (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ (٢) وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣) .

المقصود : الضرر .

المقصود عليه : كونه بإذن الله

قصر موصوف على صفه ، قصر قلب .

سر القصر :

لما أنعم الله سبحانه وتعالى على رسوله بالنبوة . أنكر ذلك بنو إسرائيل ، حسدا منهم له ، وبغيا عليه ، فجددوا نبوته ، وما جاء به ، مع علمهم الاكيد بأن لله رسولا مرسلًا . صدقا لما معهم من التوراة ، واتبعوا ما اتبع أسلافهم ، مما تلت الشياطين في عهد سليمان (٤) واعتقدوا وجزموا أن ما جاء في كتاب آصف ، وما كان من سحر هاروت وماروت ، أفضل مما ورد في القرآن والتوراة الصحيحة . وكذلك اعتقدوا أن ما جاءوا به من السحر ينفع

(١) روح المعاني، ج ١ ، ص ٣٣٤

(٢) ذكر الامام الطبري ج ١ ص ٣٥٩-٣٦٠ انهما كانا ملكين من الملائكة ، فأهبطا ليحكما بين الناس ، وذلك ان الملائكة سخروا من احكام بنى آدم قال فحاكمت اليهما امرأة فحافا لها ، ثم نهبا يصعدان فحيل بينهما ما وبين ذلك وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا .

(٣) آية (١٠٢)

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ، ابي جعفر محمد بن جرير البطري م ١ ، ص ٣٥٤

ويضر بذاته . فهو المتصرف والمتحكم الحقيقي في حياة البشر ، لا ماجاء به محمد من القرآن .
ولقلب اعتقادهم هذا ، جىء بأسلوب النفي والاستثناء - لما لهذا الأسلوب من خاصية اقتلاع الإنكار من جذوره - لينبه العقول في قوة وشدة الى أن الضر والنفع بيد الله وحده .
فَنَفَى القدرة على الحاق الضر عن جميع الكائنات ، وأثبت هذا الفعل لمشيئة الله واذنه .

— (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ مَادِقِينَ) (١)

المقصود : دخول الجنة .

المقصود عليه : اليهود / النصارى

قصر صفة على موصوف قصرًا اضافيًا ، قصر قلب .

سر القصر :

اشتد النزاع بين اليهود والنصارى ، ورمى كل فريق منهما الآخر بالكفر والضلال ، وبعدم دخول الجنة . (٢) ولشدة النزاع القائم استخدم كل منهما نفس السلاح ، فاستخدما أسلوب النفي والاستثناء ، ليقطع كل منهما به حجة الآخر ، فحاول اليهود قلب معتقد النصارى ، فنفوا أن تكون الجنة لهم ، وأثبتوها لانفسهم ، وكذلك فعل النصارى ، فاستخدموا نفس الأسلوب لأنه أقوى الأساليب في مواجهة التحدى . فكان القصر قصر قلب ، لأن كلاً من الفريقين يعتقد اعتقادًا جازمًا - لا مجال للشك فيه - ان الجنة خاصة به .

(١) آية (١١١) .

(٢) اى قالت اليهود ان يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى ان يدخل الجنة الا من كان نصارى ، فلف بين القولين ثقة ان السامع يرد كلا منهما الى قائله / تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٤٦

— (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١)

المقصود : الدخول

المقصود عليه : حال الخوف

أى ما ينبغى ان يدخلوها فى حال من الاحوال الاحال الخوف فهو من قصر
الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا فيه مبالغة أو هو قصر قلب .

سر القصر :

منع المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعاء الى
الله بمكة ، وألجؤوه الى الهجرة . (٢) وفى هذا جهل وعدم احترام لحرمة
هذه المشاعر . لذا جىء بأسلوب النفي والاستثناء ، لتوبيخ وتحقير كل من
يحاول تعطيل مساجد الله . حيث قصر الدخول على حالة الخوف ، دون التخريب
والمنع . أى ما كان الحق أن يدخلوها الا بخشية وخضوع ، فضلا عن الاجترار
على تخريبها وتعطيلها . أو ما كان الحق أن يدخلوها الا على حال التهيب
وارتعاد الفرائض من جهة المؤمنين أن يبسطوا بهم . فضلا ان يستولوا
عليها ، ويلوها ويمنعوهم منها . ولكنه ظلم الكفرة وعتوهم . (٣) وعلى هذا
يكون القصر قصر قلب .

أو ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه ، أن يدخلوها الا على حال الخوف
دون غيرها . وبذلك يكون قصرا حقيقيا فيه مبالغة ، ويكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص ما استولى عليه الكافرون .

(يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح ، انه ينصر المؤمنين ويقويهم ،
حتى لا يدخلوها الا خائفين) . (٤)

(١) آية ١١٤

(٢) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٠٦

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١)

المقصور : الرغبة عن ملة ابراهيم .

المقصور عليه : السفهاء .

قصر الرغبة عن ملة ابراهيم على السفهاء . لا تتعداهم الى غيرهم من العقلاء .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

حكى السياق القرآنى موقف المنافقين وموقف المشركين ، وكذلك موقف اليهود والنصارى من الرسالة المحمدية . وتَشَبَّثَ كل منهم بموقفه ، وأن ما يَدْعُوهُ أفضل مما جاء به محمد عليه السلام . وليحسم القرآن الموقف ، قرر أن الصحيح ما جاء به محمد عليه السلام . فهو الموافق لملة ابراهيم الخليل الذى أخلص العبادة لله وحده ، ولم يَدْعُ معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف فى ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من ابيه فقال : (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .^(٢)

فهذه هى العقيدة الصحيحة ، لا ما يَدْعِيهِ المشركون وغيرهم من اشراك غيره معه . وللتحذير من الوقوع فيما يدعيه هؤلاء ، جئء بأسلوب القصر فى هذه الآية لتفريع وتوبيخ كل من يحاول الانحراف والابتعاد عن ملة ابراهيم الحنيف . وجئء ب (من) الاستفهامية المتضمنة لمعنى النفى ، لانكار واستبعاد أن يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته ، التى هى الحق الصريح والدين القويم . فلا يرغب عنها الا من سفه نفسه وأذلها ، واستخفبها ، لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه أحد من العقلاء ، فقد بالغ فى اذلال نفسه واهانتها ، حيث خالف بها كل نفس عاقلة .^(٣)

(١) آية (١٣٠) (٢) سورة الانعام آية ٧٨-٧٩

(٣) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

— (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) .. (١)

المقصود : الجعل.

المقصود عليه : علم من يتبع الرسول ، ممن ينقلب على عقبه

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

والاستثناء في الآية مفرغ من أعم العلل ، أي وما جعلنا ذلك لشيء من الأشياء
الا لنتحن الناس (٢)

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة
من بيت المقدس - وهي قبلة اليهود - الى البيت الحرام . أنكر اليهود أمر
التحويل تعصباً لقبلة آبائهم . وقاموا بالتشكيك في أمر الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ونسبوا أمر التحويل الى البطلان والسفه . - لأن النسخ عند اليهود
باطل - (٣)

فجىء بالنفي والاستثناء لقلب معتقدهم هذا ، ببيان الغرض الحقيقي
من تحويل القبلة ، وهو الامتحان والاختبار . لا ما ادعوه من البطلان والسفه
أي ما جعلنا القبلة فيما مضى هي الجهة التي كنت عليها الى اليوم ، ثم
أمرناك بالتحويل الى الكعبة ، الا لنتحن الناس ، أي نعاملهم معاملة من
يمتحنهم ، ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في انفاذ أمر التوجه ، ممن يتردد
عن دين الاسلام ، بعدم تقبل الامر وانكاره .

وفي مجىء القصر هنا ما يشعر بالتهديد الشديد ، والتحذير العظيم من الميل
عن جادة الحق ، مما يوقظ المشاعر ، وينبه العقل الى وجوب اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم .

(١) آية (١٤٣) (٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٣٣

(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤١٩

— (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (١)

المقصود : اله .

المقصود عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا . أو هو قصر افراد .

سر القصر :

كانت الآيات السابقة تواجه عقيدة منكرة لوحانية الله أشد الانكار .
وفى هذه الآيات أراد الله سبحانه وتعالى ذكر أدلة قدرته ووحانيته ،
ليمحو كل أثر للانكار ، فكان لابد قبل ذكر هذه الأدلة ، من ازالة
كل اعتقاد باطل ، ليمهد الطريق لذكر هذه البراهين ، حتى تتقبلها النفس
بايمان و يقين ، وذلك ادعى الى التصديق . فجئ بأسلوب النفي والاستثناء
لتخصيص الله سبحانه وتعالى بالألوهية ، ونفيها عن كل منعداه فالخطاب
عام لكافة الناس .

وذكر الامام أبوحيان أنه (لما قال تعالى والهكم اله واحد ، أمكن أن يخطر
ببال أحد ، أن يقول هب أن الهنا واحد ، فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا
فلا جرم أزال ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق ، فقال لا اله الا هو ،
فقوله لا اله يقتضى النفي العام الشامل ، فاذا قال بعده الا لله ، أفاد
التوحيد التام المطلق) . (٢)

وكذلك ذكر الامام ابوالسعود أن القصر هنا : (مقرر للوحدانية ، ومزيح

لما عسى يتوهم أن فى الوجود الهها لكن لا يستحق العبادة) (٣)

فعلى المعنى الاول يكون القصر حقيقيا تحقيقيا . اما على الاعتبار الذى ذكره
الامام ابوحيان والامام ابوالسعود ، فالقصر اضافى ، قصر افراد .

(١) آية (١٦٣)

(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٦٣

(٣) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ص ١٨٣

— (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (١)

المقصود : السماع .

المقصود عليه : الدعاء والنداء .

قصر صفة على موصوف لأن ما بعد الا وقع مفعولا به (٢) قصرا حقيقيا ، فيسه
مبالغة .

سر القصر :

لما حكى القرآن عن الكفار ، أنهم عند الدعاء الى اتباع ما أنزل
الله ، تركوا النظر والتدبر ، وأخلدوا الى التقليد ، وقالوا بل نتبع
ما ألفينا عليه آباءنا . وفي هذا تصميم على انكار الاتباع . ضرب لهم
هذا المثل تنبيها للسامعين لهم ، أنهم انما وقعوا فيه بسبب ترك الاصغاء
وقلة الاهتمام بالدين . فصيروهم من هذا الوجه بمنزلة الانعام ، (٣) وليزيد
السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويقرر ويؤكد انصرافهم عن الحق ، جسيء
بالنفي والاستثناء ، فقصر السماع على الدعاء والنداء مع عدم الفهم .
أي " ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينطق ومثل داعيهم الى الايمان في أنهم
لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ، ودوى الصوت ، من غير القاء أذهان ،
ولا استبصار ، كمثل الناعق بالبهائم التي لاتسمع الا دعاء الناعق ، ونداءه
الذي هو تصويت بها ، وزجر لها ، ولا تفقه شيئا آخر ، ولا تعي كما يفهم
العقلاء ويعون " (٤) .

فقصر القرآن سماعهم على الدعاء والنداء مع عدم الفهم ، " ليحقر
الى الكافر نفسه ، اذا سمع ذلك . فيكون كسرا لقلبه وتضييقا لصدره . حيث
صيره كالبهيمة . فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه ، عن أن يسلك
مثل طريقه " (٥) .

(١) آية (١٧١) . (٢) الفخر الرازي ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ٨

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٢٨

(٤) الفخر الرازي ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٧٩

— (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). (١)

المقصور : الماء كقول .

المقصور عليه : النار .

قصر صفة على موصوف قصرًا اضافيًا ، قصر قلب .

سر القصر :

كان اليهود يعرفون حق المعرفة ، أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
حق ، وأن محمدًا هو النبي الخاتم . فقد ذكرت التوراة صفاته ، وشهدت
له بالرسالة والنبوة ، ولكنهم كتموا ذلك ؛ لثلاث تذهب رياستهم ، وما كانوا
يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف ، (٢) وظنوا أنهم بذلك يربحون من وراء
شرائهم بآيات الله ، وأن هذا يجعلهم في طمأنينة وراحة ، فباعوا أنفسهم
بذلك ، واعتاضوا عن الهدى ، واتباع الحق ، وتصديق الرسول والایمان
بما جاء ، بذلك النذر اليسير . (٣) فجاء القصر ليُبطل لهم هذا
الاعتقاد ، ويفاجئهم بحقيقة ربهم . فقصر الأكل على النار ، مبالغة في
تجسيم شدة التهديد والوعيد لهم لشنيع فعلهم .

— (وَقَاتِلُوهُمْ (٤) حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (٥)

(١) آية (١٧٤) . (٢) تفسير ابن كثير ، م ١ ، ص ٣٦٣

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) " أمر بالقتال لكل مشرك حتى كل موضع ، على قول من رآها ناسخة ومن رآها
غير ناسخة . قال : المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم : فان قاتلوكم
والاول اظهر وهو أمر بقتال مطلق ، لابتشر ان يبدأ الكفار ، دليل ذلك
قوله : (ويكون الدين لله) / انظر المحرر الوجيز . ج ١ ص ٥٣٦ / القرطبي ج ٢ ص ٣٥٣

(٥) آية ١٩٣ .

المقصور : العدوان .

المقصور عليه : الظالمين .

قصر موصوف على صفت ، قصر افراد .

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين بقتال الكافرين مطلقا حتى تكون كلمة الله هي العليا . وضع لهم حدا في ذلك ، بأن بين لهم أن سبب القتال هو الكفر ، لانه قال (حتى لا تكون فتنة) ، فان انتهى هؤلاء الكافرون عن كفرهم باعلان الاسلام ، أو بأداء الجزية في حق أهل الكتاب ، وجبر رفع القتال عنهم . وأكد هذا الحد ، حيث جاء به عن طريق النفس والاستثناء ، فقصر العدوان على الظالمين منهم ، الذين لم يعلنوا اسلامهم أو رفضوا اعطاء الجزية . أي (فلا تعدوا على المنتهين ، لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ، فوضع قوله الاعلى الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين) (١) .

وسمى ما يمنع بالظالمين عدوانا ، من حيث هو جزاء عدوان ، فالظلم يتضمن العدوان ، فسمى جزاء الظالمين ظلما للمساكلة . (٢) كما في قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) . (٣)

— (كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . (٤)

(١) الكشاف ، م ، ١ ، ص ٣٤٢ .

(٢) انظر الكشاف ، م ، ١ ، ص ٣٤٢ / القرطبي م ، ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ ، البيضاوي

ج ١ ، ص ٢٢٢ / فتح القدير ، م ، ١ ، ص ١٩١ .

(٣) الشورى ، آية : ٤ .

(٤) آية ٢١٣

المقصور : الاختلاف .

المقصور عليه : الذين أوتوه .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً . أو هو قصر افراد .

سر القصر :

كان الناس في عهد آدم عليه السلام أمة واحدة مقرين بالعبودية حين أخذ الله عليهم العهد ، ثم اختلفوا بعد ذلك (١) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّسَالَ ، لِيَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ فِيمَا اختلفوا فيه (٢) . ولكنهم جعلوا الكتاب المنزَّل لحسم الخلاف ، سببا في استحكامه حسدا وبغيا وحرصا على زينة الحياة الدنيا (٣) وهذا أمر في غاية الفداحة .

لذا جيء بالنفي والاستثناء ، وقصر الاختلاف على الذين أوتوه ، لا يتعداه الى غيرهم ، قصرًا حقيقياً تحقيقياً وفي هذا عظيم التوبيخ والاستنكار ، لأن الاختلاف عندما يأتي عن جهل وعدم معرفة لاغرابة فيه ، ولكن عندما يأتي عن علم ومعرفة ، فهو أمر شنيع عظيم .

أو هو قصر افراد ، وذلك اذا لوحظ في قوله (بغيا بينهم) أن المخاطب ظن أن الاختلاف وقع بين من أوتوه وغيرهم بسبب البغي ، فقصرت الآية الاختلاف على الذين أوتوه متصفين بصفة البغي بينهم .

(١) روى الحاكم في مستدركه قال (أخبرني ابونصر محمد بن احمد بن عمير الخفاف ثنا احمد بن سلمة ثنا محمد بن بشار ثنا ابوداود ثنا همام عن قتاده عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك في قراءة عبدالله كان الناس أمة واحدة فاختلوا / المستدرک کتاب التاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٤٦

(٢) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٣) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٣٥٥ / البيضاوي ، ج ١ ، ص ٢٣٢

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَاتَهُنَّ حَوْلِينَ كَمَا مَلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۗ ﴾ (١)

المقصود : التكليف

المقصور عليه : الوسع

قصر موصوف على صفة قصر افراد.

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى الوالدات ، أن يرضعن أبناءهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وأمر الوالد بالانفاق والكسوة ولأن هذا الأمر تكليفي ، قد يظن المخاطبون أن الله يكلفهم بما يطيقونه وبما لا يطيقونه ، فجاء النفي والاستثناء لتأكيد أن التكليف مقصور على الوسع والطاقة ، حيث قصرت الآية تكليف النفوس على الطاقة والوسع ، ونفته عن عدم الطاقة والمشقة .

أى أنه لا يكلف واحدا منهما ما ليس في وسعه . (٢) وأن هذه النفقة والكسوة الواجبتان على الأب بما يتعارفه الناس لا يكلف منها الا ما يدخل تحت وسعه وطاقته ، لا ما يشق عليه ويعجز عنه . وقيل لا تكلف المرأة الصبر على التقدير في الاجرة . ولا يكلف الزوج الاسراف ، بل يُراعى في ذلك القصد (٣) .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٤)

(١) آية (٢٣٣)

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٧٠

(٣) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٤٤

(٤) آية ٢٥٥

في الآية الكريمة ثلاثة اساليب للقصر الاول في قوله تعالى :

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) .

المقصور : الالهيه .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

والثاني في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) والقصر هنا عن طريق التقديم .

المقصور : الذي في السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفة قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

والثالث في قوله تعالى (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

المقصور : الاحاطه .

المقصور عليه : المشيئة .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

نحن أمام آية عظيمة الشأن رفيعة القدر فهي سيدة أي القرآن (١) ، بل

(١) روى الحاكم ابو عبيده في مستدركه : " حدثنا علي بن حمشاد العدل ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، حدثني حكيم بن جبير الاسدى عن ابي صالح عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن ، لأتقرأ في بيست وفيه شيطان الاخرج منه . آية الكرسي . / المستدرک ، كتاب التفسير ، ج ٢

أعظم آية فيه ، فقد حوت اسم الله الأعظم ، الذي اذا دُعِيَ به أجاب (١) وأنها تعدل ربع القرآن (٢) وأنها حرز للانسان من الشيطان (٣).

ولعل السر في عظم هذه الآية الكريمة ، أنها حوت جوهر العقيدة وأساسها ، مؤكداً بأعظم أساليب التأكيد. مما يدل على وجوب اخلاص العبودية لله وحده . فقد اشتملت على توحيد الله وتعظيمه ، وتمجيده وصفاته العظمية واشتملت على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله عز وجل. وذلك أنها اشتملت على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ، ظاهرا في بعضها ، مستكنا في بعض . فالأول: الله ، والثاني : هو ، الثالث: الحي ، الرابع: القيوم

(١) روى الامام احمد : (حدثنا عبدالله حدثني محمد بن بكر ، أنا (أنبأنا) عبيدالله بن ابي زياد ثنا شهر بن حوشب - عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاذين الآيتين الله لا اله الا هو الحي القيوم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم ان فيهما اسم الله الاعظم . / مسند الامام احمد من حديث أسماء بنت يزيد ، م ٦ ، ص ٤٦١ .

(٢) عن انس - قال الامام احمد : حدثنا عبدالله حدثني ابي ثنا عبدالله بن الحرث قال حدثني سلمة بن وردان أن أنس بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلا من صحابته فقال أى فلان هل تزوجت قال لا وليس عندي ما تزوج به قال أليس معك قل هو الله احد قال بلى . قال ربع القرآن . . . قال أليس معك آية الكرسي الله لا اله الا هو قال بلى قال ربع القرآن / مسند الامام احمد مسند انس بن مالك ، م ٣ ، ص ٢٢١ .

(٣) ويدل على ذلك حديث الصدقة من حديث أبي هريره انه قال: " وكلنسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو ، وذكر قصة ، وفي آخرها انه قال له : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي . قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - فأخبر ابو هريره بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أما انه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب يا أبا هريره ؟ قال : لا قال : ذلك شيطان كذا . / صحيح البخارى كتاب الوكالة باب ان وكل رجلا فترك الوكيل شيئا ج ٣ ، ص ١٣٢ ، وباب فضائل القرآن ، فضل البقرة . ج ٦ ص ٢٣٢ .

الخامس: لا تأخذه ، السادس: ضمير له ، السابع: ضمير عنده ، الثامن: ضمير
الاباذنه ، التاسع: ضمير يعلم ، العاشر: ضمير علمه ، الحادي عشر: ضمير شاء ،
الثاني عشر: ضمير كرسيه ، الثالث عشر: ضمير ولا يثوده ، الرابع عشر:
وهو ، الخامس عشر: العلى ، السادس عشر: العظيم ، . فهذه عدة الأسماء
البينية ، وأما الخفى فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر ، فى قوله حفظهما
فانه مصدر مضاف الى المفعول ، وهو الضمير البارز . ولا بد له من فاعل
وهو الله . ويظهر عند فك المصدر ، فنقول : ولا يثوده أن يحفظهما هو .^(١)
وجيء فيها بثلاثة اساليب للقصر ، لتوكيد توحيده ، واخلاء العبودية له وحده
فابتدئت بقوله تعالى :

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) .

وشملت جملة القصر هذه على خمسة من اسماء الله الحسنى ، لتأكيد أنه المستحق
للعبادة لاغيره ، فهو المعبود بحق دون سواه ، وهو الحى الذى له
الحياة الدائمة ، والبقاء الذى لا أول له يحد ، ولا آخر له يؤمد^(٢)
وهو القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه .^(٣)
ثم جيء بأسلوب آخر للقصر عن طريق التقديم ، فقدم الخبر (له) على المبتدأ
(ما فى السموات وما فى الارض) لتقرير قيوميته سبحانه وتعالى ، واحتجاج به على
تفرده فى الالهية . والمراد بما فىهما أى ما يوجد فيهما ، داخلا فى حقيقتهما
أو خارجا عنهما ، متمكنا فيهما ، وهو أبلغ من القول «له السموات والارض وما
فيهن» .^(٤)

فهو مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد ، وخالقه جميعه دون كل آلهة ومعبود
فلا ينبغى العبادة لشيء سواه .^(٥)

(١) الكشاف ، حاشية الجرجاني م ١ ، ص ٣٨٦

(٢) الطبرى ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٤

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٨٤

(٤) انظر البيضاوى ، ج ١ ، ص ٢٥٨ / تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٨

(٥) انظر الطبرى ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٦

ثم جي بقصر ثالث في قوله تعالى : (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) ، فالقصر هنا يُشعر بأنه سبحانه وتعالى يعلم كل شيء . وهذا يفيد أنه لا يعلمه غيره ، ومجموعهما دال على تفردته تعالى بالعلم الذاتى المطلق ، الذى هو من أصول صفات الكمال ، التى يجب أن يتصف بها الاله تعالى شأنه بالفعل . (١)

ولشمول هذه الآية لهذه الاساليب المؤكدة لأوهية المولى عز وجل ، ولصفاته وتقرر وجوب توحيده ، واخلاص العبادة له . حق لها أن تكون أعظم آى القرآن . وحق أن يكون لها ذلك الفضل العظيم .

— (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا (٢) فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (٣) .

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر الاول : عن طريق التقديم فى قوله تعالى : " ومنه تنفقون " . أى تخصونه بالانفاق . (٤) هذا على رأى الامام ابوالسعود والشوكانى .

(١) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ٨
 (٢) قرا جمهور الناس " الا أن تغمضوا " بضم التاء ، وسكون الغين وكسر الميم . وقرا الزهرى بفتح التاء ، وكسر الميم مشددة ، وحكى مكى عن الحسن " تَغْمَضُوا " مشددة الميم مفتوحة وبفتح التاء ، وقرا قتادة (تَغْمَضُوا) بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا . قال ابو عمرو : معناه الا ان يغض لكم / المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) آية ٢٦٢
 روى الحاكم فى مستدركه ان الآية نزلت فى الانصار : (كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل من حيطانها اقنأء البسر فيعلقونه على حد رأس اسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فيعمد أحدهم فيدخل قنو الحشو يظن انه فى كثرة ما يوضع من الاقنأء فنزل فيمن فعل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ الا ان تغمضوا فيه ، هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه / المستدرک كتاب التفسير ، ج ٢ ، ص ٢٨٥

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٣٩٦

حيث ذكر الامام ابوالسعود ، أن التقديم هنا للتخصيص ، (أى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه ، أو من الخبيث أى مختصا به الانفاق . وأيضا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم ، بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب) (١) . والى مثل هذا ذهب الامام الشوكاني . (٢)

ويبدو لى أنه لا قصر كما سأوضح فى فصل التقديم .

والقصر الثانى فى الآية ، عن طريق النفى والاستثناء . فى قوله تعالى : " وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ " ،

المقصور : الاخذ

المقصور عليه : حال الاغماض .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالانفاق ، أخذ الانصار ، يخلطون بعض الثمار الخبيثة بالثمار الصالحة ، ظناً منهم ان ذلك جائز فجاءت الآية : " وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ " . فنزلت حال من ينفق الخبيث ، حال من يكون على استعداد لأن يأخذ الخبيث مع الرضا به ، ومع التسامح فيه ، فنبهتهم الآية الى حقيقة ما هم عليه ، من أنهم لا يأخذون الخبيث الا مع الاغماض . فاذا كان حالهم كذلك ، فكيف يجودون به على غيرهم . وفى هذا توبيخ لهم .

(١) تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٢٦٠

(٢) فتح القدير ، م ١ ، ص ٢٨٩

هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولى قضاءها ومات حاكما بها . ولد سنة ١١٢٣ هـ وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ / الاعلام ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

— (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا الْأُولُو الْأَلْبَابِ). (١)

المقصود : التذکر
المقصود عليه : أولو الالباب .
قصر صفة على موصوف ، قصر افراد .
سر القصر :

لما ذكر السياق قصة المنفقين الذين خلطوا الصدقة الطيبة بدها .
حذرهم من ذلك ونبههم الى ما وقعوا فيه ، وزيادة في التحذير من الوقوع فى
مثل هذه الافعال القبيحة ، وترغيبهم فى الاستجابة الى موعظة الله ، أعلى
من شأن المستجيبين لتحذيره ، بأن ذكر أن ايتاء الحكمة ، وهى الاصابة
فى القول والفعل من الله سبحانه وتعالى- يعطيها لمن يشاء من عباده ،
فمن أُعْطِيَ الحكمة فقد أُعْطِيَ خيرا كثيرا .

ثم أكد ذلك بقصر التذکر والاعتبار على أولى العلوم والحجاء . أى (وما يتعظ بما
وعظ به ربه فى هذه الآيات التى وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به
غيرهم فيها ، وفى غيرها من آى كتابه ، فيذكر وعده ووعيده فيها ، فينجز
مما جزه عنه ربه ، ويطيعه فيما أمره به . الأولوا الالباب يعنى الأولو
العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه ، فأخبر جل ثناؤه . أن
المواعظ غير نافعة الأولو الحجاء والعلوم ، وأن الذكرى غير ناهية الأهل
النهى والعقول . (٢)

ويشعر أسلوب القصر هنا بالتعريض بكل من لم يتعظ ، ولم ينته عن الانفاق
من الخبيث ، فكأن من يصرُّ على الانفاق كمن لاعقل له .

وفى هذا تنفير من الاستمرار فى الانفاق من الخبيث ، كما ان فى القصر ترغيب
فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شأن الانفاق ما لا يخفى . (٣)

(١) آية (٢٦٩) .

(٢) الطبرى ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٦١

(٣) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ص ٢٦٢ .

— (وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) (١).

المقصود : الانفاق .

المقصود عليه : ابتغاء وجه الله .

فما بعد الا وقع مفعولا لأجله ، فهو من قصر الموصوف على الصفة ، قصر افراد .
سر القصر :

جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي تحث على الانفاق ، وبينت وجوهه

وشروطه ، بأن يكون لمرضاة الله تعالى ، خاليا من قصد الرياء والمنّ .

ولتأكيد ذلك ، وللتحذير من المنّ والرياء ، جيء بأسلوب القصر عن طريق

النفى والاستثناء في قوله تعالى (وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) .

وهو استثناء من أعم العلل ، أو أعم الاحوال . أي ليست نفقتكم لشيء

من الاشياء الا لابتغاء وجه الله . أو ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء

وجه الله . فما لكم تمنون بها وتصرفونها عن موضعها . وتنفقون الخبيث الذي

لا يوجد مثله الى الله ؟! والواجب أن ما كان لوجه الله لا يجمع ان يمنّ به .

لان المنّ به يوجب أن لا يكون لمحض وجه الله تعالى . (٢)

ويبدو لي انه يجوز أن يكون قد نزل المخاطبين منزلة من أنكروا كون الصدقة

لوجه الله ، لانفاقهم الطيب مع الخبيث .

فجاء بأسلوب القصر لتأكيد وجوب كونها لله ، وما كان لوجه الله

لا يجمع المنّ ولا الرياء .

(١) آية : ٢٧٢ .

(٢) أنظر الكشاف ، م ١ ، ص ٣٩٦ / البيضاوي ، ج ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

— (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ). (١)

المقصود : التكليف .

المقصود عليه : الوسع والطاقة

قصر موصوف على صفة ، قصر افراد .

سر القصر :

لما نزل قوله تعالى (وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله " اشتد ذلك على الصحابة ، واغتموا غما شديدا ، وقالوا يا رسول الله هلكننا فان قلوبنا ليست بأيدينا . فقال : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوا فنسختها هذه الآية (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ") (٢) فالصحابه رضوان الله عليهم لم ينكروا أمر الله ، وانما لاحساسهم بصعوبة ما أمروا به ، وقع فى انفسهم

(١) آية "٢٨٦" .

(٢) روى الامام مسلم قال : حدثنى محمد بن منهل الضير وأمية بن بسطام العيشي واللفظ لأمية قال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريره قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم " الله ما فى السموات وما فى الارض . وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " والله على كل شىء قدير " قال فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق ، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقتراها القوم ذلت بها سنتهم فأنزل الله فى اثرها " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عز وجل " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا " صحيح مسلم شرح النووى باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ، م ١ ج ٢ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

أنهم يكلفون بما يطيقون ، وبما لا يطيقون . نُزِّلُوا مِنْزِلَةً مِنْ يَنْكُرُ ، فَجَاءَ
النَّفْيَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ لِيَنْتَزِعَهُمْ مِنْ هَذَا الْإِحْسَاسِ ، وَيَلْفِتَ انْتِبَاهَهُمْ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
بِعِبَادِهِ ، فَقَصَرَ التَّكْلِيفَ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ مَشَقَّةٌ وَكُلْفَةٌ عَلَى الْوَسْعِ وَالطَّاقَةِ
- وَهُوَ مَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ وَلَا يَضِيقُ عَلَيْهِ -

أَيَّ لَا يَكْلِفُهَا إِلَّا مَا يَتَسَعُ فِيهِ طَوْقُهَا ، وَيَتيسَّرُ لَهَا دُونَ مَدَى الطَّاقَةِ وَالْمَجْهُودِ .
وَفِي هَذَا إِخْبَارٍ عَنِ عَظِيمِ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ . (١)

((آل عمران))

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢)

المقصور : الألوهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف ، قصر افراد .

سر القصر :

جادل النصارى الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى عليه السلام ،

فهم يشركونه مع الله في الألوهية .

وللرد على هؤلاء المنكرين لتفرد الله بالألوهية افتتحت السورة بالحروف

المقطعة . لينبهم إلى تفرده بمعرفة كنهها ، وفي هذا دليل على ألوهيته

عز وجل ، ولكن لشدة انكارهم جاءهم بأسلوب قاطع لا مجال بعده للانكار

والجحد . فقال تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فبهذا الأسلوب الذي من شأنه

الجزم والتأكيد ، أفرد الله سبحانه وتعالى بالألوهية ، وَنُفِيتَ عَنْ عِيسَى

عليه السلام .

وَجَعَلَ الْمُسْتَثْنَى ضَمِيرًا لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ سِوَاءَ ذِكْرِ الْأَسْمِ صَرِيحًا ، أَوْ جَعَلَ ضَمِيرًا ،

فهو معروف بتفرده وعظمته عند ذوى الفطرة السليمة .

(١) انظر فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٠٧ / الكشاف ، م ١ ، ص ٤٠٨

(٢) آية (٢)

وفى هذه الآية ما يُشعِرُ بشدة احتقار عقول هؤلاء المشركين ، إذ افْتَتَحَتِ
السورة بالحروف المقطعة - كما ذكرت سابقا - ثم جِيءَ بالقصر عن طريق
النفى والاستثناء ، الذى من شأنه الردع والزجر والتأكيد ، ولكنهم لقصر
عقولهم ، وقلة ادراكهم ، زاد من شدة هذا الاسلوب بوصف المستثنى بصفاتين
من صفاته وجعلهما " كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه
وتعالى. لهما من أن معنى الحى الباقي الذى لاسبيل عليه للموت والفساء
ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق العبودية به
تعالى ، لاستحالة تحققه بدونهما" (١)

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾. (٢)

فى الآية الكريمة اسلوبا قصر ، الاول عن طريق تعريف الجزئين فى
قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ" . والثانى فى قوله تعالى: (لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ) . وهو قصر عن طريق النفى والاستثناء .

والمقصور هنا : الالهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما ادعى النصارى كون عيسى عليه السلام شريكا لله فى الالهية . وكونه

ربا للمخلوقات .

جِيءَ بقوله تعالى "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ" . لينبه العقول ، ويؤكد

للنفوس أن عيسى عليه السلام مَصَوَّرًا فى الرحم كباقي الخلائق . وفى هذا تأكيد

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٣٠٢

(٢) آية (٦)

لعبوديته لله كغيره ، فمن كان مخلوقا لا يكون الها وربما بحال من الاحوال
وزيادة في تأكيد هذا المعنى وتثبيته ، جيء بتأكيد آخر عن طريق القصر
بالنفي والاستثناء ، فقُصِرَتِ اللّوهِية على الله وحده ، وَنُفِيتْ عن عيسى
عليه السلام .

— (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . (١)

اشتملت الآية الكريمة على عدة اساليب للقصر . والذي يهمننا في هذا
الباب القصر عن طريق النفي والاستثناء . فجاء في قوله تعالى " وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " . وفي قوله (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) .

فالمقصور في الاسلوب الاول : علم التأويل .

والمقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف ، قصر افراد .

والمقصور في الاسلوب الثاني : التذکر .

والمقصور عليه : اولوا الالباب .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

ما زالت الآيات تواجه تلك العقيدة المنكرة ، فبعد أن بين الله
سبحانه وتعالى اختصاصه بالربوبية ، وانها منوطة به عز وجل تارة بعد أخرى
وان كل منعداه مقهور تحت ملكوته ، تابع لمشيئته ، أصرّ القوم على انكارهم ،

فأخذوا يستدلون على اثبات الألوهية لعيسى عليه السلام ، بالمتشابه من الآيات ، زاعمين أنهم على علم وثيق بكنهها .

قيل (ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألسنتزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه . قال صلى الله عليه وسلم : بلى . قالوا فحسبنا ذلك) (١) وليبطل لنا القرآن الشبهة التي جاءوا بها ، وأنه ناتجة عن مكابرتهم ، وادعائهم العلم بأمر المتشابه والمحكم ، وكأنهم بذلك يشاركون الله في علمه . جاء بأسلوب النفي والاستثناء ، ليثبت ويؤكد لنا كذبهم وجهلهم . وان العلم بتأويل القرآن خاص به وحده دونهم . (٢) هذا اذا كان الوقف على لفظ الجلالة ، ويكون المراد بالمتشابه ، هو ما استأثر الله بعلمه ، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية . (٣) أما اذا لم يُعتبر الوقف على كلمة الله ، وكان المراد من المتشابه هو احتمال الآيات لمعان متشابهة ، لا يتضح مقصودها لجمال او مخالفة ظاهره ، ولا يمتاز بعضها عن بعض في استحقاق الارادة بها الا بالفحص الدقيق . والتأمل الأنيق . (٤) فيكون القصر هنا قصر قلب .

لانهم اعتقدوا اعتقادا جازما ، بأن لهم العلم المطلق في معرفة امر المتشابه دون غيرهم ، فكأنه لا علم لأحد بها الا هم ، فجاءت الآية بالنفي والاستثناء لقلب اعتقادهم هذا ، حيث قصر العلم بالتأويل على الله ، وعلى الراسخون في العلم . وفي هذا اظهار لفضل العلماء ، وتعريض بأهل الكتاب ، الذين ادعوا أن لهم العلم دون غيرهم .

(١) تفسير ابي السعود ، ج ٢ ، ص ٧

(٢) هذا اذا كان الوقف على لفظ الجلالة .

(٣) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٤١٢

(٤) انظر البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٥ / تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ٢ ص ٧

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

المقصور : الالهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بالرد على النصارى ، الذين زعموا اشتراك عيسى
مع الله فى الالهية - وفى هذا انكار شديد لتفرد المولى بالالهية - ثم
أورد السياق أدلة كثيرة تُثَبِّتُ تفرد الله عز وجل بالالهية دون غيره . فقال
تعالى فى مطلع السورة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (٢) . وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (٣)
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ..) (٤) . وكلها اساليب مؤكدة
لدلائل وحدانيته .

ولشدة انكار المنكرين جئ بقوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)
على سبيل القصر ، للتعريض بكل من أشرك مع الله غيره ، لعدم التفاتهِ
الى الأدلة التكوينية فى الآفاق والانس ، والآيات التشريعية الناطقة
بذلك . فشهادة الله هنا معناها بَيِّنَ وَأَعْلَمَ وأقام الأدلة ، وانما جئ
بقوله شهد على سبيل الاستعارة . ولذا قال الامام الزمخشري : (شبهت دلالتَهُ
على وحدانيته بأفعاله الخاصة ، التى لا يقدر عليها غيره ، وبما أوحى من
آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص ، وآية الكرسي وغيرها بشهادة الشاهد
فى البيان والكشف ، وكذلك اقرار الملائكة واولى العلم بذلك واحتجاجهم
عليه) (٥) . وكرر قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) . لتمجيده وتصديقه ، وكرره

(١) آية ١٨

(٢) آية ٢

(٣) آل عمران ٦

(٤) آل عمران ٧

(٥) الكشاف ، م ١ ، ص ٤١٧

للتأكيد ، ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد ، والحكم به ، بعد اقامة الحجة . لان تثبيت المدعى انما يكون بالدليل ، والاعتناء به يقتضى الاعتناء بأدلته ، وليجرى عليه قوله تعالى " العَزِيزُ الْحَكِيمُ " فيعلم انه المنعوت بهما . (١)

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢)

المقصود : الاختلاف .

المقصود عليه : الحال أو الوقت .

وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أو أعم الاوقات أى وما اختلفوا فى حال من الأحوال ، أو فى وقت من الاوقات الا بعد علمهم بالحق . (٣)

قصر موصوف على صفة قصر قلب ، لمن اعتقد ان خلافا وقع منهم - اليهود والنصارى - قبل مجئ العلم .

أو هو قصر حقيقى فيه مبالغة . اذا نفى عنهم الاختلاف فى جميع الاوقات ، وقصر على وقت مجئ العلم ، وكأن اختلافهم فى تلك الاوقات غير معتد به بجانب اختلافهم وقت العلم .

سر القصر :

بدأت الآية بقوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) لتأكيدان الدين الكامل الشامل هو دين الاسلام ، ثم جئ بقوله تعالى : (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) . معطوفا عليها للاخبار عن حال أهل الكتاب وجاء هذا الاخبار عن طريق القصر ، ليُعْلِمَ السامع بأمر يجهله عن حقيقة اليهود ، ويؤكد له فساد ما هم عليه من الدين وبأنه لم يبلغ مبلغ الكمال الذى بلغ اليه دين الاسلام ، لما وقع بينهم

(١) انظر البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٩ / تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ١٧

روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١٠٥ (٢) آية ١٩

(٣) انظر تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٨

من الاختلاف المبني على الحسد ، وطلب الرياسة ، فالاختلاف المقصود هنا :
اما اختلاف وقع بينهما بمعنى عدم اعتراف كل أمة منهم بالآخرى ، كما فى
قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ
الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) (١)

واما ان يكون اختلافهم فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم . على الرغم من
اخبار كتبهم بصحة نبوته ، واقرار علمائهم واحبارهم بذلك . ولكنهم أعرضوا
عنه واختلفوا فى أمره بغيا وحسدا .
فجاء القصر للتعريض بهم وتوبيخهم (فان الاختلاف ممن أوتى ما يزيـله
ويقطع شأفته فى غاية القبح والسماجة) (٢) وفى هذا تحذير للمؤمنين ، مما
وقع فيه أهل الكتاب .

— (ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي
دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (٣)

سبق ذكر هذه الآية فى سورة البقرة آية (٨٠) .

— (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٤)

المقصور : المعبور .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا اضافة ، قصر افراد .

(١) البقرة ١١٣

(٢) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٨

(٣) آية ٢٤

(٤) آية ٦٤

سر القصر :

لما ادعى النصارى كون عيسى الها مع الله . قص السياق قصة عيسى عليه السلام ، وقصة مولده ، وأنه خُلق من تراب : " إِنْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . (١) فهو بشر ، تجرى عليه سنن البشرية ، من كونه مولودا تَكُونُ فِي رَحْمِ أُمِّهِ . ، فمن كان مخلوقا لا يصح أن يكون خالقا .

وبعد بيان حقيقة عيسى عليه السلام ، أمر المولى عز وجل رسوله الكريم ، بالنداء على أهل الكتاب ، وَصَدَّرَتِ الْآيَةُ بَيَاءَ النِّدَاءِ ، للفت انتباههم الى أهمية ما سيقال ، فجاء الأمر بالمطالبة بالاجتماع على كلمة واحدة ، بعد بيان بطلان ما ادعوه ، فتحا لباب التسليم والانعان لله وحده . ولأن الأمر المطالب به قد وقع عليه الانكار ، جاء بيان تلك الكلمة وذلك الأمر بأسلوب النفي والاستثناء ، لتأكيد ما جاء في مضمونها ، من تخصيص العبادة لله وحده ، ونفيها عن عيسى عليه السلام ، وما ادعاه اليهود من كون عزيز ابن الله . وفي تأكيد العبادة لله وحده تعريض بأهل الكتاب .

— (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) . (٢)

المقصور : الانزال .

المقصور عليهم : الزمن الذي بعد ابراهيم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

(١) آل عمران : آية ٥٩

(٢) آية ٦٥

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة ، وفق الخط الرئيس للسورة . وهو خط الحرب العقائدية ، بَيْنَ أهل الكتاب والأمة الاسلامية ، وما يبذل أعداء هذا الدين القويم من الحيل والمكائد ، لِبَثِّ الریب والشكوك في صفوف المسلمين . فلما بَيَّنَّ القرآن أن ما جاء به محمد يرجع الى الحنيفية دين ابراهيم .

ادعى كل فريق منهم أن ابراهيم عليه السلام ، كان يدين بدينهم فقالت اليهود : ما كان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان ابراهيم الانصانيا . (١)

فكان هدفهم الاول من هذه الادعاءات ، تكذيب نبوة محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - وتشكيك المسلمين في حقيقة نبوته ، فان كان ما جاء به هو دين الحنيف ، فلا يخرج عن كونه يهوديا أو نصرانيا - بحسب ما وقع بينهم من الاختلاف - وأمام هذا الادعاء والاصرار عليه ، واجههم القرآن بأسلوب حازم قوى ، يقلب فيه اعتقادهم ويبصرهم بالحقيقة التي أنكروها . فجاء أسلوب النفي والاستثناء يحمل معنى التوبيخ والاستهزاء ، والتنديد الشديد بهم . فكشف كذبهم وحبهم للجدال ، بتأكيد واثبات أن ابراهيم عليه السلام سابق على التوراة ، وسابق على الانجيل . فكيف يكون يهوديا . أو كيف يكون نصرانيا ؟!

ثم جىء بآية أخرى ، تؤكد كون ابراهيم عليه السلام مسلما . فقال تعالى :
(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . (٢)

(١) روى ابن اسحق بسنده المتكرر الى ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعا عنده ، فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا . فأنزل الله يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم .

لباب النيقول في اسباب النزول ، ص ٥٣

(٢) آية (آل عمران) ٦٢

— (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ^(١) وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَآ يُؤَدِّهِ ^(٢) إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ^(٣))

المقصود : الأداة .

المقصود عليه : مدة الدوام - أو حال الدوام .

فالاستثناء في الآية ، استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أو الاوقات ، أي لا يؤده اليك في حال من الاحوال ، أو في وقت من الأوقات ، الا في حال دوام قيامك ، أو في وقت دوام قيامك . ولم يذكر الامام الزمخشري - وتبعه الامام البيضاوي - الا كونه مفرغا . من أعم الاوقات ، أما الامام الشوكاني فلم يذكر الا كونه مفرغا من أعم الأحوال ، وذكر الامام ابوالسعود وتبعه الأوسى كلا الاحتمالين ^(٤) . فهو اذا قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما كان بعض أهل الكتاب مشهورين بأداء الأمانة ، وهذا أمر قد يدعو المؤمنين الى اعتقاد أنهم جميعا كذلك مما يؤدي الى الثقة بهم ، وإثمتانهم في جميع الأحوال والأوقات ، جاهلين بذلك خيانة بعضهم ، وبخاصة أنهم قالوا (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) . يستحلون بذلك ظلم من خالفهم ،

- (١) قيل أن المقصود من قوله تعالى (من ان تأمنه بقنطار) هو عبدالله بن سلام ، استودعه رجل من قريش الفا ومائتي أوقية ذهباً ، فأداه اليه .
- (٢) ويقصد من قوله (من ان تأمنه بدينار) فنحاص ابن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجنده وخانه . وقيل المأمونون على الكثير النصاري لغلبة الامانة عليهم . والخائنون في القليل اليهود ، لغلبة الخيانة عليهم . انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٤٣٨ / البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٢٦ / البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ / ٤٩٩ .
- (٣) آية (٧٥) .
- (٤) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٤٣٨ / البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٢٦ / تفسير ابى السعود ، ج ١ ، ص ٥٠ / فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٥٣ / روح المعاني ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .

مدعين أنه لم يجعل لهم في كتبهم حرمة . فجىء بالنفى والاستثناء لقلب اعتقاد المؤمنين . حيث قصر أداء الأمانة على مدة دوام ، أو حال دوام ، قيام المرء والحاحه واصراره في المطالبة بحقه ، ليؤكد بعض قبائح أحوالهم المتعلقة بمعاملة الناس - بعد بيان قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان ، وهو أنهم قالوا (لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) - وذلك باثبات صفة الخيانة فيهم ، وأنها ملازمة لهم .

وفي هذا تنبيه وتحذير للرسول والمؤمنين (أن يأتمنوهم على أموالهم ، وتخويفهم من الاغترار بهم ، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين) . (١)

— (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىً ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُتْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) . (٢)

اختلف المفسرون في نوع الاستثناء في الآية ، هل هو استثناء متصل

مفرغ أو منقطع .

فذهب الامام ابوحيان الى أن الاستثناء في الآية متصل مفرغ من المصدر المحذوف فقال (والظاهر ان قوله الا أذى ، استثناء متصل ، وهو استثناء مفرغ من المصدر المحذوف والتقدير لن يضرؤكم ضرا الاضرا يسيرا ، لانكاية فيه ولا اجحاف لكم) (٣) .

ونهب الطبرى (٤) الى أنه استثناء منقطع ، وتقديره لن يضرؤكم لكن أذى

باللسان ، فقيل هو سماع كلمة الكفر ، وقيل كذب يتقولونه على الله . (٥)

ورد الامام الفخر الرازى (٦) على القائلين بأنه استثناء منقطع ، فقال :

(وهو بعيد ، لأن كل الوجوه المذكورة ، يوجب وقوع الغم في قلوب المسلمين

(١) تفسير الطبرى ، م ٣ ، ص ٢٢٦

(٢) آية (١١١)

(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠

(٤) الطبرى ، م ٣ ، ج ٤ ، ص ٣١

(٥) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠

(٦) هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى الطبرستانى الاصل الشافعى

المفسر المتكلم ولد سنة اربع واربعين وخمسمائة واشتغل على والده الامام

ضياء الدين خطيب الرى ، من تصانيفه كتاب المصول ، المنتخب نهاية

المعقول توفى سنة ستة وستمائة / شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢١

والغم ضرر ، فالتقدير لا يضرركم الا الضرر الذي هو الأذى . فهو استثناء صحيح . والمعنى لن يضرركم الا ضرا يسيرا ، والأذى وقع موقع الضرر (١) .
ويبدو لي أنه استثناء مفرغ متصل .

وهو قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

والمقصور : الأضرار .

والمقصور عليه : بكونه أذى .

أى لن يضرركم ضرا الا ضرر أذى .

سر القصر :

ذُكِرَ في الآيات السابقة أن فريقا من المؤمنين ، كانوا لا يزالون على اتصال وثيق ببعض اليهود في المدينة ، لما لهم من سيطرة عسكرية واقتصادية يحسب لها بعض المسلمين الحساب ، وقد حذرهم القرآن من اطاعتهم ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) (٢) . فجاء بالنفسى والاستثناء للتهوين من شأن هؤلاء الظالمين في نفوس المسلمين ، وكشف حقيقتهم الواهنة ، وتقريرها في الأذهان .

ف (دلت هذه الجملة على ترغيب المؤمنين في تصلبهم في دينهم ، وتثبيتهم عليه ، وعلى تحقير شأن الكفار ، اذ صاروا ليس لهم من ضرر المسلمين شيء الا ما يصلون اليه من اسماع كلمة سوء) (٣) .

(١) الفخر الرازي ، ج ٣ ، ص ٢٨

(٢) سورة آل عمران . آية ١٠٠

(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠

﴿ وَذَت طَّائِفَةٌ ^(١) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢)

المقصود : المضل .

المقصود عليه : أنفسهم .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

اعتقدت طائفة من أهل الكتاب ، أنهم يستطيعون اضلال المؤمنين ، واغواءهم ، فماداموا على هذا الاعتقاد الجازم ، فهم أبعد ما يكونون عن الاعتقاد بأنهم يضلون أنفسهم . لذا جئ بالنفى والاستثناء ، لقلب اعتقادهم . حيث قصر الضلال الواقع منهم على أنفسهم ، لا يتعداها الى المؤمنين . أي (وما يعود وبال الاضلال الا عليهم ، لأن العذاب يُضَاعَف لهم بضلالتهم واطلالهم ، أو وما يقدر على اضلال المسلمين ، وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم) ^(٣)

وفي قصر الضلال على أهل الكتاب ، اشعار بكمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على الدين القويم ^(٤) . وفي هذا تعريض باليهود ، وأن ما هم عليه انما هو الضلال .

(١) ذكر في كتب التفسير ان المراد بالطائفة هنا هم اليهود دون النصارى ولذا عبر بقوله طائفة ، وهم الذين دعوا حذيفا وعمارا ومعازا الى اليهودية / الكشاف ، م ، ١ ، ص ٤٣٦ ، وقيل المراد بهم أهل الكتاب عامه من اليهود والنصارى : قال الامام الطبري (يعني بقوله جل ثناؤه دون طائفة يعني جماعه من أهل الكتاب ، وهم اهل التوراة من اليهود واهل الانجيل من النصارى) / الطبري م ٣ ، ج ٣ ، ص ٢١٨ .

(٢) آية ٦٩ .

(٣) الكشاف ، م ، ١ ، ص ٤٣٦ .

(٤) تفسير ابي السعود ، م ، ١ ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١)

في الآية الكريمة أسلوباً قصراً ، كلاهما عن طريق النفي والاستثناء
الاول في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) . وهو استثناء مفرغ
قيل من أعم العلل ، وقيل من أعم المفاعيل . فذهب الامام الشوكاني الى أنه
استثناء مفرغ من أعم العلل . قال : (وهو استثناء مفرغ ، أى ماجعل
امدادكم لشيء من الأشياء الا للبشرى لكم بالنصر) . (٢)

ورأى الامام ابوالسعود جواز كونه مفرغاً من أعم العلل ، اذا كان الجعل
متعدياً الى مفعول واحد ، وهو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه
المقام ، ويجوز كونه مفرغاً من أعم المفاعيل ، اذا كان الجعل متعدياً
الى مفعولين . قال : (والجعل متعد الى مفعول واحد ، وهو الضمير
العائد الى مصدر فعل مقدر ، يقتضيه المقام اقتضاءً ظاهراً مغنياً عن
التصريح به ، كأنه قيل فأمدكم بهم ، وما جعل امدادكم بهم (الا بشرى) .
وهو استثناء مفرغ من أعم العلل ، أى وما جعل امدادكم بانزال الملائكة
عياناً لشيء من الأشياء الا للبشرى لكم ، فإنكم تنصرون . وقيل الجعل
متعد الى اثنين ، ثانيهما الا بشرى ، على أنه استثناء من أعم المفاعيل
أى ماجعله الله شيئاً من الأشياء الا بشاراً لكم) . (٣)

فاذا كان استثناء مفرغاً من أعم العلل ، فهو قصر موصوف على صفة . أما اذا
اعتبرناه استثناء مفرغاً من أعم المفاعيل ، فهو قصر صفة على موصوف .

المقصور : الجعل
المقصور عليه : البشرى

(١) آية ١٢٦

(٢) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٢٩٠

(٣) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٨

والاسلوب الثانى للقصر فى هذه الآية، فى قوله تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) .

المقصور : النصر .

المقصور عليه : كونه من عند الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد ، كما سيحقق .

سر القصر :

للقصر فى هذه الآية سر لطيف ، تأنسله النفوس . فبعد ان بلغ المسلمين أن عدد الكفار وعدتهم يفوق عدد المسلمين وعتادهم ، أصابهم ما أصابهم من الخوف والهلع . وحين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما أصاب أصحابه ، أشفق عليهم ، وتوجه الى الله بالتضرع والابتهاال ، ولشدة الهلع المسيطر على جو المعركة ، بالغ الرسول صلى الله عليه وسلم فى التذلل والتضرع للرب عز وجل . (١)

وصور لنا القرآن عمق الدعاء حين عبر عنه بلفظ الاستغاثة . والاستغاثة تدل على هول الموقف وشدته .

ولهذا جاء النفي والاستثناء ليخفف من وطأة هذا الخوف ، ويلقى الطمأنينة فى قلوب المؤمنين ، ويرفع من معنوياتهم ، فبشّرهم بنصرته ، وجاء هذا التبشير مؤكداً تأكيداً لا يخالطه شك ولا ريب . فقصر امداد الملائكة على البشرى قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة ، لانه نفى عن الامداد كل صفة ،

روى الامام احمد قال :

(١) حدثنا عبدالله حدثنى ابى ثنا ابونوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار ثنا سماك الحنفى بوزميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف ، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه وعليه رداؤه وازاره ، ثم قال اللهم اين ما وعدتنى ، اللهم انجز ما وعدتنى اللهم انك ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد فى الارض أبداً . قال فما زال يستغيث ربه عز وجل ، ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه ابوبكر رضى الله عنه فأخذ رداؤه فرداه ، ثم التزمه من ورائه . ثم قال يا نبي الله كفك مناشدتك ربك ، فانه سينجر لك ما وعدك وانزل الله عز وجل : (ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) . مسند الامام احمد ، مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ج ١ ، ص ٣٠

وقصره على البشرى . ولو أن القصر جاء بطريق آخر ، لما حقق هذا الغرض من رفع المعنويات وتثبيت القلوب .

ثم أعقب هذا الاستثناء استثناء آخر (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) وللنفس أن تتساءل في سر مجيئه عقب الاستثناء الأول . أقول لعل السر في ذلك ، أن الموقف كان موقف خوف وجزع ، وأن هذا الخوف أزيل بتأكيد بشرى الامداد وهذه البشرى قد فرح لها المسلمون وهَلَّلُوا . فاحترازاً من أن تغلب المؤمنين شدة الفرحة برؤية الملائكة التي تدافع معهم ، فيظنون أنهم هم الناصرون لهم وهذا أمر مخالف للعقيدة الاسلامية لايجوز أن يقع فيه المسلم .

جاء بالنفي والاستثناء ، لتقرير حقيقة اعتقادية ، وهي (أن الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير ، وانما التأثير مختص به عز وجل ، ليثق به المؤمنون ، ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه) . (١)

فهذه الاستجابة ، وهذا الإمداد بالملائكة ، والاخبار به على هذا الوجه لم يكن لشيء من الاشياء الا للبشرى . ولطمئنان القلوب ، لا يتعدها الى النصر .

فنفي النصر عن الاسباب - من الملائكة وكثرة المقاتلة والسكينه - (٢) ، وأثبتها لله عز وجل . أى أن النصر لا يكون الا من عند الله . (لا من عند غيره ، وليس للملائكة فى ذلك أثر ، فهو الناصر على الحقيقة ، وليسوا الاسباب من أسباب النصر ، التى سببها الله لكم ، وأمدكم بها) (٣) .

فالغرض من هذا القصر (أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة) . (٤) حيث نبه القصر الى ان الواجب على المؤمن ، أن لا يعتمد على ذلك بل يجب أن يكون اعتماده على اغاثة الله ، ونصره وهدايته وكفايته . لأن الله هو العزيز الغالب . الذى لا يغلب ، والقاهر الذى لا يقهر ، والحكيم فيما ينزل

(١) تفسير ابي السعود ، ج ٢ ، ص ٨

(٢) الكشاف م ٨ ، ص ٤٦٢

(٣) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٢٩

(٤) الفخر الرازى ، م ٤ ، ج ٥ ، ص ٢٣٦

من النصرة فيضعها في موضعها. (١)

والقصر في الآية قصر لإفراد ليقطع الخواطر الإنسانية التي قد يقع فيها
أن اليهود هم دجالاً في النصر وبعض ذلك لك جل جلاله .

(وما ربيك إذ ربيك ولكن الله رحيم)

— (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (٢).

المقصور : غفران الذنوب

المقصور عليه : لفظ الجلالة (الله) .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

قيل أن الآية نزلت في رجل من الانصار كان قد خان ما أتمن عليه
ثم تنبه لخطئه ، فهام في الفيافي نادما على فعلته طامعا في غفران الله
فجاء النفي والاستثناء ، ليؤكد له مغفرة المولى وسعة رحمته واختصاص
الغفران به لايتعداه الى غيره ، وفي تقرير هذه الحقيقة بهذا الاسلوب
ما يطمئن هذه النفس الحائرة ، ويزيل عنها كل شك في رحمة المولى عز وجل
واشعارها بالوعد بقبول التوبة النصوح بل هي بشرى لكل نفس مؤمنة تائبة
كما تشعنا هذه الاداء بالعتاب العنيف الحاد لمن يتسرب في نفسه اليأس
من رحمة الله عز وجل . ولذا جاء الاستفهام حاملا معنى النفي للتوبيخ والانكار .

(١) انظر الكشاف م ١ ، ص ٤٦٢ / ابوالسعود م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٢ ،

روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٤٨

(٢) آية ١٣٥

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١)

المقصور : محمد عليه السلام .

المقصور عليه : الرسالة .

قصر موصوف على صفة ، أما نوع القصر في هذه الآية ، فقد اختلف العلماء فيه . فذهب السكاكي ، وتبعه الخطيب القزويني ، والسعد في مختصره ، (٢) الى كونه قصر افراد .

ذكر السكاكي : (ومن الوارد في التنزيل على قصر الافراد ، قوله تعالى : وما محمد الا رسول ، فمعناه محمد مقصور على الرسالة ، لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه . وهو من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر) (٣) .

فجعل المخاطبين كأنهم اعتقدوا ، أن له وصفين الرسالة ، والبعد عن الهلاك . فقصر على أمر الرسالة ، نفياً للبعد عن الهلاك .

ونهب ابن السبكي في عروس الافراح ، الى أن القصر في الآية قصر قلب لا افراد فقال : " ... فانه خطاب للصحابة ، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، الا انه نزل استعظامهم له على الموت ، تنزيل من يجهل رسالته ، لأن كل رسول لابد من موته ، فمن استبعد موته ، فكأنته استبعد رسالته ، وهذا هو الصواب . وبه يظهر أن هذا قصر قلب ، لا قصر افراد . فان اعتقاد الرسالة ، وعدم الموت ، لا يجتمعان ، وانكارهم الموت ، ينفي أن يجتمع معه الاقرار بالرساله . حتى يكون قصر افراد . وبهذا يعلم ان ما قلناه خير من قول غيرنا ، أنهم نزلوا لاستعظامهم موته صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر موته ، ويثبت له صفتي الرسالة وعدم الموت . فيكون قصر افراد . لأن ما ذكرناه لا يؤدي الى أنهم نزلوا منزلة

(١) آية ١٤٤

(٢) انظر شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢١٣-٢١٧

(٣) المفتاح ، ص ١٢٥ .

من يعتقد أمرين متنافيين). (١)

ويبدو لى ان القصر هنا قصر قلب ، لأن المخاطبين بسبب ما وقع منهم من
الذهول واستعظام نبأ موته ، فكأنهم بذلك استبعدوا موته . واستبعاد موته
استبعاد لرسالته ، فكأنهم اعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس
حكمه حكم سائر الرسل فى وجوب اتباع دينهم بعد موتهم . بل حكمه خلاف حكمهم
وأنه لا يخلو كما خلوا . ولم يكن فى اعتقادهم أن له صفتين : وهى صفة
الرسالة وعدم الموت ، ثم افردت احدهما دون الأخرى . فالقصر هنا منصَّبٌ
على استعظامهم أمر موته .

سر القصر :

لما شاع بين صفوف المؤمنين فى غزوة أحد ، أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قد قتل (٢) ، وهم يؤمنون ببشريته ايماناً كاملاً ، ولكن لصعوبة الموقف
ومفاجأة الخبر ، استعظمو نبأ موته . ولاستعظامهم هذا نُزِّلوا منزلة من ينكر
موته ، ويستبعد بذلك رسالته . فجاء بأسلوب النفسى والاستثناء هنا دون غيره
من طرق القصر ، لأن الموقف يحتاج الى نبرة عالية تهز القلوب ، فخطبوا
خطاباً قويا ، لا يلاحظهم من أثر الصدمة الواقعة بهم ، لينبهم الى أنهم
وقعوا فى أمر جليل ، وهو استجهالهم لبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم
وأن حكمه حكم سائر الرسل المتقدمة .

وزيادة فى تأكيد معنى القصر ، جىء بجملته (قد خلت) . (صفة لرسول منبئاً
عن كونه صلى الله عليه وسلم فى شرف الخلو ، فان خلو مشاركيه فى منصب
الرسالة من شواهد خلوه لامحالة . كأنه قيل : قد خلت من قبله أمثاله ،
فسيخلو كما خلوا) (٣) .

(١) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير ، م ٣ ، ص ٦٠

(٣) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

وعلق الدكتور ابو موسى على أسلوب النفي والاستثناء هنا ، فقال : (العبارة هنا عبارة امتلاء ، وأدخل في باب الاعتبارات ، وأجرى في سبيل الفن ومسالك البيان ، لأنها تفيض بجملة معاني ، ففيها عتاب عنيف ، وفيها استجهاال وإشارة الى غفلتهم ، وأنهم لا يسلكون في المواقف الصعبة مسلكا ينبثق من مضمرات قلوبهم ، ويلتزم بما ترسخ فيها من حقائق واعتقادات ، وأنهم يوشكون أن يكون لهم ظاهر مخالف لباطنهم ، وأن أصول الاعتقاد توشك أن تهتز بالنوازل العارضة ، مع أنكم لاتزالون في نضارة اليقين ، ولا يزال صليل الوحي يتردد صدها في آفاقكم ، وهذا وغيره كثير يمكن أن تلمح وراء هذه الأداة) (١).

== (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) . (٢)

المقصود : الموت .

المقصود عليه : كونه باذن الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة ، عقب قوله تعالى : (وما محمد الا رسول) . حين أصاب المسلمين الجزع والهلع بما شاع من خبر موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجئء بالنفي والاستثناء هنا ، وقصر موت النفس على كونه باذن الله وحده ، لتأكيد أن كل نفس ذائقة الموت ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حكمه في ذلك حكم جميع الخلائق .

وذكر الامام الفخر : أن الصحابة رضوان الله عليهم ، لما رجعوا من غزوة

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابو موسى ، ص ١٠٧

(٢) آية ، (١٤٥) .

أحد ، وقد قُتِلَ منهم من قُتِلَ ، قال نفر من الناس : لو كانوا عندنا ما ماتوا ، وما قُتِلُوا . (١) فيكون القصر هنا لقلب اعتقادهم هذا ، بتأكيد أن الموت والحياة باذن الله ، لا بسبب القتال ، فان هناك كثيرا ممن قاتلوا ولم يقتلوا . وفي هذا (تحريض المسلمين على الجهاد ، باعلامهم أن الحذر لا يدفع القدر ، وأن أحدا لا يموت قبل الأجل ، واذا جاء الأجل لا يندفع الموت بشيء ، فلا فائدة في الجبن والخوف) (٢) .

كما تشعر اداة النفي والاستثناء باللوم العنيف والتقريع الشديد ، لمن ترك القتال خشية القتل ، وجهل هذه القاعدة الربانية ، وغفل عنها .

— (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) . (٣)

المقصود : القول .

المقصود عليه : قولهم : ربنا اغفر لنا .

قصر موصوفى صفة . قصرا حقيقيا فيه مبالغة .

(والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ، ما كان قولاً لهم عند اى لقاء للعدو ، واقتحام مضائق الحرب ، واصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيئا من الأشياء الا أن قالوا) (٤)

— سر القصر :

ليس فى الآية مخاطب منكر ، أو مَنْزَلْ منزلة من ينكر . وانما جِئْ بالنفى والاستثناء لمحض التوكيد ، و لاخراج الفكرة التى تعتمل فى نفوس المتكلمين ، فى قالب يبرز مضمونها ويؤكدده .

(١) الفخر الرازى ، ٥٢٦ ج ٩ ، ص ٢٤ (٢) المرجع السابق ، ١٥٢ ج ٩ ، ص ٢٤ .

(٣) آية ١٤٢ .

(٤) تفسير ابي السعود ، ٢١١ ج ٢ ، ص ٩٦ .

فلما ذكر الله سبحانه وتعالى ما كان عليه المؤمنون من الجلد والصبر ،
وعدم الوهن والاستكانة للعدو . وذلك كله من الافعال النفسانية ، التي
يظهر أثرها على الجوارح (١) . جاء هنا النفي والاستثناء ، ليقرر حقيقة
أخرى من حقائق الفئة المسلمة وليؤكد " ما كانوا عليه من الانابة والاستغفار
والالتجاء الى الله تعالى بالدعاء ، وحصر قولهم في ذلك القول ، فلم يكن
لهم ملجأ ولا مفرع الا الله تعالى ، ولا قول الا هذا القول (٢) .

وهو قصر حقيقي فيه مبالغة في بيان صلابتهم في الدين ، وعدم تطرق
الوهن والضعف اليهم كلية ، حيث نفى عنهم جميع الأقوال ، وأثبت لهم
القول بطلب الغفران .

((النساء))

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَنْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (٣) .

المقصود : الغض .

المقصود عليه : حال ، أو وقتايتان الفاحشة

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

والاستثناء في الآية ، قيل منقطع ، وقيل متصل . فالانقطاع على معنى

الاستدراك ، أي لكن اتيانهن بفاحشة ، يحل لكم أن تنهبوا ببعض ما أتيتموهن .

ونهب الامام الزمخشري (٤) وتبعه في ذلك الامام البيضاوي (٥)

(١) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٧٥

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) آية ١٩

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٥١٥

(٥) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٧٥

وأبوحيان (١) ، وأبو السعود (٢) ، والأوسى (٣) ، والشهاب (٤) .
الى أن الاستثناء هنا متصل مفرغ ، وهو استثناء من أعم العلل ، أو الاحوال
أو الاوقات . قال الامام الزمخشري : (. . هو استثناء من أعم عام الظرف
أو المفعول له ، كأنه قيل : ولا تعضون لعله من العلل الا لأن يأتين بفاحشة) (٥) .
وأكد ابوحيان أنه استثناء متصل فقال : (هذا استثناء متصل ، ولا حاجة
الى دعوى الانقطاع فيه ، كما ذهب اليه بعضهم . . .) (٦) .

سر القصر :

سر القصر فى الآيه يتولد من موضوعها ، فالموضوع هو موضوع الاسرة
المسلمة ، وبخاصة المرأة التى يقوم على اكتافها بناء المجتمع المسلم ،
فقد كانت فى الجاهلية مهضومة الحقوق مهينة الجناح . فكان ولى الزوج المتوفى
يرث الزوجة كأي متاع يورث ، وله حق التصرف فيها كيف شاء . (٨)
وله حق عضلها وأخذ صداقها ، فى كل حال أو كل

(١) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٠٣

(٢) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٨

(٣) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٢٤٢

(٤) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ١١٨

(٥) الكشاف ، م ١ ، ص ٥١٥

(٦) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٠٣

(٧) أخرج البخارى عن ابن عباس فى قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا) قال : كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه أحق
بأمراته ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاءوا زوجها وان شاءوا لم يزوجوها
فهم أحق بها من أهلها . فنزلت هذه الآيه فى ذلك / صحيح البخارى / كتاب

التفسير / تفسير سورة النساء ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ٥٥ .

وفى لفظ لأبى داود عنه فى هذه الآيه (وذلك أن الرجل كان يرث امرأة
ذى قرابته ، فيعضلها حتى تموت ، أو ترد اليه صداقها فأحكم الله عن
ذلك ونهى عن ذلك / سنن ابى داود ، كتاب النكاح ، ج ٢ ، ص ٢٣١

وقت أو لأى علة . ولما جاء الاسلام استمر البعض فى تطبيق هذا النظام ، ظنا منهم أنه موافق للشرع الاسلامى . فجاء بالقصر لقلب هذا الاعتقاد ، وتأكيد أن أخذ الصداق ليس من حق الرجل فى أى وقت ، ولأى علة . فقصر الغضلى على وقت اتيان الفاحشة ، أو فى حالة اتيان الفاحشة فقط فالموضوع اذا موضوع ظلم وغبن وهضم حقوق . والموضوع اذا موضوع له جديته وخطورته فى المنهج الربانى ، ولذا ظهر النفى والاستثناء ، لتقرير وتوكيد قاعدة اسلامية ، تحد من هذا الظلم ، وترفع المستوى الانسانى الهابط الى مستوى أرفع واسمى .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْمَضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا) (١) .

المقصور : قرب الجنب الصلاة .

المقصور عليه : حالة العبور .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو هو قصر افراد .

الاستثناء فى الآية مفرغ من أعم الاحوال . أى لاتقربوا الصلاة جنبا فى حال من الاحوال الاحال كونكم مسافرين . (٢)

سر القصر :

تحدثت الآيات السابقة عن عبادة الله ، ووجوب توحيده وافراده بالعبادة وعدم الاشراك به ، وهنا جاء الحديث عن الصلاة . لأنها أمس الشعائر بمعنى العبادة ، ولأن فى انكارها أو فى الخروج على بعض اصولها انكارا لأوامر الله ،

(١) آية ، (٤٣)

(٢) انظر الكشاف ، ١م ، ص ٥٢٨ / البحر المحيط ج ٣ ، ص ٢٥٧

فتح القدير ، ١م ، ص ٤٦٨ ، / تفسير ابى السعود ، ١م ، ج ٢ ، ص ١٧٨

وخروجاً صريحاً عن ملة الإسلام . ولخطورة هذا الأمر جاء النفي والاستثناء ، لتقرير بعض أحكام الصلاة والطهارة . فلما نهي الله سبحانه وتعالى السكران عن إقامة الصلاة في جميع الأحوال ، وجاء بعدها نهي الجنب عن القرب من الصلاة . قد يظن البعض أن النهي للجنب في جميع الأحوال ، وأن حكم الجنب في الاقتراب من الصلاة هو حكم شارب الخمر . فجاء بأسلوب النفي والاستثناء لقلب هذا الاعتقاد . حيث قصر اقتراب الجنب من الصلاة على حالة السفر ونفى عن جميع الحالات . هذا على رأي - أو يكون النفي واقعاً على الاقتراب من مكان الصلاة الا في حالة التجاوز والعبور من المساجد ، فانه أمر مسموح للجنب .

— (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيَّابًا لَسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) . (١)

المقصور : الايمان .

المقصور عليه : ايمانا قليلاً أو زمانا قليلاً .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقياً تحقيقياً .

وإذا قدرنا المقصور عليه : قليلاً منهم .

يكون من قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقياً تحقيقياً حيث نفي الايمان عن جميع اليهود ، وقصر على فئة معينة منهم كعبدالله بن سلام وكعب الأبار . (٢)

(١) آية ٤٦

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٦٤

والاستثناء في الآية يحتمل التمام والتفريغ . فعلى التفريغ يكون التقدير
فلا يؤمنون الا ايماننا قليلا . وهذا مانهب اليه الامام الزمخشري^(١)
والشوكاني^(٢) ولم يذكر غير هذا الوجه . أما الامام أبوحيان فقد ذكر
احتمال التمام والتفريغ فعلى التمام يكون الاستثناء من ضمير المفعول في
لعنهم ، أي الا قليلا لم يلعنهم فأمنوا . أو من الفاعل في فلا يؤمنون أي الا
قليلا^(٣) وأضاف الامام ابوالسعود : أنه قد يكون الاستثناء من أعم
الاقوات ، أي لا يؤمنون الا زمانا قليلا.^(٤)

سر القصر :

منذ جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة المحمدية ، واليهود في
معركة دائمة ضد نبوته .

وهم لا يفترون عن تشكيك الناس في دينهم وقد بذلوا كل غال ونفيس ، وحتى
لا يندفع المسلمون بأرائهم السامة ، حرصت الآيات على كشف حقيقتهم في كل
موضع يحاولون فيه تشكيك المسلمين .

فجاءت هذه الآية لتبين أن اليهود قد اشتروا الضلالة بالهدى ، وفضلوا
اليهودية على الاسلام ، مع وضوح الحجة ، وبروز البراهين الدالة على صحة
نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . فصفاته وعلامات نبوته المذكورة في
كتبهم . ولم يكتفوا بضلالتهم فأرادوا اضلال المؤمنين أيضا ، حيث كتبوا
ما جاء في كتبهم من المعلومات الدالة على صحة نبوته .

وفي هذا الجو المليء بالكيد والحقد والمكر والخديعة والانكار ،
جاء النفي والاستثناء دون غيره من أساليب القصر ، بما له من قوة في ايقاظ

(١) الكشاف ، ١م ، ص ٥٣١

(٢) فتح القدير ، ١م ، ص ٤٧٤

(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٦٤

(٤) تفسير ابى السعود ، ١م ، ج ٢ ، ص ١٨٤

الشعور وتنبيه النفوس ، ليحذر المؤمنون من مكر اليهود بتقرير حقيقتهم .
فهم على مر تاريخهم الطويل ، لم يؤمن منهم الا فئة قليلة ، أراد الله
لها الخير والهدى ، لما بذلته من صدق واجتهاد في البحث عن الحق .
وفي تقرير هذه الحقيقة بهذا الأسلوب تحقير لهم وتقليل من قيمتهم ، مما
يهون من شأنهم في نظر المسلمين ، فيحذروهم ، ولا يأبهوا بمقاتلتهم .

— (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا
رَحِيمًا) (١) .

المقصود : الارسال .

المقصود عليه : للطاعة .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الله ورسوله وأولى الأمر فقال تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ . فَإِنْ
تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ،
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢) .

الا ان البعض خرج على قوله تعالى ، وتحاكم الى الطاغوت . وفي هذا
التحاكم انكار لأوامر الله وجدد لرسوله حيث ظن هؤلاء المنكرون أن مهمة
الرسول تقتصر على الابلاغ فقط ، وليس لهم من الطاعة شيء .
لذا جيء بالنفي والاستثناء لقلب هذا الاعتقاد وللفت الانتباه بشدة الى

(١) آية (٦٤)

(٢) النساء ، آية (٥٩) .

أن الرسل أُرْسِلَتْ لِطَّاعِ بَاذِنِ اللّهِ وَتَوْفِيقِهِ . وَفِي اثْبَاتِ الطَّاعَةِ لِلرَّسُولِ
عَنْ طَرِيقِ الْقَصْرِ ، تَوْبِيخٌ شَدِيدٌ لِلْمُنْكَرِينَ لَهَا . بِبَيَانِ خَطِيئَتِهِمْ فِي الْاِسْتِغْثَالِ
بِسُتْرِ جُنَايَتِهِمْ بِالْاِعْتِذَارِ بِالْاِبْطِيلِ ، وَعَدَمِ تَلَاغِيَتِهَا بِالتَّوْبَةِ وَالْاِنَابَةِ . اَيُّ وَمَا
اُرْسَلْنَا رَسُوْلًا مِنْ الرِّسَالِ لِشَيْءٍ مِنَ الْاَشْيَاءِ اِلَّا لِيُطَاعَ بَاذِنِ اللّهِ . فَطَاعَتُهُ طَاعَةٌ
اللّهِ تَعَالَى ، وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَةُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ . (١)

— (وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنْ اِقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اَوْ اُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
مَا فَعَلُوهُ اِلَّا قَلِيْلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ اَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُوْنَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاَشَدَّ
تَثْبِيْتًا) (٢) .

المقصود : فعل القتل .

المقصود عليه : القليل .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

ذكر السياق القرآني أن الايمان بالله منوط بطاعته وطاعة رسوله .
فقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (٣) .
فالخروج عن طاعة الرسول ، وعدم الرضا بحكمه ، خروج عن الايمان بالله .
روى أن الزبير خاصم رجلا من الانصار في شريح من الحرة . فعندما بدأ
الرسول بالحكم ، قال له الأنصاري : يا رسول الله ان كان ابن عمك

(١) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(٢) آية (٦٦)

(٣) آية (٦٥) .

فَتَلَوْنَ وجه الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) . فاعتراض الانصاري كأن فيه عدم الرضا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدم الرضا فيه انكار لطاعته صلى الله عليه وسلم . لذا جاء النفي والاستثناء في هذه الآية للتوبيخ العظيم لكل من يحاول الخروج عن طاعته . ببيان أن ما أوجبه عليهم أمر في غاية اليسر . وعلى الرغم من هذا حاولوا انكاره . ويفهم من هذا ، أنه لو أوجب عليهم مثل ما أوجب على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم ، أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ، ما فعله الا القليل منهم . وفي هذا التوبيخ الشديد والانتقاص من ايمانهم استنهاض لهممهم ، وتحفيز لهم على التمسك بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزيادة في التنبيه بين لهم لو أنهم اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأطاعوه وانقادوا لما يراه ويحكم به ، لأنه الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم ، وأشد تثبيتا لايمانهم ، وأبعد من الاضطراب فيه ، ولكنهم غفلوا عن هذا الأمر ، وتجاهلوه ولذا جيء بالنفي والاستثناء لتنبههم من غفلتهم .

(١) روى الامام البخارى فقال : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا من الانصار في شريح من الحرة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك . فقال الانصاري يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجهه ، ثم قال اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر . ثم ارسل الماء الى جارك . واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في شريح الحكم ، حين احفظه الانصاري كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك ، " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " .

البخارى ، كتاب التفسير . تفسير سورة النساء ، م ٦ ج ٣ ص ٥٨

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاءٍ وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ (١).

المقصود : التكليف .

المقصود عليه : نفس الرسول .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ . إلا أن المنافقين الذين يدعون الإسلام كانوا شديدي السعى في تثبيط هم المسلمين وذلك بتسريب بعض الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين ، فيتلقفها بعض ضعاف النفوس من المسلمين ، فيذيعونها من غير استشارة الرسول وأولى الأمر ، مما يثير البلبلة بين صفوف المسلمين ، ويعود عليهم بالبلاء قال تعالى : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (٢)

ثم جاء بعدها الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الالتفات وجيء بأسلوب القصر للتنبيه الى أن نصر الله لرسوله كائن على الرغم من مكائد الكائدين ، وذلك بتأكيد نصره الله ، وتحقيق وقوعها ، حيث قصر التكليف على نفس الرسول . أى ان أفردوك وتركوك وحدك ، ولم تكن الا نفسك وحدها مقدمة للجهاد ، فان الله هو ناصرك لا الجنود . فان شاء نصرك وحدك ، كما ينصرك ومعك الأوف . (٣)

ففى مجيء النفي والاستثناء هنا استنهاض واستجاشة لهم المسلمين . وفيه أيضا التعريض بكل من يحاول التباطؤ عن الجهاد . وذلك باعلاء شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه الى أن مافعله المنافقون من تثبيط الهم لا يضره ولا يقل من عزمته وبأسه ، وأن نصره مؤكد ومحقق .

(٢) النساء آية ٨٣

(١) آية ٨٤

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٥٤٨

— (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَإِذِيبَ فِيهِ وَمَنْ أَدْرَقُ
مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) (١).

المقصور : الألوهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

أنكر المشركون البعث والحساب ، فقالوا : (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (٢).

فانكار البعث انكار للألوهية الرب عز وجل . فجى بالنفي والاستثناء لتأكيد
البعث ، باثبات الألوهية لله عز وجل وزيادة فى التأكيد قرن الفعل
(يجمعنكم) بلام التوكيد ، فقال : (ليجمعنكم) ، وذكر الفخر الرازى
قولا يتضح منه وجه آخر لسر القصر ، فقال :

(انا بينا أن المقصود من قوله : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
مِنْهَا أَوْ رَدُّوهَا) (٣) ، أن لا يصير الرجل المسلم مقتولا ، ثم أنه تعالى أكد
ذلك بالوعيد فى قوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) ثم بالغ فى
تأكيد ذلك الوعيد بهذه الآية ، فبين فى هذه الآية ان التوحيد والعدل
متلازمان ، فقوله : (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) اشارة الى التوحيد . (٤).

(١) آية ٨٧ .

(٢) سورة الجاثية آية ٢٤ . (٣) آية : ٨٦ .

(٤) الفخر الرازى ، م ٥ ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهِيَ جِرْوَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَّلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾ (١).

اختلف المفسرون في نوع الاستثناء في الآية . هل هو استثناء متصل أو منقطع فذكر الامام أبويحان جواز كونه متصلاً أو منقطعاً ، الا أنه رجح الاتصال . قال : (وأصل الاستثناء أن يكون متصلاً ، وظاهر الآية أنه استثناء متصل ، والمعنى الا الكفار الذين يصلون الى قوم معاندين غير مقاتلين) . (٢)

وبعد ان ذكر رأى أحد المفسرين علق ، فقال :

(. . . وعلى قول أبي مسلم يكون استثناء منقطعاً ، لأن المؤمنين لم يدخلوا تحت قوله : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ) . (٣) وذكر الامام الزمخشري وأبو السعود أنه استثناء متصل ، من قوله تعالى : (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ) . ولم يذكر الانقطاع . والظاهر أنه استثناء متصل تام .

وقد ذكرنا في الباب الأول أن العلماء اجمعوا على أن القصر بالنفسى والاستثناء يأتي من الاستثناء المفرغ ، واختلفوا في مجيئه من الاستثناء التام ، فذهب بعضهم الى أنه يأتي منه .

ويبدو لي أنه اذا أمكن استخراج بعض الأسرار البلاغية لبعض الآيات ، التي يكون فيها الاستثناء تاماً ، فلا مانع من الاشارة اليها على رأى الفريق المؤيد . فالمقصود في الآية : اتخاذ الولي والنصير .

المقصود عليه : الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق .

والقصر في الآية قصر صفة على موصوف قصر افراد .

قصر الاتخاذ على فئة معينة .

(١) آية ٨٩-٩٠

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٥٠

(٣)

سر القصر :

يذكر القرآن مرارا وتكرارا أن المنافقين في المجتمع المسلم قسوم منبوذون ، تجب مقاطعتهم في جميع المعاملات ، لأن خطرهم عظيم ، إلا أن بعض المسلمين كانوا يتخذون منهم أولياء ، وهذا أمر في غاية الخطورة لأنه يهدد كيان المجتمع المسلم . وهذا الموقف الخطير يتطلب شدة وحسما في التوجيه فبدأت الآية بالاستفهام الاستنكاري (فما لكم في المنافقين فئتين) (١) ثم كرر الاستفهام الانكاري (أتريدون أن تهدوا من أضل الله . لبيان أن الفعل المرتكب أمر منكر غاية الانكار .

ولكن لشدة الموقف وخطورته جاء النفي والاستثناء ، ليزيد من حدة الاستنكار والتوبيخ ، فنهاهم بشدة عن اتخاذ جميع المنافقين أولياء ، وقصر الاتخاذ على فئة معينة .

— (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .) (٢)

المقصود : المفضل .

المقصود عليه : أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

حاول اليهود محاولات كثيرة وبأساليب متنوعة ، أن يضلوا الرسول عن الحق والعدل ، وبذلوا في سبيل تحقيق هذا الأمر كل طاقتهم ، وهم حين حاولوا

(١) آية : ٨٨

(٢) آية : ١١٣

اضلال الرسول ، أنكروا أن يكونوا على ضلال ، لأن اضلال النفس أمر من شأنه أن ينكره المخاطب . فجاء النفي والاستثناء ليفاجئهم بأمر لم يلتفتوا له ، ولم يتوقعوه لفرط غفلتهم وغباوتهم ، فقد ظنوا أن الضلال لاحق بالرسول صلى الله عليه وسلم . فقلب اعتقادهم وكشف حقيقتهم ، وأخبرهم أن الاضلال واقع عليهم ، لا يتعداهم الى الرسول ، مما خيب ظنهم ، فحقت هذه الأداة نصرا عظيما ، لأنها وقعت وقعا أليما على نفوسهم ، وكسرت شوكة كبريائهم .

— (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنَانَاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا) (١) .

فى الآية اسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق النفي والاستثناء الأول فى قوله تعالى

(إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنَانَاً) .

المقصور : المدعو

المقصور عليه : انا

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا . والقصر الثانى فى قوله تعالى :

(وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا) .

المقصور : المدعو

المقصور عليه : شيطانا مريدا .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لعل السر فى استعمال اسلوبى قصر فى آية واحدة ، هو عظيم الذنب

المرتكب ، ومبالغة فى تشنيع وتحقير ما يعبد من دون الله .

فلم يكن هناك حتى من أحياء العرب الا وكان لهم صنم يعبدونه ويسمونه أنثى

بنى فلان ، وقيل أنهم كانوا يقولون فى أصنامهم أنهم بنات الله ، وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله . (١)

وهذا الشرك معناه انكار افراد الله بالعبادة . ولذا جاء النفي والاستثناء فى قوله تعالى (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا نِثَابًا) . للتسفيه من شأن كل ما يُعْبَد من دون الله . فقصر الدعاء على لفظ اناث (للتنبية على فرط حماقة عَبَدَتِهَا وتناهى جهلهم) (٢) وكنى بالدعاء عن العبادة لأن من عبد شيئاً دعاه عند حوائجه ومصالحه (٣) ثم تبع هذا الاسلوب أسلوب استثناء آخر ، ليزيد من تأكيد حقارة ما يُعْبَد من دون الله . فقال تعالى :

(وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا) .

وجعل المستثنى نكرة تحقيراً لشأنه ، وجىء بصفة مرید على وزن فعيل للمبالغة من اسم الفاعل الذى هو مارد من مرد ، أى عمّ وعلا فى الحذاقة ، وتجرد للشر والغواية . (٤)

— (يَعْزُبُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْنِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) . (٥)

المقصور : وعد الشيطان

المقصور عليه : الغرور

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

ما تزال المعركة بين بنى آدم وبين الشيطان مستمرة ، ولن تنزل الا بزوال الأرض ومن عليها . فهو الذى أوقعهم فى عبادة غير الله ، وانكار

(١) أنظر الكشاف ، م ١ ص ٥٦٤ / البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٥٢

تفسير أبى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٣٣

(٢) تفسير أبى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٣٣

(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٥١

(٤) البحر المحيط ، حاشية الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٥١

(٥) آية ١٢٠ .

شرائعه ، وارتكاب كل ما نهى عنه وزجر ، وذلك بالقاء الامانى فى قلوبهم
وتزيين أعمالهم .

وفى وسط هذه المعركة النفسية العقديـة جاء النفى والاستثناء ، لينبـه
العباد وينذرهم فى اسلوب قوى ، يوقظ الشاعر ، ويشد الانتباه الى الخطـة
الشيطنانية ، والقاعدة الأساسية التى يسير عليها الشيطان - أعاذنا الله منه -
ليكونوا على بصيرة من أمرهم .

== (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ
قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (١)

المقصور : الذكر .

المقصور عليه : الوقت القليل أو الذكر القليل .

أى لا يذكروته سبحانه الا ذكرا قليلا ، أو ولا يذكرون الله الا زمانا
قليلا ، أو لا يصلُّون الا قليلا ، لأنهم لا يصلون قط غلثبين عن عيون الناس
الا ما يجاهرون به ، وما يجاهرون به قليل أيضا . (٢)
فهو قصر موصوف على صفة قصر قلب ، أو افراد .

سر القصر :

بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام بتكوين المجتمع المسلم المتكامل فى
المدينة المنورة ، وكانت هناك قوتان تقفان ضد الاسلام ، وهما قوة اليهود
وقوة المنافقين ، فكانت الآيات تتعقب هاتين الفتنتين لتفضح خططهما .

(١) آية ١٤٢

(٢) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٥٧٤ / تفسير ابى السعود م ١ ، ج ٢ ص ٢٤٦

وقد كانت جماعة من المسلمين في المدينة يجلسون في مجالس كبار المنافقين - ذوى النفوذ - وكان ما يزال لهم ذلك النفوذ . مختريين بظواهرهم من الصلاح والتقوى .

لذا أخذ القرآن يذكّر للمؤمنين صفاتهم التى منها اتخانهم الكافرين أولياء - استهزأهم بآيات الله - محاولتهم خداع الله - كسلهم التمام حين أداء الفرائض ، وكسلهم هذا أمر يجهله المؤمنون ، لأنهم لا يرون منهم الا الاجتهاد التام فى العبادة ، والتقوى والصلاح . ولكشف حقيقتهم وتأكيدها جئ بالنفى والاستثناء ، فنفى عنهم ذكر الله فى جميع الأوقات الا فى وقت مراعاة الناس .

فتصويرهم بهذه الصورة المخزية ، وبهذا الأسلوب المؤكد ، دافع قسوى للمؤمنين الى تحقيرهم ، ومن ثم قطيعتهم قطيعة تامة عاجلة .

((المائدة))

— (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) . (١)

المقصود : المحملون .

المقصود عليه : نفسى وأخى .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

أثبت موسى عليه السلام أنه لا يملك لنصرة دين الله الا نفسه وأخاه مع أن السياق يوضح أن هناك رجلين كانا مع موسى عليه السلام هما (يوشع بن نون وكاليب بن يوفنا) (٢) .

(١) آية (٢٥)

(٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ١١٢-١١٣ / الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠٤

وقد وصفتهما الآيات بالخوف والرهبة ، وهذا قمة الايمان بالله ، (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا تَخَلَّتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . (١)

فما هو السر في انكار موسى عليه السلام لهما ، وعدم اعتداده بهما ، على الرغم مما وُصِفَا به من التقوى والخوف؟! .

ذكر الفخر الرازي في ذلك وجهين :

(فان قيل لم قال لا أملك الا نفسي وأخي ، وكان معه الرجلان المذكوران قلنا كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ، لما رأى من اطباق الأكثرين على التمرد وأيضا لعله انما قال ذلك تقيلا لمن يوافقه) . (٢)

وسرّ القصر هنا ، أنه لما طلب موسى عليه السلام من قومه ، أن يدخلوا معه بيت المقدس ، أنكروا معاضته وقالوا له : (إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَلأَنْهَبْ أُنْتِ وَرَبُّكَ فَغَاتِلَا إِنَّا ههنا قَاعِدُونَ) . (٣)

في جوابهم هذا منتهى الجبن وقسوة القلب ، ومنتهى الاستهانة والاستهزاء به سبحانه وبرسوله عليه الصلاة والسلام . فالموقف فيه انكار وعناد وعصيان وهو بالنسبة للمتكلم موقف محزن شديد الصعوبة على النفس .

فموسى عليه السلام أحس احساسا عميقا بحاجته للمولى عز وجل ، بعد أن أنكر بنو اسرائيل معاضته . فجاء بالنفي والاستثناء ليعبر عن فكرة الحزن واليأس من هؤلاء القوم ، ببث ألمه وحزنه وشكواه الى مولاه .

ذكر الامام الزمخشري في بيان جمال هذا الاسلوب : (وهذا من البت والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي يمثلها تُسْتَجَلِبُ الرَّحْمَةَ وَتَسْتَنْزِلُ النَّصْرَةَ) . (٤)

(١) آية ٢٣

(٢) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢٠٥

(٣) آية ٢٤

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠٥

فميزة هذا الأسلوب هو القدرة البارعة في التعبير ، عما يجول في نفس المتكلم ، وما يدور في خاطره ، وما يحرك أحاسيسه . ولقد ذكر الشهاب أنه ليس المقصود من الآية القصر ، بل بيان قلة من يوافقه فقط . فعندما ذكر الامام البيضاوى أنه يجوز أن يكون المقصود بأخي هنا من يواخيني في الدين ، فيدخل في معنى الاخوة الرجلان (كالب ويوشع) (١) . حيث قال : (ويجوز أن يراد بأخي من يواخيني في الدين ، فيدخلان فيه) . (٢)

رد عليه الشهاب بقوله : (وكون المراد بالأخ ما يشملهما بعيد لفظا ومعنى ، لأن افراده محتاج الى التأويل ، بكل مؤاخ لى في الدين ، أو بجنس الأخ . وأجيب بأنه ليس القصد القصر ، بل بيان قلة من يوافقه . تشبيهها لحاله بحال من لا يملك الا نفسه وأخاه) (٣) . ويبدو لى أنه لامانع من كونه قصرا ، وان قصد منه التشبيه ، بل إن ورود التشبيه بأسلوب القصر ، يزيد في توضيح الفكرة وتعميقها .
فنفى القصر هنا غريب جدا مع وجود أدواته .

— (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٤) .

المقصور : اله .

المقصور عليه : اله واحد .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

(١) وعلى هذا القول يكون القصر حقيقيا تحقيقيا .
(٢) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٣١
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٣١
(٤) آية (٧٣)

سر القصر :

نهب النصرى الى أن الله سبحانه وتعالى (جوهر واحد ثلاثة أقانيم
أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وأنهم يريدون بالأول
الذات ، وقيل الوجود . وبالثانى العلم . وبالثالث الحياة) (١) فالنصرى
اذا لاينكرون وجود الله ولكنهم لايقرون له بالوحدانية ، بل يشركون غيره
معه . وهذا مخالف كل المخالفة لعقيدة التوحيد . ولذا جاء النفي والاستثناء
لافراد الذات العليا بالأوهية ، وتقرير الحقيقة التى تقوم عليها كل حقيقة
نادى بها الرسل فى كل عصر من العصور ، وهى أن الله سبحانه وتعالى
" موصوف بالوحدة ، متعال عن قبول الشركة بوجه . . اذ التعدد يستلزم
انتفاء الأوهية ، كما يدل عليه برهان التمانع . فاذا نافت الأوهية
مطلق التعدد ، فما ظنك بالتثليث) (٢) .

وذكر الشهاب فى حاشيته على البيضاوى ، أن السر فى هذه الآية هو الاشارة
الى حصر الوحدة فى المولى عز وجل على أبلغ وجه ، يفيد عدم قبوله
للشركة . فكما انتفى وجود الشركة ، انتفى امكانها أيضا) (٣) .
وأعقب هذا الاستثناء أسلوب يحمل معنى التهديد والوعيد ، (وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . لأن الله سبحانه وتعالى
أوضح لهم الحقائق بأسلوب مؤكد ، لايقبل الجدل ، ولا التباطؤ فى التوبة .
فان هم لم يرتدعوا ، ونهبوا الى خلاف منهب التوحيد ، فلينتظروا العذاب
الاليم .

ثم يُعَجِّب القرآن من انكارهم ، وعدم مبادرتهم الى التوبة ، واصرارهم
على الكفر ، بعد أن قرر لهم حقيقة التوحيد . قال تعالى : (أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ) . (أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والأقوال

(١) تفسير ابي السعود ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

الباطلة ، فلا يتوبون الى الله تعالى الحق ، ويستغفرونه بتنزيهه تعالى عما نسبوه اليه عز وجل ، أو يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة ، فلا يتوبون عقيب ذلك (١).

— (مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢).

المقصور : المسيح .

المقصور عليه : رسول .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

اعتقد النصارى أن عيسى بن مريم أحد الاقانيم الثلاثة (الأب - الابن -

روح القدس) .

وأنكروا أن يكون بشرا رسولا . لذا كان لابد من نض هذه العقيدة الباطلة ومحاورة هذه العقول المنكرة ، لاقناعها بما ترفضه مكابرة وعنادا . فجاءت الآية بأسلوب النفي والاستثناء متضمنه لادلة محسوسة تدل على محض بشريته . فقال تعالى : (مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ) أى أن له أما ، وهذا دليل أول على بشريته ، ومعنى ذلك (أن كل من كان له أم ، فقد حدث بعد ان لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا الها) . (٣)

ثم بعد اثبات هذه الصفة البشرية فيه قصر على الرسالة ، لا يكاد يتخطاها الى ما يزعم النصارى فيه عليه الصلاة والسلام . ثم وصف المستثنى بأوصاف تجعله ممعنا فى البشرية فقال تعالى : (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) .

(١) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٨

(٢) آية ٧٥

(٣) الفخر الرازى ، ج ٦ ، ج ١٢ ، ص ٦٥

وهذه الصفات منافية للألوهية ، (فَإِنْ خُلُو الرسل قبله مُنْذِرٌ يَخْلُوهِ
وذلك مقتضى لاستحالة الألوهية . أى ما هو الا رسول كالرسل الخالية قبله) (١)
وفى مجيء النفى والاستثناء هنا زجر وتوبيخ على اعتقادهم الباطل ، وادعائهم
أن عيسى اله مع الله .

فرد القرآن عليهم بهذا الأسلوب الزاجر أكبر دليل على سفه تفكيرهم .
وفى نهاية الآية يسخر القرآن من قصر عقولهم ، ويعجب من حالهم ، حيث
ادعوا لعيسى وأمه عليهما السلام الربوبية ، بعد أن بين لهم حقيقتهم
بأقوى أسلوب وآكده - وهو النفى والاستثناء - فقد بين لهم حالهما بياناً
لا يقوم حوله شائبة شك أو ريب . فقال تعالى : (أَنْظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنَا لَهُمُ
الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .

ومما يلاحظ أن التركيب فى هذه الآية ، وفى قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (٢) .

على نمط واحد ، وانما الاختلاف فى اسم المقصور . فأحدهما (المسيح)
والثانى (محمد) . والصفة بعد المقصور عليه واحدة فى كليهما . ولكن
السياق مختلف تماماً . وفى قوله : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) كان القوم يؤمنون
بكونه بشراً رسولاً . فالحقيقة التى يُراد لفت النفوس اليها هناك يقينية
لديهم ، ولكن طغيان الموقف أنهل عنها ، فكان لابد من ايقاظ الحقيقة
الكامنة فى نفوسهم ، وذلك بلفت انتباههم وهزم هزة عنيفة .

أما فى هذه الآية (ما المسيح بن مريم) فالقوم هنا مصرون على الانكار . فهم
إذا يحتاجون الى سوق أدلة وبراهين مؤكدة . فجاء الأسلوب أسلوب اقناع
يحاور العقول ، ليقنعها بما ترفضه عنادا ومكابرة ، لا أسلوب تذكير
ولفت نظر لما هو مستقر فى النفوس . كما يلاحظ فى هذه الآية أن القرآن

(١) روح المعانى ، ج ٦ ، ص ٢٠٨

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤

انصرف عنهم ، ولم يخاطبهم . وانما حكى ضلالتهم هذه ، وكأنه يعجب منها
ومن وضوح زيفها . وأدلة رفضها (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) ، ثم تراهم متشبثين
بها . وفي انصراف القرآن عنهم استخفاف وامتهان لهم .
أما في الآية الأولى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) فالآيات كلها كانت توجيهها مباشرا
لهذه الجماعة بعد خوضها لتجربة قاسية . فجاء في عقبها . . ولا تهنوا ولا تحزنوا
وأنتم الاعلون . . . وان يمسكم قرح . . . (١) فكلها تدل على التصبير والتخفيف
من أثر الصدمة .

— (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) (٢)

المقصود : الرسول .

المقصود عليه : البلاغ .

قصر موصوف على صفة قصر افراد اذ كانوا يعتقدون ويظنون ان من مهممة
الرسول صلى الله عليه وسلم هدايتهم فهم يجمعون له بين صفتين .

سر القصر :

نهى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة العباد عن كثير من الامور
وحرمها عليهم كالخمر والميسر والانصاب والازلام ، كما نهاهم عن قتل الصيد
وهم حُرْم ، وأمر رسوله بتبليغ هذا الأمر . ولما كان الابتعاد عن هذه
المحرمات أمرا قد تنكره النفس ، لأنه مناف لهاها ، أعقبها بقوله
تعالى : (اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٣) ثم جاء النفي والاستثناء
ليزيد الجورهة ومخافة ، فكونه تعالى يذكر ما جاء به الرسل ، ويؤكد

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابو موسى ، ط ١ ، ص ٥٦ - ٥٧

(٢) آية ٩٩

(٣) بعض آية ٩٨

تأكيداً بالغاً أنهم أدوا أمانة التبليغ وينفى عنهم صفة الهداية. أبلغ في التهديد لمن أنكر أمر الرسل ، وأشد في الوعيد لمن خالف أوامرهم . ذكر الامام ابوالسعود أن في قوله : (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به ، أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه . وقامت عليكم الحجة ، ولزمتكم الطاعة ، فلا عذر لكم من بعد في التفریط) (١) وفي هذا الأسلوب لفت لنظر العباد ، وتنبيه شديد لهم بأن في ابلاغ الرسول تكليف لهم .

ذكر الامام الفخر : (واعلم أنه تعالى لما قدم الترهيب والترغيب بقوله : (أَنْ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أتبعه بالتكليف بقوله : (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) يعنى أنه كان مكلفاً بالتبليغ ، فلما بَلَغَ فرغ العهدة وبقي الأمر من جانبكم ، وأنا اعلم بما تبدون وبما تكتمون ، فان خالفتهم ، فاعلموا ان الله شديد العقاب ، وان أظعتم فاعلموا أن الله غفور رحيم) (٢) .

== (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٣) .

المقصود : القول .

المقصود عليه : الأمر .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

(١) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٣

(٢) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٠٩

(٣) آية ١١٢ .

سر القصر :

ذهب الامام السكاكي وتبعه القزويني الى أن القصر في الآية قصر قلب .
والسر في ذلك أنه (٠٠) قاله في مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل
للناس ما أمرتك ، لأنى أمرتك ، أن تدعو الناس الى أن يعبدوني . ثم أنك
دعوتهم الى أن يعبدوا من هو دونى ، الا ترى الى ما قبله (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَىٰ بَنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) . (١)
وزاد الخطيب على ذلك بأنه (٠٠) ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به
شيئا ، اذ ليس الكلام فى أنه زاد شيئا على ذلك ، أو نقص منه ، ولكن
المعنى أنى لم أترك ما أمرتنى به ، أن أقوله لهم الى خلافه (٢) . واعترض
ابن السبكي على هذا التحليل وخالفهما فيه .

ورأى ان القصر قصر قلب ، ولكن لغير الوجه المذكور . فهو قصر قلب ، لأنه
وقع فى مقابلة قول النصارى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال اتخذونى
وأمى الهين . فقال تعقيبا على قول الخطيب القزوينى : (هذا من المصنف
يقتضى أن قصر القلب ليس فيه نفي لغير المذكور . وليس كذلك والذى قاله من أن
المراد أننى قلت ما أمرتنى به صحيح ، ولا ينافى ذلك أن يكون نفي الزيادة
عليه . فهذه هى حقيقة القصر . نعم هو قصر قلب ، لغير ما ذكره . وهو أنه
واقع فى مقابلة قول النصارى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال اتخذونى
وأمى الهين فان نسبتهم ذلك اليه ، لاجتماع مع نسبتهم اليه الاعتراض
بالوحدانية) . (٣)

ويبدو لى أنه لا مانع من أن أضيف بعض الشرح لتوضيح سر القصر - مُسْتَقِيمَةً
ذلك من كلام الدكتور محمد ابو موسى ، فقد كتب كلاما واضحا فى بيان سر هذا
القصر ، فى الآية السابقة وجه الله سبحانه وتعالى الى عيسى عليه السلام

(١) مفتاح العلوم . ص ١٢٦

(٢) الايضاح تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، ج ١ ص ٢٢٣

(٣) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥

سؤالاً بصيغة الاستنكار وليس المقصود من السؤال طلب الفهم ، لأن السائل هو الله العليم المحيط بكل السرائر ، وانما القصد - والله أعلم بمقصوده - أن يجيب عيسى عليه السلام بما يهدم باطلهم . قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) . (١)

وهذا سؤال رهيب من رب العالمين ، حيث أصاب عيسى عليه السلام الفزع والخوف والدهشة ، فسارع بتبرئة نفسه بقوله (سبحانك) ، ومعناه التقديس والتنزيه . وأن هذا القول - اتخذوني وأمي الهين - يضاد هذه السبحانية أي علويتك وتنزيهك عن الشرك . وعن أن يزاحم هيمنتك أحد من خلقك . ثم يقول عيسى عليه السلام : (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ) . فهو لا ينفي فقط أنه قال ، وانما يجعل صدور هذا القول ، مما لا ينبغي أن يصدر منه . ولم يكتف بقول (ما يكون لي أن أقول هذا) ، بل ذكر أن صدور هذا القول مناف لعبوديته والتزامه بالحق . وكأنه جعل نفيه مقترن بالدليل . كما تقول ليس هذا من أخلاقي . فان ذلك لا يفيد انك لم تفعله فحسب ، وانما يفيد أن الشأن فيك الا تفعل مثله . ثم يعود عيسى عليه السلام الى تنزيه المولى وتقديسه بغير لفظ سبحان فيقول (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) . أي أن علمك محيط بي ، لأنني مربوب لك ، وكائن في قبضتك وفي هيمنة الوهيتك ، وهذا تسبيح لله من وجه . وتأكيده لنفي أنه قاله ، فدفع عيسى لهذه الفرية متشابك في كل صورة ، مع التسبيح والتنزيه . لأنها ضلالة تضاد التسبيح ، وتجعل لله شريكا ، ثم يأتي أسلوب النفي والاستثناء في قوله تعالى : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) . لتأكيد نفي أنه قال

(١) آية (١١٦) من نفس المورة .

(اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ) . وذلك باثبات أنه قال ما يناقضها ، وهو (اعبدوا
اللّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ) . فهو لم يدعه الى غيره . (١)

((الأنعام))

— (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) . (٢)

المقصور : الإتيان .

المقصور عليه : حال الاعراض .

قصر موصوف على صفة قصر احقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

في مطلع السورة الكريمة جاءت الآيات الدالة على وحدانية الله ،
وتفرده في الالهية ، ولكن على الرغم من عظم هذه الادلة وظهورها ، ومخاطبتها
للقلب البشري مخاطبة موحية موقظة للفرطه ، عدلت عنها القلوب الفاسدة
وأشركت مع الله غيره . قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ .. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ .. وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) .
فالاعراض مع وجود الأدلة الماثلة للعيان قمة الانكار . لذا جاء النفي
والاستثناء للمبالغة في ذمهم وتحقيرهم . فقصر اتيان الآيات على كونهم
معرضين ، أي (.. ما يظهر لهم قط دليل من الأدلة ، التي يجب فيها
النظر والاستدلال والاعتبار ، الا كانوا عنه معرضين ، تاركين للنظر
لا يلتفتون اليه ، ولا يرفعون به رأسا ، لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب) . (٣)

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابو موسى ، ط ١ ، ص ٥٩ - ٦٠

(٢) آية (٤)

(٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ٥٥

ولشدة اعراضهم أعرضت الآية عن خطابهم ، للاشعار بأن اعراضهم عن تلك الآيات الواضحة ، قد بلغ مبلغا اقتضى أن لا يواجهوا بكلام ، بل يضرب عنهم صفحا ، وفي تعدد جنائياتهم لغيرهم ذمالمهم ، وتقبيحا لحالهم (١) .
وكذلك ذكر الامام الصاوي (٢) في حاشيته على الجلالين . أن قوله تعالى
(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) كلام مستأنف بيان زيادة قبائحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (٣) .
وجيء بما النافية ، ويليهما الفعل المضارع ، لحكاية الحال الماضية ،
أو للدلالة على اصرارهم واستمرارهم المتجدد في الانكار ، ولتسفيه فعلتهم
هذه ، وتأكيده عبوديتهم ، وتفخيم ما أنكروه . أضيفت الآيات للرب عز وجل
المضاف لضميرهم (٤) .

وقد يكون القصر في الآية قصر تعيين وذلك اذا قيل أن من يسمع بحالهم
يتردد بين قبولهم للآيات وأعراضهم عنها فيكون القصر قصر تعيين .
أو أن المخاطب بهذه الآية - الرسول والمؤمنون - كانوا يتوقعون من أولئك
القبول لكثرة الآيات وقوتها فيكون القصر قصر قلب .

— (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (٥) .

المقصور : هذا

المقصور عليه : سحرمبين

قصر موصوف على صفة ، قصر قلب .

(١) أنظر تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٩

روح المعاني ، ج ٢ ، ص ٩١

(٢) هو احمد بن محمد الخلوتي ، الشهير بالصاوي ، فقيه مالكي نسبته الى
" ماء الحجر " في اقليم الغربية ، بمصر ولد سنة ١١٧٥ هـ وتوفي سنة ١٢٤١ هـ
من كتبه : حواشي على بعض كتب الشيخ احمد الدردير في فقه المالكية ،
و(الفرائد السنية) (شرح همزية البوصيري) في دار الكتب الاعلام ، م ١٣ ، ص ٢٤٦

(٣) حاشية الصاوي ، م ٢ ، ص ٤

(٤) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٩ / روح المعاني ج ٢ ، ص ٩١

(٥) آية (٧)

وان هنا نافية بمعنى ما (١).

سر القصر :

بالغ أهل مكة في كفرهم وعصيانهم ، حتى أنهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى نُبُوتهِ وَصِدْقِهِ . قَالَ تَعَالَى : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِتَافًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (٢)

فقد ادَّعُوا أَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا ، أَنْعَمُوا لَهُ وَاسْلَمُوا . وَلِحَرَصِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ قَدْ يَتَمَنَّى أَنْزَالَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَسْلَمُوا كَمَا زَعَمُوا ، فَهُوَ يَجْهَلُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَلِذَا جَاءَ الْخَطَابُ هُنَا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ طَرِيقِ الْإِتْفَاتِ ، لِيَعْلَمَهُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ . فَأُظْهِرَ انْكَارَهُمْ وَهَبَالَغَتَهُمْ فِي التَّكْذِيبِ (بأنهم لو رأوا كلاما مكتوبا في قرطاس ، ومع رؤيتهم جسوه بأيديهم ، لم تزدهم الرؤية واللمس الا تكذيبا) (٣) . وزيادة في تأكيد انكارهم جيء بقولهم عن طريق القصر بالنفي والاستثناء ، لقلب اعتقاد من يظن أنهم سيؤمنون حقا ، وذلك ببيان شدة اصرارهم وعنادهم ، حيث أنهم سَيَقْضُونَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّحَرِ عَنَادًا وَتَعْنَتًا .

(١) الصاوي ، م ٢ ، ص ٥

(٢) الاسراء آية ٩٠ - ٩٣ - ٩٣ .

(٣) البحر المحیط ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

المقصود : كشف الضر .

المقصود عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

الخطاب في الآية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل هو عام لكل من يقف عليه . (٢)

سر القصر :

لما اتخذ المشركون أصنامهم وأوثانهم أرباباً من دون الله على الرغم من ظهور الأدلة أمام أعينهم ، فجعلوا منهم أولياء ، وظنوا أن بأيديهم الخير ، وفي استطاعتهم كشف الضر . أخذت الآيات تبرهن للخلق أن الخير والضر بيد الله وحده . ولتقرير هذه الحقيقة وتأكيد جيء بالنفس والاستثناء ، فأكدت تأكيداً بالغاً بأن نفي القدرة على كشف المكروه عن كل ما عبيد من دون الله ، وأثبتتها للذات العليا ، أي ان تنزل بك يا محمد شدة من فقر أو مرض أو مكروه أو غير ذلك من بلايا ، فلا رافع ولا صارف لها الا هو . وان يصبك برخاء وعافية ، فهو على كل شيء قدير . (٣)

ويتضح لنا جمال القصر ، اذا لاحظنا أنه استعمل أسلوب القصر عن طريق

النفي والاستثناء في مساس الضر ، فقال تعالى : (فلا كاشف له الا هو) ولم يستعمل في مساس الخير ، بل ذكر قوله تعالى : (وهو على كل شيء قدير) . ويلفتنا الامام أبو حيان الى اللطيفة في ذلك فقال :

(٠٠٠ وجاء جواب الأول بالصر في قوله : (فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) مبالغة في الاستقلال بكشفه . وجاء جواب الثاني بقوله (فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) دلالة على قدرته على كل شيء ، فيندرج المس بخير أو غيره) . (٤)

(١) آية ١٧ (٢) انظر حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٣٥

(٣) أنظر الكشاف ، م ٢ ، ص ٩ / البيضاوي ، ج ٢ ، ص ١٨٣ /

القرطبي ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ٣٩٨ (٤) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٨٨

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّاهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (١)

المقصود : كون الفتنة .

المقصود عليه : قولهم .

والاستثناء في الآية مفرغ من أعم الأشياء (٢) وهو قصر صفة على موصوف ،

قصر اضافة قصر افراد ، أو هو قصر حقيقي كما سيحقق .

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة جود أهل مكة بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

اغترارا منهم بكفرهم ، واعجابا بأوثانهم . معتقدين أن عبادتهم للآلهام

ليست شركا . فلتأكيد اصرارهم على الكفر ، وأنه لاخير يُرتجى منهم ، لأنهم

كانوا معجبين بكفرهم ، متهايكين على حبه - هذا اذا فسرت الفتنة بمعنى

ما يُفتتن به الانسان - جاء النفي والاستثناء ، حيث قصرنا الفتنة على

قولهم والله ما كنا مشركين . فهو قصر افراد بالنسبة الى جنس الاقوال .

أو هو قصر حقيقي اذ فسّر قوله تعالى : (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) على أنه كناية

عن التبرؤ مما كانوا يعبدون . أى لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة

أعمارهم ، وافتخروا به شيئا من الأشياء ، الا جودهم والتبرؤ منه . (٣)

وقد ذكر الامام الأوسى هذا الكلام مفصلا فقال :

(وأصل معنى الفتنة ، على ما حققه الراغب من الفتن . وهو الخال

الذهب النار ، لتعلم جودته من رداءته . ثم استعمل في معان كالغذاب

والاختبار والبلية ، والمصيبة ، والكفر والاثم والضلال ، والمعذرة . واختلف

في المراد هنا ، ف قيل الشرك ، واختار هذا القول الزجاج ، ورواه عطاء

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . وكأن التعبير عن الشرك بالفتنة ، أنها

(١) آية (٢٣)

(٢) تفسير ابى السعود ، ج ٣ ، ص ١٢٠

(٣) المرجع السابق نفس الجزء ، والصفحة .

ما تَفَتَّتِنَ بِهِ ، ويعجبك . وهم كانوا معجبين بكفرهم ، مفتخرين به ، والكلام حينئذ اما على حذف مضاف ، كما يقتضيه ظاهر كلام البعض ، واما على جعل عاقبة الشيء عينه ادعاء . وهو أحلى مذاقاً وأبعد مغزى . والحرص اضافى بالنسبة الى جنس الأقوال ، أو ادعائي .

وقوله تعالى : (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) كناية عن التبرئ عن الشرك ، وانتفاء التدين به . أى ثم لم يكن عاقبة شركهم شيئاً ، الاتبرؤهم منه ، ونص الزجاج أن مثل ما فى الآية أن ترى انساناً يحب غاوبياً ، فاذا وقع فى مهلكة تبرأ منه . فيقال له : ما كان محبتك لفلان الا ان تبرأت منه ، وليس ذلك من قبيل عتابك السيف ، ولا من تقدير المضاف ، وان صح ذلك فيه . وهو معنى حسن لطيف ، لا يعرفه الا من عرف كلام العرب ، وقيل : المراد بها العذر ، واستعملت فيه لأنها على ما تقدم التخليص من الغش ، والعذر يخلص من الذنب فاستعيرت له .

وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً . وأبى عبدالله ، وقتاده ، ومحمد بن كعب رضى الله تعالى عنهم ، وقيل : الجواب بما هو كذب . ووجه الاطلاق أنه سبب الفتنة . فتجوز بها عنه اطلاقاً للمسبب على السبب ، ويحتمل أن يكون هناك استعارة ، لأن الجواب مخلص لهم أيضا كالمعذرة . قيل والحرص على هذين القولين حقيقى . (١)

== (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (٣) .

(١) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ١٢٢ - ١٢٣
(٢) وهى جمع أسطورة وأسطور واسطار . وهو ماسطره الناس من خرافاتهم وأكاذيبهم .
(٣) آية (٢٥) .

المقصور : اسم الإشارة .

المقصور عليه : أساطير الأولين .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

زى كفار قريش القرآن ، بأنه سحر ، وأنه ليس من عند الله . ولشدة انكارهم بالغ القرآن في وصف جحودهم . فقال تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (١) .

ثم لم يكتفوا بهذا الافتراء ، فطالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم استهزاء وجدالا بأن ينزل عليهم آية من السماء (وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ) (٢) .

فأمام انكارهم هذا ، أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن هذا القرآن من عند الله ، وأن كل ما رموه به إنما هو محض افتراء . قال تعالى : (قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ) (٣) .

ولشدة انكار الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سحر ، وتأکید أنه وحى من الله ، خاطبوه خطاب المنكر لعقيدتهم ، فجاءوا بالنفى والاستثناء ابتغاء تأكيد زعمهم ، فقصروا القرآن على الاساطير وهى الخرافات والاكاذيب . فالمنفى هنا - كما زعموا - كونه وحيا من عند الله ، ولم يقصدوا نفى جميع الصفات عنه ، لأنهم كانوا يقولون مقاتلهم هذه عند استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعوته اياهم الى الإيمان بهذا القرآن ، وبأنه يوحى اليه . فقلبا لدعواه جاءوا بالنفى والاستثناء .

(١) آية (٧) من نفس السورة .
(٢) آية ٨
(٣) آية ١٩

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)

المقصور : المهلوك

المقصور عليه : أنفسهم .

قصر صفة على موصوف . قصر قلب .

سر القصر :

أنكر مشركو مكة ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا في كونه وحيا من عند الله . وقال بعضهم (لَنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) استهزاء به واستخفافا ، وعبر القرآن عن شدة اعراضهم بقوله (ينأون) . (اظهارا لغاية نفورهم منه ، وتأكيذا لنهيهم . فان اجتناب الناهي عن المنهى عنه من متممات النهي) (٢) .

وظنوا أنه بتباعدهم هذا سيتخلى الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فَيُهْلِكُ وَتُهْلِكُ دَعْوَتَهُ .

فجاء الرد عليهم بأسلوب النفي والاستثناء لتأكيد نفي الإهلاك عن الرسول صلى الله عليه وسلم . واثباته لأنفسهم . أى ما يهلكون بذلك الا أنفسهم بتعريضها لأشد العذاب . لا يتعداهم الضر الى غيرهم ، وان كانوا يظنون أنهم يضررون رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) وفي ذلك قلب لاعتقادهم . وعبر هنا بالاهلاك مع أن المنفى عن غيرهم مطلق الضر ، للايدان بأن ما يُحْيِقُ بهم هو الهلاك ، لا الضر المطلق . على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكروا ، بل كانوا يريدون ايقاع الفوائل بالرسول صلى الله عليه وسلم (٤) .

(١) آية ٢٦

(٢) روح المعاني، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٣) انظر تفسير ابي السعود، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٢٢ / الكشاف م ٢ ، ص ١٢

(٤) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ١٢٦

ثم أعقب النفي والاستثناء قوله تعالى : (وما يشعرون) . فنفى الشعور عنهم لتأكيد غباوتهم ، والمبالغة فى ذمهم . ف (نفى الشعور عنهم باهلاكهم أنفسهم مذمة عظيمة ، لأنه أبلغ فى نفى العلم ، اذ البهائم تشعر وتحس ، فوبال ما راموا حل بأنفسهم ، ولم يتعد الى غيرهم) (١) .

﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢)

المقصور : هي .

المقصور عليه : الحياة الدنيا .

قصر موصوف على صفة . قصر افراد .

سر القصر :

حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المشركين من عاقبة انكار حقيقة التوحيد ، وحقيقة البعث والنشور . وذكر لهم تهديد القرآن وتوعده لهم . بجمعهم فى يوم لا ريب فيه . وأن من حاد عن جادة الايمان فقد خسر الخسران المبين . قال تعالى : (قُلْ لِمَنْ مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (٣) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وجه أنظارهم الى أن هناك حياتين حياة فانية زائلة وحياة باقية .

ولكن افتتان المشركين بالحياة الدنيا وغرورهم بها ، أدى بهم الى انكار البعث والحساب ، وانكار وجود حياة أخرى . فجاءوا بالنفى والاستثناء يريدون تأكيد وتقرير تلك العقيدة الباطلة ، فنفوا الحياة عن الآخرة نفياً مؤكداً واثبتوا الدوام للحياة الدنيا . ثم أكدوا انكارهم للبعث بقولهم . وما نحن

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٠٠

(٢) آية ٢٩

(٣) آية ١٢ نفس السورة .

بمبعوثين . وفى اثبات قولهم بهذا الاسلوب المؤكد ، تقرير لحقيقة كفرهم الموجبة لعذابهم . ولذا جئ بعدما بآية تبين حالهم يوم القيامة ، وما أصيبوا به من الحسرة والندامة على تفریطهم . فقال تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) . (١)

— (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٢) .

المقصور : الحياة .

المقصور عليه : اللعب واللهو .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أكد كفار مكة انكارهم للبعث واصرارهم على هذا الانكار بقولهم (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) . جاء النفي والاستثناء فى هذه الآية ، ليقلب ذلك الاعتقاد المؤكد الناتج عن افتتانهم بالحياة الدنيا وليذاتها . فبين حقيقة الدنيا وحقارتها ، ذكر فى التفسير الكبير للفخر الرازى : (اعلم أن المنكرين للبعث والقيامة ، تعظم رغبتهم فى الدنيا ، وتحصيل لذاتها . فذكر الله تعالى هذه الآية تنبيها على خاسرتها . وركاكتها) (٣) . حيث قصرها على اللهو واللعب استخفافاً بها ، ف (لما ذكر قولهم إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدنيا ذكر مصيرها ، وأن منتهى أمرها أنها فانية منقضية عن قريب ، فصارت شبيهة باللهو واللعب ، اذ هما لا يدومان ولا طائل لهما ، كما أنها لا طائل

(١) آية ٣٠ من نفس السورة .

(٢) آية ٣٢ .

(٣) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٢١٠ .

لها ، فاللهو واللعب . اشتغال بما لا غنى به
ولا منفعة ، كذلك هي الدنيا . بخلاف الاشتغال بأعمال الآخرة ، فانها
التي تعقب المنافع والخيرات (١).

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢).

المقصود : الدابة والطائر .

المقصود عليه : الأمم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

بلغ الضلال والطغيان بالمشركين الى انكار المعجزات التي جاء بها
الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يقتنعوا بها عناداً وكفراً . فقالوا :
(لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) تهكماً وسخرية .

فرد الله عليهم بقوله (قُلْ إِنْ لِلَّهِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ) . فنفي العلم عن اكثرهم ، لأن بعضهم كانوا يعلمون الحقيقة ،
ولكنهم رفضوها عناداً ومكابرة . وتمنى الرسول صلى الله عليه وسلم لو ينزل
عليهم تلك الآية رغبةً منه في إيمان أمته . ولكن الله لحكمة بالغة منع نزول
هذه الآية ، وفي منعه لها ما يدعو الكفار الى الشك في قدرته والانكار لها .

فجاء النفي والاستثناء على أنه (كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل
وشمول علمه وسعة تدبيره ، ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل
الآية ، وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة) (٣).

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٠٨

(٢) آية ٣٨

(٣) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣١

وليظهر ويؤكد لنا القرآن دقة علم المولى وشموله ، استعمل لفظ دابة فى سياق النفى مصحوبة بمن لتأكيد الاستغراق . فتشمل كل ما يدب على الأرض . وخص الأرض بالذكر (زيادة فى التعميم والاحاطة ، كأنه قيل وما من دابة قط فى جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ، محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها) . (١)

ثم خص الطائر بالذكر بعد التعميم ، لأن الطائر (تصرفه فى الوجود . دون غيره من الحيوان - أبلغ فى القدرة ، وأدل على عظمها ، من تصرف غيره من الحيوان فى الأرض وجاء الوصف لفظ يطير ، لأنه يشعر بالديمومة والغلبة لأن أكثر أحوال الطائر كونه يطير ، وقل ما يسكن) (٢) .

وقيد الطائر بقوله تعالى (بجناحيه) ، مع أن كل طائر يطير بجناحيه ، للتأكيد كقوله نعجة انثى ، وكما يقال كلمته بفى ، ومشيت اليه برجلي (٣) فجاء بهذه الأدلة كلها صوغاً فى اسلوب النفى والاستثناء لتأكيد علمه وقدرته ولقلب ما قد يطرأ على قلوب المشركين من نفى القدرة . وأيضاً فى بيان كمال قدرته وسعة علمه ، وتأكيدهما تهديد لهم ، وتوعدهم شديد بأن الله محصى جميع أعمالهم ، ومحاسبهم عليها ، غير غافل عنها . وزيادة فى التهديد قال تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) ثم ذكرهم بيوم الحشر (ثم الى ربهم يحشرون) . جاء فى تفسير الطبرى (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل لهؤلاء المعرضين عنك ، المكذبيين بآيات الله . أيها القوم لاتحسبن الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شئ . دب على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر يطير بجناحيه فى الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناساً منسجاً ، وأصنافاً مصنفة

(١) الكشف ، م ٢ ، ص ١٧

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١١٩

(٣) النظر الطبرى ، م ٥٥ ، ج ٧ ، ص ١٢٠ / الخازن ، م ٢٠ ، ص ١٤ .

تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب ، أخرى أن لا يضيع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أعمالكم ، التي تجترحونها أيها الناس ، حتى يحشركم ، فيجازيكم على جميعها ، أن خيراً فخير ، وان شراً فشر (١) . كما يحمل النفي والاستثناء معنى التوبيخ والتقريع والزجر . فمن كان هذا علمه وهذه قدرته ، فهو أحق بالشكر ، وأحق بالايمان من غير جدال :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

المقصور : الهلاك

المقصور عليه : القوم الظالمون .

قصر صفة على موصوف . قصرأ حقيقياً فيه مبالغة اذا نُزِّلَ عذاب غيرهم منزلة العدم .

أو هو قصر حقيقى تحقيقى ، اذا كان الهلاك بمعنى الاستئصال .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمة فى معرض انكار المشركين للرسالة المحمدية ، واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم . حيث قالوا (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) فقولهم هذا ليس بُغية التصديق ، وانما هو للجدال والاستهزاء . ونتيجة لذلك توعدهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب العظيم . وجاء هـذا التهديد والوعيد عن طريق القصر بالنفى والاستثناء ، لتأكيد نزوله بهم ، وتحقق وقوعه لا محاله .

(١) الطبرى ، م ٥ ، ج ٧ ، ص ١١٩

(٢) آية ٤٧

فجئ بأداة الاستفهام (هل) ، للدلالة على النفي . ولتقرير اختصاصهم
بالهلاك . (أى قل لهم تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم ، أخبروني ، ان أتاكم
عذابه تعالى حسبما تستحقونه ، هل يهلك بذلك العذاب الا أنتم . أى هل
يهلك غيركم ممن لا يستحقه ، وانما وضع موضعه (إلا القوم الظالمون) . تسجيلاً
عليهم بالظلم ، وايداناً بأن مناط اهلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم
الكفر موضع الايمان . وقيل المراد بالظالمين الجنس ، وهم داخلون فى
الحكم دخولا أولياً . قال الزجاج هل يهلك الا أنتم ومن أشبهكم . ويأباه تخصيص
الاتيان بهم . وقيل الاستفهام بمعنى النفي ، فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف .
كأنه قيل أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى بغتةً أو جهرةً ماذا يكون الحال
" ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون . أى ما يهلك بذلك العذاب
الخاص بكم الا أنتم . فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط ، لتحقيق الحصر
باخراج غير الظالمين ، لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط ، بل بطريق
الاثابة ورفع الدرجة ، فقد أهمل ما يجديه ، واشتغل بما لا يعنيه ، وأخل
بجزالة النظم الكريم (١)

— (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَهُمْ يَحْزَنُونَ) (٢).

المقصود : الارسال .

المقصود عليه : مبشرين ومنذرين (حال التبشير والانداز) .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

بسر القصر :

لم يقتنع المشركون بما جاءهم من البينات والآيات ، فقالوا (لولا نزل
عليه آية من ربه) فطلبوا الرسول بالمعجزات وخوارق العادات ، ظناً منهم انه

(١) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥

(٢) آية ٤٨

أنه اذا كان رسولاً حقاً فلا بد أن يكون قادراً على المعجزة بتلك المعجزات .
لذا جىء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، لتقرير حقيقة
الرسول ووظيفتهم ، بقلب ظن الكافرين واعتقادهم ، فى أن لهم القدرة على
الآتيان بالمعجزات . فُقَصِرَ إرسال الرُّسُلِ على حال التبشير والانذار ،
لا يتعدونه الى القدرة على الآتيان بالمعجزات دون مشيئة الله سبحانه وتعالى .
والمعنى أنهم - (٠٠٠بعثوا مبشرين ومنذرين ولا قدرة لهم على اظهار الآيات
وانزال المعجزات . بل ذلك مَفْوُض الى مشيئة الله تعالى وكلمته وحكمته) (١)
وزيادة فى تأكيد حقيقة وظيفة الرسل ، جىء بالفعل (نُرْسِلُ) بصيغة المضارع
لبيان أن ذلك أمر مستمر ، جرت عليه السنة الالهية . (٢)
وفى قصر ارسال الرسل على التبشير ، ما يحمل معنى الحث والترغيب
فى الاقبال على الخير ، وفى قصرها على الانذار ، ما يحمل معنى التهديد
والوعيد .

== (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي
أملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هو يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) (٣) .
المقصود : المتَّبَع .

المقصود عليه : ما يوحى .

وهو قصر صفة على موصوف اما قصراً حقيقياً تحقيقياً أو قصراً اضافياً ، قصر
افراد ، أو قصر قلب . على ما سيحقق فى سر القصر .

سر القصر :

ذكر الدكتور محمد ابو موسى ، أن القصر هنا قصر حقيقى تحقيقى ، وأوضح
سر القصر بقوله : (أكد قصر اتباعه على الوحي ، و - أنه لا يتعدى ذلك الى

(١) الفخر الرازى . ج ٤ ، ص ٤٧

(٢) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥

(٣) آية ٥٠

غيره - قصرًا حقيقياً تحقيقاً ، لأنه أراد أنه لا يتبع في أمر الدين شيئاً ، أى شيء إلا ما يوحى إليه . وأن الواقع كذلك وجاء بالنفسى والاستثناء ليؤكد هذه الحقيقة عند المخاطبين الذين هم فيها في أمر مريح (١) ويظهر لى أن القصر فى الآية قصر اضافى ، اما قصر قلب لأن المخاطبيين كانوا ينكرون أنه يوحى إليه من ربه ، وقالوا (أساطير الاولين) . (٢) أى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يتبع وحياً إنما يتبع خرافات الاولين وقصصهم فهو بذلك متبع لهواة . ولذا جاء النفسى والاستثناء فى الآية ، ليقلب ذلك الاعتقاد ، ويؤكد لهم تأكيداً قوياً أنه لا يدعى علم الغيب ، ولا يشرع الأمور بهواه ، وإنما المشرع الحقيقى هو الله الذى يوحى إليه ، فقصر اتباعه على الوحى ونفاه عن اتباع هواه .

وإما قصر افراد . لأن المشركين ادعوا أنه ان كان رسولاً حقاً ، فلا بد ان يملك خزائن الأرض ، أو أن يكون عنده علم الغيب ، أو أن يكون ملكاً . فاستعمل أسلوب القصر هنا ، فنفى الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاشياء وأثبت لنفسه اتباع الوحى .

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٣)

المقصور : الحكم .

المقصور عليه : كونه للذات العليا .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

(١) دلالات التراكيب ، محمد ابو موسى ، ص ١٠

(٢) سورة النحل آية ٣٤

(٣) آية ٥٧

سر القصر :

ما زالت الآيات تواجه انكار المشركين لأمر نبوة الرسول ، وأنه بشر
يوحي اليه . فممنع نزول الآيات التي طالّبوه بها سيدعوهم الى تكذيبه ،
والاستمرار في الانتكار عليه ، طناً منهم أن في مقدوره ان كان نبياً حقاً ،
أن يزيل سبب المنع ، وأن بإمكانه الاتيان بالمعجزات وأن الحكم بيده .
فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا الأمر ليس من شأنه ، ولا من
وظيفته . إن هو الا بشر يوحي اليه ، وأنه عابد لله وحده ، وأن هذا
الأمر من اختصاص المولى . فلتأكيد هذه الحقيقة ، التي تتعلق بأمر الالهية
جاء النفي والاستثناء ، فأفرد المولى عز وجل بالحكم المطلق .

ونفاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر الالوسي (واحتج أهل السنة بقوله سبحانه (ان الحكم) الخ . لفادته
الصر ، على أنه لا يقدر العبد على شيء من الأشياء ، الا اذا قضى الله
تعالى به . فيمتنع منه فعل الكفر ، الا اذا قضى الله تعالى به وحكم
وكذلك في جميع الأفعال) . (١)

(١) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ١٢٠

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١)

ما زالت الآيات القرآنية ترد على تكذيب الكفار للرسول ، بحجة امتناع
ما طلبوه من الآيات ، أو ما استعجلوه من العذاب الموعود في القرآن .

قال تعالى :

(قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَكُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ) . (٢)

ف قوله تعالى : (ما عندي ما تستعجلون به)

استئناف مبين لخطئهم ، في شأن ما جعلوه منشأً لتكذيبهم بهـا ،
وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب ، الذي كانوا يستعجلونه بقولهم
(متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) بطريق الاستهزاء أو بطريق
الالزام على زعمهم . أى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود
في القرآن ، وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمى
وقدرتى حتى أجىء به ، وأظهر لكم صدقة ، أو ليس
أمره بمفوض الى (٣)

فجىء بالنفى والاستثناء في هذه الآية لتأكيد وتقرير أن أمور
الغيب ، هي من اختصاص المولى عز وجل . ولأهمية هذا الأمر ،
ومحاولة الكثير ادعاء الغيب ، مُلِئَتْ الآية بأساليب القصر
لتؤكد هذه الحقيقة تأكيداً مضاً بأنها من أمر الله ، وأن من ادعى

(٢) آية : ٥٨

(١) آية : (٥٩)

(٣) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٤٢

شيئا من ذلك ، فهو كاذب لامحالة فالقصر الاول عن طريق التقديم :
(وعنده مفاتيح الغيب)

فالمقصور : مفاتيح الغيب .

المقصور عليه : كونه عنده .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

فأفاد هذا القصر ان مفاتيح الغيب عند الله لا عند الرسول صلى الله عليه وسلم
نأثبت علم الخيب للذات العليا ، ونفاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الطريق الثاني : فقوله تعالى :

(لا يعلمها الا هو) .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

حيث نفى العلم عن جميع من عداه ، وأثبتها لذاته الكريمة ،
وفي هذا بيان مؤكد لسعة علمه وشموله وقدرته . (والكلام اما
مسوق لبيان اختصاص المقدرات الغيبية به سبحانه من حيث العلم ،
اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة . بل هو مما يختص
به جل شأنه قدرة وعلماء ، فينزله حسبما تقتضيه مشيئة المبنية على
الحكم ، وأما لاثبات العلم العام له سبحانه . وهو علمه بكل
شيء ، بعد اثبات العلم الخاص ، وهو علمه بالظالمين) (١)
وكذلك قوله : (ما تسقط من ورقة الا يعلمها) جيء به زيادة في
تأكيد علمه واختصاصه بالغيب . فبعد أن بين المولى عز وجل تعلق

(١) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ١٧١

علمه بذوات الاشياء ، بين هنا تعلق علمه بأحوال المشاهدات المتغيرة .
وتخصيص حال السقوط بالذكر ، ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر
سائر الاحوال كما أن ذكر أحوال الورقة ، وما عطف عليها خاصة ، دون أحوال
سائر ما فى البر والبحر من الموجودات التى لا يحيط بها نطاق الحصر ،
باعتبار أنها أنموذج لأحوال سائرهما ، وقيل لأن العلم بالسقوط لكونه من
الأحوال الساقطة التى يغفل عنها ، يستلزم العلم بغيره من الاحوال
المعنى بها ، فكأنه قيل : وما تتغير ورقة من حال الى حال الا يعلمها . (١)

وزيادة فى التأكيد ، جئنا بالقصر الرابع فى قوله تعالى :

(ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) .

فقصر العلم بالحبة فى ظلمات الأرض ، والعلم بأحوال الرطب واليابس
على كونه فى كتاب مبين ، قصر موصوف على صفة ، قصر حقيقيا تحقيقيا
أى وما علمنا بحبة الا ثابت فى كتاب مبين .

— (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (٢)

اختلف المفسرون فى نوع الاستثناء هنا ، هل هو استثناء منقطع

أو متصل ..

ف رأى الامام القرطبي : أن الاستثناء هنا منقطع . قال :

(أى الا أن يشاء أن يلحقنى شيء من المكروه بذنب عملته ، فتم مشيئته
وهذا استثناء ليس من الأول) . (٣)

(١) روح المعانى ، ج ٧ ، ص : ١٧١

(٢) آية ٨٠

(٣) القرطبي ، م ٤ ، ج ٧ ، ص ٢٩

وكذلك ذهب صاحباً تفسير الجلالين إلى أن الاستثناء هنا منقطع ، فقدرا (لكن) أي لكن أن يشاء ربي .

كما رجح صاحب الدر اللقيط من البحر المحيط الإنقطاع ، فقال : (والأنا يشاء ربي) استثناء منقطع . ولما كانت قوة الكلام أنه لا يخاف ضراً ، استثنى مشيئة الله تعالى (٦) .

أما الامام الزمخشري ، فرأى أنه استثناء متصل مفرغ ، وجعله من عموم الأوقات ، أي (الوقت مشيئة ربي شيئاً يخاف ، فحذف الوقت : يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط ، لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة ، إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها ، ان أصبت ذنباً ، استوجب به انزال المكروه) (٣) وإلى مثل هذا ذهب الامام أبو السعود (٤) والامام الأوسى ، ورأى أبو البقاء جواز الاتصال والانقطاع ، وعلى الاتصال يكون مستثنى من عموم الأحوال . قال : (وعلى الاتصال يكون مستثنى من جنس الأول تقديره : إلا في حال مشيئة ربي : أي لا أخافها في كل حال ، إلا في هذه الحال ، ويجوز أن يكون من غير الأول : أي لكن أخاف أن يشاء ربي خوفى ما أشركتم) (٧)

وكذلك ذكر أبو حيان أنه يجوز ، أن يكون الاستثناء منقطعاً ويجوز كونه متصلاً . (٨)

ويبدو لي أنه استثناء متصل ، ويجوز أن يكون مفرغاً من أعم الأوقات ويجوز أن يكون مفرغاً من أعم الأحوال . أي لا أخاف ما تشركون به في حال من الأحوال إلا حال مشيئة ربي .

- (١) تفسير الجلالين ، ص : ١٨١
(٢) البحر المحيط ، حاشية الدر اللقيط ، تاج الدين أبي محمد أحمد القيسي ج ٤ ، ص : ١٧٠ (٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ٣٢
(٤) تفسير أبي السعود ، م ٢ ج ٣ ، ص ١٥٤ (٥) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ (٦) هو عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨ هـ - ٦١٦ هـ) قرأ القراءات على أبي عساكر البطارقي وتأدب على ابن الخشاب وتفقه على أبي يعلى الصغير ، وكان ديناً ثقة ، وكان أماً ما في علوم القرآن أماً ما في الفقه وفي اللغة مشذرات الذهب ج ٥ ، ص ٦٨
(٧) أملاء ما من به الرحمن ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٥٠
(٨) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٧٠

والقصر من الآية قصر موصوف على صفة قصر قلب

المقصور : الخوف من الضرر .

المقصور عليه : وقت أو حال مشيئة ربي .

سر القصر :

حاج ابراهيم قومه في عبادة الأوثان واثيات وحيانية الله تعالى
فأحتجوا بأنهم ما عبدوها الا تقليدا لأبائهم ، ولما وجدوا أن حجتهم واهية
خوفوه بمضرة آلهتهم له ، وما ستصيبه به من مكرهه ، وكانوا معتقدين أن
في مقدورها ذلك .

ذكر في البحر المحيط (حكى أن الكفار قالوا لابراهيم عليه السلام :
أما خفت أن تصيبك آلهتنا بنبرص أو داء لأذيتك لها وتنغيصك .. فقال لهم :
لست أخاف الذي تشركون به ، لأنه لا قدرة ولا غنى عنده) (١)

وأمام هذا الاعتقاد الفاسد ، رد عليهم ابراهيم عليه السلام ردا
قويا ، مؤكدا ، ليقلب اعتقادهم هذا ، ويبين لهم قوة تمسكه بما يدعو
اليه . فنفي خوفه من آلهتهم وقصرها على مشيئة الله . ثم أتبع هذا
التأكيد بتغليل الاستثناء ، فقال تعالى : (وسع ربي كل شيء علما) ،
كأنه تغليل للاستثناء ، أي أحاط بكل شيء علما ، فلا يبعد أن يكون في علمه
سبحانه انزال المكروه بي من جهتها بسبب من الأسباب .. وفي الاظهار في
موضع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور ، واستلذاذ بذكره) (٢)

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا
اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِيْنَ ﴾ (٣)

المقصور : هو (القرآن)

المقصور عليه : الذكرى

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص : ١٦٩

(٢) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ٢٠٥

(٣) آية : ٩٠

سر القصر :

كان كفار قريش يصفون القرآن ، بأنه أساطير الأولين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يبتغى من وراء دعوته به جاها أو مالا فجاء النفي والاستثناء ليقلب هذا الاعتقاد ، ويُقرر ويُؤكد حقيقة القرآن ويُعظّم من شأنه . فقصره على التذكرة والموعظة ، أى ما هو الاتذكيّر وموعظة لارشاد العالمين كافة ، لا لكم خاصة . وفى حصره على الذكرى تنبيه للغافلين ، ولفت لأنظار العابثين الى حقيقة القرآن ، فيستيقظوا وَيَهَيِّبُوا لِلْعَمَلِ .

— (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ قَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) . (١)

المقصود : الأوهية .

المقصود عليه : الذات العليا

قصر صفة على موصوف قصر افراد . لأن النفي هنا واقع بالنسبة الى معين ، وهم الجن .

سر القصر :

ذكر السياق القرانى أن هنا أقواما^(٢) جعلوا لله الشركاء من الجن قال تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ)^(٣)

(١) آية : ١٠٢

(٢) قيل المقصود بالجن هنا الملائكة ، حيث عبدوهم ، وقالوا الملائكة بنات الله ، وسماوا جناً لجتنانهم ، تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الأوهية .

وقيل المقصود بهم الشياطين ، حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى وعبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم ، أبو السعود ، ٢ مج ٣ ص : ١٧٧ (٣) آية : ١٠٠ من نفس السورة .

فاتخاذ الشركاء معناه نفى الوحداية لله . لذا بدأ القرآن باظهار شناعة
مقاتلهم هذه ، فقال تعالى :

(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . (١) ثم أتبعها بقوله تعالى :
(ذَلِكُمُ اللَّهُ) إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت ، وما فيه
من معنى اليعد ، للايذان بعلو شأن المثار إليه ، وبعد منزلته في العظمة .
(٢)

ثم جاء الخطاب للمشركين عن طريق الالتفات ، ليوقظ حواسهم إلى
سماع القول الآتى وإلى أهميته . وبعد أن هياهم للاصغاء ، جاء بأسلوب
النفى والاستثناء ، ليثبت لهم (أن اله العالم واحد أحد ، فرد صمد ، منزه
عن الشريك والخذ والند . والنظير ، ومنزه عن الأولاد والبنين
والبنات . (٣) فقصر الألوهية على الذات العليا ، ونفاها عن الملائكة
أو الشياطين .

وقد قدم سبحانه وتعالى قوله : (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) على قوله :
(خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، بينما في سورة المؤمن قدم قوله تعالى (خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ) على النفى والاستثناء ، فما السر في ذلك ..

جاء في حاشية الشهاب توضيح هذا السر وبلاغته ، فذكر أن السر
في ذلك :

(لأن هذه الآية جاءت بعد قوله : جعلوا لله شركاء . الخ . فلما قال
" ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ " . أتى بعده بما يدفع الشركة ، فقال : " لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ " . ثم قال : خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . وهناك جاء بعد قوله : (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ

(١) آية : (١٠١) من نفس السورة

(٢) تفسير أبي السعود ج ٣ ، ص ١٦٩

(٣) الفخر الرازي ، ج ٤ ، ص ١١٣

وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١) . فكان الكلام على تثبیت خلق الناس وتقريره لا على نفی الشريك عنه . كما كان فی الآیة الأولى ، فكان تقديم خالق كل شیء هناك أولى^(٢) .

— (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)^(٣)

المقصور : الأوهية

المقصور عليه : الذات العليا

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

أنكر مشركو قريش ، أن يكون القرآن مُنَزَّلًا من عند الله ، واتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء أو بِمَدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وأنه استفاد من علومهم ، ثم نظمها قرآنًا ، ثم ادعى أنه نُزِّلَ عليه من عند الله سبحانه وتعالى . قال تعالى (وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا نَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّجْمَ إِذَا هُمْ سَامِتُونَ)^(٤) . فجاء الرد على هذا الإنكار ، وهذا الزعم ، بأن أمر الله رسوله الكريم ، بأن لا يهتم بمقالتهم هذه ، وأن لا يلتفت إليها .

قال تعالى : (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ، (أى تَمَّ عليهما أنت عليه من اتباع ما أُوحِيَ اليك من الشرائع والأحكام التي عُمدتها التوحيد)^(٥)

ولثلا يصير ذلك ، القول سببًا لفتور همته صلى الله عليه وسلم فى تبليغ ما أمر به ، تعرض لعنوان الربوبية ، وأضيف ضميره الى اسم الرب للتعظيم من شأنه ، ورفع همته ، وفيه اظهار العطف ما لا يخفى كما قُصد به تقوية قلبه ، وإزالة الحزن الذى حصل بسبب سماع تلك الشبهة .

(١) سورة المؤمن ، آية : ٥٧

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١٠٨

(٣) آية : ١٠٦

(٤) آية : ١٠٤

(٥) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧١

وفيه أيضا تأكيد عبودية لله عز وجل ، وزيادة في تأكيد هذه العبودية
اتباع ذكر توحيد الربوبية بذكر توحيد الألوهية ، وجاء به عن طريقا لنفى
والاستثناء ، في جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيداً وتنبیها
الى ايجاب اتباع أوامر المولى عز وجل ، ولاسيما أمر التوحيد . (١)

جاء في تفسير الفخر الرازي : (ونبه بقوله لا اله الا هو ، على أنه تعالى
لما كان واحدا في الإلهية ، فانه يجب طاعته ، ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه
بسبب جهل الجاهلين وزرع الزائفين) (٢)

وذكر الامام البيضاوي أنه : (اعتراض أكد به ايجاب الاتباع، وأحوال
مؤكددة من ربك ، بمعنى منفردا في الألوهية). (٣)

والقصر في هذه الآية قصر حقيقى تحقيقى ، لأن الخطاب هنا للرسول
صلى الله عليه وسلم ، وليس هنا من يدعى الشركة لله ، فالرسول يعلم
أن الله منفرد بالألوهية ، وانما جاء القصر هنا زيادة في التأكيد .

أما في الآية السابقة (آية : ١٠٢) ، فالقصر فيها قصر افراد
لأن السياق وضح ، أن هناك ادعاء اشتراك غير الله معه في الألوهية
فجاء بالقصر هناك لنفى هذه الشركة ، وافراد الله بالألوهية .

— (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ
شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ.) (٤)

الاستثناء في الآية قيل متصل مفرغ ، وقيل منقطع . وذكر هذين
الوجهين الامام أبو البقاء ، فقال : (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) في موضع نصب على
الاستثناء المنقطع ، وقيل هو متصل والمعنى : ما كانوا ليؤمنوا في كل حال
إلا في حال المشيئة) (٥)

(١) روح المعاني ج ٢ ، ص ٢٥٠

(٢) تفسير الفخر الرازي ، م ٧ ج ١٣ ، ط ١ ، ص ١٤٤

(٣) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٢٠٣

(٤) آية : ١١١

(٥) املاء ما من به الرحمن ج ١ ، ص ٢٥٨

وكذلك ذكر الشهاب في حاشيته جواز كونه مفرغا من أعم الأزمان ، أو من أعم الأحوال ، ورجح كونه مفرغا من أعم الأحوال ، هذا اذا لوحظ أن جميع أحوالهم شاملة لحال تعلق المشيئة بهم ، كما جوز كونه منقطعا اذا لوحظ أن حال المشيئة ليس من أحوالهم ، أى لكن ان شاء الله آمنوا . (١)

أما الامام القرطبي فذكر أنه استثناء منقطع ، فقال :

(أن في موضع استثناء ، ليس من الأول ، أى لكن ان شاء ذلك لهم) (٢)

وكذلك حمله صاحب تفسير الجلالين على الانقطاع ، حيث فسرا (إِلَّا) ولكن (٣) . واستبعد الامام أبو حيان أن يكون الاستثناء منقطعا ، فقال : (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) استثناء متصل من محذوف هو علة . وسبب التقدير ما كانوا ليؤمنوا لشيء من الأشياء الا المشيئة الله . وقدره بعضهم في كل حال الا في حال مشيئة الله . ومنهم من ذهب الى أنه استثناء منقطع - كالكرمانى وأبى البقاء والحوفى ، ف قوله فيه بُعداً اذ هو ظاهر الاتصال (٤)

وكذلك رجح الامام البيضاوى كونه متصلا مفرغا من أعم الأحوال ، فقال (استثناء متصل من أعم الأحوال . أى لا يؤمنوا في حال من الأحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم ، وقيل منقطع) (٥)

وجعله الامام أبو السعود استثناء متصلا مفرغا إماماً من أعم الأحوال ، أو من أعم العلل ، فقال : (استثناء مفرغ من أعم الأحوال . . . أى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبة للإيمان ، فى حال من الأحوال الداعية اليه ، المتممة لوجباته المذكورة ، الا فى حال مشيئته تعالى لإيمانهم ، أو من أعم العلل ، أى ما كانوا ليؤمنوا لعله من العلل المعدودة وغيرها ، الا لمشيئته تعالى له) . (٦)

(١) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١١٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، م ٤ ، ج ٧ ، ص ٦٦

(٣) تفسير الجلالين ، ص ١٨٧

(٤) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٠٦

(٥) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٠٤

(٦) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٤

والمقصور في الآية : كونهم يؤمنوا .

المقصور عليه : وقت أحوال المشيئة ، قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

أقسم المشركون جهد أيمانهم ، بأنه لو أنزلت اليهم الآيات التي طلبوها - من إنزال الملائكة ، في قولهم: (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ) وأحياء موتاهم ليتحدثوا اليهم ، أنهم سيؤمنون على الفور ، محاولين بقسمهم هذا إيهام المؤمنين ، أن في إنزال هذه الأسباب ايمانهم .

لذا أخذ القرآن يؤكد للعالمين استحالة صدور الايمان منهم ، فذكر أنه لو أجابهم الى مطلبهم ، فأنزل عليهم الملائكة ، وجعل الموتى تكلمهم ، وزاد على ما طلبوه ، بأن حشر عليهم كل شيء قُبْلاً ، فلن يؤمنوا لشدة انكارهم ، وهو يعلم ذلك بعلمه الأزلي ، وليزيد الأمر تأكيداً ، جاء بالنفي والاستثناء ، فنفي عنهم الايمان في جميع الأحوال ، وأثبتته لحال مشيئة الله ، أو أنه نفاه عن جميع الأسباب ، وأثبتته لسبب المشيئة . (فليس المراد بالاستثناء بيان أن ايمانهم على حظر الوقوع ، بناءً على كون مشيئته تعالى أيضاً كذلك ، بل بيان استحالة وقوعه بناءً على استحالة وقوعها . كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ، وهيات ذلك وحالهم حالهم ، بدليل ما سبق من قوله تعالى : ونقلب أفئدتهم) (٢)

وفي مجيء النفي والاستثناء تكذيباً (توبيخاً لهم ، حيث أقسموا بالله جهد ايمانهم أنه اذا جاءتهم الآيات يؤمنون ، مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم . ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب فقد يوجد السبب ، ولا يوجد المسبب) . (٣)

وزيادة في توبيخهم وتهديدهم كان (الالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والروعة) (٤)

(١) آية ٨ ، من نفس السورة

(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٥

(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ، م ٢ ، ص ٣٩

(٤) روح المعاني ، ج ٨ ، ص ٤

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِينَ لِيَتَمَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (١)

المقصود : المكر

المقصود عليه : أنفسهم

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

كذب مشركو مكة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدفوا من وراء ذلك تشكيك الناس في دينهم ، فرموا في الآيات السابقة بالكذب ، والتخبط في اصدار الأحكام - في أمر تحليل وتحريم أكل لحم الميتة - فبين الله سبحانه وتعالى حقيقتهم للمسلمين ، لتنفيرهم من طاعتهم . " بالاشارة الى الى انهم مستضيئون بأنوار الوحي الالهي ، والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والظلمة . فكيف يعقل طاعتهم لهم) (٢)

فقال تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَنُورُ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

وتستمر الآيات في تحذير المسلمين من الاعيب المشركين بتأكيد حقيقتهم ، وأنهم ما أرادوا بمقاتلتهم تلك الا الخديعة والمكر والاغواء . واستبعدوا ، بل لم يخطر ببالهم أن يحيق بهم المكر لأنهم يظنون أنهم يمكرون بغيرهم . حالهم في ذلك حال أكابر المجرمين في كل قرية - فجاء النفي والاستثناء ، وفاجأهم بما لم يتوقعوه ، فنفي مكرهم عن المسلمين ، وقصره على أنفسهم على سبيل التهديد والوعيد لهم .

(١) آية ١٤٣
(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٠
(٣) آية ١٢٢ ، من نفس السورة

(١) وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم . أى وما تحقيق غائلة مكرهم الابهيم
فلن يصيب وباله الاسلام والمسلمين ، بل سترتد سهام ما نصبوه على نحورهم .

وزيادة في تحقيرهم نفى الشعور عنهم ، وبذلك أنزلهم عن مرتبة
البهائم ، " ويعنى نفى شعورهم على الاطلاق ، وهو مبالغة فى نفى العلم
اذ نفى عنهم الشعور الذى يكون للبهائم " (٢)

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ
حَرِّمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ .

المقصور : الطَّعْمَ .

المقصور عليه : من نشاء

قصر صفة على موصوف قصر افراد

سر القصر :

هذه الآية تتعلق بأصل من أصول العقيدة ، وهى قضية الحاكمية . أى
قضية الحكم المطلق لله وحده لاشريك له . فهذا الأصل يتعلق بقاعدة
هذا الدين ، وبوجوده الحقيقى . فبعد أن أخبر الرسول صلى الله عليه
وسلم المشركين ، بما يحرم عليهم من الطعام والشراب ، فقال تعالى : (انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) ، بين لهم
ما أحل لهم ، بقوله تعالى : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم به
مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم
عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك
هو أعلم بالمعتدين) . (٤)

(١) تفسير أبى السعود ، ج ٢ ، ص ٣ ، ص ١٨٢

(٢) البحر المحيط ، حاشية الدر اللقيط : لأبى حيان ، ج ٤ ، ص ٢١٥

(٣) آية : ١٣٨

(٤) آية ١١٨ - ١١٩ من نفس السورة .

ولكن مشركوا قريش لجحدهم وعناهم وكفرهم ، أنكروا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا يناقضون أحكام الله ، ويفترون عليه بأحكام فاسدة وضعوها بأنفسهم ، ونسبوا الى الله . كل ذلك ابتغاء تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يوحى اليه ، وأخذوا يوكدون زعمهم وافتراءاتهم بأشد أساليب التوكيد ، (وَقَالُوا هَذِهِ أَئْتَامٌ وَحَرَثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا لَأْمَنٌ نَّشَاءُ) .

فجاءوا بالنفى والاستثناء تأكيداً لفريتهم ، حيث أفردوا من أنعامهم وثمارهم شيئاً ، وقالوا هذا حرام ممنوع لا يأكلها الا لمن نشاء ، وهم الرجال دون النساء ، أو سدنة الأصنام . أى أنهم نفوا الاطعام عن فئة ، وقصروه على فئة أخرى معينة . ووطنوا أن فى توكيدهم لهذا الحكم المخالف لما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ازالة لنبوته ، ولكن الله سبحانه وتعالى توعدهم على هذه الفرية . بقوله : (سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) .

— (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا خَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى نَأْقُوا بِأَسْنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) .^(١)

فى الآية الكريمة قصران . وكلاهما عن طريق النفى والاستثناء .

القصر الأول فى قوله تعالى : (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) .

المقصود : المتبوع

المقصود عليه : الظن

وهو قصر صفة على موصوف قصر قلب .

والثانى : فى قوله تعالى : (وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) .

المقصود : أنتم

المقصور عليه : تخرصون

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

ادعى مشركو مكة أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما حرموه - مما لم يحرمه الله - أنه من شرع الله وأمره ومشيبته . فيدعون بذلك علمهم بالغيب ، وعلمهم بالمشيئة ، وأمر المشيئة أمر غيبى لا يعلمونه ، وكانوا يظنون أنهم على حق ، فيما أحلوا وحرموا ، وفيما ادعوا من علم المشيئة لذا جئ بأسلوب الاستفهام للانكار عليهم وتوبيخهم ، ثم جئ بأسلوب النفي والاستثناء لتحقيرهم ، فقال تعالى :

(إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) ، لقلب هذا الاعتقاد الفاسد ، فنفى عنهم اتباع الحق ، وأثبت لهم اتباع الظن والأوهام ، ثم صرح بجملسة أخرى للقصر ، وجئ بضمير المخاطب . ولم يصرح باسمهم تحقيرا لهم وزيادة في توكيد كذبهم لم يستعمل لفظ الكذب ، بل بولغ في ذلك ، وقصروا على الخرص ، وهو أقبح أنواع الكذب .

— (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَفْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَمَا كَانَ بِكُمْ بِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)^(١)

المقصور : القتل

المقصور عليه : الحق

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا فيه مبالغة .

وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال . (أى لا تقتلوهما في حال من الأحوال ، الا في حال ملابستكم بالحق)^(٢)

(١) آية ١٥١

(٢) حاشية الصاوى ، م ٢ ، ص ٥٩

وأضاف الأوسى (٠٠٠ أو من أعم الأسباب . أى لا تقتلوهما بسبب من الأسباب (١) بسبب الحق . أو من أعم المصادر . أى لا تقتلوهما قتلا الاقتلا كائنا بالحق

سر القصر :

ما زالت الآيات تعالج قضية الحكم ، وأن التحريم والتحليل هو وحى من عند الله ، ولا يجوز لأحد أن يشاركه فى هذا الأمر ، كما فعل مشركو مكة وشرعوا شرائع من عندهم ، ونسبوا لله ، وحين طلبت منهم الحجة عجزوا عن الاتيان بها ، وبلغت بهم الوقاحة الى اسناد شركهم واسناد تحريمهم ما أحل الله أو تحليلهم ما حرم الله الى مشيئة الله ، وبعد أن أوضح المولى عز وجل كذبهم ، وأكد به بأبلغ الأساليب ، جاءت هذه الآيات ، لتقرر الأمور التى حرمها الله حقيقة . فأوجب فى هذه الآية تحريم خمسة أمور : أولها عدم الاشراف بالله ، ثم قرن عقوق الوالدين بالشرك بالله لعظم هذا الأمر ، ثم نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر ، ثم الاقتراب من الفواحش بوجه عام ، وأخيرا خص بالذكر من الفواحش قتل النفس ، وقد سبق أن حرمها من قبل . بدليل قوله تعالى : (التي حرمَّ اللهُ) . فوصفها بالتى (حوالة على سبق العهد فى تحريمها) . (٢) وتأكيذا لتحريمها جاء بأسلوب النفى والاستثناء .

(تعظيما لهذه الفاحشة ، واستهوا لا لوقوعها ، ولأنه لا يتأتى الاستثناء بقوله : الا بالحق الا من القتل لا من عموم الفواحش) (٣)

— (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ نَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٤)

المقصود : القرب

المقصود عليه : بالحسنى

(١) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ٥٥
(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢
(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢
(٤) آية ١٥٢

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً فيه مبالغة

سر القصر :

لا يزال السياق القرآني يواصل بيان أهم الأحكام التي حرّمها الله والتي شرعها هو ، ولم يشاركه فيها أحد ، ففي الآية السابقة عُرِضَتْ للبشر تكاليف ظاهرة جلية ، لا تحتاج إلى إعمال فكر ، أو اجتهاد ، وفي هذه الآية عُرِضَتْ بعض التكاليف ، وهي من الأمور الخفية ، التي تحتاج إلى تفكير وتأمل . (١)

وقد سبق النهي عن أكل مال اليتيم ، وفي هذه الآية ، جاء النهي عن قربانه ، وجاء إصدار هذا الأمر عن طريق النفي والاستثناء ، ليؤكد عظم هذا الأمر ، ويؤكد حرمة ، (أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه) . (٢)

وبالغ في النهي عنه ، لأن المال مال طفل عاجز ، فالطمع فيه أكبر . (وخس اليتيم بالذكر ، لأن الطمع فيه أكبر ، لضعفه وقلة مراعاته) . (٣)

ولعظم هذا الأمر قصره على (الخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم ولم يأت إلا بالتي هي حسنة ، بل جاء بأفعل التفضيل ، مراعاة لمال اليتيم ، وأنه لا ينبغي فيه الحالة الحسنة ، بل الخصلة الحسنى) . (٤)
ثم جاء باستثناء آخر ، في قوله تعالى : (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

المقصود : التكليف .

المقصود عليه : الوسع .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى من جملة الأمور والأحكام التي شرعها

- (١) الفخر الرازي ، ج ٤ ، ص ١٢١ .
- (٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
- (٣) البحر المحیط ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ .
- (٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

لعباده أمر العدل ، فقال تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)
أى بالعدل والتسوية ، ولعظم هذا الأمر ، قد يدعى البعض أن فى تكليفهم
بالعدل أمرا عسيرا لا يقدرّون عليه ، لذا جاء القرآن مؤكدا لهم عدل الله
وأن ما جاء به من الأمور كلها فى وسع الناس ، ولا حجة للظالمين الذين
حادوا عن طريق العدل ، فقصر التكليف على الوسع والطاقة .

جاء فى تفسير أبى السعود (لَأَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا) . الا ما يسعها
ولا يعسر عليها ، وهو اعتراض جئى به عقيب الأمر بالعدل ، للإيدان بأن
مراعاة العدل كما هو عسير ، كأنه قيل عليكم بما فى وسعكم ، وما وراءه -
معفو عنكم (١) .

— (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَهُمْ لَا يُظَلَمُونَ) (٢)

المقصور : الجزاء .

المقصور عليه : مثلها .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى أمر التشريع ، وأن مرده لله وحده
وعرض على العباد الأمور التى كلفهم بها . جاءت هذه الآية لتبشرا المحسنين
بمضاعفة الحسنات جزاء إيمانهم ، فمن جاء بالحسنة ، فله ضعفها الى عشر
أمثالها . ولما ذكّرت المضاعفة فى الحسنات ، قد يتوهم المضاعفة أيضا
فى السيئات ، فجئى بالنفى والاستثناء لقلب ذلك الاعتقاد ، ولتأكيد أن -
السيئة جزاءها جزاء المثل فقط . فقصر جزاء السيئة على مثلها لاتعداه
الى المضاعفة ، وفى ذلك بالغ الوعد والتبشير .

(١) تفسير أبى السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٩٩
(٢) آية : ١٦٠

— (قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (١).

المقصود : الكسب .

المقصود عليه : عليها .

قصر موصوف على صفة قصر قلب ، أو قصر افراد .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بتقرير أمر العقيدة ، وتأکید توحيد الألوهية والربوبية ، كما عالجت أمرا آخر يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة ، بل هو أساس من أسسها المتينة ، ألا وهو أمر الحكم والتشريع ، وما دار فيه من جدال الكفار ، وادعائهم . وفي نهاية السورة عادت تجل ما فصلته ، وتذكر بربوبية المولى ، وبألوهيته وانفراده بالعبادة . هذه الأمور هي التي أنكرها المشركون وجادلوا فيها . وحاولوا اغراء الناس بابعادهم عن طريق الحق ، بإيهامهم أن باستطاعتهم حمل خطاياهم وأوزارهم ، فكانوا يقولون للمسلمين ، اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا ، لا عليكم ، واما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا . (٢)

لذا - بدأت الآية بقوله (قل) بصيغة الأمر ثم بالاستفهام ، للانكار والتوبيخ ، ثم قال تعالى : (أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا) لتقرير أنه رب كل شيء ، والمهيمن والمسيطر على الكون . ثم جيء بالنفي والاستثناء ليختم المطاف بتهديد كل من أنكر ما جاء فيها من اثبات ألوهيته ، وذلك بتأكيد أن لكل نفس كسبها لا كسب غيرها .

(١) آية ١٦٤ ، تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٧ .
(٢)

أى لاتكون جناية نفس من النفوس الاعليها ، ومحال أن يكون صدورها عن
شخص ووزرها على شخص آخر .

* *

— سورة الأعراف —

— (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١)

المقصود : التكليف .

المقصود عليه : الوسع .

قصر موصوف على صفة قصر قلباً وافراد

سر القصر:

صورت الآيات السابقة مشهد الكافرين فى النار ، وما يلاقونـه
من سوء العذاب ، ونكذال عيش ، وأنهم مآلوا ذلك المصير إلا لظنهم
أن الطريق الموصل إلى الجنة طريق صعب لا يطيقونه ، وأن ما كلفهم الله
به من الأوامر على أيدي رسله ، صعب على النفس البشرية ، لاتباعهم
شهواتهم وأهوائهم ، وظنهم أن الوسع هو بذل الجهد ، وليقلب القرآن
هذا المعتقد ، ويبين مدى بطلانه وفساده ، جاء فى الآية الثانية بصورة
مقابلة هى صورة المؤمنين ، وما وعدهم الله به فى النعيم المقيم
فبدأت بقوله تعالى : (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . أى أن ما كلفهم به كان فى
وسعهم وطاقاتهم .

ثم جىء بالنفى والاستثناء فى جملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر

(١) آية : ٤٢

وفى مجيء جملة النفي والاستثناء جملة اعتراضية ، مايلفت النظر، وينبه القلب والعقل الى عظم الحقيقة التي يراد تقريرها . ذَكَرَ في البحر المحيط : (لما ذكر قوله : وعملوا الصالحات ، نبه على أن ذلك العمل فى وسعهم ، وغير خارج عن قدرتهم ، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محالها ، يوصل اليها بالعمل السهل من غير مشقة) . (١)

ولقد أخطأ هؤلاء الكفار ، ومن ظن ظنهم فى أن المراد بالوسع فى الآية هو بذل الجهد، إذ أن المقصود بالوسع فى الآية ، ما يقدر الانسان عليه فى حال السعة والسهولة ، لا فى حال الضيق والشدة ، وأما أقصى الطاقة فيسمى جهدا لا وسعا ، وغلط من ظن أن الوسع بذل المجهود . (٢)

وفى تقرير هذه الحقيقة الهامة ، بهذا الأسلوب القوى المؤكد، وبهذا النظم القرآنى البديع ، ما يقرس فى النفس الرغبة فى الاكتساب ، لأنه (إذا علم أن معنى التكليف على الوسع ، زادت الرغبة فى ذلك لاكتساب لحصوله بما فيه يسر لاعسر) . (٣)

ثم بعد بيان هذه الحقيقة وتقريرها ، جىء باسم الإشارة (أولئك) ليزيد من مكانة المؤمنين و (اسم الإشارة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف) . (٤)

وفى بيان فضل المؤمنين وشرفهم ، بعد قصر التكليف على الوسع ما يزيد الحسرة والألم فى قلوب الكافرين ، فأناقهم الله الأثم الجسدى والنفسى ، لشدة انكارهم وغفلتهم واعراضهم .

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ .
(٢) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ١٤ ، ص ٨٤ .
(٣) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١٦٩ .
(٤) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَيَخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا
كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

المقصود : الخروج .

المقصود عليه : النكد .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ادعائيا .

سر القصر :

بعد الحديث عن النشأة الانسانية ، وكيفية الخلق فى قصة آدم عليه السلام ، وبيان الغرض من هذا الخلق ، وهو توحيد الله ، واتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه ، ثم بيان ترصد ابليس لبنى آدم ، وابعائهم عن هذه الحقيقة ، وصدّهم عن تقبلها ، وكيف أنه أغرى بهم عن تقبل رسالات الرسل . كل هذا كان تفضلا من الله على بنى آدم ، ولتحذيرهم من مكائد ابليس . نعوذ بالله منه .-

سيقت الآيات لتبرهن لهم حقيقة الخالق ، ووجوده ، وكمال قدرته وحكمته ورحمته . كما جىء بالأدلة على صحة القول بالحشر والنشر ، والبعث والقيامة . ليحصل بمعرفة هذه الأدلة كل ما يحتاج اليه المرء من معرفة المبدأ والمعاد . (٢) فبعد هذه الحجج والبراهين ، لا توجد حجة لأى كائن على كفره .

لذا ضرب لنا القرآن مثلا (انتزعه من المشهد المعروض ، مراعاة للتناسق فى المراتب والمجاهد ، وفى الطبائع والحقائق) . (٣) لبيان حقيقة المؤمن ، الذى انتفع بمشاهد القرآن . فأمن ، وحقيقة الكافر الذى غفل وعصى بعد وضوح الحجة . وفى هذا شدة الإنكار والاحجاف وهنا ، يظهر لنا سر القصر ، فنرى أن بيان

(١) آية : ٥٨ .

(٢) الفخر ، م ٤ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) فى ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٠٠ .

حقيقة المؤمن ، جاءت بأسلوب رقيق ، هين لين تكريماً له . أما حقيقة الكافر المنكر لهذه البراهين والحجج ، فقد قررها بأسلوب النفسى والاستثناء ، ، للتحقير من شأنهم ، والاشمئزاز من صورتهم ، حيث شبههم بالأرض السبخة قليلة النفع .

وَصَرَّبَ المَثَل بِطريق النفسى والاستثناء ، زيادة تجسيم وتجسيد لصورتهم للمبالغة فى ازدرائهم . وحقيقة هذا المثل أن : (البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خَبَثَ - هي السبخة - لا يخرج نباتها الا نکدا ، والنكد الشيء القليل الذى لا ينفع ، فكذلك القلوب لما نزل القرآن . فالقلب المؤمن لما دخله القرآن ، آمن به وثبت الايمان فيه . والقلب الكافر لما دخله القرآن ، لم يتعلق منه بشئ ينفعه ، ولم يثبت فيه من الايمان شئ الا ما لا ينفع ، كما لم يخرج هذا البلد الا ما لا ينفع من النبات .) (١)

— (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) . (٢)

المقصود : جواب قومه .

المقصود عليه : القول . (سفلوه المزل أو محموله)

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء ، أى ما كان جوابهم شئ من الأشياء الا قولهم أى لبعضهم الآخرين المباشرين للأمر ، أو ما كان جواب قومه الذين خاطبهم بما خاطبهم شئ من الأشياء الا قول بعضهم لبعض معرضين عن مخاطبته عليه السلام . (٣)

(١) الطبرى ، ج ٨ ، ص ١٥٠ .

(٢) آية : ٨٢ .

(٣) انظر تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .

روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

سر القصر :

لما بالغ قوم لوط في ارتكاب الفواحش ، خاطبهم سيدنا لوط مخاطبة الناصح الواعظ : (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحِبِّينَ الْعَالَمِينَ) (١) فاستعمل أسلوب الاستفهام للانكار التوبيخي والتقريعي ، ثم وصفهم بأنهم قوم مسرفون تجاوزوا الحدود ، وكان يُنتظر منهم بعد هذا التوبيخ والتعنيف ، أن يُقروا بخطئهم ، ويتركوا ما هم عليه من الفواحش ، ولكن جاء جوابهم مُؤكداً عنانهم وفحشهم ، فجاء به عن طريق النفي والاستثناء ، فقصر جوابهم على قولهم « أخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يتطهرون » (يعني ما أجاوبه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ، ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر ، لا يتعلق بكلامه ونصيحته ، من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريبتهم ضجراً بهم ، وبما يسمعون من وعظهم ونصحهم) (٢) مع أنهم وصفوهم بقولهم (أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) . وهذا الوصف مقتضٍ لاحترامهم ولكن لتبجحهم وغفلتهم ، جعلوا ما هو سبب للتثبيت سبباً للخارج .

وذكر الامام الأوسى : أن القصد من القصر هنا (نفى الجواب على أبلغ وجه ، لأن ما ذكر في حيز الاستثناء ، لا تعلق له بكلامه عليه السلام ، من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ، ووسمهم بما هو أصل الشر كله ، ولو قيل : وقالوا أخرجوهم ، لم يكن بهذه المثابة من الافادة) (٣)

— (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) (٤)

المقصود : الارسال

- (١) آية : ٨٠ من نفس السورة
(٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ٩٢
(٣) روح المعاني ، ج ٨ ، ص ١٧١
(٤) آية : ٩٤ .

المقصور عليه : حال الأخذ

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

والاستثناء في الآية مفرغ من أعم الأحوال . وأخذنا في موضع نصب على

الحال ، وتقديره : وما أرسلنا الا أخذين . (١)

سر القصر:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى قصص الأمم السابقة ، من قوم نوح وعاد
وثمود وشعيب ولوط ، تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتصبيراً له
على تحمل أذى قومه ، وعرفنا أحوال هؤلاء الأنبياء ، وأحوال ما جرى على
أممهم . كان من الجائز أن يُظن ، أنه تعالى ما أنزل عذاب الاستئصال الا في
زمن هؤلاء الأنبياء ، فقلبا لهذا الاعتقاد، جئ بالنفى والاستثناء، وقصر
الإرسال على حال الأخذ ، مُؤكداً أن هذا الجنس من الهلاك ، قد فعله بغيرهم
وبَيَّنَّ العلة التي بها يفعل ذلك . قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) (٢)

وذكر هذا الاهلاك عن طريق النفي والاستثناء * للترهيب والتحذير

ذكر الامام الألويسي أن القصد من الاستثناء في الآية :

(اشارة اجمالية الى بيان أحوال سائر الأمم المذكورة تفصيلاً

وفيه تخويف لقريش وتحذير) . (٣)

— (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا

أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (٤)

المقصور : القول .

المقصور عليه : الحق .

(١) حاشية الشهاب ، م ٤ ، ص ٢٤٣ .

(٢) الفخر الرازي ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .

(٣) روح المعاني ، ج ٩ ، ص ٨ - ٩ .

(٤) آية : ١٠٤ - ١٠٥ .

قصر موصوف على صفة قصر قلب
سر القصر :

المقام هنا مقام تكذيب شديد من فرعون ، ومن تبعه ، فقد جاءهم موسى عليه السلام بالبينة الواضحة ، ولكن لاستكبارهم عن الحق ، كذبوا موسى وما جاء به . قال تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) . (١٠٣)

فهذه الآية تدل على شدة تكذيبهم ، وعبر عن هذا التكذيب بقوله : (فظلموا) . دلالة على اغراقهم في الباطل ، وأن تكذيبهم كان عن ظلم وليس عن حق ، ولما كان فرعون قد اتعى الربوبية ، فاتحه موسى بقوله : إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لينبئه على الوصف الذي دعاه ، وأنه فيه مبطل لا محق ، ثم جىء بالنفى والاستثناء ، لإبطال هذا الادعاء ، وتقرير رسالة موسى عليه السلام .

فجاء الجواب بهذه الصيغة ، لأن (الأئحل في نكت القرآن ، أن يُغْرِق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام . لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون ، قال : لما قال : انى رسول من رب العالمين : كذبت . فيقول أنا حقيق على قول الحق . أى واجب على قول الحق ، أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الابعثلى) . (٢)

ولقوة هذا الجواب لمجيئه بهذا الأسلوب المفحم ، نلاحظ أن فرعون لم يستطع المنازعة في هذه السورة ، فى شىء مما ذكره موسى على السلام ولم يعاود مجادلته ، لأنه أفجم بهذا الأسلوب ، فنراه لا يجد جوابا الا السكوت ، وطلب المعجزة . ودل ذلك على موافقته لموسى ، وأن الرسالة ممكنة لإمكان المعجزة ، اذ لم يدفع امكانها بل قال : (إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ) . (٣) ويأتى الكلام على هذا الطلب من فرعون للمعجزة . (٤)

(١) البحر المحيط ج ٤ ، ص ٣٥٥ (٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٠١
(٣) الأعراف ، آية : ١٠٦ — (٤) البحر المحيط ج ٤ ، ص ٣٥٥

— (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ) (١)

المقصود: المنقوم .
المقصود عليه: الايمان .

والاستثناء في الآية : يجوز أن يكون استثناء مفرغا من أعم المفاعيل إذا أُوِّلَ بمعنى : وما تطعن علينا ، أو تكره منا . ويجوز أن يكون استثناء مفرغا من أعم العلل ، إذا قدرنا أنه فعل متعد يتعدى بعلى ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة .
والقصر في الآية قصر اضافي قصر قلب .

وذكر الامام أبو حيان الأثوال في كونه مفرغا . فقال : (قال الضَّحَّاك : وما تطعن علينا . وقال غيره : وتكره منا ، وقال الزمخشري وما تعيب منا . وقال ابن عطية : وما تعد علينا ذنبا ، وتواخذنا به . وعلى هذه التأويلات يكون قوله : الا أن آمنا في موضع المفعول ، ويكون من الاستثناء المفرغ من المفعول . وجاء هذا التركيب في القرآن كقوله : قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا . وهذا الفعل في لسان العرب يتعدى بعلى . تقول نقمت على الرجل ، أنقم اذا غلب عليه . والذي يظهر من تعديته بمن ، أن المعنى وما تنقم منا ، أي ما تنال منا . كقوله فينتقم الله منه ، أي يناله بمكروه . ويكون فعل وافتعل فيه ، بمعنى واحد كقدر واقتدر . وعلى هذا يكون قوله : الا أن آمنا مفعولا من أجله ، واستثناء مفرغا ، أي ما تنال منا ، وتعذبنا بشيء من الأشياء الا الآن آمنا) . (٢)

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(١) آية : (١٣٦) .

سر القصر :

لما رأى فرعون أن أعلم الناس بالسر قد آمن ، وأقر بنبوته موسى عليه السلام ، أمام اجتماع الخلق ، خاف أن يصير ذلك حجة قوية عند قومه على صحة نبوة موسى عليه السلام .

لذا - خاطب من آمن بأسلوب انكارى ، حيث بدأ كلامه بالاستفهام الانكارى ، على وجه التقريع الشديد ، والاذكار ، والتغليظ عليهم ، والتهديد والوعيد لهم . واعتقد أنهم بعد هذا التهديد ، سيقرون ويعترفون بعدم ايمانهم .

ولكن القوم الذين آمنوا بربهم إيماناً كاملاً ، اختاروا لهذا الموقف الملىء بالوعيد والتهديد جواباً لا (٠٠٠) يجوز أن يقع من المؤمن عند هذا الوعيد أحسن منه (١) .

حيث استعملوا أسلوب المقارعة ، ألا وهو النفي والاستثناء ، ليواجهوا هذا التهديد بقوة تدل على تأكيد ايمانهم ، وعزمهم فى المضى مع موسى عليه السلام .

وفيه انكار واستصغار لفرعون ، حيث بينوا بهذا الأسلوب (أن الذى كان منهم لا يوجب الوعيد ، ولا انزال النعمة بهم ، بل يقتضى خلاف ذلك وهو أن يتأسى بهم فى الاقرار بالحق ، والاحتراز عن الباطل عند ظهور الحجة والدليل) . (٢)

وفى تأكيد ايمانهم على هذا الوجه (تكذيب لفرعون فى ادعائه الربوبية ، وانسلاخ منهم عن اعتقادهم ذلك فيه ، والايان بالله هو أصل الفاخر والمناقب . وهذا الاستثناء شبيه بقوله : (ولا عيب فيهم

(١) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٢١٧ .

(٢) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٢١٨ .

غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (١) أي أنه من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم . فأسلوب القصر أفاد تقرير ايمانهم وتوكيده واصرارهم على الإستمرار فيه ، على الرغم من التهديد والوعيد الشديد الذى توعدهم به فرعون .

— (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) (٢)

المقصور : هى .

المقصور عليه : فتنتك .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر:

ليس فى الآيه الكريمة مخاطب منكر ، أو مُنزل هذه المنزلة ، وليس هناك مخاطب جاهل ، أو مُنزل هذه المنزلة ، لأن المخاطب هنا هو رب العزة والجلال .

وإنما يُفهم من السياق ، أن القصر هنا قصر افراد ، أى ماهى الا فتنتك أنت لا فتنتسى .

فالنفى والاستثناء هنا جاء بعد ثورة عارمة من الغضب ، الذى أصاب موسى عليه السلام ، بعد أن علم رجوع قومه عن ملتهم ، وعبادتهم العجل

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٦٦

(٢) آية : ١٥٥

فغَضِبَ وَثَارَ ، وَصَوَّرَ لَنَا الْقُرْآنَ ذَلِكَ الْغَضَبَ لِشِدَّتِهِ ، كَأَنَّهُ حَتَّى يَتَحَرَّكَ فَقَالَ
تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبَ) . (١٥٤)

وهنا أَحَسَّ موسى عليه السلام احساساً عميقاً بحاجة إلى ربه ، وأنه
لا ملجأَ منه إلا إليه . وأن كل ما حصل بمشيئته وتقديره ، فأراد الاعتذار
عَمَّا وقع من قومه ، فَمَهَّدَ لهذا الاعتذار باستفهام يدل على الاستعطاف ،
فقال : أتَهْلِكُنَا .. . أي لا تهلكنا . وذكر ذلك الفخر الرازي نقلاً عن
المبرد ، فقال : (قال المبرد : هو استفهام استعطاف . أي لا تهلكنا) (١)

ثم جاء موسى عليه السلام بالنفي والاستثناء ، وكأنه أحس أنه لم
يعتذر حق الاعتذار ، ولم يعبر عن فكرته حق التعبير ، فجاء بالقصر عن
هذا الطريق ، لِيُعَبَّرَ عن مَنْتَهَى خضوعه ، وتسليمه المطلق لتلك المشيئة
وَيَجِبَ فكرة الاعتذار ، ويبرزها في قالب التضرع الصادق . فقال : (إِنْ هِيَ
إِلَّا فِتْنَتُكَ) .

ولأن الموقف موقف تضرع واعتذار ، أعقبه بأسلوب آخر للقصر ، فقال :
(أَنْتَ وَلِيْنَا) . أي أنه لا ولي لنا ، ولا ناصر ولا هادٍ إلَّا أنت . وهذا اقرار
بالعبودية المطلقة لله وحده لا شريك له .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَلْسَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ
الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

المقصود : القول

المقصود عليه : الحق

(١) الفخر الرازي ، م ٨ ، ج ١٥ ، ص ٢١ .

(٢) آية : ١٦٩

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أخذ على بنى اسرائيل ميثاق غليظ ، بأن لا يقولوا على الله قولا باطلا ، ولكن جاء الخلف بعد ذلك السلف من قوم موسى ، وورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ، ووعوه ، وعرفوا ما فيه المعرفة التامة ، وبلغهم الوعيد الشديد والتهديد المرعب لكل من يفترى على الله ، ويقول قولا باطلا ولكنهم على الرغم من هذه المعرفة لم يتكيفون بهذا الميثاق ، ولم تتأثر به قلوبهم ولا سلوكهم . ذكر أبو حيان : (قال ابن زيد : كان يأتهم المحق برشوة ، فيخرجون له كتاب الله ، ويحكمون له به . فاذا جاء المبطل ، أخذوا منه الرشوة ، وأخرجوا كتابهم الذى كتبوه بأيديهم ، وحكموا له) . (١)

فإنكارهم اذا للميثاق انكار مع الاصرار ، لأنهم درسوه ووعوه ، ولم يعملوا بما فيه ، فالعصيان مع المعرفة غاية فى الانكار . وعلى الرغم من هذا الانكار الشديد ، نراهم يتبجحون باثبات المغفرة لأنفسهم . فقالوا : (سيغفر لنا) ، فجاء البت من السين للتأكيد ، فكان لابد من الرد القاطع عليهم ، ولذا بدأ الرد بالاستفهام الانكارى ، وأعقبه النفي والاستثناء ، لتقرير حقيقة القول الموجود فى الميثاق ، وجاء هذا التقرير بهذا الأسلوب ، لتوبيخهم على البت بالمغفرة ، أى القطع بها مع عدم توبتهم . (٢)

فى هذا الأسلوب أعظم توبيخ وتقرير لهم ، وتشنيع واستخفاف باعتقادهم الأكيد فى المغفرة . وذكر الأوسى أن (٠٠ المراد فى الآية توبيخ أولئك الورثة ، على بتهم القول بالمغفرة ، مع اصرارهم على

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ - ٤١٧

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٣٣٢

ماهم عليه ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أنهم وبخوا على إيجابهم
على الله تعالى غفران ذنوبهم ، التي لا يزالون يعودون اليها ولا يتوبون
عنها . وجاء البت من السين فانها للتأكيد . (١)

— (أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)^(٢)

المقصور : هو أى الرسول صلى الله عليه وسلم .
المقصور عليه : الانذار .
وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما قام الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا على الصفا ، يدعو فخذنا
فخذنا من قريش ، اتهموه بالجنون ، والعبث وعدم الثبات . (٣) وفى
اتهامهم هذا انكار شديد لنبوته . وأمام هذا الانكار ، جاء النفسى
والاستثناء ، ليدافع عن خير البرايا ، فنفى عنه صلى الله عليه وسلم
ما حاولوا اثباته له ، وقلب اعتقادهم الباطل ، وأثبت له صفة الانذار .

ولشدة شناعة ما قالوه ، بدأ الرد عليهم بالاستفهام الانكـارى
لعلمهم يرتدعون ويتفكرون ، ثم أعقبه بالنفى والاستثناء ليقرر حقيقة
الرسول الكريم بأسلوب اليقين . أى (ما هو عليه الصلاة والسلام الامبالغ

(١) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ٩٢ . (٢) آية : ١٨٤ .

(٣) قال الحسن وقتادة : ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على
الصفا ، يدعو فخذنا فخذنا من قريش ، فقال : يا بنى فلان ، يا بنى فلان
وكان يحذرهم بأس الله وعقابه ، فقال قائلهم : ان صاحبكم هذا
لمجنون ، واظب على الصياح طول هذه الليلة . فأنزل الله تعالى
هذه الآية /

الفخر ، م ٨ ، ج ١٠ ، ص ٨٠ .

فى الانذاره، مظهر له غاية الظهار (١).

فالقرآن (حين أثبت له أنه نذير مبين على وجه الاختصاص ، وأنه ليس الا ذلك ، فقد نفى عنه الجنون ، من أبلغ وجه ، وأكده ، وذلك لأنه لا يظلم بهنه المهمة الكبيرة ، التي هي الانذار المبين ، أى المصحوب بالحجج الناصعة والبراهين القوية ، الامن كان مكتمل العقل ، صحيح النفس منضبط الفؤاد) (٢)

وقد حاول بعض المعاصرين الاسقاط من بلاغة القصر ، ولم يروا فيه الا مجرد نفى لكلام سابق . ومن هؤلاء ، الدكتور ابراهيم أنيس ، فقال حين تعرض لهذه الآية وأمثالها : (فقد نفى سبحانه وتعالى ٠٠٠ أن به جنة أو بعبارة أدق أكد هذا النفى ، الذى يستفاد من كلام سابق ٠٠٠) (٣) وعلق على قوله هذا :

(لأن القصر لا يعدو أن يكون تأكيدا للكلام ، ومبالغة فى توضيح الأحكام ، وثبوتها فى الاثبات) (٤) . ونحن حين نتتبع هذا الأسلوب فى القرآن الكريم ، نراه دائما لطفى ما سبق ، سواء كان هذا الذى سبق ملفوظا أو ملحوظا . ونراه يُسَبَق فى غالب الأحيان بمعنى منفى ، ثم يأتى هذا الأسلوب مؤكدا لذلك المعنى المنفى ، فهو أسلوب نفى ، يؤكد نفيا سابقا بطريق غير مباشر ، فيه من التلويح والتلميح ما يهب الكلام قوة فوق قوة ، ويزيده بيانا فوق بيانه) (٥)

ورد عليه الدكتور محمد أبو موسى فى كتابه - دلالات التراكيب - ردا ، يبدو لى أنه فى غاية الاقناع ، فقال :

(القول اذا بأن جملة النفى والاستثناء مؤكدة للكلام السابق ليس شيئا دصيا على أذنانهم

(١) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .

(٢) دلالات التراكيب ، محمد أبو موسى ، ص ١٣٥ .

(٣) من أسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، ص ١٩٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٥) المرجع السابق ص : ١٩٤ .

وليس مخالفا للذي قالوه ، ثم انهم زادوا على ما قاله الأستاذ شيئا ، لا يجوز اغفاله ، وهو بيان وجه دلالة التركيب على تأكيد ما قبله . ولم يحاول الأستاذ ، أن يبين كيف كان قوله : إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ ، مؤكدا لنفى الجنون وَمِنْ سُوءِ لأنه لو حاول ذلك ، فلن يجد مفرأ من القول بأنها اثبات صفة له ، ونفى ما عداها ، وهو القصر الذي يجتهد في اغفاله والازراء عليه (١)

— (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرَسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) . (٢)

في الآية الكريمة أربعة أساليب للقصر :

الأول : في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) .
وهو عن طريق (انما)

المقصور : العلم

المقصور عليه : كونه عند الرب عز وجل

قصر موصوف على صفة قصر قلب

والثاني : في قوله تعالى : (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)

عن طريق النفي والاستثناء

المقصور : التجليية

المقصور عليه : (هو) أي الذات العليا

(١) دلالات التراكيب : محمد أبو موسى ، ص ١٣٥

(٢) آية : ١٨٣

قصر صفة على موصوف قصر افراد ، أو هو قصر قلب

والثالث : فى قوله تعالى (لَأَنبَأْتُكُمْ بِمَا لَمْ تَبْتَغُوا) .

عن طريق النفى والاستثناء .

المقصور : الايمان .

المقصور عليه : بفتحة

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

والرابع : فى قوله تعالى : (إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ) .

وهو عن طريق (انما)

المقصور : العلم

المقصور عليه : كونه عند الله

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

لما كان محور الآية يدور حول أمر عظيم الشأن ، يرتبط ارتباطاً

وثيقاً بأمر العقيدة ، فهو أحد أركان الايمان الستة ، وهى (أن تؤمن

بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) .^(١)

ولما كان هذا الأمر هو أمر الساعة ، وقد جادل فيه الكفار ، أياً

جدال ، وكان سؤالهم فى هذه الآية ، ليس للفهم والاستفسار والمعرفة ، بل

للانكار والتحدى ، وتعجيز الرسول الكريم . ولِعِظَمَ هذه المسألة وحساسيتها

امتلت الآية بأساليب القصر ، فنراها تتدافع لدفع هذا الانكار . فبعد

هذا السؤال يفاجئنا أسلوب القصر عن طريق (انما) ، (قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ

رَبِّى) .

(أراد علمها عند ربي وليس عندي .. ولو أنه قال علمها عند ربي

(١) مجموعة التوحيد . أحمد بن تيمية - محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤١

من غير أسلوب القصر ، لما صحَّ الجواب ، فقصرَ العلم على ذاته العليا ونفاها عن الرسول الكريم . وهو قصر قلب .

وفى مجيء القصر بأنَّما لبيان أن أمر الساعة أمر جلي واضح ، لا يجمعه الإنكار . (ولما كان السؤال عن الساعة عموما ، ثم خص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب عموما عنها ، بقوله إنما علمها عند ربي ، ثم خصت من حيث الوقت ، فقيل (لَأَجَلِيهَا لَوْقَتَهَا إِلَّا هُوَ) . فالسؤال هنا عن تحديد الوقت وطلب التحديد من الرسول صلى الله عليه وسلم قمة في الإنكار، ومحاولة التعجيز ، ولذا أجابهم بشدة ونفى معرفة الوقت عن الرسول ، وأثبتها لذاته العليا ، فهو المختص بها ، وهذا دليل من دلائل ربوبيته ، وهو قصر افراد . وفى الآية إشارة إلى بشرية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا الأمر - أمر الساعة - بيد المالك المتصرف ، وأن الرسول ما هو الا بشر .

وقدَّم الجار والمجرور للتنبيه ، ولفت النظر الى المستثنى ، كأنه قيل لا يجليها الا هو فى وقتها . لأنه قدَّم للتنبيه من أول الأمر على أن تجليها ليس بطريق الاخبار بوقتها ، بل بإظهار عينها فى وقتها . (١)

ثم يقرر القرآن بعد ذلك ، ويؤكد حصولها بقوله تعالى :
(لَأَنآتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) .

ففى هذا القصر (تأكيداً لما تقدم وتقرير لكونها بحيث لا تجسى
الابغتة) (٢)

وفى قصرها على هذا الوصف مبالغة فى التهديد والوعيد ، والقاء الرعب فى قلوبهم وتقرير حاسم لمجيئتها . ثم قال تعالى : (إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ) . فبعد أن برهن الله سبحانه وتعالى على قيام الساعة ، وأنها أمر حقيقى ، وأثبت وقتها اثباتاً لا مجال للشك فيه ، جاء بانما ، فقال تعالى :

(١) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ١٩٢

(٢) المصدر السابق

(إِتِّمَاعِلْمَهَا عِنْدَ اللَّهِ). تقرير بعد تقرير لِعِظَمِ الأَمْرِ وأهميته .

ومما يلفت النظر في هذه الآية ، ويدفع النفس الى التساؤل ، هو
مجئ أساليب القصر متتالية بعضها عقب بعض ، ولا أرى جواباً لهذا التساؤل
إلا القول بقيمتها البلاغية ، وقدرتها على هزيمة الخصم ونقض حجته .

— (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبِئْسَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١)

في الآية الكريمة أسلوباً قصر ، كلاهما عن طريق النفي والاستثناء
الأول في قوله تعالى : (لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ).

فالمقصور : الملكية

المقصور عليه : وقت ميثثة الله

وهو قصر موصوف على صفة قصر قلب .

ولقد اختلف العلماء في نوع الاستثناء هنا ، هل هو متصل مفرغ ،

أو منقطع ، فرأى الامام أبو حيان كونه متصلاً ، فقال :

(والاستثناء متصل ، أي الاما شاء الله من تمكيني منه ، فاني أملكه ،

وذلك بميثثة الله . وقال ابن عطية :

(وهذا الاستثناء منقطع . انتهى . ولحاجة الدعوى الانقطاع مع امكان

الاتصال) . (٢)

(١) آية : ١٨٨

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤٣٦

وكذلك يفهم من كلام الامام البيضاوى ، أن الاستثناء هنا متصل بحيث قال : (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) من ذلك ، فيلهمنى اياه ويوفقنى له . (١)

وكذلك رأى الامام الشهاب أن : (الاستثناء متصل ، أى الاما شاء الله من تمكينى منه ، فانى أملكه بمشيئته تعالى . وقيل الظاهر الانقطاع لأن المالكية بمعنى القدرة ، لأن ما يدل على نفي خلق الأعمال ، يدل على نفي وقوعها الآن يقال : انه بناء على الظاهر وفيه نظر ، وذلك اشارة للضر والنفع . وقوله (٢) : " ما أنا الاعبد مرسل ، أى لا قادر على الضر والنفع . فالقصر اضافى " (٣) .

أما الامام أبو السعود ، فرأى أن الأبلغ كونه منقطعا فقال : (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) . أن أملكه من ذلك ، بأن يلهمنيه ، فيمكننى منه ، ويقدرنى عليه . أو لكن ماشاء الله من ذلك كائن . فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ فى اظهار العجز) . (٤) وكذلك ذكر الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى . أن الاستثناء هنا ظاهر الانقطاع ، فقال : (والظاهر أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن ماشاء الله يقع لى ، نفعا كان أو ضرا) (٥)

أما الامام الأوسى ، فرأى جواز الانقطاع والاتصال . وهو مفرغ من أعم الأوقات ، فقال : (أى الا وقت مشيئته سبحانه ، بأن يمكننى من ذلك ، فانى حينئذ أملكه بمشيئته ، فالاستثناء متصل . . . وقيل - الاستثناء منقطع ، أى لكن ماشاء الله تعالى من ذلك كائن ، وفيه على هذا من اظهار العجز ما لا يخفى) . (٦)

ويبدو لى أنه لا مانع من جعله متصلا ، لأنه لاجبة إلى دعوى الإنقطاع

- (١) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٣٨
- (٢) أى الامام البيضاوى
- (٣) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٤٣
- (٤) تفسير أبى السعود ، ج ٢ ، ص ٣٠٢
- (٥) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٣ ، ص ٣٨
- (٦) روح المعانى ، ج ٩ ، ص ١٣٦

مع امكان الاتصال - كما ذكر أبوحيان - وهو مفرغ من أعم الأوقات ، أى
الوقت مشيئة الله بأن يمكننى .

أما القصر الثانى فى قوله تعالى : (وَمَا سَنَى السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) .

المقصور : أنا (أى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم)

المقصور عليه : الانذار والتبشير

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

واجه أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن الساعة ،
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) . وأسألتم هذه تدور حول الأمور
الغيبية ، وهى أمور يجهلها المخاطب ، لذا جاء الجواب بصيغة القصر
وبالغ الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفي العلم عن نفسه باظهار الخضوع
والتذلل ، والتسليم لقضاء الله ومشيئته ، ليزيل كل اعتقاد باطل
وليثبت العلم لله وحده ، (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) . فشملت الآية التجرد الكامل من
الملكية والمشيئة ، واثباتها لله وحده . حيث قصر الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ملكية النفع والضر على وقت مشيئة الله .

ولما كان القصد من أسئلة المشركين ، التى يعرضها السياق ، انكار
نبوته صلى الله عليه وسلم ، لأن فى اعتقادهم أن عدم علمه بالأمور الغيبية
دليل على عدم نبوته . فجاءت الآية بأسلوب قصر آخر ، لتقرير نبوته ،
وتأكيدا باثبات بشريته ، وأنه نذير لا يتعدى الانذار الى العلم بالغيبيات
التي هى من اختصاص المولى عز وجل ، ولتأكيد اتصافه بصفة الانذار . جىء
بلفظ نذير ، وهى على وزن فعيل من صيغ المبالغة ، مبالغة فى الانذار

وفى هذا تهديد وتنبية لهم على ترك المعاصى ، وترك هذه المجادلاته
(وبهذا الاعلان تتم لعقيدة التوحيد الاسلامية ، كل خصائص التجريد
المطلق من الشرك فى آية صورة من صوره ، وتتفرد الذات الالهية بخصائص
لا يشاركها البشر فى شىء منها ، ولو كان هذا البشر محمد رسول الله
وحبيبه ومصطفاه عليه صلوات الله وسلامه ، فعند عتبة الغيب تقف الطاقة
البشرية ، ويقف العلم البشرى . وعند حدود البشرية يقف شخص رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وتتحدد وظيفته ، (إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ) . (١)

وقد أورد الدكتور محمد أبو موسى سر القصر فى هذه الآية ، فقال :
(حين نتأمل الكلام السابق للنفى والاستثناء ، نجده كأنه يصحح مفاهيم
حول الاعتقاد فى الرسول وأنه أى الرسول يتجاوز الرسالة ، يعنى حمل كلمة
الله ، وتبليغها لخلق الله الى أشياء ، فهو يملك النفع والضر ، ويعلم
الغيب ، والرسول يتبرأ لهم من هذا . وذاك ، ويقول : لا أملك لنفسى
نفعاً ولا ضراً ، فأولى لأملك ذلك لغيرها ، ولا أعلم الغيب ، ولو كنت
أعلمه لاستكثرت من الخير ، ثم يقول : إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ . فيقصر
نفسه على الانذار والتبشير ، والواقع أن القوم الذين يحاورهم ، ليسوا
من المؤمنين ، وانما جاءوا يسألون عن أشياء ليست فى علمه : (يَسْأَلُونَكَ
عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لِأَجَلِهَا لَوْ قَتَلْتُهَا إِلاَّ هُوَ
ثَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَتَأْتِيكُمْ الْبَغْتَةُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) . الخبر هنا ليس منزلاً منزلة المجهول ، وانما هو خبر
مجهول عند المخاطبين ، وانما ذكرناه لتبين أن الكلام السابق على النفس
والاستثناء ، فى المقامات الحقيقية أيضا قديكون منبثاً بهذا الرفض ، أى

(١) فى ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ١٤١

بأن حال المخاطب رفض وانكار ، فالذين جاءوا يسألون عن الساعة وعلم الغيب ، انما يريدون أن يقولوا له : لست رسولا نذيرا ولا بشيرا ، لأنك لو كنت كذلك ، لعلمت الساعة والغيب .^(١)

— الأنفال —

— (إِذِ اسْتَعِثُّوْنَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اُنِّي مُبِدِّكُمْ بِالْفِئِمِّنِ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهٖ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيْمٌ)^(٢)

* سبق تحليل هذا القصر فى سورة آل عمران آية (١٢٦) *

لقدنا
— (وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ آيٰتُنَا قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَفٰى لَقَلْبُنَا مِثْلَ هٰذَا اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ)^(٣)

* سبق تحليل هذا القصر فى سورة الأنعام آية : (٢٥)

— (وَمَا لَهُمْ اِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّوْنَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوْا اَوْلِيَآءَهُ اِنْ اَوْلِيَآؤُهُ اِلَّا الْمُتَقُوْنَ وَلٰكِنْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ)^(٤)

المقصور : أولياؤه .

المقصور عليه : المتقون .

قصر موصوف على صفة قصر قلب . أو هو قصر حقيقى فيه مبالغة .

سر القصر :

بالغ كفار مكة فى انكارهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) دلالات التراكيب : محمد أبو موسى ، ص ١١١ .

(٢) آية : ١٠:٩ .

(٣) آية : ٢١ .

(٤) آية : ٢٤ .

حتى أنهم طلبوا أن تمطر عليهم السماء حجارة إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ مَادِقًا
فيما يقول ، ولكن مَنَعَ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ، فَظَنُوا أَنَّ الْمَنَعَ كَانَ
لمكانتهم عند الله ، لأنهم هم أولياؤه ، كما ادعوا من قبل أنهم هم
ولاية البيت والحرم ، يدخلون من يثأرون ، ويصدون من يثأرون . وأمام
هذا الادعاء الكاذب ، وهذا الإنكار الشديد لأمر الرسول والقرآن ، جاء
النفي والاستثناء ، لقلب اعتقادهم ، فنفي عنهم ما زعموه من الولاية
للحرم ، وأثبتها وأكدها للمتقين ، فَمَنَعَ الْعَذَابَ مَا كَانَ الْإِلْهُدَى الْوَجُودَ الرَّسُولِ
بينهم ، ولاستغفار أولياء الله المتقين . وفي هذا تعريض بهم ، وأدعى
الى إدخال الحسرة في قلوبهم ، ففي نفي الولاية عنهم ، بيان لكمال قبح
ما صنعوا من الصد ، (فان مباشرتهم للصد عنه ، مع عدم استحقاقهم
لولاية أمره ، في غاية القبح ، وهو رد لما كانوا يقولون عن ولاية
البيت والحرم ، فنصد من نشاء ، وندخل من نشاء) (١)

وَيُقَهَّمُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَشِيدِ رِضَا ، أَنَّ الْقَصْرَ هُنَا قَصْرٌ حَقِيقِي ، حَيْثُ
قَالَ : (وَهَذَا غَايَةُ التَّأَكِيدِ ، فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ نَفَى وَايَةَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ بَيْتِ
اللَّهِ تَعَالَى ، نَفَى كُلَّ وَايَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَاسْتَثْنَى مِنْهَا وَايَةَ الْمُتَّقِينَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ عُدُوْلُهُمْ وَخِيَارُهُمْ ، لِأَنَّ لِحَقِّهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ مَا
يَدْعُونَ حَقَّ الْوَايَةِ بِأَنْسَابِهِمْ . وَقِيلَ إِنَّ الضَّمِيرَ فِي الْمَوْضِعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى
أَيُّ وَلَمْ لَا يَعْتَبِرُ اللَّهُ هَوْلًا الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ انْتِفَاءِ سَبَبِي مَنَعَ الْعَذَابِ
وَالْحَالُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَهُ ، وَأَنْصَارُ دِينِهِ الَّذِينَ لَا يَعْذِبُهُمْ . وَكَأَنَّ مَا ثَلَا
يَسْأَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ تَعَالَى إِذَا . . . فَأَجِيبَ بِصِغَةِ الْحَصْرِ بِالْإِثْبَاتِ بَعْدَ النِّفْيِ
مَا أَوْلِيَاءَهُ الْإِلَهِيَّةُونَ ، أَيُّ الَّذِينَ صَارَتِ التَّقْوَى الْعَامَّةَ صِفَةً رَاسِخَةً
فِيهِمْ) . (٢)

(١) تفسير أبي السعود ، ج ٢ ، ص ٢٠

(٢) تفسير المنار ، م ٤ ، ص ٦٥٨

— (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْأَمْكَاءِ وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) . (١)

- المقصود : كون الصلاة عند البيت .
- المقصود عليه : المكاء والتصديّة .
- قصر موصوف على صفة قصر قلب .

قد يطرأ للبعض أن يقول : ان المكاء والتصديّة ، ليسا من جنس الصلاة ، فكيف صح استثنائهما منها ..

أجاب على ذلك الامام الصاوي : (بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها ، فجرى الاستثناء على معتقدهم) . (٢)

سر القصر :

لما نفى الله عز وجل - في الآية السابقة - الولاية عن مشركي قريش وكذب ادعائهم لها ، تلاها بآية أخرى تؤكد هذا المعنى ، فجاء النفسى والاستثناء ، ليؤكد لنا سفاهة عقولهم ، وقلة ادراكهم ، حيث ظنوا أن صلاتهم عند البيت الحرام هي العبادة الحقّة ، وهي سبب كونهم أولياء الله فقلباً لاعتقادهم ، قصرت صلاتهم على المكاء والتصديّة ، تأكيدا لكونها من قبيل اللهو واللعب ، للاستخفاف بهم ، والتحقير من شأنهم . فمن كانت هذه عقليته وتفكيره ، فهو قطعاً لا يستحق ولاية الله .

ذكر الامام أبو حيان أنه (لما نفى عنهم أن يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ، ما يؤكد ذلك ، وأن من كانت صلاته ما ذكر ،

(١) آية : ٣٥

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٢٥

لا يستأهل أن يكونوا أولياء) (١)

وذكر الامام الصاوي : أن سر الاستثناء هنا زيادة في التشنيع عليهم
قال (فالاستثناء زيادة في التشنيع عليهم) . (٢)

— التوبة —

— (إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) . (٣)

في الآية الكريمة أسلوبا قصر :

الأول : عن طريق انما . في قوله تعالى : (إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ) .

- المقصور : عمارة المساجد
- المقصور عليه : من آمن بالله
- قصر صفة على موصوف قصر قلب

والثاني : عن طريق النفي والاستثناء ، في قوله تعالى : (وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا
اللَّهَ) .

- المقصور : المنشيء
- المقصور عليه : الله
- قصر صفة على موصوف قصر افراد

(١) تفسير أبي السعود ، ج ٢ ، ص ٢٠
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٢٥
(٣) آية : ١٨ .

ولنا أن نتماءل ما السر فى مجىء أسلوبى قصر فى الآيه ٠٠ ولم فُتِحَتْ
بإِنَّمَا ٠٠ ثم ختمت بالنفى والاستثناء ٠٠

يبدو لى أن السر فى ذلك ، أن السورة بدأت بذكر البراءة ، ثم
عرضت بعضا من قبائح المشركين ، فاحتجوا على هذه البراءة ، وادعوا أن
لهم صفات ، توجب مخالطتهم . منها عمارتهم للمسجد الحرام ، وقد ذكر ذلك
الامام الفخر الرازى فقال : (اعلم أنه تعالى بدأ السورة بذكر البراءة
عن الكفار ، وما لغ فى ايجاب ذلك ، وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم
ما يوجب تلك البراءة . ثم أنه تعالى حكى عنهم شيئا احتجوا بها ، فى أن
هذه البراءة غير جائزة ، وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصله
فأولها ما ذكره فى هذه الآيه ، وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة ، وخصال
مرضية ، وهى توجب مخالطتهم ، ومعاونتهم ومناصرتهم . ومن جملة تلك
الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام) . (١)

وقد سبق الرد على ادعائهم عمارة المسجد الحرام . فقال تعالى :
(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ تَآهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ
أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) . (٢) فنفاها عنهم بنفى
الشان ، وهو أبلغ من نفى الفعل ، لأنه نفى له بالدليل . (٣)

وتأكيدا لنفى عمارة المسجد عنهم ، جىء بإِنَّمَا لبيان أن عدم
استحقاقهم لعمارة المسجد ، وعدم استحقاقهم لولاية الله ، أمر واضح جلى
لا مجال للجدال فيه .

وفى مجىء انما هنا تعريض بهم ، واستخفاف بادعائهم . أما فى نهاية
الآيه ، فقد جاء النفى والاستثناء ، لأن الأمر يتعلق بأمر العقيدة ، فكفار

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨

(٢) آية : ١٧ ، من نفس السورة

(٣) تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٢٠٥

مكة أنكروا هذا الأمر ، ولم يقروا به .

فالخشية من الله أمر يتعلق بتوحيد الألوهية ، هذا التوحيد الذى جده الكفار ، فكانوا يقرون بوجود الرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) .^(١) ولكنهم يشركون معه غيره ، فى صنف بعض أنواع العبادة لغيره ، ويقولون : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .^(٢)

فتوحيد الألوهية هو (...) الذى وقع فيه النزاع فى قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العبادة ، كالدعاء ، والضر ، والرجاء ، والخوف والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والرهبة ، والاناة) .^(٣)

ولقد كان الكفار يخشون أصنامهم ، ويرجونها ، ولذا جاء النفسى والاستثناء ليقدر أن الايمان ، لا يثبت الا اذا أثبتنا الخشية لله ، وأخلصنا فى تحقيق توحيد الألوهية ، فجاء القصر هنا للتنبيه الى هذه الحقيقة ، بنفى الخشية عن الأصنام ، وإثباتها لله عز وجل .

ولقد ذكر الامام النفسى :^(٤) أن فى قوله تعالى : (لم يخش الا الله) تنبيه على الاخلص ، والمراد الخشية فى أبواب الدين ، بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره ، لتوقع مخوف .^(٥) اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ، ولا يتمالك أن لا يخشاها . وقيل كانوا يخشون الأصنام ، ويرجونها ، فأريد نفى تلك الخشية عنهم .^(٦)

(١) لقمان : من الآية : ٢٥

(٢) الزمر : من الآية : ٣

(٣) مجموعة التوحيد : ابن تيمية - محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النفسى ، أبو البركات ، فقيه حنفى

مفسر ، من أهل ايدنج (من كور أصبهان) نسبة الى (نسف) ببلاد

السند ، من كتبه (كنز الدقائق) فى الفقه ، والمنار) فى أصول

الفقه ، توفى سنة ٧١٠ هـ / الأعلام ، م ٤ ، ص ٦٧

(٥) النفسى ٠ ج ٢ ، ص ١٢٠

(٦) الكشاف ٠ م ٢ ، ص ١٨٠

فالمؤمنون امتحقوا عمارة المسجد الحرام ، وولاية الله ، لأنهم كانوا يخشون الله ، دون كفار قريش ، الذين نفى عنهم عمارة المسجد الحرام ، لأنهم خشوا أصنامهم .

— (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١)

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر : الأول فى قوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) .

المقصور : الأمر .

المقصور عليه : العبادة .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

والقصر الثانى : فى قوله تعالى : (لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

المقصور : الألوهية .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

بدأت السورة بقوله تعالى : (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢) ... (وَأَنَا نُّ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) (٣)

ثم عدد الله سبحانه وتعالى بعضا من قبائحهم ، التى أوجبت تلك

البراءة منها : اتخاذهم الأخبار والرهبان أربابا من دون الله يطيعونهم

فى غير شرع الله .

(١) آية : ٣١ .

(٢) آية : ١٠ .

(٣) آية : ٣ .

فهم يقرون بوجود الله ، ولا ينكرونه ، فتوحيد الربوبية هو التوحيد
الذى أقر به الكفار . (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ) . (١)

ولكن فى اتخاّنهم الأخبار والرهبان أربابا يطيعونهم ، أمر فيه
انكار لما أمرهم الله به على لسان رسله ، فهم بطاعتهم لأخبارهم كأنهم
عبدوهم .

لذا جاء النفى والاستثناء ليقرر الحجة الموجبة للبراءة منهم
فأكد أن رسالات الرسل كلها ، تدعو الى عقيدة واحدة ، وهى عبادة الله
وحده ، وأنه لم يأمرهم فى وقت من الأوقات الا بعبادته ، وافراده بهذه
العبادة . وَيُلَمَّح فى هذا القصر شدة الانكار عليهم وتوبيخهم ، لأنهم أمروا
بشئ ، وفعلوا خلافه .

ثم جاء فى آخر الآية أسلوب قصر آخر ، فنفى الألوهية عن الأخبار
والرهبان ، وقصرها على المولى عز وجل ، زيادة فى تقرير تفرد الله
بالألوهية ، وتنزيهه عن النقائص . وذكر الامام أبو السعود أن مجيء
الاستثناء هنا (زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى) . (٢)

— (يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ
نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) . (٣)

المقصور: اباء الله .
المقصور عليه: اتمام النور .
قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا ، فيه مبالغة ، وقد جاء الاستثناء هنا
من الموجب ، لأنه بمعنى النفى ، (وانما صح الاستثناء المفرغ من

(١) لقمان : من الآية ٢٥ .

(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٠ .

(٣) آية : ٣٢ .

الموجب ، لكونه بمعنى النفى . كما أُشير اليه لوقوعه فى مقابلة قوله تعالى : (يُرِيدُونَ) ، وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس فى نفي الإرادة . أى لا يريدون شيئاً من الأشياء الا إتمام نوره ، فيندرج فى المستثنى منه بقاءه على ما كان عليه ، فضلا عن الاطفاء .^(١)

وقد استعمل النفى والاستثناء فى هذه الآية ، لأن المقام كله انكار لنور الله ، والمراد بنور الله هنا (حجة الدالة على وحدانيته ، وتقده عن الولد ، أو بنوة محمد صلى الله عليه وسلم) .^(٢) هذه الوجدانية التى جادل اليهود والنصارى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنكروها أشد الانكار (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .^(٣)

وكان مقصدهم من هذا الجدل ، يث الشك فى نفوس الناس ، وتضليلهم حتى لا يؤمنوا بنبوته محمد الداعية الى وحدانية الله . وبذلوا فى ذلك كل ما فى وسعهم . وهذا ما عبر عنه القرآن بالاطفاء ، لشدة انكارهم . (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ) .

ولذا جاء النفى والاستثناء ، ليؤكد لهم فى عزم ، أنهم مهما بذلوا فالله مبق نوره على مر الأزمان ، ولشدة انكارهم ببولغ فى التأكيد ، واستعملت كلمة يابى : بدل أداة النفى ، (والتقدير ما أراد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة عدم الإرادة ، وهى المنع والامتناع) .^(٤)

ولعلنا نستطيع ادراك سر هذا القصر ، اذا ما رجعنا الى قوله تعالى فى سورة الصف ، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكِنْبَ ، وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

(١) تفسير أبى السعود ج ٤ ، ص ٦١

(٢) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٦٦

(٣) آية : (٣٠) من نفس السورة

(٤) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٤٠

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١) . ولاحظنا أن في آية التوبة جئ بأسلوب القصر . أما في آية الصف فجئ بغير ذلك .

(٢) ولقد ذكر الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار تعليلا لهذا الفرق فذكر أن في سورة الصف كانت الآية (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) فاللام للتعليل أي أن هؤلاء الضالين الظالمين لأنفسهم ، بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بشرهم به عيسى عليه السلام بعد بعثته ، ودعوته إياهم إلى الاسلام ، وظهور نوره بالحجج الساطعة الدالة على صدقه ، يريدون افتراء الكذب بانكار البشارات ، وتأويلها بما يصرفها عن وجهها لجل أن يطفئوا نور الله ، ثم قال : (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) أي والحال أن الله تعالى متم نوره بالفعل ، فلا يطفئه ، فالفرق بين الآيتين : أن آية الصف تعليل لافتراءهم بإرادتهم اطفاء النور به - وآية براءة لما جاءت بعد بيان شركهم ، بمضاهاتهم لأقوال الوثنيين من قبلهم ، جعل ذلك نفسه بمعنى ارادة اطفاء النور بلا واسطة . ثم أن بينهما فرقا آخر وهو التعبير في آية الصف بقوله : (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) ، وفي سورة براءة بقوله : (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) . والأول يفيد أنه متم بالفعل في الحال ، والثاني وعد بأن يتم في المستقبل ، فيجتمع فيهما اثبات هذا الاتمام في الحال والمستقبال . . . ولما كان هذا الوعد الذي يتعلق بالمستقبل المغيب عن علم الخلق ، من شأنه أن يرتاب فيه الناس أكده الله تعالى بمالم يؤكد به الخبر الأول ، لأن الخبر الأول صدقه مشاهد ، لا يحتاج إلى التأكيد . وناهيك بقوله : (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) أي أنه لا يرضى ، ولا تتعلق إرادته بشيء في هذا الشأن الا شيئا واحدا ، وهو أن يتم نوره ، فلا يجعل في قدرة أحد أن يطفئه . (٣)

(١) سورة الصف ، آية (٨٧)

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن شمس الدين القلموني ، البغدادي الأصل الحسيني النسب ، أحد رجال الإصلاح الاسلامي ، لازم الشيخ محمد عبده وتلميذ له . من أشهر آثاره : مجلة المنار أصدر منها ٣٤ مجلدا و (تاريخ أستاذاً لإمام الشيخ محمد عبده) و (الوحي للمحمدى) . ولد سنة ١٢٨٢

وتوفي سنة ١٣٥٤هـ / الاعلام ، م ٦ ، ص ١٢٦ .
(٣) تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٣٨٧

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) . (١)

المقصود : متاع الحياة الدنيا .

المقصود عليه : قليل .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالقتال في غزوة تبوك ،
تباطأ بعضهم في تلبية النداء ، لأن الأمر جاءهم في وقت الصيف ، حين
أثمرت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الطلال ، وشق عليهم المخرج (٢)
وظنوا أن في هذا راحتهم ودعتهم ومتاعهم ، وفي هذا تقاعس عن تلبية
أمر الله ، والتقاعس عن الجهاد ، بداية لانكار هذا الركن الجليل
ولذا مُلِئَت الآية بأساليب الانكار والتوبيخ ، كل ذلك لتنبههم ، وإيقاظ
همهم . فبدأت الآية بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا
قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا) .

وجيء بأداة النداء للفت الأنظار ، ثم جيء باستفهام فيه معنى
الانكار والتوبيخ ، وعبر عن تباطئهم بقوله (اثَّاقَلْتُمْ) ، أي أصرتهم
وأحببتهم ، وملتم إلى المكوث (وقرئ اثَّاقَلْتُمْ على الاستفهام ، الذي
معناه الانكار والتوبيخ) . (١)

(١) آية : (٣٨)

(٢) انظر الطبري : م ٦ ، ج ١٠ ، ص ٩٤

السيرة النبوية ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤ - ٥

أسباب النزول : الواحدى ، ص ١٤١

(٣) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٤١

ثم أتبع هذا الاستفهام باستفهام آخر (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ،
وهو استفهام يحمل معنى التعجب . والازكار من حالهم . فبعد التوبيخ
والتقريع ، وبعد أن استيقظت عقولهم وتهيات نفوسهم لقبول الحق ، جىء بأسلوب
لا يدع لهم مجالاً للتخاذل أو التباطؤ . فقال تعالى : (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) .

فجىء بأسلوب النفي والاستثناء لتأكيد ضعف ما تمسكوا به ، حيث
قَلِبَ اعتقادهم ، وقَصَرَ متاع الدنيا الذي تمسكوا به على الأمر الهين القليل .
وأوضح لهم أن حقيقتها بجانب حقيقة متاع الآخرة حقير هين (أى فما التمتع
بها وبلذائنها (فِي الْآخِرَةِ) أى فى جنب الآخرة (إِلَّا قَلِيلٌ) أى مستحقر ، لا
يؤبه له . وفى ترشيح الحياة الدنيا ، بما يؤنن بنفاستها ، ويستدعى
الرغبة فيها ، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك ، مبالغة فى بيان حقارة الدنيا
ودنائتها ، وعِظَم شأن الآخرة وعلوها) . (١)

وبعد هذا التوبيخ ، وبعد تأكيد حقيقة متاع الدنيا بجانب حقيقة
الآخرة ، بهذه الأساليب الموقظة للنفس ، والتي لم تبق لأحد حجة ، توعد
وتهدد من لا يستجيب لأمر القتال بعد ذلك ، فقال تعالى : (إِلَّا تَنْفِرُوا
يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

— (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَانُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا تُؤْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ
وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) . (٢)

المقصود: الزيادة .

(١) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥

(٢) آية : ٤٧ - ٤٨

المقصور عليه : خبالا

قصر موصوف على صفة قصر قلب

اختلف العلماء في نوع الاستثناء هنا ، من حيث الاتصال والانقطاع .

فذهب الامام الصاوي إلى جواز كونه متصلا مفرغا من عموم الأحوال ، أو منقطعا .

قال : (يصح أن يكون استثناءً منقطعا ، والمعنى ما زادوكم قوة ، ولكن (١) خبالا ، أو متصلا من عموم الأحوال . والمعنى ما زادوكم شيئا أصلا لا خبالا)

وفضل الامام الفخر ، وتبعه الامام النسفي ، (٢) كون الاستثناء متصلا

فقال : (قال بعض النحويين قوله : (الا خبالا) من الاستثناء المنقطع . وهو

أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، كقوله : ما زادوكم خيرا الا

خبالا ، وههنا المستثنى منه غير مذكور ، واذا لم يذكر وقع الاستثناء

من الأعم ، والعام هو الشيء ، فكان الاستثناء متصلا ، والتقدير : ما زادوكم

شيئا الا خبالا) . (٣)

سر القصر :

طلب كبار المنافقين من الرسول صلى الله عليه وسلم الاذن بالعودة

في غزوة تبوك - وعدم الجهاد ، بحجة أنهم لا يملكون العدة والعتاد

ولما كان أكثر من طلبوا ذلك من أشرف القوم ، وأكثرهم مالا وعتادا ، قديدهو

ذلك بعض ضعاف النفوس التي اتباعهم ، وأولى الطمع في خروجهم ، ظنا

منهم أن الغلبة لا تكون إلا لهم .

ولقلب هذا الاعتقاد ، استعمل القرآن أولا أسلوب الالتفات ، لشد

انتباه المؤمنين ، فانتقل من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطاب

جماعة المؤمنين .

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٥١

(٢) النسفي ، ج ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩

(٣) الفخر الرازي م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٣

وبعد أن أمسك القرآن بزمام انتباههم ، جاء بأسلوب النفي والاستثناء
ليقرر حقيقة المنافقين ، ويهون من شأنهم ، فقصهم على الفساد والسعي
بالنميمة والخراب . فمن كانت هذه خصاله فالأولى ألا يتبع ، ولا يلتفت
اليه .

وزيادة في زجر هذه النفوس الضعيفة ، قال تعالى : (وَفِيكُمْ سَاعُونَ
لَهُمْ) ، بصيغة المبالغة ، تحقيرا لمن قد تراوده نفسه الى الاستماع
اليهم .

— (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ) .^(١)

المقصود: المصائب .

المقصود عليه : ما كتب الله .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر:

ما زالت الآيات تتابع قبائح المنافقين ، وتكشف حقائقهم لتحذير
المؤمنين منهم ، ومن الحقائق الثابتة أن المنافقين يضررون الحق
للإسلام وللمسلمين . وهنا يوضح القرآن صورة من صور حقلهم ، وهي فرحهم
الشديد في حالة إصابة المسلمين بهزيمة - مثل ما كان في يوم أحد - .
وكذلك أصابتهم بالفم والهجم ، اذا أحرز المؤمنون نصرا أو غنيمة ،

ولكن القرآن لا يترك لهم مجالاً للنيل من المسلمين ، وكان دائم
القمع لهم ، فجاء هنا بالنفي والاستثناء ليقرر حقيقة ايمانية ، وهي

(١) آية (٥١)

الايان بالقدر خيره وشره ، أى ان ما أصابنا أو ما يصيبنا من فرح أو ترح ليس منكم ، إنّما هو من الله سبحانه وتعالى ، وفي اثبات هذه الحقيقة ما يطمئن المسلمين ، ويزيد من ثقتهم بربهم . ولزيادة تمكين هذه الحقيقة ختمت الآية بأسلوب آخر للقصر ، وهو تقديم الطرف على الفعل ، فى قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وجاء القصر هنا للتنبيه على أن حال المنافقين على الضد من ذلك أى (أنه وان لم يجب عليه لأحد من العبيد شىء من الأشياء ، ولا أمر من الأمور الأانه مع هذا عظيم الرحمة ، كثير الفضل والاحسان ، فوجب أن لا يتوكل المؤمن فى الأصل إلا عليه ، وأن يقطع طمعه إلا من فضله ورحمته . لأن قوله: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يفيد الحصر ، وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك ، وأنهم لا يتوكلون الا على الأسباب الدنيوية واللذات العاجلة الفانية) . (١)

— (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) . (٢)

فى الآية ثلاثة أساليب للقصر ، عن طريق النفي والاستثناء . الأول فى قوله : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ) المقصور: منع قبول النفقة . المقصور عليه: الكفر .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً . وهو استثناء من أعم الأشياء . أى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شىء من

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٩

(٢) آية : (٥٤)

الآشياء الاكفرهم .

والقصر الثانى: فى قوله تعالى : (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى)

المقصور: اتيان الصلاة .

المقصور عليه: حال كسلهم .

وهو قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ، فيه مبالغة . أى لا يأتونها

فى حال من الأحوال الا حال كونهم متثاقلين .

والثالث فى قوله تعالى : (وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)

المقصور: الانفاق .

المقصور عليه: حال كرههم .

وهو قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ، فيه مبالغة . أى ولا ينفقون

فى حال من الأحوال إلا حال كونهم كارهين .

سر القصر:

لقد جاء النفى والاستثناء فى هذه الآية متتاليا متلاحقا ، لشدة خطر

المنافقين ، وقوة أساليبهم فى المكر والخديعة . ومن ذلك محاولتهم

اخفاء شخصياتهم الماكرة ، حتى لا يعرف المسلمون حقيقتهم ، فقاموا بالتبرع

بأموالهم رياءً ، أمام الناس ، ولكن القرآن استخف بهم ، وتعقبهم ، وأخذ

يفضحهم ويكشف الستار عن حقيقتهم الرهيبة . فأكد أن هذه النفقة غير مقبولة

منهم ، وذلك لثبوتهم فى الكفر ، ثم جاء بقبيحة ثانية لهم ، وهى حال قيامهم

للصلاة ، فنفى عنهم جميع الصفات ، وأثبت لهم صفة الكسل مبالغةً فى

تحقيرهم ، ثم أوضح فضيحة ثالثة لهم ، وهى انفاقهم أموالهم فى سبيل الله

كراهية .

فَقَصَرَ الانفاق على الكره للتشجيع عليهم ، ومما يزيد الاستخفاف بهم

قوله (وهم) زيادة فى تثبيت الصفات فيهم ، وجعلها من باب قصر الموصوف

على الصفة ، تجريدا لهم من جميع الصفات ، امعاناً في تحقيرهم . وكذلك
جعل القصر حقيقيا ، وبولغ فيه زيادة في التشنيع ، وفي ابراز صورتهم
الحقيقية .

— (يَخْلِفُونَ يَا لِلّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهَتَّوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) . (١)

المقصور : المنقوم .

المقصور عليه : اغناء الله ورسوله .

وهو اما قصر صفة على موصوف ، اذا قدرنا أن الاستثناء مفرغ من أعم
المفاعيل . أى وما أنكروا شيئا من الأشياء الا اغناء الله تعالى
اياهم .

أوهو قصر موصوف على صفة اذا كان الاستثناء مفرغا من أعم العليل
جاء فى تفسير أبى السعود : (والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل ، أو من
أعم العليل . أى وما أنكروا شيئا من الأشياء الا اغناء الله تعالى اياهم
وما أنكروا لعله من العليل الا اغناء الله اياهم) . (٢)

(١) آية (٧٤)

(٢) حيث قال الجلاس بن سويد : ان كان ما نزل على محمد حقا ، فنحن
أشر من الحمير / أسباب النزول السيوطى ، ص ١٣٠ . وروى : (أنهم كانوا حين
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى غاية ما يكون من
ضنك العيش ، لا يركبون الخيل ، ولا يحوزون الغنيمة ، فأثروا بالغنائم
وقُتِلَ للجلاس مولى . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته
اثنى عشر ألف درهم ، فاستغنى) / تفسير أبى السعود ، ج ٤ ، ص ٨٤

سر القصر :

لقد أساء المشركون للرسول صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل ، وهو الذى ضحى بالكثير فى سبيل انقاذهم من أدران الكفر ، فكان ينتظر منهم رد الاحسان بالاحسان ، ولكنهم أنكروا ذلك . لذا جاء النفي والاستثناء للتهكم والسخرية والاستخفاف بهم ، حيث قصر انتقامهم على علة الاغناء أى لم تجدوا شيئا تعيبونه الا اغناءه لكم . والاغناء فى الأصل وعند ذوى الفطرة السليمة ، لا يكون سببا فى النعمة ، بل هو سبب للشكر ، ولكنهم لفساد عقولهم وتفكيرهم ، جعلوا ما هو سبب للشكر سببا للنقمة .

ففى الآية : (تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قيل ليس له صفة تكره وتعاب الا اغناءهم من فضله ، بعد أن كانوا فقراء ، وهذه ليست صفة ذم . فحينئذ ليس له صفة تدم أصلا) .^(١)

وذكر الامام الأوسى أن فى معنى الاستثناء تهكما بهم ، وتأكيدا للشيء بخلافه ، فقال : (وفيه تهكم وتأكيد الشيء بخلافه) .^(٢)

— (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهَنَّمَ فَيَسَخَّرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .^(٣)

المقصور : الموجد

المقصور عليه : جهنم .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا فيه مبالغة .

(١) حاشية العلامة الصاوى على الجلالين ، م ٢ ، ص ١٥٩

(٢) روح المعانى ، ج ١٠ ، ص ١٣٩

(٣) آية : ٧٩

سر القصر:

لما حث الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه والناس عامة على الصدقة^(١) ، وسارع المؤمنون الى بذل ما لديهم ، تلبية لأمره صلى الله عليه وسلم . غاظ المنافقين وهالهم ، أن يروا المؤمنين بهذا الحماس للإسلام . ففي حماسهم ارتفاع لكلمة لا اله الا الله ، ونصرة للإسلام الذى ينكرونه فى حقيقة نفوسهم . فأرادوا تثبيط همهم ، فأذكروا عليهم اسراعهم فى الإنفاق ، وأخذوا يشككونهم فى ايمانهم ، واستعملوا فى ذلك أسلوب الاستهزاء والسخرية ، لتحطيم معنوياتهم . وحاولوا أن يثبتوا لهم ، أن انفاقهم ما كان الا عن رياء وسعة .

والمؤمن بطبيعة الحال لا يقبل أن يكون مرائيا ، فيدفعه هذا الخوف من الرياء الى عدم الإنفاق ، فجاء النفي والاستثناء هنا لتأنيب المنافقين وزجرهم ، والتسجيت من أمرهم . فهم لم يجدوا شيئا يخشون منه من المؤمنين سوى هذا الجهد الصادق فى الإنفاق ، الموجب لاحترامهم ورفع شأنهم ، ولكنهم لمكرهم وخبائثهم ، قلبوا الأمر عن وجهه الصحيح .

ويوحى هذا الأسلوب بمعنى التهديد والوعيد لهم ، حيث تلاه أسلوب المشاكلة ، لبيان عقاب الساخرين . فقال تعالى :

(سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

وفى هذا كل العدل فى جزاء المماثلة أى جزاؤهم بمثل ذنبهم ، وصدق الله وعده ، حيث جعلهم سخرية للأمم والخلائق ، بتتبع فضائحهم فى هذه السورة .

(١) روى الامام البخارى قال : حدثنى بشر بن خالد أبو محمد ، أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى رَائِلَ ، عن أبى مسعود قال : لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف ساعة ، وجاء انسان بأكثر منه فقال المنافقون : ان الله لغنى عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر اارئاً منه فنزلت : الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهنم الآتية) - البخارى ، كتاب التفسير ، م ٢ ج ٦ ص ٨٤

(٢) انظر تفسير أبى السعود م ٢ ج ٤ ، ص ٨٧ / روح المعانى

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِكَ وَلَيَخْلُقَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِشَهَادَاتِهِمْ لَكَائِبُونَ ﴾ (١)

المقصود : الطراد
المقصود عليه : الحسنى .

قصر موصوف على صفة قصرًا اضايفيا قصر قلب .

سر القصر :

لقد أصاب المنافقين الرعب حين رأوا ، أن بيتا من بيوت الله قد ظهر فى الوجود ، وعلموا أن راية الاسلام سترتفع منه . وذلك حين أقام بنو عمرو بن عوف مسجد قباء ، وبعثوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يصلى بهم فى مسجدهم ، فلما فعل ذلك ، اشتعلت نيران الحقد والغیظ فى صدور المنافقين ، وسارعوا بإقامة مسجد آخر ، ودعوا الرسول صلى الله عليه وسلم للصلاة بهم ، وقالوا له (بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة واللييلة المطيرة الشاتية ، ونحن نحب أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة) .

فاعتذر الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله بالرحيل ، ولما عاد عليه الصلاة والسلام ، كان الله قد كشف له أمرهم ، وأخبره حقيقتهم بأنهم ما بنوه الا بهدف التخریب ، وبث التفرقة بين المسلمين ، حيث كان فى نيتهم استقبال أبى عامر الراهب فيه ، اذا قدم من الشام ، وأن يدعوه للصلاة فى مسجدهم هذا .

(١) آية ١٠٧

(٢) ابو عامر هو الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاسق . وقد قال للرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم) .

فلما كُشفت حقيقتهم أنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فعلتهم
هذه ، وأمر بإحراق المسجد ، واقامة كنانة مكانه ترمى فيها الجيف
والقمام (١).

فلما رأى المنافقون هذا الانكار الشديد من الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ومن المسلمين عامة ، حاولوا تبرئة أنفسهم ، وقلب اعتقاد الرسول
والمسلمين فيهم .

(١) روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء ، بعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ياتيهم ، فأتاهم ف صلى فيه ، فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف ، وقالوا : نبني مسجدا ، ونرسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ي صلى فيه ، وي صلى فيه أبو عمار الراهب ، اذا قدم
من الشام ، ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم ، وهو الذى
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وقال للرسول صلى الله عليه
وسلم يوم أحد : لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ، فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام ، وأرسل
الى المنافقين ، أن استعدادوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فانى ذاهب
الى قيصر ، وآت بجنوده ، ومخرج محمد وأصحابه من المدينة ، فبنوا مسجدا
لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة الثانية ، ونحن نحب أن تصلى
لنا فيه وتدعولنا بالبركة ، فقال صلى الله عليه وسلم : انى على جناح
سفر ، وحال شغل ، واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه ، فلما قفل من
غزوة تبوك ، سأله اتيان المسجد فنزلت عليه الآية ، فدعا بمالك بن
الديشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزه فقال لهم :
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه . ففعلوا .
وأمر أن يتخذ مكانه كنانة ، تلقى فيها الجيف والقمامة /

فحلفوا بالله وجاء حلفهم عن طريق النفي والاستثناء ، ليؤكدوا أن نيتهم كانت سليمة ، وأن قصدهم كان شريفاً ، فقصروا ارادتهم على الارادة الحسنى ، وأكدوا ذلك بهدف تضليل المسلمين ، ولكن جاء تكذيبهم من الله بأن شهد هو عليهم بالكذب ، وكون الله شاهداً عليهم بالكذب ، أكبر دليل على ادانتهم .

— (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلََمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) . (١)

المقصور : الاستغفار .

المقصور عليه : (متعلق الجار والمجرور) كونه عن موعدة .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

وهو استثناء مفرغ من أعم العلل . أي لم يكن استغفاره عليه السلام

لأبيه آزر . ناشئاً عن شيء من الأشياء إلا عن موعدة . (٢)

سر القصر :

كانت الآيات السابقة توجب البراءة من الكفار والمنافقين ، إلا أنه وقع في نفس بعض المؤمنين ، أنه يجوز لهم الاستغفار للأموات من الكفار ، ظناً منهم أن ابراهيم قد استغفر لأبيه من قبل . (٣) فجاء النفي والاستثناء ، لتقرير عدم جواز الاستغفار للمشركين ، وتأكيده هذه الحقيقة ، بقلب اعتقاد كل من ظن أنها جائزة استدلالاً باستغفار ابراهيم لأبيه . فنفي الاستغفار المطلق عن ابراهيم عليه السلام ، وقصره على موعدة وعدّها آياه ، ولكنه لما علم باصراره على الكفر ، تبرأ منه ،

(١) آية : ١١٤

(٢) تفسير أبي السعود ج ٤ ، ص ١٠٧

(٣) أخرج الامام أحمد الترمذى ، وحسنه ، والحاكم عن علي قال : سمعت

فلا يجوز لأحد أن يأتيه به في ذلك . وذكر الامام أبو السعود أن جملة
القصر هنا (استثناء مسوق ، لتقرير ما سبق ، ودفع ما يتراءى بحسب
الظاهر من المخالفة) . (١)

فجئ بالنفى والاستثناء هنا بمبالغة في اظهار براءة ابراهيم عليه
السلام من الاستغفار لأبيه ، وزاد القرآن من هذه التبرئة بقوله (تبرأ منه)
أي تنزهه عن الاستغفار له ، وتجانب كل التجانب ، وفيه من المبالغة ما
ليس في تركه ونظائره . (٢) وفي قلب اعتقاد كل من يتسرب الى نفسه
شك ، في استغفار ابراهيم بهذا الأسلوب ، تأكيد شديد ومبالغة في البراءة
من المشركين ، مهما كانت صلة قرابتهم .

ذكر الامام أبو حيان ، أن الآية دلت (٣٠) على المبالغة في اظهار
البراءة من المشركين والمنافقين ، والمنع من مواصلتهم ، ولو كانوا في
غاية القرب . ونبه على الوصف الشريف والايمان ، انه مناف للاستغفار
لمن مات على ضده ، وهو الشرك بالله . (٣)

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . (٤)

رجلا يستغفر لأبيه وهما مشركان ، فقلت له : أتستغفر لأبيك وهما مشركان
فقال : أليس (وفي رواية الترمذى وأليس) قد استغفر ابراهيم
لأبيه وهو مشرك . فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت :
(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الى آخر الآيتين
وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على عسفان ، فأبصر قبر أمة
فاستأذن في أن يستغفر لها ، فلم يؤذن له . /

سند الامام أحمد . مسند علي بن أبي طالب ، ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١
سنن الترمذى ، أبواب تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ٣٤٤
المستدرک ، كتاب التفسير ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ . (١) تفسير أبي السعود ج ٤ ،
ص ١٠٧ (٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة
(٣) البحر المحيط ج ٥ ، ص ١٠٤ (٤) آية : ١١٨

المقصور : الملجأ .

المقصور عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر:

ذكر السياق القرآني قبائح المنافقين وفنائهم ، التي منها
اعتذارهم عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ،
بل وفرحهم بالعود ، والتخلف عن الجهاد ، ورضوا بالبقاء مع الخوالم
قال تعالى : (قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارِجَهَنَّمْ
أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) . (١)

ولما أخذوا في الاعتذار ، رُفِضَ اعتذارهم ، ولم يُلْتَفَتَ اليه ، تحقيرا
لهم . قال تعالى : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ
نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) . (٢)

أما في هذه الآية فالصورة تختلف ، فالمتخلفون عن القتال هم
من المؤمنين ، الذين أفاقوا الى خطئهم فوقعوا في الحيرة والخوف
من الله سبحانه وتعالى ، وزاد اضطرابهم وقلقهم ، حين أمر الرسول
صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم ، وزادت حسرتهم وندمهم ، حين سكوت
القرآن عنهم ، فلم يُنَزَّلْ في شأنهم شيئا . وصور القرآن ندمهم في قوله
تعالى : (حَتَّى إِذَا خَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ، فهذه الأرض بسعتها
أصبحت ضيقة في نظرهم ، لاحتاسهم بغضب الله عليهم ، فجئء بالنفسي
والاستثناء في الآية ، ليس للرد على انكار المخاطبه ، فالمخاطبون في
الآية ، لم ينكروا شيئا ، بل على العكس هم موقنون بالالتجاء الى الله
وعبر القرآن عن ذلك بقوله (وظنوا) . أى اعتقدوا اعتقادا جازما ، وأيقنوا

(١) آية : ٨١ .

(٢) آية : ٩٤ .

ايقانا صادقاً .

وانما جئ به للتعبير ، عما يدور في نفس المخاطبين من الحسرة
والندم ، ويؤكد توبتهم الصادقة ، ورغبتهم الأكيدة في أن يلجأوا الى
الله وحده ، وايقانهم الأكيد برحمته تعالى . وهكذا أكد هذا الأسلوب
أن النفوس المؤمنة الطاهرة ، سرعان ما تعود الى الحق ، ولا يصيبها
اليأس .

وفى تأكيد قوة ايمان المتخلفين ، وصدق توبتهم ، تعريض
بالمنافقين المتخلفين عن القتال .

— (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَنَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ
عَدُوِّ نَبَأًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (١)

المقصور : اللهاية بالنصب والمخمصة .

المقصور عليه : كتابة العمل الصالح .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر:

ذكرت الآيات السابقة انكار بعض المنافقين لفريضة الجهاد، بتخلفهم
عنه . وكذلك تقاعس بعض المؤمنين عن الاشتراك في غزوة تبوك . فأمر
الجهاد في الاسلام أمر عظيم ، اذ هو ذروة سنام الاسلام ، وفي التقاعس
عنه بداية الانكار له . لذا هتف القرآن بالمسلمين (يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

وزيادة في التأنيب وغرس الحسرة في قلوب الذين يفكرون بتسرك
فريضة الجهاد ، جاء النفي والاستثناء ، ليقرر ويؤكد فضل الجهاد ، وعظم
ثوابه ، فأكد للمجاهدين أن في كل خطوة يخطونها حسنة ، وأن في كل
موضع نصب أو مشقة ، وفي كل نفقة صغيرة أو كبيرة حسنة .

وكرر كلمة (لا) في كل موضع ، (للدلالة على استقلال كل واحد
منها بالفضيلة والاعتداد به) .^(١)

فَقَصَرَ هذه الأعمال على الكتابة ، للتأكيد أنها مكتوبة في كتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، زيادة في الترغيب في الجهاد .

— (وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .^(٢)

المقصور : النفقة - قطع الوادي ،

المقصور عليه : الكتابة .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

يبدو لي أنه جعل الانفاق و قطع الوادي آية مستقلة ، وجاء بها أيضا
عن طريق النفي والاستثناء ، لأن النفقة قد صدر فيها انكار من المنافقين
وحاولوا تثبيطهم المسلمين . قال تعالى : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ

(١) تفسير أبي السمود ج ٤ ، ص ١١١ .

(٢) آية : ١٢١

الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) (١)

وأما قطع الوادي ، والخوف من مشقة السفر ، وهو الأمر الذي أنكره المنافقون في غزوة تبوك ، وخشيته بعض المؤمنين الذين تخلفوا عن الرسول فذكر هذان الأمران في جملة قصر مستقلة ، ولم يذكرنا ضمن الآية السابقة والله أعلم - لتنبية المسلمين الى ما وقعوا فيه ، فقصر النفقة وقطع الوادي على الكتابة ، دون غيرها من الصفات ، مبالغة في تأكيد حصول الأجر العظيم .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢)

المقصور: الألوهية .

المقصور عليه: الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر:

بدأت السورة بالبراءة من المشركين ، وتتابع الآيات في عرض فضائحهم ، التي من أجلها استحقوا هذه البراءة . ونلاحظ أن القرآن استعمل في بيان قبائحهم وأظهارها ، أسلوب النفي والاستثناء ، لما له من دقة في كشف هذه الحقائق ، وتوكيدها بما لا يدعو مجالاً للشك ، وفي نهاية السورة انتقل الخطاب الى الرسول صلى الله عليه وسلم لتسليته وتصبيره

(١) آية : ٧٩ من نفس السورة

(٢) آية : ١٢٩

فأمره اذا ما أنكروا وتولوا وأعرضوا (عن طاعة الله تعالى ، وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقيل تولوا عن قبول التكليف الشاقة المذكورة في هذه السورة ، وقيل تولوا عن نصرتك في الجهاد) . (١)

فقارِعَهُمْ بقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) ، وأكد لهم أن توكلك على الله وحده ، الذي له مطلق الألوهية ، والمهيمن على كل شيء ، وأن النصر منه لا منكم ، وبهذا التأكيد (لم يدخل في قلب الرسول حزن ، ولا أسف ، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء ، وفي ايصاله الى مقامات الآله والنعماء لا اله الا هو ، واذا كان لا اله الا هو ، وجب أن يكون لا مبدئ لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات ، الا هو . واذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة ، وأمرني بهذا التبليغ ، كانت النصره عليه ، والمعونة مرتقبة منه .

ثم قال عليه توكلت ، وهو يفيد الحصر . أي لا أتوكل الا عليه ، وهو رب العرش العظيم . والسبب في تخصيصه بالذكر ، أنه كلما كانت الآثار أعظم وأكرم ، كان ظهور جلاله المؤثر في العقل والخاطر أعظم ، ولما كان أعظم الأجسام هو العرش ، كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه . . وقال الحسن ، هاتان الآيتان ، آخر ما أنزل الله من القرآن وما أنزل بعدهما قرآن) . (٢)

*

(١) الفخر الرازي ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٣
(٢) المرجع السابق ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٣ = ٢٤٤

القصر عن طريق

إفنا

— سورة البقرة —

(١) — (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)

المقصور : نحن

المقصور عليه : مصلحون

قصر موصوف على صفة . (والقصر اما قصر افراد . أو قلب . وهذا اما ناشئ عن جهل مركب ، فأعتقدوا الفساد صلاحا ، فأصروا واستكبروا . استكبارا .

يقضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

واما جاء على عادتهم في الكذب ، وقولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم (٢)

سر القصر :

لما نهى الله سبحانه وتعالى المنافقين عن الفساد ، الذي هو دأبهم ودينتهم ، جاء جوابهم بانما ، لينقلوا أنفسهم من الاتصاف بما هي عليه حقيقة . وهو الفساد . الى الاتصاف بما هو ضد ذلك - وهو الصلاح - وبالغوا في الدفاع عن أنفسهم ، حيث ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب ، أن كونهم مصلحين ، أمر ظاهر مكشوف ، لا مجال للشك والارتياب فيه . ولعبالفتهم في تخصيص صفة الصلاح بأنفسهم ، رد المولى عز وجل عليهم مؤكدا فقال تعالى : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)

فصدر الجملة بحرف التنبيه الذي يفيد إشارة انفسهم وهم بالفتح ما يعبره ولاننى (أن) من التأكيد ، وما في تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل من الحصر المبالغ فيه بالجمع بين أمرين من الأمور المفيدة له ، وردهم الى صفة الفساد

التي هم متصفون بها في الحقيقة رداً مؤكداً ، مبالغا فيه ، بزيادة على ما تضمنته دعواهم الكاذبة ، من مجرد الحصر المستفاد من انما ، ونفى الشعور عنهم ، لأنهم لما كانوا يظهرون الصلاح ، مع علمهم أنهم على الفساد الخالص ظنوا أن ذلك - يخفى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يشعروا بأنه عالم به ، وأن الخبر يأتيه من الله سبحانه وتعالى ، فكان نفي الشعور عنهم من هذه الحيثية ، لامن جهة أنهم لا يشعرون بأنهم على الفساد ويحتمل أنه نفي عنهم الشعور ، لغفلتهم وظنهم أن ما هم عليه من الفساد ، هو الصلاح على الحقيقة ، لما استقر في عقولهم من محبة الكفر . وعداوة الاسلام . (١) .

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ . (٢)

المقصور : نحن

المقصور عليه : الاستهزاء

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سرا القصر :

كان المنافقون اذا لقوا الذين آمنوا ، ادعوا الايمان ، وهذا الأمر لا يجهله كبراء قومهم وشياطينهم ، لكن لتفننهم في النفاق وابداعهم فيه ، قد يشك قومهم في بقائهم على الكفر ، ويعتقدون أن ما أظهروه للمؤمنين من الايمان حقيقة وصدقا ، لذا جاء خطابهم لقومهم عن طريق الجملة الاسمية (انا معكم) ، مؤكدة بأسلوب انما للمبالغة

(١) انظر مفتاح العلوم ، ص ١٢٩

تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٤٣

فتح القدير ، ج ١ ، ص ٤٢ - ٤٣

(٢) آية : ١٤

فى التوكيد ، ولقلب اعتقاد قومهم ، حيث قصرُوا أنفسهم على الاستهزاء
لا يتعدونه الى الايمان .

(١) وقد رأى الامام الزمخشري وتبعه الامام الفخر الرازى ، والامام
ابو السعود : أن المقصود من عدم التأكيد فى قولهم (آمنا) ، والتأكيد
فى قولهم (إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) ، بأن مخاطبتهم للمؤمنين لا
يلزم فيها تأكيد الخبر ، لأن المخبرين ، يعلمون أن ادعاء الكمال فى
الايمان لا يروج على المسلمين . . أو لأن غرضهم هو ادعاء حدوث الايمان
لا ادعاء أنهم فى الدجة الكاملة منه . أما مخاطبتهم لشياطينهم ،
فجاءت مؤكدة لعلمهم ، أن ذلك رائج عندهم ، ولتأكيد رغبتهم فى بيان
ذلك الخبر وتأكيد صدقه . ذكر الامام الزمخشري : (فان قلت : لم كانت
مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية محققة
بأن .. قلت : ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأكدهما
لأنهما فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم ، لافى ادعاء أنهم
أوحيون فى الايمان ، غير مشقوق فيه عبارهم . ذلك اما لأن أنفسهم لا
تساعدهم عليه ، أو ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك ، وهكذا كل قول لم
يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد . واما لأنه لا يروج عنهم ، لو قالوه
على لفظ التوكيد والمبالغة . وكيف يقولونه ويظهرون فى رواجه ، وهم
بين ظهرا نبي المهاجرين والأنصار ، الذين مثلهم فى التوراة والانجيل ..
الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ، ربنا اننا آمنا - وأما مخاطبة
اخوانهم ، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية
والقرار على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزلوا عنه ، على صدق رغبة
ووفور نشاط ، وارتياح للتكلم به . وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) تفسير الفخر الرازى ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٧٦

(٣) تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ٤٧

متقبل منهم ، فكان مظنة للتحقيق ومثناة للتوكيد (١)

ويبدو لى أن القصر على هذا التحليل ، منظور فيه الى حال المتكلم ، أكثر من النظر الى حال المخاطب .

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ مِّن بَيِّنَاتٍ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّوهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَعْنَ اسْتِرَائِهِ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

المقصور: نحن

المقصور عليه: الفتنة

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا فيه مبالغة .

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) آية : ١٠٢

سر القصر :

لما كانت أمور السحر من الأمور التي يختلف فيها حال الناس ، من حيث الاعتقاد في المؤثر الحقيقي . فقد يعتقد البعض أن ظهور الخوارق في السحر دليل على الوهية فاعلها .

لذا - ابتداءً هاروت وماروت ، لمن يعلمانه السحر بجملة القصر هذه للتحذير من الوقوع في الكفر . حيث قصرا أنفسهما على الفتنة ، وادعيا أن كونهما امتحانا ، أمر معلوم ظاهر للعيان ، فجلا كثرة افتتان الناس بما يقومان به من السحر بمنزلة انحصار أوصافهما في الفتنة ، حيث جعلتا أنفسهما نفس الفتنة وعينها ، فأخبرا عن نفسيهما بأنهما فتنة ، عن طريق المصدر للمبالغة ، ثم أكدا هذه المبالغة عن طريق القصر .

ذكر الامام أبو السعود في بيان النكته في هذا القصر أن :
(الفتنة الاختبار والامتحان ، وافرانها مع تعددهما لكونها مصدرا ، وحملها عليهما مواطأة للمبالغة ، كأنهما نفس الفتنة ، والقصر لبيان ، أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها . لينصرف الناس عن تعلمه . أى وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحدا من طالبيه ، حتى ينصحاها قبل التعليم ، ويقولوا له انما نحن فتنة ، وابتلاء من الله عز وجل . فمن عمل بما تعلم منا ، واعتقد حقيته كفر ، ومن توقي عن العمل به أو اتخذه ذريعة للإيقاع عن الاغترار بمثله . بقى على الايمان^(١) وفى القول بأن تعلم السحر ، من غير العمل به جائز . (خلاص كلام الفقهاء فانهم لم يجوزوا تعليم السحر وتعلمه)^(٢)

ذكر الامام أبو حيان ، أنه حكى عن المهدي (أن قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر استهزاء ، لأنهما انما يقولانه لمن قد تحققا ضلاله

(١) تفسير أبي السعود مج ١ ، ص ١٣٩ .

(٢) البيضاوى ، حاشية العلامة الكازرونى مج ١ ، ص ١٧٦ .

وقال في المنتخب قوله : انما نحن فتنة ، توكيد لقبول الشرع ، والتمسك به ، فكانت طائفة تمتثل وأخرى تخالف^(١).

— (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)^(٢).

المقصور : القول

المقصور عليه : كونه حاصلًا وكائنا

قصر موصوف على صفة قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا

سر القصر :

ادعى النصارى أن لله ولدا ، فرأوا أن في مجيء المسيح عليه السلام من غير أب ، دليل على أنه ابن الله . لذا أخذت الآيات تبين قدرة الله وعظمته ، التي تثبت ألوهيته . ومن كان لها ، فلا يصح أن يكون له ولد ولتقرير هذا الأمر أوضح المولى عز وجل ، أنه هو مبدع السموات والأرض وأن بيده الابدان والتكوين .

ولما كانت هذه الأمور من أغض أسرار الألوهية ، جاءت انما لتقرر أن من كانت لديه القدرة على تكوين الموجودات من العدم ، كان قادرًا بلا شك على ايجاد المسيح من غير أب .

وجعلت هذه الحقيقة ظاهرة جلية للعيان ، لاسجال للشك فيها ،
مبالغة في تأكيد قدرة الله ، وسيطرته التامة على الكون .

(فمن عرف حقيقته ، فقد عرف حقيقة المبدع الأول ، وذلك ما لا ماطع فيه . وقد عبر عن هذا السر بهذا التعبير الذي يقربه من الفهم ، بما

(١) البحر المحيط ج ١ ، ص ٣٣٠
(٢) آية : ١١٧

لا يتشعب فيه الوهم ، ولا يوجد فى الكلام تعبيراً آخر ، أليق به من هذا
التعبير (١).

— (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢)

المقصور: الأمر .

المقصور عليه : كونه سوءاً وفحشاً والقول على الله بلا علم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر:

اعتقد بعض الناس أن (٣) تحريمهم بعض ما أحل الله (٥) ، مزيد طاعة
وتقرب اليه ، فحرموا البحائر والسوائب والوصائل ونحوها ، مما كان
زينة لهم فى جاهليتهم (٦) . وقد اتبعوا فى ذلك أمر الشيطان ، واستجابوا
له وظنوه أمراً بالطاعة . فجاءت انما لترشدهم الى طريق الحق باظهار
حقيقة الأمر ، بأن تحريم ما أحل الله انما هو من عمل الشيطان . وجاء تقرير
هذه الحقيقة بانما ؛ ليكون أبلغ فى ابراز أمر الشيطان ، وأبلغ فى
التحذير منه ، والابتعاد عنه . حيث قلبت اعتقادهم بقصر أمره على
السوء والفحشاء ، والقول على الله ، ونفيه عن الطاعة والخير .

(١) المنار ، م ١ ، ص ٤٣٩

(٢) آية ١٦٩

(٣) البحائر : مفرها بحيرة وهى التى يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها
أحد من الناس .

(٤) السوائب : مفرها سائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها
شيء

(٥) الوصائل : الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل ثم تثنى بعد بانثى
وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احدهما بالآخرى ليس بينهما
ذكر صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، ج ٦ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٦) جاء فى صحيح مسلم فى حديث عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : (ان كل مال منحتة عبادى ، فهو لهم حلال ،
وفيه - وانى خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم
عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم . / صحيح مسلم ، كتاب
الجنة ، م ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٩٧ .

— (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١)

انما فى الآيه قد تفيد الحصر ، وذلك على نصب الميته ، فتكون (ما)

كافة .

أما من قرأ الميته بالرفع ، فتكون (ما) موصولة ، فلا تفيد الحصر .
ذكر ابن هشام فى المعنى (وأما إِنَّمَا حرم عليكم الميته ، فمن نصب الميته
فما : كافة ، ومن رفعها ، وهو أبو رجاء العطاردى ، فما : اسم موصول
(والعائد محذوف)^(٢)

” وقرأ ابن أبى عبله برفع الميته وما بعدها ، فتكون ما : موصولة
اسم ان ، والعائد عليها محذوف . أى ان الذى حرمه الله الميته ، وما بعدها
خبر ان . وقرأ أبو جعفر حرم مشددا مبنيًا للمفعول ، فاحتملت «ما» وجهين :
أحدهما أن تكون موصولة اسم ان ، والعائد الضمير المستكن فى حرم ،
والميته خبر ان . والوجه الثانى : أن تكون ما : مهيئة^(٣) ، والميته
مرفوع بحرم . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى : إِنَّمَا حَرَّمَ بِفَتْحِ الْحَاءِ
وَضَمِّ الرَّاءِ مَخْفَفَةً ، جعله لازما ، والميته وما بعدها مرفوع ، ويحتمل ما
الوجهين من التهيئة والوصل ، والميته فاعل يحرم ان كانت ما مهيئة
وخبر ان كانت ما موصولة)^(٤)

وجاء فى معانى القرآن للفراء :

” وقوله : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ... ”^(٥)

(١) آية : ١٧٣

(٢) المعنى ، ج ٢ ، ص ٨

(٣) معنى مهيئة : وهى أن تهيبى (أن) للدخول على الفعل .

وفى المعنى ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، وتسمى المتلوة بفعل مهيئة .

(٤) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٨٦ (٥) آية : ١٧٣

نُصِبَ لوقوع " حَرَّمَ " عليها . وذلك أن قولك (إِنَّمَا) على وجهين :أحدهما أن تجعل (انما) حرفا واحدا ، ثم تُعْمِلُ الأفعالَ التي تكون بعدها (فى) الاسماء فان كانت رافعة رفعت ، وان كانت ناصبة نصبت ، فقلت : انما دخلت دَارَكَ ، وانما أعجبتنى دَارَكَ ، وَإِنَّمَا مالى مَالُكَ . فهذا . وأما الوجه الآخر :فَأَنْ تجعل (ما) منفصلة من (إِنَّ) ، فيكون (ما) على معنى الذى ، فاذا كانت كذلك وَصَلْتَهَا بما يوصل به الذى ، ثم يرفع الاسم الذى يأتى بعد الصلة ،كقولك إِنَّ مَا أَخَذْتَ مَالُكَ ، إِنْ مَارَكَبْتَ دَابَّتَكَ . تريد : ان الذى ركبت دابَّتَكَ ، وان الذى أخذت مالك . فأجرهما على هذا .

ولو رفعت (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ) كان وجهها . وقد قرأ بعضهم (انما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ) . ولا يجوز هاهنا الرفع الميئة والدم ، لأنك إِنْ جعلت (انما) حرفا واحدا رفعت الميئة والدم ، لأنه فعل لم يسمَّ فاعله وان جعلت (ما) على جهة (الذى) رفعت الميئة والدم ، لأنه خبر (ما) (١)

المقصور فى الآية التحريم

المقصور عليه : الميئة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما كان الخطاب متوجها للنفوس المؤمنة ، التى لا تعرف طريق الانكار والجدال . جئ بأداة القصر انما لارشائها ونصحها وتذكيرها بما حرم الله ، بتحديد هذه المحرمات . فالمؤمنون لم يصدر منهم أى انكار لهذه المحرمات ، ولذا استعملت انما فى توجيه المؤمنين ، وتحذيرهم فى رفق ولين .

(١) معانى القرآن : للفراء ، ج ١ ، ص ١٠٢

أما في سورة الأنعام في قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الي محرما على طاعم يطعمه الآن يكون ميتة أو نما مسفوحا) . فقد جاءت الآية عن طريق النفي والاستثناء ، على الرغم من أن الخطاب للرسول ، والسرف في ذلك أنها جاءت في سياق جدال اليهود ، وفي أمر هذه المطاعم ، وانكارهم لتحريمها . بخلاف الآية هنا ، فجئ بها عن طريق انما ، لأنها جاءت في سياق الامتنان على الناس عامة ، والمؤمنين خاصة ، فالقوام هنا ليس مقام افكار ، وانما هو مقام نصح وارشاد .

والقصر هنا من قبيل القصر الحقيقي ، على سبيل المبالغة ، لأنه قصر التحريم على هذه الأنواع الأربعة ، ولم يُعتد بغيرها ، للمبالغة في تحريم هذه الأشياء ، التي وقع استغلال اليهود لها .

جاء في تفسير الامام البيضاوي (فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر ، وكلم من حرام لم يذكر ، قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر ، مما استحلوه لا مطلقا ، أو قصر حرمة على حال الاختيار . كأنه قيل : انما حرم عليكم هذه الأشياء ، ما لم تضطروا اليها) .^(١)

ويلمح من القصر الرد على المشركين ، بطريق التعريض .

— (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .^(٢)

المقصور : الاسم

المقصور عليه : كونه على الذين يبدلون .

(١) البيضاوي مج ١ ، ص ٢١١

(٢) آية : ١٨١ .

قصر موصوف على صفة قصر قلب

جاء في تفسير الامام الفخر الرازي (فاعلم أن كلمة انما للحصر ، والضمير في قوله : ائمه ، عائد الى التبديل . والمعنى : أن ائمه ذلك التبديل لا يعود الا الى المبدل .) (١)

سر القصر :

سبق الحديث عن الوصية ، وأن المحافظة عليها (والقيام بها ، من شعائر المتقين الخائفين) . (٢)

فجميع المسلمين يعلمون قيمة هذه الوصية ، وأنها أمر من الله لقوله (كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) . (٣)

ومجيباً هذا الحكم بهذا الأمر ، يدل على عظمه ، وعظم عقاب تاركه أو مخالفه . والمؤمنون لا ينكرون عظم هذا الأمر وعظم عقابه ، ولكن لما كان أمر الإيفاء بالوصية صعب على بعض النفوس البشرية ، لغريزة الطمع الموجودة فيها . نزل المؤمنيين منزلة ، من يعتقد أن ائمه في مخالفة الوصية يقع على الميت لا على الورثة . فجاءت انما لقب ذلك الاعتقاد ، والتنبيه الى أن ائمه واقع على الذين يبدلون الوصية ، من بعد سماعهم ، وعلمهم الأكيد بها .

أو أن البعض قد يترك الوصية بحجة خوفه من عدم تنفيذ الوصي لها فجاء بانما لابطال هذه الحجة ، وفي مجيء انما وعد للمتقين الذين نفذوا أمر الله ، بأنه لا حرج عليهم ولا ذنب ، اذا لم تنفذ وصاياهم ، فقد ثبت أجرهم عند الله . وفيها أيضا معنى الوعيد للذين يخالفون ما جاء في الوصية ومبالغة في هذا الوعد والوعيد ، ختمت الآية بقوله تعالى :

(١) الفخر الرازي ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ٦٩

(٢) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ٥٤

(٣) آية : ١٨٠

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

(فيسمع أقوال المبدلين والموصين ، ويعلم بنياتهم ، فيجازيهم على وفقها . وفي هذا وعيد للمبدلين ، ووعد للموصين)^(١).

— آل عمران —

— (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَسَوَّلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)^(٢).

اجتمع في الآية طريقان من طرق القصر : التقديم وانفا . ومن المعلوم أن المقصور عليه مع انما ، هو المؤخر . والمقصور عليه في التقديم ، هو المقدم . وهذا ما لا يمكن جمعه في جملة قصر واحدة ، فلا بد من الغاء دلالة احدهما على القصر . وقد سبق أن أشرنا أن العلماء ، اختلفوا في أيهما يكون الالغاء ، فذهب بعضهم الى أنه يلزم الغاء التقديم ، لأن انما أقوى في الدلالة على الحصر .

ونهب آخرون الى أن التقديم أقوى .

ويبدو لي أن نُقدم ما يقتضيه السياق ، ويقتضى السياق في هذه الآية أن نلغي دلالة التقديم ، لأن دلالة انما هنا على الحصر أنسب .

المقصور: الرسول

المقصور عليه: البلاغ

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر: أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب - قبل نزول

(١) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ٥٥

(٢) آية : (٢٠)

هذه الآية - صدقه في تبليغ الرسالة ، وأظهر لهم المعجزات الدالة على ذلك وذكر شبه القوم ، وأجاب عنها ، بحيث لم يبق لهم شبهة ، ولا مدخل للجدال ولكنهم لشدة جدهم وانكارهم ، تولوا وانصرفوا عن طريق الحق ، مما أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم . فجيء بانما لتسليته ، والقاء الظمأنينة في قلبه ، باظهار مهمته ، بحيث جعلتها واضحة محددة .

فالرسول يعلم أنه ليس بيده هدايم ، وأن وظيفته لا تتعدى التبليغ ولكن لشدة حرصه على اسلامهم ، ورأفته بهم ، نزل منزلة من يظن أن التقصير من جانبه ، وأن بإمكانه مجاوزة التبليغ الى الهداية .

فجاءت اتنا لتبشره بأنه قد أدى الامانة ، وأنه لا ينبغي أن يتسرب الى نفسه أنه قد قصر فيها ، فمهمته التبليغ فقط ، لا يتجاوزها الى الهداية ، وأن وبال توليهم وانصرافهم ، راجع اليهم لا اليك ، فلا يحزنك ذلك (...) فانك رسول منبه ، ماعليك الا أن تبلغ الرسالة ، وتنبيه على طريق الهدى (١) . (أى انما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فاذا أبلغتها فقد فعلت ماعليك (...) (٢))

— (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر
قال كذالك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ
فَيَكُونُ) . (٣)

المقصور: القول

المقصور عليه: الكون (كمن)

قصر موصوف على صفة قصر قلب

(١) الكشاف . م ١ ، ص ٤٢٠

(٢) كتاب التسهيل ، لعلوم التنزيل ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٣) آية : ٤٧

سر القصر:

حين بلغ مريم عليها السلام أمر ربها بالحمل والوضع ، أصابها الروع
واللهفة والاستراب . اذ كيف يتحقق هذا الأمر ، وهي لم تتزوج بعد ؟
(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ) .

فالاستفهام هنا يحمل معنى التعجب . (قال المفسرون انها انما
قالت ذلك ، لأن التبشير به يقتضى التعجب ، مما وقع على خلاف العادة) (١)
فلشدة تعجبها ، كأنها أنكرت وقوع الأمر انكار تعجب ، لا انكار جحود .
فنزلت منزلة من لا ينكر ، وجاء الجواب ببيان قدرة الله المطلقة . (كذلك
الله يخلق ما يشاء) . ثم جاءت أداة القصر (انما) ، لتسكن روعها ، وتهدئ
نفسها ، بجعل هذا المعنى قريبا مألوفا من نفسها .

فقرر وأكد القرآن بهذا الأسلوب كمال قدرة الله تعالى ، (وسهولة
تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته ، وتصوير لسرعة حدوثها ، بما هو علم
فيها من طاعة المأمور المطيع ، للأمر القوي المطاع ، وبيان لأنه تعالى
كما يقدر على خلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد معتادة ، يقدر على خلقها
دفعة من غير حاجة الى شيء من الأسباب والمواد) (٢) .

— (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (٣) .

المقصور: استزال الشيطان

المقصور عليه: ببعض ما كسبوا

- (١) الفخر الرازى ، م ٤ ، ج ٨ ، ص ٥٩
(٢) تفسير أبى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨
(٣) آية ١٥٥

قصر صفة على موصوف قصر قلب

سر القصر:

في موقعة أحد أزل الشيطان بعض المسلمين ، باشاعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات . فصدق بعضهم هذه الاشاعة ، وفروا من مواقع الجهاد لغفلتهم ، عن أن هذا الهاتف من الشيطان ، وأنه ما أراد الا ازالهم ولم يذكرها هذه الوسوسة ، فاستجابوا لها ، وخالفوا أمر الرسول ، ونزلوا لأخذ الغنائم . فأراد المولى عز وجل أن يخبرهم بعفوه عنهم ، وسعة رحمته مع عتابهم عتابا رقيقا . فالسياق اذا سياق عفو ومغفرة - ولذا جاءت الآية بانما ، لقلب اعتقادهم وتنبيههم إلى الخطأ العرتكب .

فالمولى (لم يبين أن الشيطان في أى شىء استنزلهم ، وذلك لأن مع العفو لا حاجة الى تعيين المعصية) .^(١)

وفى مجيء انما ما يجعل الأمور اوضحا وضوحا لاغموض فيه .
وابراز الأمر بهذه الصورة الواضحة ، أبلغ فى التذكير والتنبيه .

— (إِنَّمَا ذَرِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .^(٢)

المقصود : ذكركم - الشيطان .

المقصود عليه : يخوف اوليائه .

قصر موصوف على صفة .

هذا اذا أعربنا اسم الإشارة مبتدأ والشيطان خبره .

أما اذا أعربنا الشيطان مبتدأ ثانيا ، ويخوف خبر المبتدأ الثانى
والجملة الاسمية من المبتدأ الثانى وخبره ، فى محل رفع خبر المبتدأ
الأول ، فيكون المقصور عليه : تخويف الشيطان .

جاء فى حاشية الجمل^(١) (انما أداة حصر ، واذا اسم إشارة مبتدأ
واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب ، والميم علامة الجمع ، والشيطان خبره
أ ه ، وفى الكرخى ذلكم مبتدأ . والشيطان مبتدأ ثان . ، ويخوف خبر
الثانى ، وهو وخبره خبر الأول)^(٢) .

وحتى يتضح لنا سر القصر فى الآية ، لابد من بيان المقصود من قوله
تعالى (يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ) .

ذكر الفخر الرازى أن قوله تعالى : يخوف أولياءه . فيه سؤال
(وهو أن الذين سماهم الله بالشيطان ، انما خوفوا المؤمنين فما معنى
قوله الشيطان يخوف أولياءه ، والمفسرون ذكروا فيه ثلاثة أوجه : الأول
تقدير الكلام ذلكم الشيطان يخوفكم بأوليائه ، فحذف المفعول الثانى ،
وحذف الجار . . ويدل عليه قراءة أبي بن كعبه يخوفكم بأوليائه .

القول الثانى : أن هذا على قول القائل : خوفت زيدا عمرا . وتقديرا لآية
يخوفكم أولياءه . فحذف المفعول الأول كما تقول : أعطيت الأموال . أى
أعطيت القوم الأموال . قال ابن الأنبارى : وهذا أولى من دعاء جار لا دليل

(١) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلى الأزهرى ، المعروف بالجمل
من أهل منية عجيل (احدى قرى الغربية بمصر) . من مؤلفاته :

(الفتوحات الالهية) (المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية ،

وفتوحات الوهاب) . توفى سنة ١٢٠٤ هـ / الاعلام ، م ٣ ، ص ١٣١ .

(٢) حاشية الجمل . ج ١ ، ص ٣٣٨

عليه . . وهذا الوجه يدل عليه قراءة ابن مسعود ، ويخوفكم أولياءه ،
القول الثالث - أن معنى الآية : يخوف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا
عن قتال المشركين . والمعنى : الشيطان يخوف أولياءه ، الذين يطيعونه
ويؤثرون أمره ، فأما أولياء الله ، فانهم لا يخافونه اذا خوفهم ،
ولا يعقدون لأمره ومراده منهم . وهذا قول الحسن والسدى (١)

والقول الأخير وان كان صحيح المعنى ، الا أنه لا يستقيم مع بقية
نص الآية ، وهو قوله تعالى (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .
فالمنافقون لا يخافون الله أصلاً .

والمراد بالشيطان في الآية قيل أبو سفيان ، وقيل هو نعيم بن
مسعود ، وقيل هو وفد عبد القيس . وقيل هم شياطين الجن ، يوسوسون
للإنسان بالخوف وتهيبط العزيمة .

المهم أن هناك محاولة لتثبيط هم المسلمين بعد معركة أحد، تهدف
الى استئصال شأفة المسلمين . فالموقف اذا فيه محاربة للنفس المؤمنة
ومحاولة تثبيط ايمانها ، بالغاء الرعب فيها ، وتعجيزها عن نصره الله
بتخويفها من أعداء الله ، وتثبيطها من النصر .

ولما كان الخطاب للنفس المؤمنة ، التي لا تعرف طريق الجدل والانكار
والتي سرعان ما تلين وتعود الى طريق الحق . ذَكَرَهَا المولى عز وجل بما
أعدده للمؤمنين من الثواب الدائم ، والنعيم المقيم ، لقوة ايمانهم
واصرارهم على نصره الله . (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْتَفَوْهُمْ فَرَأَوْهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ
رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ يَتَّبِعُهُمُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ أُمَّةٌ حَامِلَةٌ لِّكُتُبِهِمْ رَبُّهِمْ لَدُنْهُمْ
وَهُمْ يُخْرَجُونَ) (٢)

(١) الفخر الرازي ، م ٥٠ ج ٩ ، ص ١٠٥

(٢) آية : ١٧٣ - ١٧٤ .

فبعد التبشير بهذا الفضل العظيم مجيء بأسلوب القصر عن طريق انما ،
لتحرك مشاعرهم من غير قسوة ، وتذكيرهم في رفق ولين بما يحيط بهم
وما يدبر لهم ، لأن النفوس المؤمنة المطمئنة ، لا تحتاج الى أسلوب رديع
وزجر أو شدة في التنبيه والتذكير .

فجاءت هذه الالاءة لتهمس في الآذان بحقيقة الشيطان وتذكر بحقارته
وعجزه عن ايذاء المؤمنين حقا .

— (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُغَلِّبِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنزِلُ
لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) .^(١)

فقوله تعالى (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُغَلِّبِي لَهُمْ خَيْرٌ) فما هنا
اما مصدرية ، واما موصولة ، وعلى هذا لا تكون (انما) هنا أداة حصر . وقد
كتبت موصولة بأن . والأصل كتابتها مفصلة - التزاما بطريقة المصحف في
الكتابة . .

(٠٠) وما مصدرية بمعنى : ولا تحسبن أن املاءنا خير ، وكان حقها في
قياس علم الخط أن تكتب مفصلة ، ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف
وتتبع سنة الامام^(٢) في خط المصاحف .^(٣) وجاء في تفسير الامام الفخر
الرازي : (ما في قوله انما يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بمعنى الذي ،
فيكون التقدير : لا تحسبن الذين كفروا ، أن الذي نمليه خير لأنفسهم ، وحذف
الهاء من نملى لأنه لا يجوز حذف الهاء من صلية الذي ، كقولك : الذي رأيت
زيد ، (والآخر) أن يقال مامع ما بعدها في تقدير المصدر ، والتقدير : لا تحسبن
الذين كفروا أن املائي لهم خير) .^(٤)

(١) آية : ١٧٨ (٢) المراد به مصحف عثمان رضي الله عنه

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٨٢

(٤) الفخر الرازي ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ١١٠

والقصر فى الآية (إِنَّمَا نُنَلِّى لَهُم لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

هذا اذا كان الخطاب للكفار ، على قراءة من قرأ بالياء ، فقد ظنوا أن امهال الله لهم ، معناه رضاه بحالهم ، واستقامة طريقتهم ، فجاءت الآية لقلب هذا الاعتقاد ، وبينت لهم أن الاهمال ، انما هو املاء واستدراج .

ذكر أبو حيان عن ابن عطية قال : (قال ابن عطية : معنى هذه الآية الرد على الكفار ، فى قولهم ان كوننا ظاهرين ممولين أصحة دليل على رضا الله بما لنا ، واستقامة طريقتنا عنده ، وأخبر الله تعالى أن ذلك التأخير والاهمال ، انما هو املاء واستدراج لتكثير الآثام)^(١)

أو هو قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا ، فيه مبالغة . اذا كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على قراءة من قرأ بالتاء ، حيث قصر الاملاء على ازدياد الائم ، ونفى الازدياد عن جميع الأشياء مبالغة .

ذكر الخازن^(٢) : (قرئ تحسبن بالتاء والياء ، فمن قرأ بالتاء فمعناه : ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لأنفسهم ، ومن قرأ بالياء قال معناه : ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا)^(٣)

(١) البحر المحيط ج ٣ ، ص ١٢٤

(٢) هو علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن ابراهيم الشافعى خازن كتب خاتمه السيساطية بدمشق . ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة . كان صالحا خيرا ، من تأليفه : (شرح عمدة الاحكام) ، (تفسير القرآن العظيم) . كان صوفيا بالخانقاة المذكورة .

توفى سنة احدى وأربعين وسبعائة .

شذرات الذهب ، م ٦ ، ص ١٣١ .

(٣) تفسير الخازن ، م ١ ، ص ٣٠٧ .

وذكر الأوسى أن الأنسب هو توجه الخطاب للرسول ، لأن الموقف موقف تسليية . قال (والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الأنسب بمقام التسليية ، الا أن المقصود التعريض بهم ، اذ حسبوا ما ذكر ، واما لكل من يتأتى منه الحسبان ، قصداً الى اشاعة فظاعة حالهم) .^(١) لما صمم المشركون على معاودة القتال بعد أحد فى حمراء الأسد أو بدر الصغرى ، وكان قصدهم من معاودة القتال نصرة الشرك ، وهدم معاقل الاسلام ، مما أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن (شدة حرصه على الناس ، كان يحزنه مبادرة الكفار الى المخالفة والعناد والشقاق)^(٢) فجاء السياق القرآنى لتسلييته ، ورفع الحزن عنه ، حيث توجه الخطاب اليه (لتشريفه بتخصيصه بالتسليية ، والايدان بأصالته فى تدبير أمور الدين ، والاهتمام بشئونه)^(٣)

وبين أنه لا ينبغى له أن يحزن عليهم ، لحرصهم على الكفر ، وشدة رغبتهم فيه ، فعبر عن ذلك بقوله تعالى (الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) . وفى هذا اشعار باستقرارهم فى الكفر ، ودوام ملاستهم له ، وتكميلاً للتسليية ، نفى حذرهم أبداً . (أى لن يضرؤا بذلك أولياء الله البتة ، وتعليق نفى الضرر به تعالى لتشريفهم ، والايدان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه ، وفيه مزيد مبالغة فى التسليية) . وكرر نفى الضرر لتقرير الحكم وتأكيده فى قوله تعالى : (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) تعريض ظاهر باقتصار الضرر عليهم وفى تنكير لفظ (شيئاً) لتأكيد ما فى ضررهم من القلة والحقارة .^(٤)

وزيادة فى القاء الطمأنينة فى قلبه ، جاءت أداة مخاطبة النفس وتسلييتها للتعريض بهم ، ببيان عجزهم عن ادراك العاقبة ، وجهلهم وغفلتهم فقصر املاءهم ، او امهاله لهم على ازدياد الاثم . فالرسول لا يجهل أنه ليس فى مقدورهم أن يضرؤا الله ، وان فى امهالهم حكمة يوجبها المولى .

(١) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ١٣٥

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٦٤ . (٣) تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ١١٥

(٤) المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦

فجئ بانما هنا لتذكيره وتطمينه ، فالمعنى (لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين ، فان الله قادر على اهلاكهم ، وانما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي ، لانه خير لهم ، ويقال (انما نملى لهم) بما أصابوا من الظفر يوم أحد ، لم يكن ذلك خيرا لأنفسهم ، وانما كان ذلك ليزدادوا عقوبة..) (١)

— (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ) (٢)

المقصور : توفية الأجور .

المقصور عليه : يوم القيامة

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

جاءت هذه الآية فى سياق تسليية الرسول والمؤمنين ، عما أصابهم يوم أحد من الحزن الشديد على قتلهم وعلى هزيمتهم . فأكد لهم القرآن أن كل نفس ذائقة الموت لا محالة ، وأن قتلهم لولم يموتوا فى تلك المعركة ، لما اتوا بعد ذلك . ثم جئ بانما ونزلوا - لما أصابهم من الحزن والغم على موتاهم وعلى هزيمتهم - منزلة من يعتقد أن توفية الأجر ، لا تكون الا فى الدنيا .

فقلب اعتقادهم هذا ، وقصر توفية الأجر على يوم القيامة ، أى أن (تمام الأجر والثواب لا يصل الى المكلف الا يوم القيامة ، لأن كل منفعة تصل الى المكلف فى الدنيا فهى مكدرة بالفموم والهموم ، وبخوف الانقطاع

(١) القرطبي ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧

(٢) آية : ١٨٥

والزوال ، والأجر التام والثواب الكامل ، انما يصل الى المكلف يوم القيامة لأن هناك يحصل السرور بلاغم ، والأمن بلاخوف ، واللذة بلا ألم ، والسعادة بلا خوف الانقطاع . وكذا القول في جانب العقاب ، فانه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة ، بل يمتزج به راحت وتخفيضات . وانما الألم التام الخالص الباقي ، هو الذي يكون يوم القيامة نعوذ بالله منه . (١)

ولأن الموقف موقف تسلية ، ذكر لفظ أجور في المقصور ، مراداً به الطاعة والمعصية . مع أن الغالب في الاستعمال أن الأجر ما يترتب على عمل الطاعة ، وذلك اشارة الى مغفرة المولى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته . (٢) وفي هذا ما يبعث الطمأنينة والسكينة في نفوسهم . قال ابن عطية : (وخص تعالى ذكر الأجور لشرفها ، و اشارة الى مغفرته ل محمد صلى الله عليه وسلم وأمته) . (٣)

* *

النساء

— (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) . (٤) . —

المقصور : المأكول .
المقصور عليه : النار

(١) تفسير الفخر الرازي ، م ٥ ، ج ٩ ، ص ١٣٠

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ١٣٤

(٣) نقلاً عن المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة

(٤) آية : ١٠ .

قصر صفة على موصوف اما قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . أو هو قصر حقيقى تحقيقى ، أو هو قصر قلب .

سر القصر:

لقد تكرر التحذير من أكل مال اليتيم ظلما ، وكثر الوعيد فى هذه الآيات مرة بعد أخرى ، على من يفعل ذلك . قوله تعالى : (وَلَا تَتَّبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)^(١) (وَلِيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِن خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعَافًا)^(٢) .

فالقوم اذن لديهم معرفة وعلم بهذه الحرمة ، والحديث فى الآية عن اليتامى ، فلكمال ضعفهم وقلة حيلتهم ، استحقوا من الله مزيدا من العناية ، فدلى هذا الوعيد على سعة رحمة المولى عز وجل ، وكثرة عفوة وفضله ، لأن اليتامى لما بالغوا فى الضعف الى الغاية القصوى ، بلغت عناية الله بهم الى الغاية القصوى .

لذا جاءت انما لتظهر لنا عذاب مرتكب هذا الذنب ظهورا تمشئ منه النفس ، وترتعد له الفرائض ، فنفى الأكل عن جميع الأشياء ، وأثبت للنار ، اما على وجه الحقيقة ، فيكون القصر حقيقيا تحقيقيا ، لحمل بعض المحققين النار على ظاهرها . واما على وجه المبالغة ، لقول بعض المحققين أن النار هنا مجاز مرسل من ذكر المسبب واردة السبب .

ولقد ذكر الامام الأوسى آراء المحققين فى معنى النار هنا ، فقال : (فالنار مجاز مرسل من ذكر المسبب واردة السبب ، وجوز فى ذلك الاستعارة على تشبيه ما أكل من اموال اليتامى بالنار لمحق مامعه ، واستبعده بعض المحققين ، ونهب بعضهم الى جواز حمله على ظاهره)^(٣) . فعن عبد الله بن

(١) سورة النساء ، بعض آية : (٢)

(٢) سورة النساء ، بعض آية (٩)

(٣) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٢١٥ - ٢١٦

جعفر أنه قال : من أكل مال اليتيم ، فانه يؤخذ بمشرفة يوم القيامة
فيملاء فمه جمرا ، ويقال له كل ما أكلته في الدنيا ، ثم يدخل السعير
الكبرى . وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الخدري قال :
(حدثني النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به ، قال : نظرت
فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل ، قد وكل بهم من يأخذهم مشافرهم
ثم يجعل في أفواههم سخرا من نار ، فيقذف في أجوافهم ، حتى تخرج من
أسافلهم ، ولهم خوار وصراخ . فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما .) (١)

ويجوز أن يكون القصر في الآية قصراً اضافيا قصر قلب . اذا كانوا
يعتقدون أن في أكلهم مال اليتيم حق لهم ، وأن ما يأكلونه حلال لحرمة
فيه .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢)

المقصور : التوبة

المقصور عليه : الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب

المقصور عليه : كونها على الله

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لو تأملنا السياق الذي جاءت فيه الآية ، لوجدناه سياقاً يتضمن
معاني رقيقة ، تدل على الرحمة والمغفرة ، والوعد بقبول التوبة . قال

(١) الطبري ، م ٣ ، ج ٤ ، ص ١٨٤

(٢) آية : ١٧

تعالى : (والذان يأتيانها منكم فأذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا
عنهما ان الله كان توابا رحيمًا) . (١)

فبعد أن قرر المولى عز وجل أن المرتكبين للفاحشة ، اذا تابا

وأصلحا زال الأذى عنهما ، أخبر على الإطلاق أيضا أنه تواب رحيم .
ووجهنا بيانا ببيان ظهور هذا الأمر وأن بابا ضريح لمن يعملون سوءا بحالكم
ثم يتوبون هن مريب
دلالة جئ بها في هذه الآية للترغيب في تعجيل التوبة ، بتذكير

الخلق بوقتها وشروطها ، لئلا يأتيتهم الموت وهم مصرون ، فلا تنفعهم
التوبة . وجاء هذا الترغيب بقصر التوبة على الله ، وجعلها أمرا
لازما متحقق الثبوت البتة ، بحكم سبق الوعد ، حتى كأنه من الواجبات
أى أنه أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه ، لأنه تعالى يفعل
ما يريد . (٢)

والقصر في الآية قصر حقيقى ، لأن المولى عز وجل نفسى
قبول التوبة عن جميع مسا عناه ، وأثبتها لذاته العليا .

وفى تأكيد التوبة بهذا الأسلوب ، ما يبعث الطمأنينة فى
النفس ، ويرغبها فى الاقبال على التوبة .

— (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (٣)

المقصود: الكسب

المقصود عليه: كونه على نفسه

(١) آية ١٦ من نفس السورة الخازن ، م ١ ، ص ٣٢٧
(٢) انظر روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٣٣٨
(٣) آية : ١١١

قال تعالى : (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ
إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) . (١)

فجاء أسلوب القصر هنا ، لقلب اعتقادهم هذا ، وتأکید أن جزاء
الاثم لاحق بالاثم وحده . فقصرت الآية كسب الائم على نفس الكاسب ، ثم
جىء بقوله تعالى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ، ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا
فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) . (٢)
زيادة فى التحذير من أن يرمى كاسب الائم بريئًا بما اكتسبه .

- (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةً أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)^(٣)

المقصور: المسيح عيسى بن مريم
المقصور عليه: رسول الله - كلمة الله - كونه روحاً من عند الله
قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر: لما أجاب القرآن عن شبهات اليهود ، الذين بالغوا فى الطعن

طعام رفاعه ، فلما افتتح بنو أبيرق طرحوا المسروق فى دار أبى قليل
الأنصارى . وقيل فى دار يهودى اسمه زيد بن السمين ، وقيل : لبيد بن
سهل ، وجاء بعض بنى ظفر الى النبي صلى الله عليه وسلم - فاشتكوا اليه
أن رفاعه وابن أخيه اتهما بالسرقة أهل بيت ايمان وصلاح . قال قتادة
فأتيت رسول الله فقال لي : (عمدت الى أهل بيت اسلام و صلاح فرميتهم
بالسرقة على غير بينة) . وأشاعوا فى الناس أن المسروق فى دار أبى
قليل أو دار اليهودى فما لبث أن نزلت الآية وأطلع الله رسوله صلى الله
عليه وسلم على الأمر معجزة له /

سنن الترمذى ، أبواب تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ٣١٠ ، ٣١٣
(١) آية : ١٠٨ . (٢) آية : ١١٣ . (٣) آية : ١٧١ .

فى المسيح ، تحدث فى هذه الآفة مع النصارى الذين بالغوا فى تعظيم
المسيح وكلا الطرفين قصدهم نعيم . (١)
فالمسيح بن مريم ، يتصف بثلاث صفات ، كونه رسولا
وكونه كلمة الله ألقاها الى مريم ، وكونه روحا من عند الله
فهذه هى حقيقته ، والنصارى كانوا يعلمون هذه الحقيقة ، الا أنهم لغلوهم
أخرجوها عن أصلها ، وتجاوزوا الحد فيها ، فجعلوا المسيح مع كونه رسولا
ابنا لله . وجعلوه الها ، لأنه من روح الله .

ولابطال ما زعموه ، جاء القصر بانما ، لتبرز لهم حقيقة المسيح
وتجعلها قريبة مألوفة مأنوسة للنفس . حيث أكدت أن عيسى عليه
السلام مقصور على ثلاث صفات وهى الرسالة - كلمة الله - كونه روحا .
ونفت عنه كونه ابنا والها ، وزيادة فى تقرير هذه الحقيقة هجى بأسلوب
آخر للقصر ، عن طريق انما لتنزيه المولى عن اتخاذ الولد ، بتقرير هذا
التنزيه تقريرا ، لا يمكن أن تنكره النفس . فقال تعالى : (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ
وَاحِدٌ) فقصرت الذات العليا على الألوهية ، ونفى عنها صفات البشر ، من
اتخاذ الولد أى (ليس له أجزاء ، ولا أقانيم ، ولا هو مركب ، ولا متحد
بشئ من المخلوقات . (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) ، أى تنزهه وتقدس عن
أن يكون له ولد ، كما تقولون فى المسيح أنه ابنه ، وأنه هو عينه ، هانه
تبارك وتعالى ليس له جنس ، فيكون له منه زوج ، يقترن بها ، فتلد له
ابنا . والنكته فى اختيار لفظ الولد فى الرد عليهم ، على لفظ الابن
الذى يعبرون به ، هى بيان أنهم اذا كانوا يريدون الابن الحقيقى الذى
يفهم من هذا اللفظ ، فلا بد أن يكون ولدا . أى مولودا ، من تلقيح أبيه لأمه
(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ١١٧

وهذا محال على الله تعالى (١)

والقصر هنا قصر موصوف على صفة قصر افراد ، لأن النصارى اعتقدوا
كون الله الهيا ، مع كونه أبا للمسيح عليه السلام .

فقصرت الذات العليا على صفة الأوهية ، ونفيت عنها صفة
الأبوة .

* *

— سورة المائدة —

— (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحْيِمَا
وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْكُفْرِ قَالِ لَأُقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)^(٢)

المقصور : التقبل

المقصور عليه : من المتقين

قصر صفة على موصوف ، اما قصر افراد ، اذا كان الناطق بهذه الجملة
هو هابيل عليه السلام . وهو قصر حقيقى ، فيه مبالغة ، اذا كانت الجملة
معتزلة ، وهى من كلام الله عز وجل

سر القصر:

جاءت الآية الكريمة فى سياق تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) المنار ، م ٦ ، ص ٨٧

(٢) آية : ٢٧ .

(١) لَمَّا هم قوم من اليهود ، أن يمكروا به ، وأن يوقعوا به آفة ومحنة ورفضوا الايمان به حسداً ، فجئى بجملة القصر معترضة بين القصة وهى اما من كلام الله تعالى لنبيه ، كأنه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه لم يتقبل من قابيل ، لأنه لم يكن تقياً ، فقصر التقبل على المتقين . دون غيرهم . مبالغة فى رفع شأنهم ، والسرف فى اعلامه صلى الله عليه وسلم بجملة قصر معترضة ، مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن الله يقبل الطاعات من المتقين ، لأنه ليس المقصود هو الاخبار بظاهر المعنى ، لعلم الرسول به ، وانما القصد هو التعريض بأعمال هؤلاء الكفار وأنهم مهما عملوا فلن يقبل منهم . واظهار هذه الحقيقة بهذه الصورة - أبلغ فى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأشد تقبيحاً لخصلة الحسد ، التى منعت اليهود من الايمان ، ومنعتهم من أن يكونوا متقين

واما أن تكون جملة القصر من كلام هابيل ، اذا قدر فى الكلام حذفاً كأن هابيل قال: لم تقتلنى ، قال : لأن قربانك صار مقبولاً ، فقال هابيل وما ذنبى ، انما يتقبل الله من المتقين .^(٢) فيكون هابيل ، هو الناطق بجملة القصر . والسرف فى مجيئها واستعمال هابيل لأسلوب التعريض حذراً من تهيج قابيل - الذى كان يعتقد أن الله قد يتقبل من المتقى وغيره فأفرد المتقين دون غيرهم - .

وترغيباً له بهذا الأسلوب اللطيف ، فى الاقلاع عما نواه من قتله وتنبيهها له على شناعة الفعل ، الذى سيقوم به .

وقد ذكر ذلك الامام أبو السعود فقال: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ) أى -

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢٠٨

(٢) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢١١

القربان (من المتقين) لامن غيرهم . وانما تقبل قربانى ، ورد قربانك لما
فينامن التقوى وعدمه . أى انما أتيت من قبل نفسك لامن قبلى فلم تقتلنى
خلا أنه لم يصرح حذرا من تهيج غضبه وحمل له على التقوى والاقلاع عما نواه
ولذلك أسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على
وجه يستدعى سكون غيظه لو كان له عقل وازع ، حيث قال بطريق التوكيد (لئن
بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا ببساط يدي اليك لأقتلك) . (١)

ويبدو لى أن فى ذكر هذه القصة للرسول عليه الصلاة والسلام بهذا
الأسلوب الذى استعمله هابيل فى تهديته أخيه توجيهها وارشادا للرسول
صلى الله عليه وسلم بأن يستعمل مع قومه هذه الطريقة فى الدعوة لما تدل
عليه من الصبر على الأذى ، بل هى طريقة فى تربية النفس المؤمنة فى
مواجهة الخصم فاذا احتد و غضب فعليها مواجعتها فى بداية الأمر باللطف
والملاينة والتعريض بفعله لا التصريح به حتى يهدأ غضبه ويسكن .

— (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْتَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . (٢)

المقصور : جزاء المحاربين لله ورسوله والمفسدين فى الأرض .
المقصور عليه : القتل والصلب وتقطيع الأيدي والأرجل
قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

لما قتل قوم العربيين وعكل راعي الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير أبى السعود م ٢ ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧

(٢) آية : ٣٣ .

وأخذوا الذود^(١) ، غضب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنهم جعلوا الاسلام خديعة ، وطريقا للسلب والنهب ، ولشدة غضبه أمر بالتمثيل بهم ، فأمره هذا معناه عدم انكاره صلى الله عليه وسلم للتمثيل ، واعتقاده أنه العقاب الأمثل لهم . فنزلت هذه الآية لعتابه صلى الله عليه وسلم ، ولما كان المقام مقام عتاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، جاءت انما للتلطف في معاتبته ، وقلب اعتقاده في حكم التمثيل ، بابطاله ونسخه ، فقصرت جزاءهم على القتل ، أو التصليب والنفى ونفت حكم التمثيل بهم .

(١) روى الامام مسلم عن أنس بن مالك : أن أناسا من عرينة ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أن تخرجوا الى ابل الصدقة ، فتشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا فصحوا ، ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم ، وارتدوا عن الاسلام ، وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث في أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وتركهم في الحرة حتى ماتوا .

صحيح مسلم - شرح النووي ، كتاب القسامة ، باب حكم المحاربين والمرتدين ، م ٦ ، ج ١١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥

صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة المائدة ، م ٦ ، ج ٦ ، ص ٦٥٠

مسند الامام أحمد ، مسند أنس بن مالك ، م ٣ ، ص ١٠٧

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١)

المقصور : وليكم

المقصور عليه : الله ورسوله والذين آمنوا .

قصر صفة على موصوف اما قصر افراد ، واما قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر:

كان لليهود في المدينة غلبة وقوة نفوذ ، ولذا كان بعض المؤمنين يوالونهم طلبا للمنعة والقوة ، ولا ينكرون مشاركة هذه الولاية لولاية الله عز وجل .

فأراد القرآن نهيمهم عن هذه الموالاة ، بكشف حقيقة اليهود ، وجاء كشف هذه الحقيقة بطريق يزيد من تحقيرهم ، ويدفع للنفور منهم ومن ولايتهم . فجاءت انما التي لا تدع مجالا للتأول ، ولا تدع مجالا لتمييع التصور ، فحصرت الولاية في الله ورسوله والذين آمنوا ، والذين من صفاتهم أنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ونفثها عن يستهزئ بالصلاة ويمنع الزكاة . وفي مجيء انما تعريض بهم ، وأنهم لا يساؤون شيئا بجانب هؤلاء المؤمنين .

ولقد ذكر الامام أبو السعود كلاما لطيفا في بيان سر هذا القصر فقال : (لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة ، وعلله بأن بعضهم أولياء بعض ، لا يتصور ولايتهم للمؤمنين ، وبين أن من يتولاهم يكون من

جملتهم . وبين هنا من هو وليهم ، بطريق قصر الولاية عليه ، كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ، لأن بعضهم أولياء بعض ، وليسوا بأوليائكم ، إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون ، فاختصوهم بالموالاة ، ولا تتخطوهم الى غيرهم ، وإنما أفرد الولي مع تعدده للايدان ، بأن الولاية أصلية لله تعالى ، وولايته عليه السلام ، وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل .^(١)

ويبدو لى أنه من الممكن أن يكون القصر فى الآية قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . اذا كان المقصود من الآية توجيه المسلمين الى اتخاذا لأولياء فى أى حال من الأحوال ، من غير النظر الى فئة اليهود ، بغرض تقريب هذه الولاية ، فيكون نفي الولاية واقع على جميع ما عدا الله ورسوله والمؤمنون .

فكأن ولاية غيرهم كلا ولاية ، بجانب ولايتهم . وفى هذا رفع شأن لولاية الله ورسوله والمؤمنين ، وتحقير لولاية ما عداهم .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)^(٦)

(١) تفسير أبى السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٢ .

(٢) الخمر : كل ما خامر العقل ، وغطاه .

(٣) الميسر : القمار

(٤) الأنصاب : هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ، ويذبحون عندها

(٥) الأزلام : القداح التى كانوا يستقسمون بها .

(٦) الرجس : الرجس فى اللغة : كل ما استقذر من عمل ، ويقال رجس الرجل

رجسا ، ورجسا اذا عمل عملا قبيحا ، وأصله من الرجس . بفتح الراء

وهو شدة الصوت ، يقال سحاب رجاس : اذا كان شديدا للصوت بالرعد .

نكان الرجس هو العمل : الذى يكون قوى الدرجة ، كامل الرتبة فى لقبح

(٧) آية : ٩٠ .

المقصور: الخمر ، والميسر والأنصاب والأزلام .

المقصور عليه : الرجس

قصر موصوف على صفة اما قصر قلب، واما قصر حقيقى ، فيه مبالغة .

سر القصر:

لما كان من أبرز معالم الجاهلية ، تعاطى الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأنصاب والأزلام ، وهى من العادات المتغلغلة فى النفوس فى ذلك العهد ، والتي يصعب التخلص منها دفعة واحدة ، عالج القرآن هذه القضية بحكمة بالغة ، يظهر فيها الاعجاز القرآنى .

فبعد أن ثبت فى النفوس قول لاله الا الله تثبتنا هياها للاستجابة لكل أمر الهى ، وتأكد من صحة عقيدتها ، بدأ فى تخليصها من عادات الجاهلية ف (لما أنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) وقوله : (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) ، وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم ، بين الله فى هذه الآية : أن الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات ، بل هى من جملة المحرمات)^(١)

ولما كان الخطاب للمؤمنين الذين كانوا فى ذلك العهد ، لا يذكرون أمر الخمر والميسر ، بل يظنون ويعتقدون أنها من الأمور التى أحلها الله سبحانه وتعالى ، وأنها أمور مستحسنة لا تبغ فيها ، ولما كانت متمكنة فى نفوسهم ، جاء التحريم مؤكدا بفنون التوكيد ، حيث صدرت الجملة بانما لقلب ذلك الاعتقاد ، ولانتزاع محبة الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من قلوبهم انتزاعا تاما ، ولكن من غير ألم ولا تجريح . جى بانما لأن المقام هنا مقام توجيه وإرشاد ، وليس مقام زجر وردع . فقصر هذه الأربعة على الرجس ، وهو الأمر المستبغ ، ومبالغة فى النهى عنها .

(١) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٨٤

(٢) روى الامام أحمد عن مصعب بن سعد أنه نزلت فى أبيه أربع آيات منها (انما الخمر والميسر) فذكر أن رجلا من الأنصار صنع طعاما ، فأكلوا

(٠٠٠ جمع الخمر والميسر مع الأثواب والأزلام ، أولا ثم أفردهما آخرًا .
لأن الخطاب مع المؤمنين ، وإنما نهامهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر
واللعب بالميسر . وذكر الأثواب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر ،
واظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكانه لا مباينة بين عابدين
الصنم وشارب الخمر ، والمقامر ، ثم أفردهما بالذكر ، ليعلم أنهما المقصود
بالذكر) . (١)

ولتأكيد النهي ، قال تعالى بصيغة الأمر : (فاجتنبوه) مع أن
ظاهر الأمر للوجوب . ثم قال : لعلمكم تفلحون . فجعل الاجتناب إفلاحا ، وإذا
كان الاجتناب إفلاحا ، فلا شك كان الارتكاب خيبة . (٢)

ويبدو لي أنه من الممكن ، أن يكون القصر حقيقيا ، فيه مبالغة .
حيث قصرت هذه الأنواع الأربعة على الرجس دون غيره من الصفات . ونفسى
عنها جميع الصفات الباقية ، لعدم الاعتداد بتلك الصفات .

— (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) . (٣)

المقصور : مراد الشيطان .

المقصور عليه : إيقاع العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة

قصر صفة على موصوف قصر قلب

وشربوا وانتشوا من الخمر ، وذلك قبل أن تحرم ، فاجتمعنا عنده
فتفاخروا ، وقالت الأنصار : الأنصار خير ، وقالت المهاجرون
المهاجرون خير . فأهوى له رجل بلحى فرور ، ففزر أنفه فكان
أنف سعد مفزورا . فنزلت : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون / مسند الإمام أحمد / مسند
أبي إسحق سعد بن أبي وقاص ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(١) النسفي ، ج ١ ، ص ٣٠١ (٢) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٨٦
(٣) آية : ٩١

سر القصر:

هذه الآية مرتبطة بما قبلها ، فبعد أن أكد الله نهيه عن الخمر والميسر ، جاء للمؤمنين بأدلة عقلية مشاهدة ، لا ينكرها أصحاب العقول الفطنة ، فأوضح لهم أضرارها الدنيوية والدينية ، وجاء هذا الايضاح عن طريق القصر لتأكيد النهي ، بتجسيم قبورها ، والتحقيق من شأنها ، مما ينفر القلوب السليمة . فقصر ارادة الشيطان على العداوة والبغضاء ، وعلى الصد عن ذكر الله . وعن الصلاة .

وهذه الأمور لا يقبلها المؤمن الحق ، وزيادة في التنبيه ، خصص (٠٠ الصلاة بالاقراد ، مع دخولها في الذكر للتعظيم ، والاشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما أنها عماده ، ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أصناف الصوائف . ف قيل : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) ، ايذانا بأن الأمر في الزجر والتحذير ، وكشف ما فيهما من المفساد والشور ، قد بلغ الغاية ، وأن الاعذار قد انقطعت بالكلية)^(١).

— (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) .^(٢)

القصر في هذه الآية عن طريق انما المفتوحة وقد ذكرت سابقا ، أنه لا مانع من افادتها للقصر مثلها في ذلك مثل انما المكسورة .

المقصود: الرسول

(١) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦ ، (٢) آية : ٩٢

المقصود عليه : البلاغ
قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر :

سبق أن حللت في سورة آل عمران قوله تعالى : (إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ)^(١)
ولكن يظهر لي أن سر القصر في آية المائدة ، التي نحن بصدد تحليلها ، يختلف
عن السر في سورة آل عمران .

ففي الآية هناك كان الخطاب موجها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان
السياق يتحدث عن أهل الكتاب وجحودهم ، مما أجز قلب الرسول صلى الله
عليه وسلم ، فجاءت الآية لتسلية ، والقاء الطمأنينة في نفسه ، بأنه
قد أدى الأمانة ، وأن مهمته لا تتجاوز التبليغ الى الهداية .

وفي هذه الآية اختلف السياق ، واختلف توجيه الخطاب ، فالسياق
هنا عن تحريم الخمر ، وهو أمر متغلغل في نفوس المخاطبين من المؤمنين
وهم لا ينكرون مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعلمونها حق العلم
وأنها لا تتعدى البلاغ ، ولكن لشدة هذا الأمر - تحريم الخمر - وصعوبة
تنفيذه على تلك النفوس المشغوفة به ، كأنهم ظنوا أن في مقدور الرسول
صلى الله عليه وسلم خلق الطاعة فيهم ، مما يخلصهم من هذا الأمر دفعة
واحدة . فنزلوا منزلة من لا ينكر كون خلق الطاعة منه صلى الله عليه وسلم
وجاءت انما لقلب هذا الاعتقاد ، وقصرت الرسول على التبليغ لا يتعداه الى
الهداية وخلق الطاعة .

ورأى الإمام أبو حيان : أن الآية متضمنة معنى الوعيد والتهديد
(أى فان أعرضتم ، فليس على الرسول الا أن يبلغ أحكام الله ، وليس عليه
(١) آية : ٢٠

خلق الطاعة فيكم ، ولا يلحقه من توليكم شيء . بل ذلك للاحق بكم ، وفي هذا من الوعيد البالغ ما لا يخفى به ، ان تضمن أن عقابكم انما يتولاه المرسل لا الرسول ، وما كلف الرسول من أمركم غير تبليغكم ، ووصف البلاغ بالمبين اما لأنه بيّن في نفسه واضح جلي ، واما لأنه مبين لكم أحكام الله وتكاليفه بحيث لا يعتبرها شبهة ، بل هي واضحة نيرة جلية ، ونهب الجمهور الى أن - هذه الآية دلت على تحريم الخمر وهو الظاهر ، وقد حلف عمر فيها .(١)

وكذلك ذكر الامام أبو السعود في تفسيره ، أن انما حملت معنى التهديد والوعيد ، الا أنه اعترض على من قال : ان المعنى : فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول ، لأنه ما كلف الا البلاغ المبين ، وانما الاضرار واقع بكم . وهذا ما نهب اليه الامام أبو حيان في كلامه السابق ، ورآى أن معنى التهديد في قوله : فاعلموا انما على رسولنا البلاغ . مبني على أن الرسول صلى الله عليه وسلم (. . .) قد فعل ذلك بما لا مزيد عليه ، وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج ، وقامت عليكم الحجة ، وانتهت الأعدار وانقطعت العلل ، وما بقى بعد ذلك الا العقاب ، وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى . ثم قال مسعترضا : (وأما ما قيل من أن المعنى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول ، لأنه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات ، وقد فعل وانما ضررتم أنفسكم ، حين أعرضتم عما كلفتموه ، فلا يساعده المقام ان لا يتوهم منهم ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم ، حتى يرد عليهم ، بأنهم لا يضرونه وانما يضرون أنفسهم) .(٢)

ويبدو لي أن المعنى الذي اعترض عليه الامام أبو السعود جائز ، اذا قلنا أن المؤمنين لشغفهم بالخمر ، قد يعرضوا ويتولوا . لذا نزلوا منزلة من لا ينكر أن في توليهم واعراضهم اضرار بالرسول ، فجاءت انما لقلب

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٥

(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦

اعتقادهم ، وتنبيههم الى أن الرسول ليس عليه الا البلاغ ، وليس عليه خلق الطاعة فيهم ، ولا يلحقه من توليهم شيء بل ذلك لاحق بهم .

ولشدة التهديد في الآية سبقت جملة القصر بفعل الأمر (اعلموا) للتنبيه ، ولفت النظر الى أهمية ما سيقال . ويلاحظ أن لفظ رسول أضيف الى ضمير (الجماعة) العائد الى الذات العليا ، زيادة في التهديد .

ومما يلفت النظر أن آيات تحريم الخمر ، جاءت مصدرية بانما . وفي كل آية كانت انما تحمل معنى مغايرا للآخر . ففي الآية الأولى في قوله تعالى : (انما الخمر والميسر) ، لاسمع لها الاصوتا هادئا ناعما ، وذلك لأن الموقف موقف توجيه وارشاد ، ولأن القوم لم يكن لهم سابق علم بالتحريم ثم يعلو صوتها قليلا حين جاءت بالأدلة الفعلية لتأكيد هذا التحريم ولما تقرر أمر التحريم ، ووضح أمامهم بالبراهين والأدلة ، ببيان ضرره الدنيوى والدينى ، واكتملت الحجة ولم يبق مجال لأى مؤمن لارتكاب هذا الذنب ، جاءت انما تهدد وتتوعد من يقرب هذه الأمور بعد تحريمها .

* *

— سورة الأنعام —

— (قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيٌّ مِّمَّا تَشْرِكُونَ .) (١)

للعلماء فى (ما) هنا - منهيان ، فجوز فريق كونها : اما كافة أو

موصولة ، ورجح كونها موصولة .

ومن هذا الفريق الامام أبو البقاء ، حيث ذكر أن ل (ما) هنا -
وجهين ، ورجح كونها موصولة ، فقال : (فى ما وجهان : أحدهما هي كافة
لأن عن العمل ، فعلى هذا هو : مبتدأ ، واله خبره ، وواحد صفة مبيّنة
والثانى أنها بمعنى الذى ، فى موضع نصب بأن ، وهو مبتدأ ، واله خبره
والجملة صلة الذى ، وواحد خبر ان . وهذا أليق بما قبله) .^(١)

وكذلك رجع الامام النسفى كونها موصولة ، فقال : (ما كافة لأن عن
العمل ، وهو مبتدأ ، واله خبره ، وواحد صفة . أو بمعنى الذى فى محل
النصب بأن ، وهو مبتدأ ، واله خبره ، والجملة صلة الذى ، وواحد خبر
ان ، وهذا الوجه أوقع) .^(٢)

ورأى الفريق الآخر كونها كافة لا موصولة ، فاعترضوا على من قال
بأنها موصولة . ووضّف فى حاشية الجمل كونها موصولة . فقليل : (ويجوز فى
ما هذه وجهان ، أظهرهما أنها كافة لأن عن عملها ، وهو مبتدأ ، واله
خبره ، وواحد صفة . والثانى أنها موصولة بمعنى الذى ، وهو مبتدأ
واله خبره ، وهذه الجملة صلة وعائد ، والموصول فى محل نصب اسما لأن ،
وواحد خبرها . والتقدير ان الذى هو اله واحد . ذكره أبو البقاء وهو ضعيف
ويدل على صحة الوجه الأول ، تعيينه فى قوله تعالى : انما الله اله واحد ،
اذ لا يجوز فيه أن تكون موصولة لخلو الجملة عن ضمير الموصول . وقال
أبو البقاء وهذا الوجه أليق بما قبله ، ولا أدرى ما وجه ذلك) .^(٣)

(١) املاء ما من به الرحمن : ج ١ ، ص ٢٣٨

(٢) النسفى . ج ٢ ، ص ٦

(٣) حاشية الجمل . ج ٢ ، ص ١٤ - ١٥

وكذلك استبعد الامام الأوسى كونها موصولة ، فقال: (وما كافة وجوز
أبوالبقاء - وزعم أنه الأليق بما قبله - كونها موصولة ، ويَبَعُدُ كونها
موصولة ، وعليه يكون واحد خبرا . وهو خلاف الظاهر).^(١)

وكذلك ذكر الامام الشهاب فى حاشيته على البيضاوى: أن ما كافة ، فقال
(وما كافة . لا موصولة ، لمخالفته للظاهر والرسم).^(٢)

أما الامام الفخر الرازى^(٣) وكذلك الامام الصاوى^(٤) ، فذكر أنها وجهها
واحدا ، وهو كونها كافة مفيدة للصر .

المقصور: هو .

المقصور عليه: اله واحد .

قصر موصوف على صفة

وذكر الامام الشهاب أنه اذا كان فى خبر انما موصوف مؤخر ، فالمقصود
قصره على تلك الصفة .

أى أن المقصور فى هذه الآية : اله .

والمقصور عليه : الوجدانية .

والمقصور هنا قصر الاله على الوجدانية ، بمعنى التفرد فى الألوهية
وذكر أنه قيل أن نفى الألوهية عن غيره ، مستفاد من توصيف الاله بالواحد
لا من كلمة القصر . فقال: (وقيل أنه اذا كان فى خبر انما موصوف مؤخر
فالمقصود قصره على تلك الصفة . كما اذا قلت : انما زيد رجل عالم . فاذا

(١) روح المعانى . ج ٧ ، ص ١١٩

(٢) حاشية الشهاب . ج ٤ ، ص ٣٧

(٣) الفخر الرازى . م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩

(٤) حاشية الصاوى . ج ٢ ، ص ٥٨

قصر على الوجدانية بمعنى التفرد في الألوهية ، أفاد تنزهه عن الشريك وأنه لا إله الا هو كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى .^(١) وقيل عليه نفي الألوهية ، مستفاد من توصيف الاله بالواحد لامن كلمة القصر ، لأنها لا تفيد الا قصره على الألوهية دون العكس).^(٢)

والقصر في الآية قصر موصوف على صفة ، اما قصر افراد ، اذا كان الخطاب خاصا بأهل مكة ، فيكون نفي الألوهية بالنسبة الى معين ، وهي الأضام .

واما قصر حقيقي ، اذا كان الخطاب عاما . فيكون ما أشرك مع الله هو كل ما عبد من دونه ، فيكون النفي بالنسبة الى جميع ما عدا المقصور عليه .

جاء في البحر المحيط : (فان كان الخطاب لأهل مكة - فالآلهة الأضام ، فانهم أصحاب أوثان ، وان كان لجميع المشركين فالآلهة كل ما عبد غير الله تعالى من وثن أو كوكب أو نار أو آدمي).^(٣)

سر القصر :

(٤)

لقد ذكر سيد قطب كلما جميلا في هذه الآية ، وجدت فيه ما يوضح سر القصر، وظهر لي أن من المناسب ذكره هنا . قال: (جاءت هذه الآية بعد الحديث عن المكذبين ، والتي عرضت حقيقة الألوهية في المجال الكونى العريض ، والمجال الانساني العميق ، وهي كذلك تعرض حقيقة الألوهية في مجالات أخرى بايقاعات جديدة ومع مؤثرات كذلك جديدة . فيقع الحديث

(١) المقصود الامام البيضاوي

(٢) حاشية الشهاب ج ٤ ، ص ٢٧

(٣) البحر المحيط . ج ٤ ، ص ٩٢

(٤) هو سيد قطب بن ابراهيم : مفكر اسلامي مصري ، من مواليد قرية (موشا) في أسبوط سنة ١٣٢٤ هـ . عمل في جريدة الاهرام . وكتب في مجلتي

عن التكذيب بين موجة الافتتاح ، وهذه الموجة ، ويبدو أمره فى غاية
النكارة وفى غاية البشاعة ، ولقد عرضت الموجة الأولى حقيقة الألوهية
ممثلة فى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، وخلق الانسان
من طين ، وقضاء الأجل الأول كعمرة ، كل ذلك لتقرير ألوهية الله ، ثم
قرر المولى ألوهيته ببيان حقيقة الولاية ، والتوجه ، وتوحيد الاستسلام
والعبودية ، وبصاحب عرض حقيقة الألوهية فى هذه الصورة ولهذا الفرض
جملة مؤثرات قوية تخلخل القلوب ، تبدأ بعرض الملكية لكل شئ ، وحقيقة
أن الله هو الذى يُطعم ولا يُطعم ، وعرض العذاب الرعب الذى يعد مجرد
صفه رحمة من الله فوزا عظيما ، وعرض القدرة على الضر والخير ، وعرض
الاستعلاء والقهر ، وعرض الحكمة والخبرة ، ثم الايقاع الرهيب المزلزل
المتمثل فى الأمر العلوى الهائل : قل ٠٠ قل ، فاذا تم هذا العرض بكل
مؤثراته العميقة ، جاء الختام بالايقاع العالى المجلجل ، ايقاع الاشهاد
على التوحيد ، وانكار الشرك والمفاضلة الحاسمة ، مصحوبا كذلك بالأمر
العلوى فى كل فاصلة (قُلْ أُنْتُمْ أَكْبَرُ شَهَادَةً ٠٠) (قل الله) .
(قُلْ لَا أَشْهَدُ) ^(١) ، ثم تجيء انما مبدوءة أيضا بلفظ قل ، (قُلْ إِنَّمَا هُوَ
إِلَهٌ وَاحِدٌ) (مما يضى على الجو كله رهبة غامرة ، ويضى على الأمر
كله طابع جد مرهوب) ^(٢) .

وهذه الآية دالة على ايجاب التوحيد والبراءة عن الشرك ، وجاءت
هذه الدلالة (من ثلاثة أوجه أولها : قوله (قُلْ لَا أَشْهَدُ) أى لا أشهد ، بما
تذكرونه من اثبات الشركاء . وثانيها : قوله : (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) وكلمة
(انما) تفيد الحصر ، ولفظ الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشركاء

الرسالة و (الثقافة) . انضم الى الاخوان المسلمين وترأس قسم نشر الدعوة
وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٢) . وسجن معهم . عكف على تأليف الكتب
ونشرها وهو فى سجنه التى أن صدر الأمر باعدامه . فأعدم سنة ١٣٨٧ .
الاعلام ، م ٣ ، ص ١٤٧ (١) فى ظلال القرآن . ج ٢ ، ص ١٠٤٨
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وثالثها : قوله (وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) ، وفيه تصريح بالبراءة
عن اثبات الشركاء ، فثبت دلالة هذه الآية على ايجاب التوحيد بأعظم
طرق البيان ، وأبلغ وجوه التأكيد^(١) .

— (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ
أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٢) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ) .

المقصور: الاستجابة .

المقصور عليه : الذين يسمعون .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر:

ترددت هذه الآية في كتب البلاغة عند الحديث عن مجامعة النفسى
بلا العاطفة لانما . فذكرها الامام السكاكي في مفتاح العلوم ، وكذلك
القزويني في الايضاح ، كما نُذِكرت في شروح التلخيص ، وذكر بعضهم سر
مجىء انما فيها ، وأكثرهم ايضاحا لهذا السر الدسوقي في شرحه (مختصر
السعد) ، وابن يعقوب في (مواهب الفتاح) .

فذكر ابن يعقوب أن (٠٠ الكافر هنا نزل منزلة من لاسمع له في
عدم قبول الحق ، ونزل المخاطب في حرصه على هدايته منزلة من اعتقد

(١) الفخر الرازي م ٠ ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩

(٢) آية ٣٥ - ٣٦

أنه يستجيب مع عدم السماع ، ويتضمن ذلك التعريض بالكافر ، بأنه من جملة الموتى ممن لاسمع له (١).

وفصل الدسوقي هذا المعنى بقوله : (انما يستجيب دعاءك للإيمان الذين يسمعون سماع تدبر وانعان وقبول ، وهم المؤمنون ، أى من أراد الله إيمانهم . فالذين فاعل ، والمفعول محذوف كما ترى . فان قلتان فائدة القصر ، أن يعتقد المخاطب خلافه ، والمخاطب هنا ليس كذلك ، لأن كل عاقل يعلم أن الاستجابة انما تكون ممن يسمع ، أجيب بأن الكفار نزلوا منزلة من لاسمع له ، لعدم قبولهم الحق . والنبي عليه الصلاة والسلام لشدة حرصه على إيمان الكفار ، نزل منزلة من يعتقد الاستجابة ممن لا يسمع ، فخطب بقصر الاستجابة على من يسمع ، قصر قلب . فالقصر هنا حقيقي ، لكن بعد تنزيل المخاطب منزلة من يعتقد العكس ، لأجل ذلك الاعتبار الخطابى ، وتضمن ذلك التنزيل التعريض بالكافرين ، بأنهم من جملة الموتى الذين لاسمع لهم (٢).

فجىء انما هنا (تقرير لما مر ، من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه ، وفى آذانهم وقرا حاجزا من السماع ، وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى ، لا يتصور منهم الإيمان البتة ، والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول ، أى انما يقبل دعوتك الى الإيمان ، الذين يسمعون ما يلقي اليهم سماع تفهم وتدبر ، دون الموتى الذين هؤلاء منهم . كقوله تعالى : انك لاتسمع الموتى (٣)

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتح . ج ٢ ، ص ٢١٢

(٢) شروح التلخيص ، هاشية الدسوقي على مختصر السعد . ج ٢ ، ص ٢١٢

(٣) تفسير أبى السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٠

— (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ
إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) . (١)

المقصود: الآيات

المقصود عليه: كونها عند الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

الرسول في هذه الآية يعلم انكار المشركين للايمان وعدم رغبتهم فيه ، ولكنهم لما أقسموا ايمانا مؤكدة ، بأنه لو نزلت عليهم آية من الله فانهم سيؤمنون ، ويدخلون في الاسلام ، وأكدوا هذا الأمر تأكيدا بالغا ورأى الرسول والمؤمنون شدة تأكيدهم . توهموا صدقهم ، وطمعوا في ايمانهم وتمنوا نزول الآية التي طلبها المشركون ، ولكن الله الخبير بدقائق النفوس ، لا يخفى عليه شيء ، فمهما استعمل المشركون من أساليب التوكيد فهو يعلم سرهم وجهرهم .

ولبيان حقيقة المشركين بيانا مؤكدا ، واطهارا لعدم صدقهم في قسمهم ، وقلبا لاعتقاد الرسول والمؤمنين ، استعملت انما لابطال ايمانهم المؤكدة إبطالا يمحو كل توكيد ، فنزل الرسول والمؤمنون منزلة من لا ينكر ايمانهم ، وقصرت الآيات على كونها عند الله . وهذا القصر معناه استحالة نزولها ، لأن المولى عز وجل يعلم سرهم وجهرهم وكذبهم في ايمانهم .

ونذكر الشهاب أن المقصود من الحصر (نفى القدرة عن نفسه ، يبين

(١) آية : ١٠٩

أنه لا يمكنه أن يجيبهم بها^(١).

وقيل أن معنى الحصر هنا إنما الآيات عند الله تعالى لا عندي، فكيف أجيبكم اليها ، أو آتيكم بها ، وهو القادر^(٢) عليها لا أنا ، حتى آتيكم بها ، ورد الامام أبو السعود وتبعه الأوسى ، على من قال بهذا المعنى وذكره: أنه لا مناسبة له بالمقام ، لأنه ليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارا دته ، حتى يجابوا بذلك . ورأيا أن معنى الحصر : (أى أمرها فى حكمه وقضائه خاصة ، يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، لا تتعلق بها ولا بشأن من شئونها قدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالاً ولا اشتراكاً بوجه من الوجوه ، حتى يمكننى أن أتصدى لاستنزائها بالاستدعاء . وهذا كما ترى سولباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات ، وصعوبة منالها ، وتعاليتها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح^(٣) .

وبعد جملة القصر هذه ، جاء القرآن بالاستفهام الانكارى فى قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) وهو (استثناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من ايمان المشركين ، وتكذيب للمشركين فى حلفهم^(٤) .

وقد خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين ، لما كانوا راغبين فى نزول الآيات طمعا فى اسلام المشركين ، واما خطابا للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التعميم ، لما روى عنه صلى الله عليه وسلم من الهم بالدعاء^(٥) . واستعملت انا مع الماضى دون إن مع المستقبل زيادة فى التشجيع عليهم^(٦) .

-
- (١) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ١١٣
(٢) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ٢٥٣
(٣) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٢ - ١٧٣
(٤) حاشية الصاوى ، ج ٢ ، ص ٣٩ (٥) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٣
(٦) روح المعانى ، ج ٧ ، ص ٢٥٣

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) . (١)

المقصود : انزال الكتاب

المقصود عليه : على طائفتين من قبلنا

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

” الخطاب في الآية لأهل مكة ” (٢)

فحين أمر الله سبحانه وتعالى باتباع ما جاء في القرآن، ووصفه بأنه كتاب مبارك ، لا ينبغي مخالفته ، وبالغ في التحذير من انكاره بقطع حججهم وتعللاتهم قطعاً باتناً ، وجاء هذا القطع عن طريق انما ، فالمشركون يعلمون حق العلم أن الله قد أنزل من قبلهم الكتاب ولا ينكرون ذلك ، بدليل قوله تعالى (الكتاب) معرفاً بأل ، وفي هذا دليل على معرفتهم بما أنزل قبلهم ، وانما قصر الانزال في الآية على كتب اليهود والنصارى دون غيرهم ، لأنها المشهورة حينئذ من الكتب (ولعل الاختصاص في انما ، لأن الباقي المشهور حينئذ ، من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم) . (٣)

وذكر أبو السعود : أن تخصيص الانزال بكتابتيهما ، لأنهما اللذان اشتهرا

من بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام المذكورة . (٤)

والسر في قصر الانزال على هذه الكتب ، مع كونها معروفة لديهم

هو التذكير والتنبيه والتحذير ، من أن يقولوا يوم الحساب والجزاء

(١) آية : ١٥٥ - ١٥٦

(٢) الخازن . م ٢ ، ص ٦٧

(٣) البيضاوي . ج ٢ ، ص ٢١٥

(٤) تفسير أبي السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠١

معتذرين عن شركهم واجرامهم ، إنما أنزل الكتاب الهادي الى توحيد الله
ومعرفته . وطريق طاعته ، وتركية الأنفس من دنس الشرك والرذائل على
طائفتين من قبلهم ، وهم اليهود والنصارى ، وأن حقيقة حالهم وشأنهم أنهم
كانوا غافلين عن دراستهم ، وتعليمهم لجهلهم بلغاتهم ، وغلبة الأمية
عليهم - والحصرا إنما يصح بالاضافة اليهم ، أو بحسب علمهم بحال
الطائفتين لمجاورتهم لهم .^(١)

وفى هذا التذكير والتنبيه قطع مؤكد وحاسم ، لطريق التعليل
والاعتذار .

وبعد هذه الازالة للعذر والازاحة للعلة عن طريق التوكيد بانما ، بيّن
(١٠٠) أنهم لا يؤمنون البتة ، وشرح أحوالاً توجب اليأس من دخولهم فى الايمان
فقال (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) .^(٢)

— (إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ
إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .^(٣)

المقصود: الأمر

المقصود عليه: كونه الى الله

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيقيا

سر القصر:

ان ابتداء البدع واتباع الأهواء أمر عظيم وخطير على الاسلام

(١) انظر الفخر الراوى . م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٦٥ / الخازن م ٢ ، ص ٦٧

المنازل . ج ٦ ، ص ٢٠٤

(٢) الفخر الرازى . م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٧ - ٨

(٣) آية : ١٥٩

وهو فى خطرته أشد من الكفر ، لأنه أمر يحارب الاسلام باسم الاسلام ، وأشد من هذا شناعة هو اتباع البدعة ، بعد وضوح طريق الحق والصواب ، وبيان حكمها وحكم متبعتها . فقد ذكر الله (أن صراطه مستقيم ، ونهى عن اتباع السبيل ، وذكر موسى عليه السلام وما أنزل عليه وذكر القرآن ، وأمربا تباعه وذكر ما ينتظر الكفار مما هو كائن بهم) (١) .

ولشدة خطرا البدعة واتباع الأهواء ، بالغ القرآن فى التحذير ، فجىء بانما لتتوعد وتهدد كل من يخطو فى هذا الطريق . فالمخاطبون يعلمون خطر البدعة ، ويعلمون حكمها ، فليس لهم حجة ، لأن ارتكابهم لها مع علمهم الأكيد بنهى الاسلام عنها ، دليل على اصرارهم وعنادهم . ولذا قُصِر أمرهم ومرجعهم وعقابهم على الله وحده لا على غيره . فهو الذى سيتولى أمرهم . وفى هذا القصر قمة الوعيد والتهديد ، لأن من تولى الله أمرعابه فمعناه الهلاك المحقق والمؤكد له . وفى هذا القصر تنبيه للمؤمنين على الائتلاف على الدين القويم ، ولثلا يختلفوا كما اختلف من قبلهم من الأمم ، بعد أن كانوا متفقين على الشرائع التى بُعث أنبياءهم بها .

* *

— سورة الأعراف —

(٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَثْمَ (٣) وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية ٢٣)

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٦٠

(٢) أى ما تباحش قبجه من الذنوب ، وقيل ما يتعلق منها بالفروج . ذكره الخازن . م ٢ ، ص ٨٥ (٣) اختلف فى معنى الأثم فى الآية ، فقيل

المقصور : المَحْتَرَم .

المقصور عليه : الفواحش - الاثم - البغى - الشرك بالله . . . القول على الله من غير علم .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

كانا لمشركون فى الجاهلية يُحَرِّمُونَ على أنفسهم بعض أنواع الطعام فى أيام الحج . (١) كما كانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويحللون ذلك ، بل وينكرون على المسلمين طوافهم بالبيت بثيابهم وحرموا ذلك . (٢) ونسبوا هذا التحريم ، والتحليل الى الله . ولما كانت هذه الأمور محللة شرعا ، جىء بإنما لقلب اعتقاد المشركين ، وكشف كذبهم على الله ببيان حقيقة المحرمات . وأن أمر تحريم الفواحش الظاهر من ظاهر الباطن أمر ظاهر لا يحتاج الى حبار به الى تركيد .

فحصر التحريم فى هذه الأنواع ولقد اوضح الامام الفخر العله فى ذلك

فى قوله : (كلمة انما) تفيد الحصر . فقوله (انما حرم ربى)

أن المقصود به الخمر . ورد أبو هيان على من قال ذلك بقوله : (. . وهذا قول لا يصح هنا ، لأن السورة مكية ، ولم تحرم الخمر الا بالمدينة) . ج ٤ ، ص ٢٩٢ . وذكر الخازن ، م ٢ ، ص ٨٥ أن الاثم عبارة عن الصفائر والفواحش الكبائر . وذكر الفخر ، ج ١٤ ، ص ٧٠ أن الفاحشة اسم للكبيرة ، والاثم لمطلق الذنب سواء كبيرا أو صغيرا .

(١) جاء فى تفسير القرطبى (وقيل أن العرب فى الجاهلية كانوا لا يأكلون سما فى أيام حجهم ، ويكتفون باليسير من الطعام ، ويطوفون عراة فقيل لهم : (خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) .

(٢) قال الكلبي لما لبس المسلمون الثياب ، وطافوا بالبيت غيرهم المشركون بذلك قالوا : استحلوا الحرام ، فنزلت . البحر المحيط ج ٤ ، ص ٢٩٢ . وفى صحيح البخارى عن هشام عن عروة عن أبيه قال :

كذا يفيد الحصر ، والمحرمات غير محصورة في هذه الأشياء ، والواجب : ان قلنا الفاحشة محمولة على مطلق الكبائر ، والاثم على مطلق الذنب ، دخل كل الذنوب فيه ، وان حملنا الفاحشة على الزنا والاثم على الخمر ، قلنا : الجنايات محصورة في خمسة أنواع : أحدها : الجنايات على الانساب وهي انما تحصل بالزنا ، وهي المراد بقوله (انما حرم ربي الفواحش) ، وثانيها الجنايات على العقول ، وهي شرب الخمر واليهما الاشارة بقوله (الاثم) وثالثها : الجنايات على الأعراض ، ورابعها : الجنايات على النفوس وعلى الأموال ، واليهما الاشارة بقوله (والبغى بغير الحق) . وخامسها : الجنايات على الاديان وهي على وجهين : أحدها الطعن في توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله (وأن تشركوا بالله) ، وثانيها : القول في دين الله من غير معرفة ، واليه الاشارة بقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) . فلما كانت أصول الجنايات هي هذه الأشياء ، وكانت البواقي كالفروع والتوابع لاجرم ، جعل تعالى ذكرها جاريا مجرى ذكر الكل ، فأدخل فيها كلمة (انما) المفيدة للحصر . (١)

وذكر الخازن أن في افراد البغى والشرك ، بعد ذكر الفاحشة والاثم تنبيه على عظم قبحهما (انما أفردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك ، فتأناه بين جملته ثم تفصيله) . (٢)

كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة ، الا الحمس والحمس قريش ، وما ولدت وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطى الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحمس من جمع . صحيح البخارى ، كتاب الحج ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٠٠
(١) الفخر الرازى م ٧ ، ج ١٤ ، ص ٧١
(٢) الخازن ، م ٢ ، ص ٨٥

(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ، وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ،
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا ، بِمُوسَى وَمَنْ
مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) . (٢)

المقصور: طائرهم

المقصور عليه: كونه عند الله

قصر موصوف على صفة قصر قلب

سر القصر:

الحديث فى الآفة عن فرعون وقومه ، فهم لإزحراف فطرتهم عن دين
الله ، لا يرون الحقائق والسنن الكونية الدالة على رحمة الله ، الابنطرة
فاسدة ، مع تبدل الادراك والاحساس ، فلم ينتبهوا الى الحكمة فى مجيئ
الحسنات والسيئات ، فساقهم تماديهم فى الغى الى الزعم بأن الحسنات
التي تصيبهم ، والخيرات التي جاءتهم ، انما هي لاستحقاقهم لها ، واذا أصابهم
الجدب والبلاء ، نسبوا ذلك الى موسى ومن معه ، وهذا (شاهد بكمال قساوة
قلوبهم ، ونهاية جهلهم وغباوتهم ، فان الشدائد ترقق القلوب وتلين
العرائك ، لاسيما بعد مشاهدة الآيات . وقد كانوا بحيث لم يوثر فيهم شئ
منها ، بل ازدادوا عتوا وعنادا) . (٣)

ولذا جاء الرد عليهم مصدرا بأداة التنبيه ، لابرار كمال العناية

بمضمون الكلام الآتى بعدها . ثم جيء بذلك المضمون عن طريق القصر بانما

(١) حظهم ونصيبهم وما طار اليهم من القضاء والقدر . بسبب شومهم .
حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

(٢) آفة ١٣٠ - ١٣١

(٣) أبوالسعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٦٤

(٤) المرجع السابق . نفس الصفحة

زيادة فى توكيده واثباته ، وأنزل المجهول منزلة المعلوم لأن أكثرهم
يجهلون لفرط غباوتهم ، كون طائرهم عند الله . فتنزىل هذا الأمر منزلة
المعلوم ، مما لا يدع مجالاً للجدال والنقاش ، ويمحو كل جهل بابرار هذا
الأمر وتوضيحه ، بل وتأكده بهذه الصورة . كما يلوح من هذه الاداة التحقير
الشديد لهم ، لأن تطيرهم عما يدل على جهلهم ، مما يستوجب تحقيرهم .

وفى مجيء انما قلب لاعتقادهم الفاسد ، فقصر تطيرهم وشؤمهم على
كونه عند الله . (أى ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى ، وهو حكمه ومشيئته
المتضمنة للحكم والمصاع ، أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة
الا عنده تعالى . أى مكتوبة لديه فانها التى ساقط اليهم ما يسوؤهم لا ما
عداها) . (١)

واسناد حظهم وطائرهم الى الله ، فيه عظيم التهديد لهم ، بان
عقابهم كائن لا محالة . واسناد عدم العلم الى أكثرهم ، للاشعار بأن بعضهم
يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى ، أو يعلمون
أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت أيديهم ، ولكن لا
يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا) . (٢)

— (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ
أَوْ تَقُولُوا (٣) إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَّ الْمُبْطِلُونَ) . (٤)

(١) تفسير ابى السعود . ج ٣ ، ص ٢٦٤

(٢) المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) الضمير فى الكلمة عائد على اليهود ، والدليل على أنها فى اليهود الآيات
التي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها ، وذلك قوله - واسئلهم عن
القرية - واذ قالت أمة منهم لم تعظون - واذ تآذن ربك - واذ نتقنا الجبل
فوقهم - واذل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا - الزمخشري . ج ٤ ، ص ١٣٠

(٤) آية : ١٧٢ - ١٧٣

المقصود : الاشراك

المقصود عليه : آباؤنا

قصر صفة على موصوفٍ حقيقيين تحقيقاً .

سر القصر :

ان محور السورة يدور حول قضية التوحيد ودار قصص السورة كله حول هذه القضية ، متخذا صورة التذكير من الرسل جميعا ، بحقيقة التوحيد والتحذير من عاقبة الشرك ، ثم تحقّق النذر بعد التذكير والتحذير . وفي هذه الآية تعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة . وزاوية عميقة ، تعرض من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر ، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم ، وذات تكوينهم ، وهم بعد في عالم الذر . (١)

فالخلق مفطورون اذا على ملة الاسلام ، ولديهم الاستعداد الكامل لذلك . فجاء بانما ليقطع عليهم طريق كل حجة ، وليسد عليهم باب الاعتذار وفي ذلك عظيم التهديد والوعيد لهم ، وتذكيرهم بأن (التقليد عند قيام الدلائل ، والقدرة على الاستدلال بها ، مما لا مساغ له أصلا ، وقد حملت هذه المقابلة على الحقيقة ، كما روى عن ابن عباس الى يوم القيامة ، فقال : (ألتب ربكم قالوا بلى ، فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة) . (٢)

(١) في ظلال القرآن . ج ٩ ، ص ١٣٩١

(٢) تفسير ابي السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٩٠

(١) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ
إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢)

الظاهر في الآية أن :-

المقصور : اطَّبَّعَ.

المقصور عليه : الذي يوحى

وهو قصر صفة على موصوف قصر قلب .

ورأى الإمام أبو السعود غير ذلك ، فذهب إلى أن القصر في الآية على
معنى (تخصيص حاله صلى الله عليه وسلم ، باتباع ما يوحى إليه ، بتوجيه
القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل ، بالنسبة الى مقابلة
الذي كلفه اياه صلى الله عليه وسلم ، لا على معنى تخصيص اتباعه صلى
الله عليه وسلم ، بما يوحى إليه بتوجيه القصر الى المفعول ، بالقياس
الى مفعول آخر ، كما هو الشائع في موارد الاستعمال) . (٣)

فالمقصور على رأى الامام أبو السعود : اتباع ما يوحى .

المقصور عليه : حاله صلى الله عليه وسلم .

فيكون من قصر الموصوف على الصفة .

سر القصر :

وصل التعنت والضلal بالمشركين الى طلب معجزات مخصوصة ، وآيات

(١) . اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه ، أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك
تقولا . يرون بذلك أن سائر الآيات أيضا كذلك ، أو هلا تلقيتها
من ربك استدعاء

أبو السعود . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٩

(٢) آية : ٢٠٣

(٣) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٩

معينة ، ولما كان المولى عز وجل عليم بذات الصدور ، منع انزالها
فزادهم ذلك تعنتا واصرارا ، فقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام على سبيل
التعجيز ، هلا اقترحتها على ربك ومعبودك (ان كنت مادقا فى أن الله يقبل
دعاءك ، ويجيب التماسك) .^(١)

وأمام هذا التعنت جاء الرد عليهم عن طريق القصر بانما مسبوقه
بفعل الأمر قل ، وقصر حاله فى الاتباع على ما يوحى اليه ، من غير أن يكون
له دخل فى ذلك أصلا ، وفى التعرض لعنوان الربوبية ، مع اضافته الى
الضمير العائد للرسول صلى الله عليه وسلم ، تأكيد لعبوديته صلى الله
عليه وسلم .

وقد ذكر ذلك الامام أبو السعود فقال : (وفى التعرض لوصف الربوبية
المنبثه عن المالكية ، والتبليغ الى الكمال اللائق ، مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم ، من تشريفه صلى الله عليه وسلم والتنبيه
على تأييده ما لا يخفى) .^(٢)

وفى قصر حاله صلى الله عليه وسلم على الاتباع ، قلب لما اتهموه
بسه ، بقولهم : لولا اجتبيتها ، أى أحدثتها وأنشأتها من عندك
فدل القصر على أنه متبع لا مبتدع .

(١) الفخر الرازى . م ٨ ، ج ١٥ ، ص ١٠٦

(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

— سورة الأنفال —

— (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) . (١)

المقصود: المؤمنون

المقصود عليه: وجلت قلوبهم

قصر موصوف على صفة قصر أفراد أو هو قصر حصيقي نيك بالفص .

سر القصر:

ثار الجدل بين أهل بدر حول تقسيم الغنائم ، ودب بينهم الخلاف وهذا أمر لا ينبغي أن يقع بين المسلمين ، وخاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بينهم ، فلا بد أن يستسلموا لأمره وأن يكون له الحكم .

فبدأت الآية تعالج هذا الموقف ، وتسعى الى استئصاله من بدايته حتى لا يتفاقم . فذكرتهم أولاً بطاعة الله ورسوله ، وربطت هذه الطاعة بالايان ، ثم جىء (بانما) لتذكركم وتنبيههم الى صفات المؤمنين حقا ، ولترغيبهم فى التمسك بها ، وتحذركم من التفريط فيها ، وذلك باظهار حقيقة الايمان .

فهم ولا شك يعلمون صفات المؤمنين ، وما يجب عليهم ، ولكن رغبتهم فى الوصول الى الغنائم ، لالذاتها ولكن لأن الأنفال فى ذلك الوقت كانت مرتبطة بحسن البلاء ، فكانت بمثابة شهادة من الله ورسوله لهم فشدّة

رغبتهم في الحصول على هذه الشهادة ، واقعهم في هذا الخلاف فجاءت إيماننا لتردهم الى واقعهم باستجاشة وجدانهم ، وتذكيرهم بالايان وصفات المؤمنين . (وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة) . (١)

والمعنى (ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله ، انما - المؤمنون الصادقون في ايمانهم ، الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . أى خضعت وخافت وورقت قلوبهم ، وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا ممن عقابه) . (٢)

وقد ذكر في بعض التفاسير أن معناها (. . . الكاملون في الايمان) . واعترض سيد قطب في ظلال القرآن على ذلك بقوله : (ان التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ، ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي ، وفي العبارة هنا قصر بلفظ (انما) ، وليس هنالك مبرر لتأويله ، وفيه هذا الجزم الدقيق - ليقل : ان المقصود هو (الايان الكامل) ، فلو شاء الله - سبحانه - أن يقول هذا لقاله ، انما هو تعبير دقيق الدلالة ، ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون ، فغيرهم من ليس له هذه الصفات بجملتها ليسوا بالمؤمنين ، والتوكيد في آخر الآيات - (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) ، يقرر هذه الحقيقة ، فغير المؤمنين (حَقًّا) ، لا يكونون مؤمنين أصلا ، والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضا) . (٣)

وما ذهب إليه سيد قطب قول غير مسلم به ذلك قوله أو لئلا هم المؤمنون كما أي الذين بلغوا من الإيمان مرتبة عالية ، والذين تمتلئ منهم سمائع المؤمن وخلافة في صورته العليا وما عدا ذلك منهم مؤمنون بالطريق الواسع إلى هذه المرتبة جادين في ذلك أو متساهلين على رفق درجات توفيق الله لعباده وهذه هي دلالة النص للتعبير القرآني لا يجوز أن يخرج من لسانه لطفة العليا من المؤمنين أصلا .

(١) تفسير ابي السعود . م ٢ ، ج ٤ ، ص ٤

(٢) الخازن . ج ٢ ، ص ١٦٦

(٣) في ظلال القرآن مج ٣ ، ص ١٤٧٤

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) . (١)

المقصور: الأموال والأولاد

المقصور عليه: الفتنة

قصر موصوف على صفة اما قصر قلب ، انا كان الخطاب متوجها الى شخص أبى لبابه . (٢) واما هو قصر حقيقى فيه مبالغة ، اذا كان الخطاب عاما .

سر القصر:

ان محبة الأموال والأولاد سبب من أسباب فتنة البشر ، وسبب فى الوقوع فى الاثم والعقاب ، فشدة حبهما قد تقود البعض الى المعصية والخيانة ، ولشدة ارتباط الانسان بهما ، قد يجهل خطرهما ، كما حصل لأبى لبابة . فشدة حبه لأمواله وأولاده حرفته ودفعته الى خيانة الله ورسوله ، ولما كان خطرهما خفيا ، جاءت الآية بأسلوب القصر عن طريق (إنما) مسبوقه بفعل الأمر (اعلموا) ، للفت الأنظار وللتحذير .

وفى مجيء (إنما) تنبيه وتذكير الى شدة خطرهما المجهول فى النفوس . يجعل هذا الأمر المجهول كأنه أمر معلوم وظاهر للعيان .

(١) آية : ٢٧ - ٢٨

(٢) قيل هذا مما نزل فى أبى لبابة ، وذلك لأن أمواله وأولاده كانت فى ينى قريظة ، فلذلك قال ما قال خوفا عليهم ، وقيل أنه عام فى جميع الناس /

الخازن ، ج ٢ ، ص ١٨٠

ذكر الامام الخازن (أنه لما كان الاقدام على الخيانة فـى
الامانة هو حب المال والولد ، نبه الله سبحانه وتعالى بقوله:
واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة • على أنه يجب على العاقل
أن يجذر من المضار المتولدة من حب المال والولد). (١)

((التوبة))

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ). (٢)

سبق التعرض للقصر بانما فى هذه الآية ، فى فصل
النفى والاستثناء • وقد ذكرته هناك لوجود ارتباط بينه
وبين القصر ، عن طريق النفى والاستثناء الموجود فى الآية
وهو قوله تعالى :

(وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ)

(١) الخازن • ج ٢ ، ص ١٨٠

(٢) آية : ١٨

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ (١) فَلَا يَقْرَبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . (٢)

المقصود : المشركون

المقصود عليه : نجس

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

قصر القصر :

كان المسلمون في بداية انتشار الدعوة الاسلامية أقل عدا

(١) النجس مصدر - يقال نجس نجسا ، وقدر قدرا . ومعناه ذو نجس
لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ، ولأنهم لا يتطهرون ولا
يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات في . الزمخشري ، م ٤ ، ص ١٨٣
وذكر الامام الخازن : أن النجس الشيء القدر من الناس وغيرهم
وقيل النجس الشيء الخبيث . وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم
لأنجاسة العين . سموا نجسا على الذم ، لأن الفقهاء اتفقوا على
طهارة أبدانهم ، وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير . /
الخازن ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) آية : ٢٨

وعتادا من المشركين ، فقد كان لقريش نفوذ سياسى وأدبى ، وكانت هـى صاحبة الكلمة النافذة فى الشؤون الدينية . فحين أمر القرآن بمقاطعة المشركين وانهاء العقود والعهود معهم ، ومحاربتهم . تخرج وتخوف فريق من المؤمنين من ذلك ، لما كان لهم من النفوذ السابق الذكر فجاءت هذه الآية بأسلوب القصر عن طريق انما ، لتهون من شأن المشركين وتحقر من مكانتهم ، وبالغت فى تحقيرهم حيث قصرتهم على النجاسة فجعلتهم كأنهم النجاسة بعينها ، مبالغة فى وصفهم بها . قال الامام الزمخشري (أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها ، مبالغة فى وصفهم بها)^(١) وفى التحقير من شأنهم حض للمسلمين ، وتأليب لهم على قتال المشركين .

وبعد هذا التحقير والتهوين من أمرهم ، بهذا التعبير القسوى الحاسم فى الدلالة ، العميق التأثير فى النفوس . بالغ القرآن فى النهى عن تمكين المشركين من دخول المسجد ، بأن نهى عن اقترابهم (وانما نهى عن القرب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم ، وهو منزه عطاء " وقيل المراد به النهى عن الدخول مطلقا .)^(٢) .

— (إِنَّمَا النَّسِيءُ ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)^(٤) .

(١) الكشاف ، الزمخشري ، م ٤ ، ص ١٨٣
(٢) تفسير ابى السعود . م ٢ ، ج ٤ ، ص ٥٧
(٣) هو مصدر نساء ، اذا آخره نساء ، ونساء ونسيئا نحو حيس مس ومساسا وقرئ بقلب الهمزة ياء ، وتشديد الياء الاولى فيها . (أبو السعود ، م ٢ ج ٤ ، ص ٦٤) .

كانت الجاهلية تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها ، وكانت معائشهم من الغزو ، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية . فأخروا تحريم شهر الى شهر آخر ، فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر ، فاذا احتاجوا الى القتال أخروا التحريم الى ربيع الاول .
(حاشية الصاوى ، ج ٢ ، ص ١٤٨) .
(٤) آية : ٣٧

المقصور : النسيء

المقصور عليه : زيادة في الكفر .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر :

لما أراد المسلمون المضي في غزوة تبوك وجهاد الروم . وكان الأمر بالجهاد في شهر رجب ، وهو من الأشهر المحرمة - وفي هذا مدعاة لأن تقع الشبه في صدور البعض لاستحلال شهر رجب ، فالمسلمون يعلمون حرمة ، فكيف يجيزون الحرب فيه ؟

فردا وقلبا لهذه الشبهة ، جيء (بانما) لتبين لهم أن شهر رجب في ذلك العام (العام التاسع) ليس هو شهر رجب الحقيقي ، وانما هو جمادى الآخرة ، ولكنه كان شهر رجب اسما ، ونتج ذلك بسبب النسيء .

فجاءت انما لتحريم النسيء تحريما قاطعا ، بأن جعلت أمره ظاهرا معلوما ، ولشدة حرمة هذا الأمر ، لم يقصر النسيء على الكفر فقط ، بل قصر على التغلغل في الكفر والرسوخ فيه . وفي هذه المبالغة ذم وتحقيق وتوبيخ لمن داني هذا الأمر ، وتنفير النفوس المؤمنة ، وزجرها عن مقاربتة .

وجاء التحريم بأسلوب القصر عن طريق انما وتوكيده هذا التوكيد لأنه يمس أصلا من أصول العقيدة وهو التحليل والتحريم ، فكان في مجيئها تقرير حق التحليل والتحريم لله .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (١)

المقصور : الاستئذان

المقصور عليه : الذين لا يؤمنون

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

إذا كان الرسول والمؤمنون يعتقدون ، أن القوم الذين استأذنوا مؤمنين أما إذا حملنا القصر على أن المخاطب يعتقد ، أن الاستئذان قد يأتي من المؤمنين وغيرهم ، يكون من باب قصر الأفراد .

سر القصر :

لما استأنن المنافقون عن الخروج للجهاد في غزوة تبوك - وكانوا من أشرف قومهم وأكثرهم ثراء - أئذ لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن حلفوا له ، وأقسموا أنهم لو استطاعوا الخروج ، لفعلوا . (وَسَيَجْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) ، وقد كانت رغبة المسلمين شديدة في خروجهم لما امتازوا به من قوة النفوذ ، والسلطة ، والثراء ، وظنوا أن في خروجهم قوة لهم ، وذلك لجهلهم بحقيقتهم ، وظنهم أنهم مؤمنون ، وخاصة أن إئذ الرسول صلى الله عليه وسلم كان كالستار لهم في حجب حقيقتهم ولكن القرآن تعقبهم ، وكشف حقيقتهم بأبرع أسلوب وأوكد .

فجئء بإنما التي جعلت أمرهم ظاهراً معلوماً ، وحقرت من شأنهم بأن نفت عنهم صفة الايمان كلية ، لأن المؤمن الحق يعلم جزاء الجهاد ، وأنه أقصر طريق للوصول الى الجنة ، فلا يتلأأ في تلبية داعي الجهاد ، فالطريق لديه مضمونة ، وإنما يتقاعس المرتابون ، الذين لم يذوقوا حلاوة الايمان وفي اظهار أمرهم على هذا الوجه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم . على عدم خروجهم . ذكر ذلك الامام الزمخشري فقال : (هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه ، اذ لافائدة منه ولاصلحة) . (٢)

(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) . (١)

المقصود: ارادة الله

المقصور عليه: تعذيبهم

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

الخطاب في الآية (وان كان مختصا بالنبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين) . (٢)

كان بعض المسلمين يغبطون المنافقين على كثرة أموالهم وأولادهم ويجدون فيهم القوة والمنعة ، فحين اعتذروا عن الجهاد فى غزوة تبوك هبَّط هذا الاعتذار من عزيمة بعض المسلمين ، وذلك لجهلهم أو لابتغافهم وثانيا لجهلهم بأن هذه الأموال والأولاد إنما هى للعقاب والاستدراج . فجاءت إنما لتبرز هذا المجهول ، وتجعله كأنه أمر معلوم ، فأظهرت للمؤمنين أن كثرة الأموال والأولاد بالنسبة للمنافقين ، إنما هى لاستدراجهم والانتقام منهم . (فكثرة الأموال والأولاد سبب قوى فى زوال حب الله وحب الآخرة عن القلب ، وفى حصول حب الدنيا وشهواتها فى القلب ، فعند الموت كأن الانسان ينتقل من البستان الى السجن ، ومن مجالسة الأترباء والاحباء الى موضع الكربة والغربة ، فيعظم تألمه ، وتقوى حسرته ، ثم عند الحشر حلالها حساب ، وحرامها عقاب . فثبت أن كثرة الأموال والأولاد سبب لحصول العذاب فى الدنيا والآخرة .

(١) آية : ٥٥

(٢) الخازن ، ٢م ، ص ٢٣٥

فان قيل : هذا المعنى حاصل للكل فما الفائدة في تخصيص هؤلاء المنافقين بهذا العذاب . . قلنا : المنافقون مخصون بزيادات في هذا الباب ، أحدها أن الرجل اذا آمن بالله واليوم الآخر ، وعلم أنه خُلِقَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا فبهذا العلم يفتر حبه للدنيا ، وأما المنافق لما اعتقد أنه لاسعادة له الا في هذه الخيرات العاجلة ، عظمت رغبته فيها ، واشتد حبه لها ، وكانت الالام الحاصلة بسبب فواتها ، أكثر في حقه ، وتقوى عند قرب الموت ، وظهرت علاماته . فهذا النوع من العذاب حاصل لهم في الدنيا بسبب حب الأموال والأولاد . وثانيها : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكلفهم انفاق تلك الأموال في وجوه الخيرات ، ويكلفهم ارسال أموالهم الى الجهاد والغزو وذلك من عند الله ، وكانوا يعتقدون أن انفاق تلك الأموال ، تضيع لها من غير فائدة ، وأن تعريض أولادهم للقتل التزام لهذا المكروه الشديد من غير فائدة ، ولأنك أن هذا أشق على القلب جدا . فهذه الزيادة من التعذيب ، كانت حاصلة للمنافقين .

وثالثها : أنهم يبغضون محمدا عليه الصلاة والسلام بقلوبهم ، ثم كانوا يحتاجون الى بذل أموالهم وأولادهم ونفوسهم في خدمته ، ولأنك أن هذه الحالة شاقة شديدة .

ورابعها : أنهم كانوا خائفين ، من أن يفتضحوا ويظهر نفاقهم وكفرهم ظهورا تاما ، فيصيرون أمثال سائر أهل الحرب من الكفار ، وحينئذ يتعرض الرسول لهم بالقتل ، وسبب الأولاد ، ونهب الأموال ، وكلما نزلت آية خافوا من ظهور الفضيحة ، وكلما دعاهم الرسول خافوا من أنه ربما وقف على وجه من وجوه مكرهم وخبثهم ، وكل ذلك يوجب تألم القلب ، ومزيد العذاب .

وخامسها : أن كثيرا من المنافقين ، كان لهم أولاد أتقيا كحفظلة بن أبي عامر ، غسلته الملائكة ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي ، شهد بدرا ، وكان من الله بمكان ، وهم خلق كثير ، مبرثون عن النفاق وهم كانوا لا يرتضون طريقة آبائهم في النفاق ، ويقدحون فيهم ، ويعترضون عليهم ، والابن اذا صار هكذا ، عظم تأذي الأب به ، واستيحاشه منه ، فصار حصول هؤلاء الأولاد سببا لعذابه .. وكان كثرة الأموال والأولاد ، صارت سببا لحصول هذه الأحوال فثبت بهذه الوجوه أن كثرة أموالهم ، صارت سببا لمزيد العذاب في الدنيا في حقهم . (١)

وفي بيان حقيقتهم بهذا الألوب المؤكد ، ما يدعو المؤمنين الى احتقارهم ، والتقليل من شأنهم وازدراؤهم .

— إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ
قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . (٢)

المقصود: الصدقات

المقصود عليه: كونها مصروفة للفقراء والمساكين .. أي الأصناف الثمانية المذكورة .

قصر موصوف على صفة قصر افراد

ذكر في حاشية الجهل أن القصر في الآية (من قصر الموصوف على الصفة) وهذا أيضا ما ذكره الشيخ الصاوي ، وذلك على تقدير لفظ (مصروفة) ليتعلق

(١) الفخر الرازي . م ٨ ، ج ١٦ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) آية : ٦٠

به الجار والمجرور ، أى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية^(١)
وذكر الشيخ الجمل تعليلا لهذا التقدير ، (وقدره خاصا لدلالة السياق
عليه دلالة من قصر الموصوف على الصفة).^(٢)

سر القصر:

لما لمز الميناء فقون الرسول صلى الله عليه وسلم فى تقسيم الصدقات
واتهموه بعدم العدل جاءت الآية مصدرية بأسلوب القصر عن طريق إنماء ، وفى
ذلك (قصر لجنس الصدقات على الأضناف المعدودة ، وأنها مختصة بها ، لا
تتجاوزها الى غيرها . كأنه قيل انما هى لهم لا لغيرهم)^(٤)

كذلك ذكر الامام الجمل: (أى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها
لهؤلاء الثمانية ، لانتجاوز هذه الصفة الى أن تتصف بصرفها لغيرهم).^(٥)

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ، ج ٢ ، ص ١٥٤

(٢) حاشية الجمل ، ج ٢ ، ص ٢٩١

(٣) روى البخارى - ج ١٥ ، ص ٣٢٠ - عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم - يقسم قسما ، اذ جاءه
ذو الخويصر التميمى ، فقال: أعدل يا رسول الله . فقال (ويلك
أومن يعدل اذا لم أعدل ..) فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
اذن لى فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع
صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم فى الرمية ...
فنزلت فيهم (ومنهم من يلتمزك فى الصدقات).

(٤) الكشاف ، م ٤ ، ص ١٩٧

(٥) حاشية الجمل ، ج ٢ ، ص ٢٩١

والمح من هذا أنهم جعلوا القصر من قبيل القصر الحقيقي ، لأن النفي
فى قولهم ، وقع على جميع من عدا المقصور عليه .

ويبدو لى أن القصر هنا قصر افراد ، لأن المخاطبين كانوا يعتقدون
أن لهم حقا فى الصدقات ، كما أن لنيرهم حقا فيها . قال تعالى : (وَمِنْهُمْ
مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِيَّاهُمْ
يَسْخَطُونَ) (١) . فجاءت إنما لتثبت صرف الصدقات لهؤلاء الأضناف الثمانية
وتنفيها عن المخاطبين ، وجعلت هذه الأداة أمر الصدقات وكأنه ظاهر معلوم
لتأكيد تبرئة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتبين كذب المنافقين ، وتظهر
حقيقتهم .

وجعل الامام الفخر القصر هنا قصر افراد ، الا أنه جعل النفي بالنسبة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم . فقال : (اعلم أن المنافقين لما لمزوا
الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصدقات ، بين لهم أن مصرف الصدقات هؤلاء
ولا تعلق لى بها ، ولا آخذ لى نفسى نصيبا منها . فلم يبق لهم طعن فى الرسول
بسبب أخذ الصدقات) (٢)

— (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ^(٣) وَنَلْعَبُ^(٤) قُلْ أِبَالَهُ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (٤)

المقصور : كونهم
المقصور عليه : الخوض واللعب

(١) آية : ٥٨ (٢) الفخر الرازى . م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٠٢

(٣) قال الواحدى أصل الخوض الدخول فى مائع من الماء والطين ، ثم كثر
حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث وأذى . والمعنى أننا كنا نخوض ونلعب
فى الباطل من الكلام ، كما يخوض الزكب لقطع الطريق . فأجابهم الرسول
بقوله (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) .

(٤) آية : ٦٥

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

سر القصر:

ذكر في سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة ، كلها تدور حول أن المنافقين ذكروا كلاما فاسدا ، قصدوا منه الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم . قال الامام الفخر: (اعلم أنه لاجابة في معرفة هذه الآية الى هذه الروايات ، فانها تدل على أنهم ذكروا كلاما فاسدا على سبيل الطعن والاستهزاء . فلما أخبرهم الرسول بأنهم قالوا ذلك ، خافوا واعتذروا عنه : بأنا إنما قلنا ذلك على وجه اللعب لا على سبيل الجد . وذلك قولهم : انما كنا نخوض ونلعب ، أى ما قلنا ذلك الا لأجل اللعب ، وهذا يدل على أن كلمة (إنما) تفيد الحصر ، اذ لو لم يكن ذلك ، لم يلزم من كونهم لاعبين ، أن لا يكونوا مستهزئين ، فحينئذ لا يتم هذا العذر). (١)

وجي قولهم بإنما لبيان أنهم يقولون ان حصر فعلنا على الخوض واللعب أمر ظاهر وان حصرنا هذا على غير باب الجدمصية والضحك . ويحصر قولهم هذا في جملة القصر بقوله (قل) غير ملتفت الى اعتذارهم ، ناعياً عليهم جناياتهم (٢) وفي عدم الالتفات الى اعتذارهم زيادة توكيد ، في اثبات وقوع الاستهزاء منهم .

ذكر الامام الزمخشري (لم يعبأ باعتذارهم ، لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم ، وبأنه موجود منهم ، حتى وبخوا

(١) الفخر الرازي ، ٨٢ ، ج ١٦ ، ص ١٢٥ .

(٢) تفسير أبي السعود . م ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٩ - ٨٠ .

بأخطائهم موقع الاستهزاء ، حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقريـر
وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (١).

— (وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (٢)

قد سبق الحديث عن مثل هذه الآية في نفس هذه السورة (آية ٥٥) ،
ولكن هنا لا يمنع من أن نشير الى سبب تكرار هذه الآية ، وتكرار القصر
فيها ، والى بعض الاختلافات الجزئية في تركيبها .

وقد ذكر الامام الفخر الرازى أوجه الاختلاف فقال: (اعلم أن هذه
الآية قد سبق ذكرها بعينها في هذه السورة ، وذكرت ههنا . وقد حصل
التفاوت بينهما في ألفاظ : فأولها : في الآية المتقدمة ، قال: (فلا
تعجبك) بالفاء ، وههنا قال (ولا تعجبك) بالواو . وثانيها : أنه
قال هناك : (أموالهم ولا أولادهم) ، وههنا كلمة (لا) محذوفة .
وثالثها : أنه قال هناك : (انما يريد الله ليعذبهم) ، وههنا حذف اللام
وأبدلها بكلمة (ان) . ورابعها : أنه قال هناك : (في الحياة) ، وههنا
حذف لفظ الحياة ، وقال : (في الدنيا) . فقد حصل التفاوت بين هاتين
الآيتين من هذه الوجوه الأربعة ، فوجب علينا أن نذكر فوائد هذه الوجوه
الأربعة في التفاوت ، ثم نذكر فائدة هذا التكرير .

(أما المقام الأول) فنقول :

(أما النوع الأول) من التفاوت ، وهو أنه تعالى ذكر قوله (فلا تعجبك)
بالفاء في الآية الأولى ، وبالواو في الآية الثانية ، فالسبب أن في

(١) الكشاف . م ٤ ، ص ٢٠٠

(٢) آية : ٨٥

الآية الأولى انبأ ذكر هذه الآية بعد قوله (ولا ينفقون الا وهم كارهون)
وصفهم بكونهم كارهين للانفاق ، وانما كرهوا ذلك الانفاق لكونهم معجبين
بكثرة تلك الاموال فلهذا المعنى نهى الله عن ذلك الاعجاب بفاء التعقيب
فقال : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) ، وأما ههنا ، فلا تعلق لهذا
الكلام بما قبله ، فجاء بحرف الواو . (وأما النوع الثانى) : وهو أنه
تعالى قال فى الآية الأولى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) ، فالسبب
فيه أن مثل هذا الترتيب يبتدأ بالأدون ثم يترقى الى الأشرف ، فيقال
لا يعجبني أمر الأمير ، ولا أمر الوزير . وهنا يدل على أنه كان اعجاب أولئك
الأقوام بأولادهم ، فوق اعجابهم بأموالهم . وفى هذه الآية يدل على عدم
التفاوت بين الأمرين عندهم . (أما النوع الثالث) وهو أنه قال هناك :
(انما يريد الله ليعذبهم) ، وههنا قال : (انما يريد الله أن يعذبهم) ، فالفائدة
فيه التنبيه ، على أن التعليل فى أحكام الله محال ، وأنه أينما ورد
حرف التعليل فمعناه (أن) . كقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله) . أى
وما أمروا الا بأن يعبدوا الله .

(وأما النوع الرابع) : وهو أنه ذكر فى الآية الأولى : (فى الحياة
الدنيا) ، وههنا ذكر (فى الدنيا) ، وأسقط لفظ الحياة ، تنبيها على
أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى أنها لا تستحق أن تسمى حياة ، بل
يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا ، تنبيها على كمال دنائتها .
فهذه وجوه فى الفرق بين هذه الألفاظ ، والعالم بحقائق القرآن هو الله
تعالى .

(وأما المقام الثانى) وهو بيان حكمة التكرار ، فهو أن أشد
الأشياء جذبا للقلوب وجلبا للخواطر الى الاشتغال بالدنيا ، هو الاشتغال
بالأحوال والأولاد ، وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى ، الا
أنه لما كان أشد الأشياء فى المطلوبة والمرغوبة للرجل المؤمن هو

مغفرة الله تعالى لاجرم ، أعاد الله قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . فى سورة النساء مرتين ، وبالجملة فالإتكرار يكون لأجل التأكيد ، فهنا للمبالغة فى التحذير ، وفى آية المغفرة للمبالغة فى التفریح .

وقيل أيضا . انما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوما من المنافقين لهم أموال وأولاد فى وقت نزولها ، وأراد بهذه الآية أقواما آخرين ، والكلام الواحد اذا احتيج الى ذكره مع أقوام كثيرين فى أوقات مختلفة ، لم يكن ذكره مع بعضهم ، مغنيا عن ذكره مع الآخرين . (١)

— (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) . (٢)

المقصور: السبيل .

المقصور عليه: كونه على الذين يستأذنون الرسول وهم أغنياء .
قصر موصوف على صفة قصر قلب .

ذكر فى حاشية الجمل: أن هناك من ذكر أن (إنما) هنا للمبالغة فى التوكيد ، وليست للحصر . ثم جئ برأى السفاقي للرد على هذا القول : (وليس ثم ما يمنع أن تكون للحصر) . (٣) فما ذهب اليه السفاقي صحيح بل إن الحصر أقوى أساليب التوكيد .

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٥٥

(٢) آية : ٩٣

(٣) حاشية الجمل . ج ٢ ، ص ٣١

سر القصر:

جاء فقراء المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم ، تسبقهم الرغبة في الانصراف للجهاد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأذن لهم لعدم وجود ما يحملهم عليه ، فأصابهم الحزن الشديد ، وانصرفوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ، لأنهم لم يجدوا ما ينفقوه في الجهاد ، وظنوا أنهم حرموا الأجر ، وأن في عدم خروجهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ذنب . فجاء قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحِمْكُمْ عَلَيْهِ تَوْلَوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ) . (١)

ففي نفى العقاب والحرَج عنهم ، ووصفهم بالمحسنين ، ما يسكن روعهم ، وزيادة في تطمينهم ، والقاء السكينة في قلوبهم . جئ بإنما لتظهر المستحقين للعقاب ، فقصر العقاب على الذين يستأذنون وهم أغنياء وليس لهم عذر في هذا الاستئذان الا النفاق . وفي هذا القصر تحقير لهم واطهار لضعفهم وذنابهم ، حيث قعدوا عن الجهاد مع رضائهم بأن يكونوا مع المرضى والضعفاء من الشيوخ والأطفال . بعكس المؤمنين الذين تمنسوا الجهاد ، فلما فاتهم ذلك لعدم قدرتهم عليه ، حزنوا ، ولم يرضوا بذلك حتى طمأنهم القرآن ، وسكن روعهم .

وفي اظهار النقيض بهذا الأسلوب ، ما يطيب خاطرهم ويثبت لهم برايتهم من العقاب . وزيادة في التشجيع على هؤلاء المنافقين ، نفى عنهم العلم بالعواقب . فقال تعالى : (فهم لا يعلمون) ، " أبدا غائلة مارضوا به ما يستتبعه آجلا ، كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا) . (٢)

(١) آية : ٩١ - ٩٢

(٢) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٩٣

ومن الممكن أن يكون القصر في الآية قصر افراد ، لأن الصوم
الذين لا سبيل عليهم قد يجدون في انهم من التقصير والغايه عن نصره دين
الله بالمجاهده وان عليهم السبيل مع الذين يتأذنون وهم اغنيا .

* *

الفصل الثاني

آ - اسلوب بعض

و - اسلوب التقدیم

مع بیان

- نوع القصر فی کل آیه

- اسرار استعمال کل فی کل موضع

القصر عن طريق العطف ب (لا - بل - لكن) :

سبق أن ذكرت في الباب الأول شروط العطف ب (لا - بل - لكن) واختلاف العلماء في افادتها القصر .

ولقد بحثت في الثلث الأول من القرآن عن افادة كل اداة من هذه الادوات القصر - بحسب الشروط المذكوره سابقاً - .

فظهر لى :

١ - أن (لا) العاطفة لم تقع في هذا الثلث . وقد ذكر الامام السيوطى في الاتقان - عن (لا) - فقال (٠٠٠) و رابعها أن تكون عاطفة أو جوابية ولم يقع في القرآن (١) .

٢ - وأن (بل) العاطفة لمفرد على مفرد لم تقع ايضاً في هذا الثلث .

وقد ذكر ابن مالك أنها لم تقع في التنزيل الا عاطفة لجملة على جملة فقال : (وأما (بل) فلاضراب وحالها فيه مختلفة فان كان الواقع بعدها جملة - فهي للتنبيه على انتهاه غرض واستئناف غيره ولا تكون في القرآن الا على هذا الوجه (٢) .

٣ - وأن لكن العاطفة لمفرد على مفرد المسبوقة بنفى لم تقع كذلك في الثلث الاول من القرآن .

ولقد ذكر الدكتور محمد عبدالخالق عزيمة (٣) أنها لم تقع في القرآن فقال : (لكن الخيفة العاطفة للمفرد على مفرد لم تقع في القرآن) . (٤)

(١) الاتقان ، ج ١ ، ص ٢٢٣

(٢) شرح الكافية الشافية تحقيق عبدالمنعم احمد هريدي ، ج ٣ ص ١٢٣٣

(٣) من مواليد محافظة الغربية - مركز طنطا - مصر عام ١٩١٠ ، ابتعث الى مكة في أول بعثة أزهرية للمملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦م ، له عدة مؤلفات في مواضيع اللغة العربية منها : (المعنى في تصريف الافعال) ، (هادى الطريق الى نخائر التطبيق) ، (دراسات لاسلوب القرآن الكريم) وبه حاز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٣هـ ويعمل حالياً استاذاً في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض/ مجلة الفيصل موضوع (الحركة الثقافية في الوطن العربي) العدد (٧١) جمادى الاولى ١٤٠٣هـ ص ١٠

(٤) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ، ج ١ ، ص ٥٨٢

القصر عن طريق

التقديم

" الفاتحة "

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ)

لقد كثرت الخلاف حول (البسطة) هل هي آية مستقلة
في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت في أولها
أو أنها بعض آية من كل سورة أو أنها آية في الفاتحة دون غيرها
أو أنها آية كتبت للفصل بين السور .

واخترت ذكرها وبيان وجهة القصر فيها لأنها - وإن لم
تكن آية من الفاتحة فهي أول جملة ذكرت في القرآن ثم لتكرارها في
أول كل سورة .

واختلفوا في إفادتها للقصر ، لاختلافهم في متعلق الباء فذهب
نحاة البصرة ، إلى أن الباء متعلقة باسم تقديره ابتدائي مستقر أو
ثابت (بسم الله) ، وذهب نحاة الكوفة إلى أنها متعلقة بفعل تقديره
ابتدأت (بسم الله) (١) .

وذهب الامام الزمخشري (٢) وتبعه البيضاوي (٣) وأبو السعود (٤) ،

(١) المحرر الوجيز . ابن عطية ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٢٦ .

(٣) البيضاوي ، ج ١ ، ص ٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٨ .

والشوكاني (١) ، والجرجاني في حاشيته على الكشاف (٢) .
والشهاب في حاشيته على البيضاوي (٣) والسعد في مختصره (٤) وابن
يعقوب في مواهب الفتاح (٥) والدسوقي في شرحه على المختصر (٦)
الى أن متعلق الباء فعل تقديره : اقرأ ، أو أتلو ، وقدره مؤخرًا ،
لأن الذي يتلوه مقروء . وكذلك يُضْمَرُ كل فاعل ، ما يجعل التسمية
مبدأ له . وذلك أولى من أن يضرأبدأ ، لعدم وجود ما يطابقه
ويبدل عليه ، أو ابتدائي لزيادة اضمار فيه . وذكروا أن فائدة
التقديم الاختصاص . ورد أبو حيان على الزمخشري ومن ذهب مذهبه
بأن قدر الفعل مقدما وجعله (بدأت) ، ونفى كون تقديم المعمول
على العامل يفيد الحصر ، واستدل بقول سيويه فقال : (وقدره
الزمخشري فعلا غير بدأت وجعله متأخرًا ، قال تقديره بسم الله
أقرأ أو أتلو ان الذي يجيء بعد التسمية مقروء ، والتقديم على
العامل عنده يوجب الاختصاص .

-
- (١) فتح القدير ، م ١ ، ص ١٧ .
 - (٢) حاشية الجرجاني على الكشاف ، م ١ ، ص ٢٩ .
 - (٣) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٣٦ .
 - (٤) شروح التلخيص ، مختصر السعد ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
 - (٥) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
 - (٦) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي ج ٢ ، ص ١٥٥ .

وليس كما زعم قال سيبويه : وقد تكلم على ضربت زيدا ما نصه
وإذا قَدِّمَتِ الاسم ، فهو عربى جيد ، كما كان ذلك يعنى تأخيره عربيا
جيذا ، وذلك قولك زيدا ضربت . والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير
سواء ، مثله فى ضرب زيد عمرا ، وضرب زيدا عمرو ، انتهى (١)
فالتقديم عند أبى حيان يفيد الاهتمام ، وكذلك عند الامام الألويسى
حيث قدره مقدما (٢) وردَّ الشهاب على من قال بمثل هذا القول :
بأن مقاله الامام عبد القاهر من أنهم لم يعتمدوا فى التقديم شيئا
يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام .

ونقله عن سيبويه ليس لإبطال افادته الحصر كما توهم ابن العاجب وأبو
حيان - بل اشارة الى أن العناية أمر كل مجمل .

-
- (١) ذكر أبو حيان : أن هذا قول سيبويه نصا ولقد رجعت الى الكتاب فوجدت
أن هناك فرقا بسيطا من جهة اللفظ بين النص الذى ذكره أبو حيان ، والنص
الموجود فى - الكتاب - قال سيبويه : (وإن قَدِّمَتِ الاسم فهو عربى
جيد كما كان ذلك عربيا جيذا ، وذلك قولك : زيدا ضربت . والاهتمام ،
والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء ، مثله فى ضرب زيد عمرا ، وضرب
عمرا زيد . / الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ص ٨٠ - ٨١ .
(٢) روح المعانى . ج ١ ، ص ٥٠ .

لا يسد له من وجه كالتعظيم والاختصاص . (١)

ويبدولى أنه لا تراحم بين المقتضيات ، فقد يُفيد التقديم
القصر مع افادته الاهتمام . وهذا ما ذكره الامام أبو السعود
فقال (وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما فى
اياك نعبد) (٢) .

وذكر الامام الألوسى أن فى الآية تخصيصا ولكنه ليس عن طريق
التقديم ، فقال : (واذا قدرنا العامل مقدا كما هو الأصل ، أمنا من
المحذور ويحصل اختصاص أيضا ، إن كأنه قيل مثلا : اقرأ مستعينا
أو متبركا باسم الله الرحمن الرحيم ، لأنه الرحمن الرحيم . وانتفاء
العلة يستلزم انتفاء المعلول فى المقام الخطابى اذا لم تظهر علة
أخرى فيفيد الاختصاص لا سيما عند
القائل بمفهوم الصفة ، فيشعر بأن من لم يتصف بذلك
خارج عن الدائرة ، والاقتصار هنا ليس كالاقتصار هناك) (٣) .
ويبدولى أن التخصيص يستفاد من تقديم المعمول كما ذكر سابقا .

(١) حاشية الشهاب . ج ١ ، ص ٣٦ .

(٢) تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٥٠ .

سر القصر :

كان المشركون يبدأون بأسماء آلهتهم ، فيقولون باسم اللات باسم
العزة ، وكان التقديم منهم لمجرد الاهتمام الناشئ من قصد
التبرك والتعظيم ، لالاختصاص . ان أنهم لم ينفخوا التبرك
به تعالى ، بل كانوا يتبركون به أيضا فوجب على الموحدين أن يقصد
بعبارة التخصيص ، لقطع شركة الأصنام كي لا يتوهم منه تجويز الابتداء
بأسمها فيكون قصر افراد (١) .

وذكر الدسوقي أن (. .) تخصيص الموحدين اسم الله بالابتداء للرد
عليهم من باب قصر القلب لأنه لرد الخطأ في التعيين ، ان كان
الكفار قاصدين بقولهم باسم اللات والعزة أى لاغير ذلك . وان أرادوا
باسم اللات والعزة لتقربنا الى الله ، كانوا معتقدين للشركة فيكون
القصر العباد بالتقديم في باسم الله لرد الخطأ في الشركة وهو قصر
افراد (٢) .

ونذهب السعد وابن يعقوب الى أنه قصر افراد ، ولم يذكروا وجه
كونه قصر قلب (٣) .

-
- (١) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٢٦ / حاشية الجرجاني ، ص ٢٩ .
 - (٢) شروح التلخيص . حاشية الدسوقي . ج ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
 - (٣) انظر شروح التلخيص ، مختصر السعد / مواهب الفتاح . ج ٢
ص ١٥٥ .

وهى الامام الشهاب أنه قصر حقيقى فبعد أن أورد كلام
القائلين بقصر القلب والافراد ، قال : (وأنا أقول) ليت شعرى
ماداعى لما ارتكبه من التكاليف مع امكان جعله قصرا حقيقيا ولو ادعانا
حتى لا يحتاج فيه الى مخاطب ، ولا الى اعتقاده . فمراد الموحد
التبرك فى افعاله باسم الله ، لا اسم غيره ، وهو يتضمن الرد
على المشركين ، فايك من الوقوف فى حضيض التقليد اذا أمكنك
الصعود لقصر التحقيق المشيد . . . (١) .

والمقصود فى الآية أتلو أو اقرأ .
المقصود عليه اسم الله .

(١) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٣٦ .

الفاحة

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (١)

- ذهب أئمة التفسير وطى رأسهم الزمخشري (٢) . وتبعه الفخر (٣) .
- والبيضاوى (٤) . وأبو السعود (٥) والشوكاني (٦) .
- والألوسى (٧) .

أن التقديم فى الآية مفيد للاختصاص . قال الزمخشري :

(. . .) وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، كقوله تعالى - قل أغير الله تأمرونى أعبد - قل أغير الله أبغى ربا - والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونه) (٨) ، وبمثل هذا قال سُرَّاح التلخيص حيث استدلوا على افادة القصر بقول أئمة التفسير ، فذكر الدسوقي أن (. .) التقديم للاختصاص ، وإنما كان كلام الأئمة فى تفسير الآيتين دليلا على أن التقديم مفيد للاختصاص ، لأنه لم يوجد فى الآيتين من آلات الحصر الا التقديم ، وقد قالوا معنى الآيتين كذا ، فلو كان الاختصاص من مجرد ما علم من خارج وأن التقديم لمجرد الاهتمام كما قيل :

(١) آية : ٥

(٢) الكشاف ، م ١ ، ص ٦٠ .

(٣) الفخر الرازى ، م ١ ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤) البيضاوى ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٥) تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ١٧ .

(٦) فتح القدير ، م ١ ، ص ٢٢ .

(٧) روح المعانى ج ١ ، ص ٨٧ .

(٨) الكشاف ، م ٢٥١ ، ص ٦١ - ٦٢ .

لم يناسب أن يقال : أن معنى الآيتين كذا ، بل يقال وأستفيد ما
تقرر من خارج ، أن لا عبادة ، وأن لا استعانه لغيره (١)
وزهب الامام ابن عطيه ، الى أن : تقديم المفعول هنا للاهتمام
فقال (وَقَدَّمَ المفعول على الفعل اهتماما ، وشأن العرب تقديم
الأهم . ويُذكَرُ أن عربيا سب آخر ، فأعرض السبب عنه ، فقال
له الساب : اياك أعني فقال الآخر له وعنك أعرض . فَقَدَّمَا
الأهم (٢) .

والى مثل هذا ذهب الامام أبو حيان ، وذكر أن الزمخشري
زعم أنه : لا يُقَدَّمُ المفعول على العامل الا للتخصيص . فكأنه قال
مانعيد الا اياك . ورد عليه بقول الأعرابي السابق الذكر يقول سيويه (٣)
فقال : (إِنَّمَا مفعول مقدم ، والزمخشري يزعم : أنه لا يُقَدَّمُ على
العامل الا للتخصيص فكأنه قال : مانعيد الا اياك . وقد تقدم الرد
عليه في تقديره : بسم الله أتلو ، وذكر (٤) مانص سيويه هناك
فالتقديم عندنا انما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول (٥) ويترجح
عندي ما قاله الشهاب أنه ليس في كلام الامام الزمخشري ما ينافي كون

(١) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي ج ، ص .

(٢) المحرر الوجيز ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣) سبق ذكره في تفسير باسم الله .

(٤) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٥) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

التقديم يفيد الاهتمام . وكذلك قول سيبويه ليس فيه ما ينافي كون التقديم يفيد الاختصاص ، فلا تعارض بين قوليهما (١) . ويظهر لى أن فى قول الأعرابيين ما يدل على افادة الحصر ، لأن الأعرابى حين رأى صاحبه معرضاً عنه ، قدم الضمير (إِيَّاكَ) لتخصيصه دون غيره بالشتم والسبأى لا أشتم سواك وفى اجابة الآخر تخصيص ، أى أعرض عنك لا عن سواك (٢) . والزمخشري لا يوجب ارادة الحصر كما زعم أبو حيان ، فنراه أحياناً يسكت عن دلالة تقديم المفعول على الاختصاص ، ويكتفى بذكر الأهمية (٣) . كما فى قوله : (أَفَقَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْنُونَ) (٤) ، اذ يقول فيها : (وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ دِينِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ لِأَنَّهُ أَهَمُّ ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْإِنْكَارَ الَّذِي هُوَ مَعْنَى الْهَمْزِ - مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْمَعْبُودِ بِالْبَاطِلِ) (٥) .

أما ابن الأثير ، والعلوى فى «الطراز» فقد فهما أن الامام الزمخشري يقول بلزوم التقديم للاختصاص ، ورأى ابن الأثير : أن التقديم فى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، إنما هو لحسن النظم ، (لأنه لو قال نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ) فجاء بمسند ذلك

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٣) وقولى هذا ما هو الا تأييد لرأى الدكتور محمد أبو موسى فى كتابه البلاغة

القرآنية عند الزمخشري . ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٤) آل عمران ، بعض آية : ٨٣ .

(٥) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٤٢ - ٤٤٤ .

بقوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، وذاك لمرعاة
حسن النظم السجعي ، الذي هو على حرف النون . ولو قال : نعبدك
ونستعينك . لذهبت تلك الطلاوة ، وزال ذلك الحسن (١) . وذكر
ابن السبكي أن هذا استدلال ضعيف لأن (مخلصا له الدين) .
أغنى عن ارادة الحصر في الآية الأولى (٢) .

ويبدو لى أنه لا تراحم بين المقتضيات ، ولا تضارب بين
النكات . فالتقديم قد يفيد مع الاختصاص الاهتمام . وقد ذكرت رأى
علماء البلاغة في ذلك في الباب الأول عند الحديث عن التقديم
ففي الآية اسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق التقديم .

الأول في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) .

المقصود : المعبود .

المقصود عليه : إياك .

وهو قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا تحقيقيا . فالقصر هنا (لا
يستدعى رد خطأ المخاطب ، والمقصود منه التبرئة عن الشرك والتعريض
بالمشركين ، وتقديم ما هو مقدم في الوجود فإنه تعالى مقدم على
العابد والعبادة ذاتا . فقُدِّم وضعا ليوافق الوضع بالطبع (٣) .

(١) المثل السائر ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٣) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٨٢ .

والقصر الثاني في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

المقصور : الْمُسْتَعَانُ .

المقصور عليه : اِيَاكَ .

قصر صفه على موصوف قصرًا حقيقيا ، فيه مبالغة .

لأن العبد قد يستعين في بعض المهمات التي تكون في مقدور

الخلق - بالخلق . فأكد القصر عن طريق المبالغة ، أن الاستعانة

بالخلق لا تساوى شيئا أمام الاستعانة بالله .

سر القصر :

لما كانت العبادة عبارة عن نهاية التعظيم والتقدير، وهي

لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام .

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى لنفسه في الآيات السابقة - خمس

صفات هي (الله - الرب - الرحمن - الرحيم و مالك يوم الدين) ، وللعبد

أحوال ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ، فالعبد انتقل من العدم

الى الوجود ومن الموت الى الحياة ومن العجز الى القدرة ، ومن

الجهل الى العلم . كل ذلك بعلم الله وقدرته الأزلية ، نقله من

العدم فهو له لهذا المعنى وأما الحال الحاضرة للعبد

فحاجته شديدة ، لأنه كلما كان معدوما كان محتاجا الى الرب -

الرحمن الرحيم . أما الحالة المستقبلية للعبد فهي حال ما بعد

الموت والصفة المتعلقة بتلك الحالة ، هي قوله مالك يوم الدين

فصارت هذه الصفات الخمس من صفات الله تعالى - متعلقة بهذه

الأحوال الثلاثة للعبد ، فظهر أن جميع مصالح العبد في
الماضي والحاضر والمستقبل لا تتم ولا تكتمل الا بالله وفضله
واحسانه فلما كان الأمر كذلك ، وجب أن لا يشتغل العبد بعبادة
شيء الا بعبادة الله تعالى .

ولذا وجب اختصاص العبادة والاستعانة بالله وحده دون
غيره . ولأن في العبودية مذلة ومهانة ، الا أنه كلما كان المولى -
أشرف وأعلى ، كانت العبودية به أهناً وأمراً . ولما كان الله
تعالى أشرف الموجودات وأعلاها فكانت عبوديته أولى من عبودية
غيره وعلمه ، أكمل من علم غيره ، ووجوده أفضل من وجود غيره
فوجب القطع بأن عبوديته أولى من عبودية غيره وأنه الحقيق بأن يخص
بالعبادة والاستعانة (١) .

وقيل اياك نعبد واياك نستعين ، بدل واياه نعبد ، عن طريق
الالتفات تطريه لنشاط السامع وايقاظا لاهتمامه لأنه لما ذكر
أن الله حقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق
المعلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة
في المهمات . فخطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : اياك
يا من هذه صفاته ، نخص بالعبادة والاستعانة (٢) .

(١) انظر الفخر الرازي ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢) الكشف ، م ١ ، ص ٦٠ .

ولأنه لو قيل إياه نعبد وإياه نستعين . كما يقتضيه سياق الكلام بظاهرة ، لم يكن فيه دلالة على أن العبادة له ، والاستعانة به ، لأجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه ، وتميزه به عن غيره لأن ذلك الضمير راجع إلى ذاته بمقتضى وصفه ، وليس فيه ملاحظة لصفاته ، وإن كان متصفاً بها . فالحكم متعلق بالذات فلا يفهم منه سبباً عرفاً . وإذا قيل إياك بدل إياه ، فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة الموجبة لتمييزه وانكشافه حتى صار كأنه يتبدل خفاً غيبته ، بجلاء حضوره - منزلة المخاطب في التمييز والظهور ، ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب . ففي إطلاقه عليه ملاحظة لأوصافه ، التي جعلته كالمخاطب ، فصار الحكم مرتباً على الوصف المناسب ، بمنزلة أن يقال : أيها الموصوف المتميز نعبدك ونستعينك غيبتبار منه في المعارف ، أن العبادة والاستعانة لتمييزه بتلك الصفات . . . (١) (٠ .

وكسر الضمير المنصوب (إِيَّاكَ) للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة . ولا يبراز الاستلذاذ بالمناجاة والمخاطب (٢) .

(١) الكشاف ، حاشية الجرجاني م ١ ، ص ٦٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ١ ، ص ١٧ .

سورة البقرة

— (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ) (١)

فى الآية الكريمة أسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق التقديم
فالأول عن طريق تقديم بعض متعلقات الفعل عليه ، فقدّم الجار
والمجرور على عامله ، فى قوله (وبآخرة) .

والثانى عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلى .

فالمقصور فى الأسلوب الأول : الايقان (يوقنون) .

والمقصور عليه الآخره . قصر صفة على موصوف. والمقصور فى

الأسلوب الثانى : الايقان (يوقنون) .

والمقصور عليه : هم .

وهو من قصر الصفة على الموصوف .

واختلف فى نوع القصر فى هذه الآية هل هو من قبيل القصر الاضافى
أو الحقيقى ؟ . ونشأ هذا الخلاف من الاختلاف فى المقصودين بهذه

الآية . فذهب الامام البيضاوى الى أن المقصودين فى الآية مؤمنو

أهل الكتاب ، فقصر الايقان عليهم ، ونفاه عن بقية أهل الكتاب .

فيكون القصر بذلك قصرا اضافيا قصرا افراد .

جاء فى أنوار التنزيل (وبآخرة هُمْ يُوقِنُونَ) ، أى يوقنون ايقانا ،

زال معه ما كانوا عليه ، من أن الجنة لا يدخلها الا من كان

هوذا أو نصارا وأن النار لن تسهم الا أياما معدودة . . (٢)

(١) آية : ٤

(٢) البيضاوى ج١ ، ص ٦١ .

وعلق الامام الشهاب في حاشيته على البيضاوى : (هذا بناء على ما رجحه من تفسير الوصول الثانى بمؤمنى أهل الكتاب - خاصة، وما ذكره يفهم من قصر الايمان بالآخرة عليهم ، مع أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالآخرة ، فلولم يخص بما ذكر بطل الحصر(١))

وعلق الامام الكازرونى فى حاشيته على البيضاوى بقوله :
(واعلم أن قوله تعالى : وبالآخرة هم يوقنون ، يدل على حصر الايقان بالآخرة ، على مؤمنى أهل الكتاب . على تقدير أن يكون المراد من الذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك أهل الكتاب . فاما أن يكون الحصر باعتبار تفسير الايقان بالايقان الخاص المذكور ، فيكون الحصر بالنسبة الى من سواهم مطلقا فيكون حقيقيا ، فيكون قوله من أهل الكتاب مستدركا . بل موهبا لخلاف الواقع . واما أن يكون الحصر بالاضافة الى من سواهم من أهل الكتاب ، ويكون المراد من الإيقان بالآخرة مطلقه . لکن تفسيره الايقان بما ذكر ، يفيد أن القصر حقيقى ، لأن التفسير المذكور مخصوص بمؤمنيهم ، لا يوجد غيرهم مطلقا ، ويمكن أن يقال أن قوله تعريضا ، يفيد أن الحصر الاضافى مقصود ، وان كان القصر الحقيقى حاصلا ولا يخفى أن التعريضا بمن سواهم من أهل الكتاب ، انما يتجه اذا كان المراد من الذين يؤمنون بما أنزل

(١) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

اليك ، مؤمنى أهل الكتاب . وأما اذا كان المراد مطلق المؤمنين
كان تعريضا بين سواهم مطلقا .. (١) .

وزهب الامام الطبرى الى أن المقصود بالمؤمنين مؤمنو أمة
محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : (وأما الذى وصف الله جل
ثناؤه به المؤمنين بما أنزل الى نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وما أنزل الى من قبله من المرسلين ، من ايقانهم به
من أمر الآخرة ، فهو ايقانهم بما كان المشركون به جاehدين
من البعث والنشر ، والثواب والعقاب ، والحساب والميزان وغير ذلك
مما أعد الله لخلقه يوم القيامة) (٢) .

فاذا كان المقصود مؤمنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم يكون
نفس الايقان متوجها الى جميع من عداهم من أهل الكتاب فيكون
القصر قصرا حقيقيا ، فيه مبالغة . لأن أهل الكتاب وان كانوا ،
يؤمنون بالآخرة ، إلا أن ايمانهم لا يُعتد به بجانب ايمان أمة
محمد صلى الله عليه وسلم فهم لا يتعدون حقيقة الآخرة الى
خلافها .

واختلَفَ في سر التقديم فى الآية فذهب بعض المفسرين الى أن
سر تقديم الجار والمجرور ، هو الاهتمام . ذكر فى حاشية الجمل
(. . . وقُدِّم المجرور للاهتمام به . . .) (٣)

(١) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ج ١ ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) الطبرى ، ج ١٣ ، ص ٨٢ .

(٣) حاشية الجمل ، ج ١ ، ص ١٣ .

والى مثل هذا ذهب الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار الذى
أن التقديم للاهتمام وتقدّم الضمير للتوكيد . الا أنه يفهم
من كلامه أن التقديم مفيد للحصر . قال : (وأكد الايقان بالآخرة
بقوله "هم" اهتماماً بشأنه وليبين أن الايقان بالآخرة خاصة
من خواص الذين آمنوا بالقرآن وما أنزل قبله من الكتب ، لا يشركهم
فيه سواهم) (١)

فعبارة الآخرة تدل على ارادة الحصر . وقد ذهب كثير من
المفسرين السوان سر القصر فى الآية ، هو التعريض بزم الكفار
لأنهم ادعوا لأنفسهم المعرفة بحقيقة الآخرة ، وأنها خاصة
بهم فالسورة (من أولها ، وان كانت الآيات التى فى أولها من نعت
المؤمنين ، تعريض من الله عز وجل بزم الكفار . أهل الكتاب الذين
زعموا أنهم بما جاءت به رسل الله عز وجل ، الذين كانوا قبل
محمد صلوات الله عليهم و عليه ، صدقون ، وهم بمحمد عليه
السلام مكذبون ، ولما جاء به من التنزيل جاحدون ، ويدعون
مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون ، وأنه لن يدخل الجنة
الا من كان هوداً أو نصارى فأكذب الله جل ثناؤه ذلك ، ممن
قيلهم بقوله (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينقون والذين يؤمنون
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) (٢) .

(١) المنار ، م ١ ، ص ١٣٥ .

(٢) الطبرى ، ١٣ ، ص ٨٢ .

والى مثل هذا القول ذهب الامام الزمخشري فقال : (وفى تقديم
الآخرة ، وبناء يوقنون على " هم " تعريض بأهل الكتاب ، وما
كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم
ليس بصنادير عن ايقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن ، بما أنزل
اليك وما أنزل من قبلك . . .) (١) .

وزاد الامام الجرجاني فى حاشيته على الكشاف فى شرح سر
القصر فذكر ، أن فى الآية تقديمين ، الأول تقديم الظرف
الذى هو بالآخرة أى ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها
الى خلاف حقيقتها ، وفى ذلك تعريض بأن ما عليه مقابلوهم ليس
من حقيقة الآخرة فى شىء كأنه قال يوقنون بالآخرة لا بغيرها
كأهل الكتاب) (٢) .

وزهد الامام الشوكاني الى أن التقديم مشعر بالحصر ،
ويفهم من كلامه أن القصر فى الآية لا يفيد التعريض ، حيث جعل
المؤمنين مقصورين على الايقان بالآخرة ، وأن ما عدا هذا الأمر
ليس بمستأهل للايقان فقال : (وفى تقديم الظرف مع بناء
الفعل على الضمير المذكور ، اشعار بالحصر ، وأن ما عدا هذا
الأمر الذى هو أساس الايمان ورأسه ، ليس بمستأهل للايقان
والقطع بوقوعه) (٣) .

(١) الكشاف ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) الكشاف حاشية الجرجاني ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٣) فتح القدير ، ج ١ ، ص ٣٦ .

ومن قبل قيل بهذا الذي ذهب اليه الشوكاني ، ورده الشهاب
فقال : (فان قلت هذا التقديم يفيد أنهم مؤمنون بالآخرة لا بغيرها
وهو غير صحيح هنا ، ولا يفيد التعريض المراد . قلت المراد بغير
الآخرة ، المنفى عنهم ايمانهم بالآخرة التي يزمها أهل الكتاب
فالمعنى أن ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها الى
ما هو خلاف حقيقتها . ففيه تعريض بأن ما عليه مقابلوهم ، ليس من
حقيقة الآخرة في شيء ، كأنه قيل يوقنون بالآخرة لا بخلافها ،
كبقية أهل الكتاب . الثاني تقديم السند اليه الذي أخبر عنه -
بجملة يوقنون ، وهو يفيد التخصيص . وأن الايقان بالآخرة منحصر
فيهم ، لا يتجاوزهم الى أهل الكتاب ، وفيه تعريض بأن اعتقادهم
في الآخرة جهل محض ، وتخيل فارغ ، فان الضمير المقدم أو المزيد
المنفى يأتي لفائدة الحصر وقد يأتي للتقوى أيضا ، كما
حُقِّق في المعاني . ففي النظم قصران وتعريضان لا قصر واحد
كما قيل . (١) .

وقد ذكر الامام الالوسي أن من سر الحصر هنا اظهار كمال
المدوح ، فقال : (ذكر المعاد الجسماني وانما ذكر في كتب
حزقيل وشعيا ، والمذكور في الانجيل انما هو المعاد الروحاني
فناسب أن يقرب هذا الأمر المهم الغريب ، الذي حارت عقول
الكثيرين في اثباته ، وتهافتوا على انكاره ، تهافت الفراش على النار

(١) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

بالايقان وهو اظهارا لكمال المدح ، وابداء لغاية الثناء
وتقديم المجرور للاشارة الى أن ايقانهم مقصور على حقيقة
الآخرة ، لا يتعداها الى خلاف حقيقتها ، مما يزعمه اليهود
مثلا حيث قالوا (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) وزعموا
أنهم يتلذذون بالنسيم والأرواح ، إذ ليس ذلك من الآخرة فى شئ ،
وفى بناء يوقنون على "هم" اشارة الى أن اعتقاد مقابلهم فى
الآخرة ، جهل محض وتخيل فارغ ، وليسوا من اليقين فى ظل
ولا فى (١) .

وقد أورد ابن السبكي فى عروس الأفراح ، أن الآية لا تشعر
بالحصر ، بناء على رأيه من أن تقديم المعمول لا يفيد الحصر
فبعد أن أورد قول الزمخشري السابق الذكر (٢) طق بقوله
(وهذا الذى قاله الزمخشري فى غاية الحسن . وقد اعترض
بعض الناس عليه ، فقال تقديم الآخرة ، أفاد أن ايقانهم مقصور
على أنه ايقان بالآخرة لا بغيرها ، وهذا الذى قاله هذا
القائل ، بناء على فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر

(١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

وليس كذلك لما بيناه ، ثم قال هذا القائل وتقديم " هم " أفاد أن هذا القصر مختص بهم ، فيكون ايقان غيرهم بالآخرة ايماننا بغيرها ، حيث قالوا لن يدخل ، ولن تمسنا ، وهذا من هذا القائل ، استمرار على ما في ذهنه من الحصر : أى أن المسلمين لا يوقنون الا بالآخرة وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها وهذا فهم عجيب ، ثم قال هذا القائل ؛

ثم أن التعريف في قوله (١) (بأهل الكتاب وما كانوا) وأن قولهم ظاهر بمعنى قول الزمخشري ، قال هذا القائل : وأما في قوله : (وأن اليقين) مشكل لأنه ليس فيه تعريف بأن اليقين ما عليه من آمن بل تصريح ، قلت مراد الزمخشري : أن التصريح بأن من آمن يوقنون ، تعريف بأن أهل الكتاب لا يوقنون ، فكيف يرد عليه هذا ؟ ثم قال هذا القائل : فالوجه أن يقال : وان - اليقين عطف على قوله تعريف ، لا على معمولاته من بأهل - الكتاب الخ .

وكأنه قال : وفي تقديم الآخرة وينا " يوقنون على هم تعريف وأن اليقين قلت مراد الزمخشري : أنه تعريف بنفسه اليقين عن أهل الكتاب ، فكأنه قال دون غير من آمن ، فلا يرد عليه ، ولا يحتاج الى تقدير العطف على ما ذكره هذا القائل وهو ما أن يقدر دون غيرهم أو لا . فان قدر فهو تعريف لا تصريح وان لم يقدر فلا يحتاج الى بنا " يوقنون على هم : فحتم كلام الزمخشري على ما زعمه هذا القائل لا يصح بوجه من الوجوه ، وهذا القائل فاضل وانما ألجأ الى ذلك فهمه الحصر ، وهو ممنوع . (٢) .

(١) أى الزمخشري .

(٢) شرح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١) .

ذكر الامام الشهاب أن التقديم في قوله تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ... قد يفيد الاختصاص ، فقال :
(... قُدِّمَ الخبر استحسانا لأن المبتدأ نكره موصوفه ، ولو أُخِّرَ جازك (أجل سعى عنده) .
ويجوز أن يكون التقديم مفيدا للتخصيص (٢) .
وكذلك ذكر الامام الألويسي ، كون التقديم هنا مفيدا للاختصاص (٣)

فالمقصور في الآية : العذاب .

المقصور عليه : كونه لهم .

أى أن العذاب مقصور على كونه عليهم دون غيرهم . وهو قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيقيا ، لأن الله سبحانه تعالى يعذب الكفار ، ويعذب غيرهم من المنافقين والعصاة من المسلمين ، ولكن لشدة خطرهم ، وتعالمهم عن الحق مع وضوح الحجج أمامهم وسماهم لصوت النذير . نفى العذاب العظيم عن كل من عداهم ، وقصره عليهم ، مبالغة في تعذيبهم وتقبيح أفعالهم ووصف العذاب ، بأنه عظيم ونكر المبتدأ ،

(١) آية : ٧ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) روح المعاني ، ج ١ ص ١٣٧ .

(لتأكيد ما يفيد التنكير من التغميم ، والتهويل والمبالغة في ذلك ، والمعنى أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة ، خارجا مما يتعارفه الناس ، وهي غشاوة التعام عن الآيات ، ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته الفهم ، انا نعوذ بك من ذلك يا أرحم الراحمين) (١)

ويجوز أن يكون القصر في الآية قصر قلب ، لمن قد يتوهم عدم استحقاقهم العقاب على كفرهم ، لأنه بختم الله وتغشيته (٢) فجسء بالقصر ، لقلب ذلك التوهم والاعتقاد .

فالسرف في تخصيصهم بهذا العذاب دون غيرهم ، هو التهويل لما يستحقونه . أي أن ما يستحقونه من القتل والأسرف في الدنيا والعذاب الدائم في الآخرة ، مخصوص بهم ، فلا يعذب عذابهم أحد ، ولا يوثق وثاقهم أحد .

ويبدو لى أن التقديم في قوله تعالى : (وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) يفيد الاهتمام ، لأنه لما كانت الأبصار هي محل رؤية دلائل الوجدانيه ، وكان التعجب من عدم التفاتها الى هذه المرثيات كانت محلا للاهتمام بها ، واطهارها بالتقديم .

(١) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۗ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ) (١) .

جاء التقديم في الآية عن طريق تقديم المسند اليه (الاسم الظاهر)
على المسند الفعلي المصبت ، فهو يفيد تقوى الحكم ويفيد أيضا قصر
المسند على المسند اليه ، على الظاهر من كلام الامام عبد القاهر
وذكر الامام الشهاب أن الامام البيضاوي يرى أن بناء الفعل على
المبتدأ مطلقا يفيد الاختصاص فقال : (وفيه أن الله عز
وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، تنبيها على ما هو
مدلول الكلام ، من أن بناء الفعل على المبتدأ مطلقا عنده للاختصاص
ودل بقوله ولا يحوج المؤمنين أن يمارضوهم باستهزاء مثله . على
أن الحصر بالقياس اليهم ، أي هو المستهزئ دون المؤمنين .

لا يقال الاستهزاء بمعنى السخرية ، لا يتصور منه تعالى ، وبالمعنى المراد من انزال الهوان والذل ، لا يتصور من المؤمنين فكيف يتصور العصر . لانا نقول معناه : أنه تعالى يتولى الاستهزاء - بالمعنى الذى يليق به ، ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذى يليق بهم ويمائل استهزاء المنافقين (١) .

والمقصور فى الآية : الاستهزاء بهم .
والمقصور عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصر اضافة قصر قلب .
حيث قصر الاستهزاء بهم على الله ، لا يتعداه الى المؤمنين .

سر القصر :

لقد ذكر الامام الكازرونى أن تقديم الاسم على الخبر الفعلى ، جاء لسرين بلاغيين عظيمين .
الأول : للتنبيه على أن الاستهزاء بالمنافقين ، هو الاستهزاء الأبلغ ، الذى لا اعتداد به باستهزائهم ، لصدوره ممن يضمحل عنهم وقدرتهم فى جنب علمه وقدرته .
والثانى : الدلالة على أن الله تعالى يكفى مؤونة عباده المؤمنين وينتقم لهم ، ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين تعظيما لشأنهم

(١) حاشية الشهاب ج ١ ، ص ٣٤٨ .

فهذه الأسرار تُفهم من تخصيص لفظ الله تعالى بالذكر وتصديره

وليس من الاستئناف فقط (١) .

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

تَرْجَعُونَ) (٢) .

القصور : ارجاعهم .

القصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

سر القصر :

لما كان المشركون يكفرون بالبعث والحشر جاء تثبت هذه

الحقيقة المنكرة بأسلوب القصر : فَقَدَّم الجار والمجرور على عامله وقصر

الرجوع على الله سبحانه وتعالى ونفى عن جميع من عداه .

للترهيب من المرجع والمآب لعل المنكر يعود إلى صوابه ، إذا علم

أنه لا مفر من الرجوع إليه .

ويظهر سر القصر إذا ما علمنا أن التذكير بأمر المآب جاء عن

طريق القصر ، أما التذكير بأمر الأحياء والخلق فقد جاء عن طريق

الأخبار ، لأن هذا الأمر يقره الكفار . قال تعالى : (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ

مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (٣) .

(١) البيضاوي ، حاشية الكازروني ، ج ١ ص ٨٧ .

(٢) آية : ٢٨ .

(٣) الزمر ، الآية : ٣٨ .

﴿وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم السند إليه ، (الضمير .)
على السند الفعلي . وهذا ما اتفق على احتماله التخصيص
والتقوى .

ولقد ذكر الامام الألويسي أن في الآية اختصاصا فقال :
(وتقديم السند إليه على السند الفعلي للاختصاص) (٢) .

فالمقصود في الآية : التسبيح والتقديم .

المقصود عليه : نحن .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكته بأنه سيجعل من آدم ،
خليفة في الأرض أرادوا إبراز أنفسهم ، فقصروا التسبيح والتقديم
على أنفسهم ، ونفوه عن بني آدم ، ليس لقصد التفاخر والعجب
وانما للاقرار بطاعتهم .

وزيادة في الاقرار جاء المقصور بصيغة المضارع ، ليفيد تجدد استمرارهم في
الطاعة .

(١) آية ٣٠ .

(٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

وذكر الامام الشهاب في حاشيته ، أنه جئ بهذه الحطة مؤكدة لأنها في جواب السؤال ، الذي يستحسن تأكيده وهو قولهم
(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .

وقيل تنزيلهم منزلة المنكر ، لما أعترض لهم من الشبه الستى
لا ينبغي ، أن تعرض ، ويستفسر عنها (١) .

— (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلي مع تقدم
النفى ، وهو يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر من غير شرط . أما
السكاكي فقد اشترط في افادته الاختصاص تقدير التأخير في الأصل
فقد ذكر الخطيب أن (ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفي القطع
بأنه يفيد التخصيص ضمرا كان أو مظهرا ، معرفا أو منكرا من غير
شرط . . . وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد ، الا اذا كان ضمرا
أو منكرا ، بشرط تقدير التأخير في الأصل) (٣) .

المقصور : الحزن المنفي .

المقصور عليه : هم .

(١) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) آية : ٣٨ .

(٣) الايضاح ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

قصر صفه على موصوف قصر افراد لمن اعتقد أن الحزن منفسى عنهم وعن غيرهم .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى الهداية ، أخذ القرآن يرغب المتبعين لهذا الطريق ، فقدم الضمير اشارة الى اختصاصهم بانتفاء الحزن ، وأن غيرهم يحزن (١) .

وفى هذا الاختصاص (اشارة الى أنهم قد بلغت حالهم الى حيث لا ينبغى أن يخاف أحد عليهم) (٢) .

(أى فمن تبع ما أتاه مراعيها فيه ، ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه ، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع ، والحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب ، وأثبت لهم الثواب على أكمل وجه وأبلغه) (٣) .

ونفى الحزن والخوف انما هو فى الآخرة ، لأن المؤمن فى الدنيا مبتلى (٤) . ولتحذير المؤمنين من مخالفة طريق الهدى ذكر مباشرة مصير الذين كفروا بالقرآن . فقال تعالى :

(١) انظر البحر المحيط ، ج ١ ، ص ١٧٠ / روح المعانى ج ١ ، ص ٢٣٩ /

حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٣) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)

هُم فِيهَا خَالِدُونَ (١) .

وجعلها جملة معطوفة على من تبع ، وجعلها كالقسيم للآية الأولى كأنه قيل : ومن لم يتبعه ، وانما أشراطه قول : والذين كفروا تظيها لحال الضلالة ، واطهارا لكمال قبورها ، وأورد اسم الموصول بصيغة الجمع ، للاشعار بكثرة الكفرة ، وأورد نون العظمة ، في قوله بآياتنا لتربية المهابة وادخال الروعة ، وإضافة الآيات اليها لاطهار كمال قبح التكذيب بها (٢) .

— (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كُفِرُوا بِنِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (٣) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المفعول به على طمه .

المقصود : المرصوب .

المقصود عليه : إياي .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

ذكر كثير من المفسرين أن التقديم هنا مفيد للاختصاص لتقديم المفعول

على الفعل، وذهبوا إلى أنه أؤكد في الاختصاص من قوله تعالى : إياك نعبد

وإياك نستعين لتكرار المفعول لأن إياك منصوب بنعبد فمجموعهما

(١) آية : ٣٩ من نفس السورة .

(٢) تفسير أبي السعود ، ١٣ ، ص ٩٣ .

(٣) آية : ٤٠٠ .

جملة واحدة ، وهنا منصوب بفعل محذوف يفسره قوله فارهبون وهذا الفعل المذكور مستوف معموله ، وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا ، فهو في قوة تكرار الفعل مرتين ، فهو أوكد في الاختصاص للتقديم ، وتكرار المفعول والفاء الجزائية (١) الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل : أن كنتم راهبين شيئا فارهبوني . ومن ذهب إلى هذا الامام الزمخشري حيث ذكر في الكشاف (واياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدي ، وهو من قولك زيذا رهبتة ، وهو أوكد في افادة الاختصاص من - اياك نعبد - وردد قوله هذا كثير من المفسرين منهم الامام أبو السعود ، حيث قال (وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم من تكرار المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط ، كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني .) (٢)

(١) اختار صاحب المفتاح أن الفاء للعطف ومعناه اياى ارهبوا رهبة فارهبوا بعدها رهبة أخرى) وعلق الكازروني في حاشيته على البيضاوى ج ١ ، ص ١٤٨ بأن ما اختاره صاحب الكشاف (أولى من حيث المعنى . لأنه دال على دوام الرهبة من الله تعالى بمطلق الرهبة فيفيد الرهبة من الله تعالى ، بخلاف ما قاله صاحب المفتاح لأنه يدل على تكرار الرهبة ، ولا يلزم منه الفاء للجزاء ، مستلزم لرحلقة الفاء عن موضعه . لأنه في تقدير : اياى فارهبوا ارهبون . فحذف الفعل الأول وأدخل الفاء على الفعل الثاني لأنه لما جعلت تلك الفاء جزائية يجب أن تكون داخله في الأصل على ارهبوا المحذوف لأنه هو الجزاء والثاني مفسر له).

(٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٥ .

ونهب الى هذا أيضا الامام الشوكاني (١) والامام الالوسي (٢) والامام
البيضاوي (٣).

واعترض ابن السبكي على قول الزمخشري ومن نهب منهبه اذ أنه
يرى انه ليس في الآية اختصاص لعدم وجود دلالة على التقديم
فقال (واعى الزمخشري ان الاختصاص في واياى فارهبون ، أبلغ
منه في اياك نعبد ، والظاهر أنه يريد لما فيه من تكرير
المفعول المسندى لتكرير الجملة . وفيما ذكره نظر ، والذي
يظهر العكس فان اياى فارهبون لا دلالة فيه على التقديم
حتى يفيد الاختصاص ، لأن عامل اياى جاز أن يكون متأخرا
عن اياى ، وأن يكون متقدما عليه ، فلا يكون المفعول
مقدما فلا اختصاص ، لا يقال لا يصح ذلك ، فانه لو
تقدم العامل لما انفصل الضمير كما ذكره شيخنا ابوحيان

(١) فتح القدير ، ج ١ ، ص ٧٤

(٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٢٤٣

(٣) البيضاوي ، ج ١ ، ص ١٤٧

ففى تفسير هذه الآية ردا على من زعم ذلك . لآنا نقول من أسباب
الانفصال حذف العامل كما ذكره ابن مالك . وأما اياك نعبد ،
فلا ضرورة فيه ، ولا دليل على حذف عامل اياك ومفعول نعبد ،
بل اياك معمول نعبد المذكور . فيتحقق فيه التقديم المفيـد
للاختصاص (١) .

وقد رد أبو حيان أن تكون الآية للاختصاص لأن مذهبه فى التقديم
أن تقديم المعمول على العامل لا يفيد الاختصاص ، فقال : (قال الزمخشري
وهو أكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد . ومعنى ذلك أن الكلام
جملتان فى التقدير ، و اياك نعبد جملة واحدة ، والاختصاص مستفاد
عنده من تقديم المعمول على العامل . وقد تقدم الكلام معه فى
ذلك وإنما لا نذهب الى ما ذهب اليه من ذلك) (٢) .

وذكر الامام الشهاب فى حاشيته على البيضاوى ، أن هناك اختلافا
كبيرا بين العلماء فى كون هذه الآية أؤكد فى افادة التخصيص . وذكر
أن آراءهم قد اضطرت ، وأقوالهم قد اختلفت كما ذكر أنه سيعرض
زبدة ما قالوه ويرفع ما وقعوا فيه من اختلاف . فقال (هذا من مسائل
الكتاب " وهو ما اختلفوا فيه ، واضطرت أقوالهم . وهذا أنا

(١) شروح التلخيص ، عروس الافراح ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

ذاكرك زبدة ما قالوه على وجه سترفع فيه يد البيان نقاب

(الاشكال ..)

ثم عرض رأى سنيويه في المسألة ، و خلاصة ما اختاره ، أن الآية أوكد
في أفادة الاختصاص لأن الاختصاص عاره عن اثبات ونفي . فإذا
تكرر الاثبات صار أوكد ، على أن الاثبات اللاحق يمكن أن يعتبر
على وجه الاختصاص . وقد يقال . تقدم المعمول صورة دالة
عليه بقرينه كونه تفسيرا للسابق ، وان لم يكن هناك شيء من
أدوات الحصر ، وحينئذ يتكرر الاختصاص فيصير أوكد ، وكذا الأمر
فيما إذا كان الفعل أمرا أو نهيا مثل : زيدا اضرب . وزيدا
لا تضرب . وقد يؤكد الاختصاص بدخول الفاء . في مثل زيدا
فأضرب ... أما وقد جعل الفعل مشغولا بالضمير نحو زيدا
فاضربه . وعليه قوله : وإياي فارهبون . وينبغي أن يكون أوكد
من الأوكد ، لأن التقدير : ومهما يكن من شيء فإياي فارهبوني .
فتكرير التعلق تأكيد للاختصاص ، وتعليقه بالشرط العام الذي
هو وقوع شيء ما تأكيد على تأكيد ... (١) .

فالآية مفيدة للاختصاص . فقدم الضمير وهو متوجه للمولى عز وجل ،
وقصرت عليه الرهبة دون غيره لتخصيصه بالاقبال عليه ، وعدم الالتفات

(١) حاشية الشهاب ج ٢ ، ص ١٤٨ .

الى غيره، وقد ذكر في حاشية الجمل: (. . . اشارة الى أن تقديم الضمير هنا مشعر بتخصيصه سبحانه بذلك : وهو مناسب لتخصيصه بالاقبال عليه ، وعدم الالتفات الى غيره) (١) .

وهذا التخصيص متضمن للوعد والوعيد دال على وجوب الشكر والوفاء ، والاخلاص لله وحده دون غيره . وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدا الا الله تعالى) (٢) .

(وَأَيُّوَابِمَا أَنْزَلْتَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِيهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّعُونَ) (٣) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المفعول على عامله .

المقصود : المُنْتَقَى .

المقصود عليه : آيى .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقا .

وهذه الآية شبيهة بالآية السابقة (وَايى فارهبون) .

والكلام فيها كالكلام في سابقتها وانما قصر تقواهم على ذاته العليا . وفي

الآية السابقة قصر الرهبة على ذاته العليا لأنه (لما كانت الآية

السابقة مشتلة على ما هو كالباءى لما في الآية الثانية ، فصلت

بالرهبة التى هي من مقدمات التقوى ، ولأن الخطاب بها عام العام

(١) حاشية الجمل ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٣) آية : ٤١ .

والمقلد أمر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين . وأما الخطاب بالثانية
فحيث خص بالعلماء أمر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى (١) .

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ
مَارزِقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٢) .

اختلف المفسرون في كون التقديم في هذه الآية مفيدا للحصر
فذهب أبو حيان الى أن معمول الخبر قَدَّم عليه ، لتوافق الفواصل
والاعتناء بالإخبار عن حل به الفعل . قال (رَوَدُّ معمول الخبر
عليه هنا وهو قوله : أَنفُسَهُمْ ، ليحصل بذلك توافق رؤوس الآي
والفواصل ، وليدل على الاعتناء والإخبار عن حل به الفعل
ولأنه من حيث المعنى صار العامل في المفعول توكيدا لما
يدل عليه ما قبله . فليس ذكره ضروريا . وبأن التوكيد أن يتأخر
عن المؤكد . وذلك أنك تقول : ماضرت زيدا ، ولكن ضريت عمرا
فذكر ضريت الثانية أفادت التأكيد . لأن لكن موضوعها أن يكون
ما بعدها منافيا لما قبلها) (٣) .

والى مثل هذا ذهب السعد في مختصره (٤) ، والدسوقي في شرحه
للمختصر (٥) . وابن يعقوب في مواهب الفتح ^(٦) : فذكروا أن المراد الإخبار

(٢) آية : ٥٧

(١) تفسير أبي السمر ، ج ١ ، ص ٩٦

(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(٤) شروح التلخيص ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) المرجع السابق والصفحة .

بظلمهم أنفسهم ، وليس المقصود الرد على من زعم ظلمهم غير أنفسهم . وأجمعوا على أن التقديم لرعاية الفاصلة . قال الدسوقي (التقديم هنا أيضا لرعاية الفاصلة . وذلك لأن المراد الاخبار بظلمهم لا الرد على من زعم ظلمهم غير أنفسهم . فظهر لك أن التقديم فيما ذكر من الآيات لرعاية الفاصله ، ولا يخلو من الاهتمام ولا يناسب ارادة الحصر فيها عند من له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام أى مقاصده) (١) .

أما الامام أبو السعود وتبعه الألوسى ، فقد ذكرا أن تقديم المفعول هنا للدلالة على القصر ، الذى يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم . وأنه جمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فى الظلم واستمرارهم عليه ، وأن نفي ذكر (أنفسهم) بجمع القلة تحقيرا لهم وتقليلًا والنفس العاصية أقل من كل قليل . (٢)

ويظهر لى أن فى الآية قصرا لوجود النفي السابق . ولأن بنى اسرائيل بتماديهم فى طغيانهم ، لم يشعروا أنهم يظلمون أنفسهم فجاء القصر لتأكيد أن الظلم واقع عليها دون غيرها . كما سأوضح ذلك فى سر القصر .

(١) شرح التلخيص ، حاشية الدسوقي ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .
(٢) انظر / تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
روح المعانى / ج ١ ، ص ٢٦٤ .

- المقصور في الآية : الظلوم .
المقصور عليه : أنفسهم .
قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على بني اسرائيل بطيب الطعام وأجوده
فأنزل عليهم المَنَّ (١) والسلوى (٢) ولكنهم تضرعوا من المداوية على
هذا الطعام ، وقالوا لن نصبر على طعام واحد .

قال تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ) (٣) .
وعلى الرغم من تماردهم في غيِّهم ، وانكارهم فضل الله ومَنِّه لم يشعروا
قط أنهم ظلموا أنفسهم ، فجاء القصر هنا ليؤكد لهم أن ظلمهم
واقع على أنفسهم لا على غيرها .

ويظهر لى أنه من الممكن أن يقال : أنهم بتماردهم في المعاصي
نزلوا منزلة من يعتقد أنه يظلم ربه . فقوله تعالى : (وَمَا ظَلَمُونَا) فيه نفى
الظلم عن الذات العليا وهذا يشعر بأن هناك ظلما وقع عليها . وان كان
يجوز أن يقال : أن هذا تبكيت لهم ، وأنهم لم يظلموا غير أنفسهم .

(١) اختلف أهل التأويل في معنى المَنَّ ، فقيل أن المن بمعنى الصفة .
وقيل هو شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالما ، ثم يشربونه
وقيل هو خبز الرقاق مثل الذره ومثل النقي وقيل هو الترنجيبين . وقيل المن
ما كان يسقط على شجر الترنجيبين / الطبرى ١٣ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢) السلوى : اسم طائر يشبه السمانى ، وقيل هو السمانى ، كانت تحشره عليهم

ريح الجنوب / الطبرى ، ١٣ ، ص ٢٣٤ .

(٣) البقرة آية : ٦١ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

في الآية اسلوبا قصر ، كلاهما عن طريق التقديم .
الأول: عن طريق تقديم السند على السند اليه في قوله (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ)
والثاني : تقديم الضمير على الخبر الفعلي في قوله تعالى : (وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ) .

فالمقصور في التقديم الأول : الأجر .

المقصور عليه : كونه لهم .

وهو قصر موصوف على صفة قصر افراد ، لمن اعتقد اشترك غيرهم من
المشركين معهم في الأجر .

والمقصور في الاسلوب الثاني : الحزن المنفي .

المقصور عليه : هم .

قصر صفة على موصوف قصر افراد ، لمن ظن واعتقد أن الحزن منفي عنهم
وعن غيرهم من المشركين ، فخصصوا بنفي الحزن ، وأفردوا دون غيرهم
من المشركين .

سر القصر :

والسر في التخصيص وتكراره في الآية عن طريق التقديم أنه ذكر
سبحانه وتعالى في الآيات السابقة شدة غضبه على بني اسرائيل الذين

(١) آية : (٦٢) .

خرجوا عن أمره وطاعته بقوله : (وما ءوا بفضب من الله) .
وقد كانوا مع عصيانهم لله ، يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ .
فأراد القرآن بيان حقيقتهم والرد على مزاعمهم ، فنفى عنهم الأجر ،
وأثبت لهم الخوف والحزن والخزى فى الدنيا والآخرة ونفاه عن
المؤمنين المطيعين لأمره . للتعريض باليهود وذمهم ببيان شرف
المؤمنين وجزائهم ، لانزال الحسرة فى قلوبهم اذا ما علموا ذلك الثواب -
الجزيل وأنهم قد حرّموا منه .

(بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ
مَنْ فَضَّلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَتَاءً وَبِغْضٍ عَلَىٰ غَضِبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ) (١) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ
وقد ذكر الشهاب فى حاشيته على البيضاوى والألوسى فى روح المعانى
أن التقديم هنا مفيد للاختصاص .

فالمقصور : العذاب .

المقصور عليه : كونه للكافرين .

قصر موصوف على صفة قصر افراد . لن أعتقد أن العذاب المهين يقع
على الكافرين وغيرهم . فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار باعوا
آخرتهم واشتروا دنياهم وذمهم على هذا العمل بقوله تعالى : (بئسما
اشتروا به) ، تحقيرا لهم . خصهم بالعذاب دون غيرهم .

لغداحة ما ارتكبهه ولأن كفرهم بما أنزل الله تعالى (كان مبنيًا على الحسد

المبنى على طمع المنزول عليهم ، وادعاء الفضل على الناس والاستهانة

بمن أنزل عليه عليه السلام) (١) .

فمجنون " التخصيص هنا لا هانتهم وانزال لهم . واما هنا في التحقير ووصف

ذلك العذاب بكونه مهيننا لبيان شدته وهولته وأنه مخصوص بهم

(فغير الكافرين اذا عذب ، فانما يعذب للتطهير - لا للاهانة والاذلال -

ولذا لم يوصف عذاب غيرهم به في القرآن فلا تَمَسُّكَ للخواج بأنه خص

العذاب بـ (الكافرين) فيكون الفاسق كافرا لأنه معذب ولا المرجئة

أيضا) (٢) .

(وأما قوله (مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ)^(٣) فالمراد به الفضيحة بالدخول

وهو غير هذا) (٤) .

(١) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

(٣) آل عمران ، آية : ١٩٢ .

(٤) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ

فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

جاء أسلوب القصر في الآية عن طريق ، تقديم الخبر (الجار والمجرور) على اسم كان ، هذا عند من أجاز مجيء الحال من اسم كان ، وذهب بعضهم الى أنه لا يجوز لأنه ليس بفاعل وجوزوا مجيء الحال من الضمير المستكن في الخبر . وقيل : أن خالصة هي الخبر وقيل : أن تقديم الخبر في الآية للاهتمام . جاء في روح المعاني : (ولكم) خبرها قُدِّم للاهتمام أو لافادته الحصر - وما بعده للتأكيد، هذا ان جوز مجيء الحال من اسم كان وهو الأصح ، ومن لم يجوز بناءً على أنه ليس بفاعل جعلها حالا من الضمير المستكن في الخبر وقيل : (خَالِصَةٌ) هو الخبر و (لكم) ظرف لفظ (كان) أو ل (خَالِصَةٌ) ولا يخفى بعده - فانه تقييد للحكم قبل مجيئه - ولا وجه لتقديم متعلق الخبر على الاسم مع لزوم توسط الظرف بين الاسم والخبر) (٢) .

ويبدو لي أن تقديم الخبر في الآية لافادة الحصر .

لان قوله (مِّنْ دُونِ النَّاسِ) يفيد كون الدار الآخرة لهم لا لغيرهم .

(١) آية : (٩٤) .

(٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

فدون تستعمل للاختصاص ، وقطع الشركه .

(ودون تستعمل للاختصاص وقطع الشركه يقال : هذا لى دونك أو

من دونك أى لاحق لك فيه ...) (١) .

فالمقصور فى الآية : الدار الآخره .

المقصور عليه : كونها لكم .

فقصصه على موصوف قصر افراد .

والسرفى تقديم الخبر هو تخصيص بنى اسرائيل بالايمان بالآخره على

سبيل التحدى والاستهزاء بهم .

فقد ادعوا أن الدار الآخره لهم وحدهم من دون المسلمين ودون

النصارى .

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) فالحديث

فى الآية يدور حول ادعاء بنى اسرائيل التفرد دون غيرهم بالدار الآخره

وقطع مشاركة غيرهم لها .

(١) روح المعانى ، ج١ ، ص ٣٢٧ / حاشية الشهاب ج٢ ، ص ٢٠٧ .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) .

المقصود : العذاب .

المقصود عليه : كونه للكافرين .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

والقصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

سر القصر :

أخذ اليهود يحتالون في سب الرسول الكريم ، ويستعملون كلمة راعنا

ويميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ حتى يودى معنى الرعونه .

ولما كان التهاون بالرسول كفراً بالله ورسوله ولما كان هذا الكفر غير

صریح وانما هو عن طريق ملتو ، أخذ القرآن يحذر المؤمنین من استعمال

هذا اللفظ ويبين لهم ما يقابله من عذاب ، مستعملاً في ذلك أسلوب

القصر ليكون أبلغ في التحذير والتنفير من هذا القول . فقصر العذاب

عليهم دون المؤمنین ، ثم وصف العذاب بكونه أليماً تحقيراً لهم وتبليلاً .

(١) آية : (١٠٤) .

— (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ

وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ) (١) .
المصنوع : ملك السموات والأرض
المعصوم عليه : كونه لا .
وهو صوفى على صفة هذا حقيقة كصفتها

والقصر في الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على

المسند اليه . ورأى الامام الشهاب ، أن القصر مستفاد من قوله تعالى

(مِنْ دُونِ اللَّهِ) .

فقال (. . .) الحصر يستفاد من قوله دون الله لأنه بمعنى سوى الله (٢)

ويبدو لى أن مجيء قوله تعالى : (مِنْ دُونِ اللَّهِ) يؤكد الحصر

المستفاد من طريق التقديم .

سر القصر :

دأب اليهود على تهوين العقيدة في نفوس المؤمنين ، وذلك بتشكيكهم في

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما جاء به من معجزات وما زاد من حملة

التشكيك هذه ، الأمر من الله بتحويل القبلة من بيت المقدس قبلة اليهود

ومضاهم - الى البيت الحرام مما زرع الحقد في نفوسهم ، فجاءت الآية

بأسلوب القصر وقصرت الملكية على الله وحده دون غيره لتقرر فى

الأذهان وتثبت في النفوس ، (أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء

الباهر المستلزمان للقدره التامه على التصرف الكلى فيهما ايجار ا

واعداما وأمسرا ونهيا حسبا تقتضيه مشيئته لا معارض لأمره

(١) آية : ١٠٧ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من

الأشياء (١) .

— (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

في الآية أسلوا قصر :

الأول : في قوله تعالى : (فله أجره) .

المقصور : الأجر .

المقصور عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفة قصر اضافة قصر افراد .

والقصر الثاني : في قوله تعالى : (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

وهذا ما اتفق على افادته الاختصاص ، فهو يفيد الاختصاص عند الامام عبد

الْقَاهِر من غير شرط ، وعند السكاكي بشرط تقدير التأخير في الأصل .

المقصور : الحزن المنفي . .

المقصور عليه : هم .

قصر صفة على موصوف اما قصر حقيقيا تحقيقيا ، اذا كان انتفاء الحزن

بالنسبة الى جميع من عداهم ، وفيه تعريض بهم - بمن عداهم - .

ويبدو لى أن حصول القصر الحقيقي ، لا يمنع كون القصر الاضافي مقصودا ؛

(١) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٢) البقرة ، آية : ١١٢ .

لأنه لما كان التعريف يقوم معينين وهم اليهود والنصارى مراعىً كان ذلك إيماً الى قصد الاضافة من القصر الحقيقي ، أى أن التعريف ، كان بمعين فجاءت الاضافة ، واما أن يكون القصر قصر افراد لمن اعتقد أن غيرهم من اليهود والنصارى مشترك معهم فى انتفاء الحزن لقول أهل الكتاب : (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) (١) .

سر القصر :

زعم اليهود والنصارى أنهم هم المهتدون وحدهم وأن الجنة وقف عليهم لا يدخلها أحد سواهم ، (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ آيَاتِنَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢)

فرداً على هذه الدعوى جىء بأسلوب القصر فخص الأجر بمن أسلم ونفى عن غيرهم من اليهود والنصارى ، ثم خص انتفاء الحزن بالمؤمنين . الذين أسلموا وجههم لله ونفى عن غيرهم ، ونفى هذا بشارة للمؤمنين ، وتحفيز لهممهم وتعريف باليهود والنصارى .

(١) البقرة : آية : ١١١ .

(٢) نفس السورة والآية .

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ
عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَهُ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١)

بيدولى أن فى الآية ثلاثة أساليب للقصر .

وكلها عن طريق التقديم

الأول فى قوله تعالى : (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ) .

وهو عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلى . ولقد

اتَّفَقَ على أن تقديم الضمير على الخبر الفعلى فى الاثبات ، يحتل التخصيص

والتقوى .

والمقصور هنا : يتلون .

المقصور عليه : هم .

قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا فيه مبالغة . لأن غيرهم من الامم

كان يقرأ الكتب السماوية ولكن جعلت قراءتهم كقراءة أمام قراءة

أهل الكتاب ، توبيخا وزجرا - لأهل الكتاب - لأنهم لم يتعظوا

بما جاء فى هذه الكتب .

والقصر الثانى فى قوله تعالى :

(كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) .

والحصر هنا مستفاد من تقديم المصدر المحذوف على عامله .
ذكر الامام أبو السعود (١) والجمل في حاشيته (٢) أن الكاف في
كذلك في محل نصب إما ، على أنها نعت لمصدر محذوف قُدِّمَ
على عامله لفادة الحصر أى قولاً مثل ذلك القول بعينه لا قولاً مغايراً
له . جاء في تفسير أبي السعود :

(كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به ، والكاف في محل نصب
إما على أنها نعت لمصدر محذوف ، قُدِّمَ على عامله لفادة الحصر
أى قولاً مثل ذلك القول بعينه ، لا قولاً مغايراً له (٢) .

والمقصور هنا : قول الذين لا يعلمون .
المقصور عليه : قول اليهود والنصارى .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد .
والقصر الثالث في قوله تعالى : (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) .
والقصر هنا عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى ، فى
حال الاثبات وهو محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر
وللتقوى فقط عند السكاكى .

والقصر هنا قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

-
- (١) تفسير أبي السعود م ١ ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
 - (٢) حاشية الجمل ج ١ ، ص ٩٦ .
 - (٣) تفسير أبي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

سر القصر :

لما أنكر كل من اليهود والنصارى دين الآخر وقبحه مع علمهم
الأكيد بأن ما ادعوه إنما هو محض افتراء - لأنه مُثبت في كتبهم التي قرأوها
ووعوا صحة ما جاء به كل دين . إلا أنهم لجحدهم خالفوها - لهذا
استحقوا الزجر والتوبيخ من الله عز وجل ، حيث قصر تلاوة الكتاب
عليهم دون غيرهم : فكان قراءة غيرهم بجانب قراءتهم كلا قراءة ، وتحقيقا
لهم نُزلوا منزلة من لا يعلم . حيث قَصَرَ قول الذين لا يعلمون من
المشركين على قولهم . اظهرا لهم بمظهر الجاهل .
وللمبالغة في تهديدهم جئ بقوله تعالى : (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) .
حيث قَدَّمَ الاسم الظاهر على الخبر الفعلي ، فقصر الحكم على الله وحده دون
غيره ، وفي هذا تأكيد بالغ لوقوع العذاب بهم .
وفي تكرار أساليب القصر هذه (ارشاد للمؤمنين الو أن من كان عالما
بالقرآن لا ينبغي أن يقول خلاف ما تضمنه) (٢) .

-
- (١) لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم
أخبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رافع بن
حريطة : ما أنتم على شيء وجد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة فأنزل الله عز
وجل في ذلك من قولهما : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
اليهود) الى قوله (فيما كانوا فيه يختلفون) / انظر الطبري ج ١ ، ص ٣٩٤ .
ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
(٢) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

— (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه .

المقصود : المشرق والمغرب .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى تخريب البعض للمساجد (٢) في قوله

تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ

وَسُمِّيَ فِي خَرَابِهَا) (٣) .

فكان تخريب المساجد في زعمهم يمنع المؤمنين من أن يتوجهوا الى الله

فجاء القرآن بطريق القصر ليؤكد لهم أن كل مكان في الدنيا يمكن

التولى اليه والاتجاه فيه الى الله فقال تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) . أى

فان منعت التولى اليه في المساجد فان الأرض بمشرقها ومغربها لله

وحده لا لكم ، فليس لكم حق التصرف في شئ منها فطالما أن لله

(١) آية : ١١٥ .

(٢) رجح الامام الطبرى ان هذه الآية نزلت في النصارى ، وذلك أنهم هم الذين

سعوا في تخراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ، ومنعوا مؤمنسى

بنى اسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم الى بلاده / الطبرى

م ١ ص ٣٩٩ .

(٣) آية : ١١٤ .

الشرق والمغرب فهو - وحده - الذي يحدد المكان - أى مكان -
للصلاة فيه .

— (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ
قٰنِتُونَ) (١) .

اختلف في معنى اللام في قوله " له " ، فقيل هي للملك ، وقيل أنها
تفيد نسبة الأثر إلى المؤثر ، وقيل هي للاختصاص بأى وجه كان
وهذا ما رجحه الامام الالوسي فقال (واللام في " له " قيل : للملك
وقيل انها كالتى فى قولك لزيد - ضرب - ، تفيد نسبة الأثر على
المؤثر ، وقيل للاختصاص بأى وجه كان وهو الأظهر . . .) (٢) .

المقصود : ما فى السموات والأرض .

المقصود عليه : كونه له أى لله) .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

لما ادعى مشركو العرب أن الملائكة بنات الله وقالت النصارى

المسيح ابن الله ، وقال اليهود عزيز ابن الله - وهذا شرك وانكار لوحدانية الله وتفريده .

(١) آية ١١٦ .

(٢) روح المعانى ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

أكد القرآن نفى هذه الشبهات عن الذات العليا فجاء بأسلوب
القصر لحصر جميع الكون لله سبحانه وتعالى ، ونفى الملكية عما ادعوه
فهو (خالق جميع الموجودات ، التي من جملتها ما زعموه ولدا ، والخالق
لكل موجود لا حاجة له الى الولد ان هو يوجد ما يشاء ، منزها
عن الاحتياج الى التوالد) (١) .

— (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) (٢)

المقصود : الارسال .

المقصود عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما كانت حطة التشكيك - التي قام بها اليهود بعد الأمر بتحويل
القبلة - معناها تشكيك المسلمين في مصدر الأمر وأنها ليست جميعها
من عند الله لأن الرسول قد يشترك فيها ، جاء القصر لافراد الله
سبحانه وتعالى بالإرسال .

وفى هذا الافراد تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لما سمع
الرسول صلى الله عليه وسلم أباطيل اليهود ، وتشكيكهم في أمر رسالته

(١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

(٢) آية : ١١٩ .

اهتم وضاق صدره لاصرارهم على الكفر به ، فجاء القصر في الآية وأنزل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر أنه مرسل من عند الله لما بدا عليه من امارات الضيق ، فقصر الارسال على الذات العليا لتأكيد أمر الارسال . وفي جملة القصر هذه من التأكيد والتثبيت ، ما يقضى على أباطيل المضلين ، ويهدم محاولات الكافرين ، لما تحمله من معنى الصرامة الموحية بالجزم واليقين .

جاء في روح المعاني (والآية اعتراض لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يهتم ويضيق صدره لاصرارهم على الكفر . والمراد (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) لان تبشر من أطاع وتندر من عصى ، لا تجبر على الايمان ، فما عليك ان أصروا أو كابروا ؟ والتأكيد لاقامة غير المنكر بما لاح عليه من امارة الانكار والقصر افرادى (١) .

— (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم اسم الاشارة على الخبر الفعلى في حال الاثبات . فهو محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ، ومتعين

(١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) آية : (١٢١) .

للتقوى عند السكاكي ، لأن كلام السكاكي صريح في أنه ، لا يفيد
الاختصاص الا تقدم الضرر .

ويبدو لى أن في الآية اختصاصا .

فالمقصود فيها : الايمان .

المقصود عليه : أولئك

قصر صفه على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم
بأنه لن يرضى عنه اليهود ولا النصارى ، أكد له في هذه الآية
ان ايمانهم ميثوس منه واستثنى منهم الذين يتلون التوراة والانجيل عن
حق وبصيره - وهم قلة - . أى انه لن يؤمن بما أنزل اليك الا الذين
يتلون كتابهم حق تلاوته، وفي مجيء القصر هنا تعريف بالكافرين ودم
لهم .

ذكر الامام الألوسى أن (. . . تقديم المسند اليه على المسند الفعلى
للحصر والتعريف ، والضمير للكتاب أى - أولئك يؤمنون بكتابهم - دون المحرفين
فانهم غير مؤمنين به) (١) .

وما يزيد تحقيرهم انتهاء الآية باسلوب آخر للقصر عن طريق توسط ضمير
الفعل للتأكيد أنهم هم الخاسرون لا غيرهم .

(١) روح المعاني ج ١ ، ص ٣٧٣ .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١) -

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر الفعلي مع تقدم النفي وهو يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر من غير شرط .
أما السكاكي فقد اشترط في افادته الاختصاص تقدير التأخير في الأصل فهو محتمل للتخصيص والتقوى عنده .

المقصور : نفى النصر .

المقصور عليه : هم .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

كان اليهود يعتقدون بالمكفرات تؤخذ عدلا عما فرطوا ، وأنهم سيجدون في شفاعة أنبيائهم النصر والمنعة لذا جاء القصر ليؤكد ، أن عدم النصر في يوم الحساب ، مقصور على اليهود دون غيرهم من العصاة الذين آمنوا فقد ينصرهم الله برحمته ، وقد تعمم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا قطع حبل رجاء اليهود من كل ناصر ينصرهم وتنبههم الى أنه لا يقوم مقام الاهتداء بكتاب الله شيء آخر .

(١) آية : ١٢٣ .

ذكر الامام ابو السعود أن (. . .) تخصيصهم بتكرير التذكير ، واعادة التحذير للمبالغة في النصح ، وللايذان بأن ذلك فذلكة القضية والمقصود من القضية لما أن نِعَمَ الله عز وجل عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح . (١) .

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر المشتق وهذا على رأى من قال ، بافادة التقديم على الخبر المشتق ، الاختصاص .

المقصود : الجعل .

المقصود عليه : الذات العليا .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

الآية مفيدة للقصر ان قُدِّرَ قوله تعالى : (إِنِّي جَاعِلُكَ) ، متعلقا

بمخذوف أى - اجعل من ذريتي اماما - فأفرد الله سبحانه وتعالى :

بالتصرف في جميع الامور ، فهو الجاعل لابراهيم عليه السلام الخلافة

في الأرض دون غيره لأنه هو الرب الطالك المتصرف .

(١) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٢) آية ١٢٤ .

ذكر أبو حيان أن إبراهيم عليه السلام قد فهم من قوله: انى جاعك -
الاختصاص ، فقال أبو حيان (والذى يقتضيه المعنى ، أن يكون من
ذريتى متعلقا بمحذوف التقدير واجعل من ذريتى اماما ؛ لأن إبراهيم
فهم من قوله انى جاعك للناس اماما الاختصاص ، فسأل الله تعالى
أن يجعل من ذريته اماما) (١) .

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ آبَائِكِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا
وَنَحْنُ لَهُ سُلَمُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المفعول (له) على العاطل (ولمؤمن)

المقصود : الاسلام .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقا .

سر القصر :

جاء الخطاب فى الآية (لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء
صلوات الله عليهم ، ونسبوهم الى اليهوديه والنصرانيه فرَدَّ الله عليهم
وكذَّبهم ، وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفيه الاسلام) (٣)

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(٢) آية : ١٣٣ .

(٣) المحرر ابو جيز ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .

فتقديم الجار والمجرور هنا لفائدة اختصاص الاسلام بالله وحده

دون غيره .

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ) (١) .

يظهر لى أن فى الآية الكريمة أسلوبى قصر .

الأول : فى قوله تعالى : (لَهَا مَا كَسَبَتْ) .

وهو من قصر المسند اليه على المسند .

المقصور : الذى كسبته ، اذا اعتبرنا «ما» موصولة . أو اكتسابها ،

اذا اعتبرنا «ما» مصدرية .

المقصور عليه : كونه لها .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد .

والأسلوب الثانى : فى قوله تعالى : (لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) .

وهو من قصر المسند اليه على المسند .

المقصور : الذى كسبتم ، أو كسبكم .

المقصور عليه : كونه لكم .

قصر موصوف على صفة قصر قلب أو افراد .

سر القصر :

اعتقد اليهود أنهم هم أحباء الله ، وأنهم الأمة المختارة ، فقالوا (لئن

يدخل الجنة الا من كان هودا) وظنوا أنهم سيد خلون الجنة بشفاعة
وأعمال أنبيائهم والصالحين من رجالهم ، فجاء بأسلوب القصر ليقرر ويؤكد
أن أجر عمل أنبيائهم والصالحين من رجالهم ، مقصور على الاتصاف
بكونه لهم لا لكم .

وأجر عملكم مقصور على الاتصاف بكونه لكم لا لهم ، فلا ينفع أمة الا
عليها فالانتساب اليهم لا يوجب الانتفاع بأعمالهم ، وانما يكون الانتفاع
بموافقتهم وطاعتهم وفي هذا رد أكيد ، واسقاط لدعوى اليهود في
كونهم المصطفين الاخيار ، لمجرد أنهم أبناء ابراهيم وحفدته ، ويتضمن
هذا القصر التخويف والتهديد لهم ، وأيضا التعريض بهم ، حيث
قصر الكسب ، ولم يقصر النسب الذي افتخروا به .

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ سَلِيمُونَ) (١) .

المقصود : اليهم
المقصر عليه : نحن .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر في الآية رقم ١٣٣ من نفس

السورة ، ولكن يبدو أن هناك فرقا بين نوع القصر فيها .
فالقصر هناك قصر افراد لأن الخطاب فيه كان لليهود والنصارى فقصر
الاسلام على المؤمنين ، ونُفِى عن معين وهم اليهود والنصارى .

أما القصر هنا ، فهو من قبيل القصر الحقيقي التحقيقي ، لأن الخطاب هنا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث جاءهم الأمر الالهي بأشياء أسلامهم ، وتأكيده . عن طريق القصر ، فقصر الإسلام عليهم وحدهم ونفى عن جميع من عداهم .

(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (١) .

في الآية الكريمة أسلوبا قصر . كلاهما عن طريق التقديم .
الأول : عن طريق تقديم الضمير على الخبر المشتق .
والثاني : عن طريق تقديم (الجار والمجرور) المسند على المسند اليه .
فالمقصود في الأسلوب الأول : العباد (عابدون) .
المقصود عليه : نحن .
قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .
والمقصود في الأسلوب الثاني : العباد (عابدون) .
المقصود عليه : لله .
قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .
سر القصر :

كان أهل الكتاب من يهود ونصارى يحاربون الإسلام ، فكان اليهود يدعون الناس إلى اعتناق اليهودية وكذلك كانت دعوة النصارى إلى اعتناق النصرانية ، ولكن القلوب مطمئنة بالإيمان ، كان جوابها لهاتين

الدعوتين جوابا يدل على تَمَكُّن العقيدة ، ورسوخ الايمان بالله
وحده دون غيره ، وجاء هذا الجواب وتأكيده الايمان عن طريق
(تقديم الجار لفادة اختصاص العبادة له تعالى ، وتقديم المسند اليه
لفادة قصر ذلك الاختصاص عليهم ، وعدم تجاوزه الى اهل الكتاب
فيكون تعريضا لهم بالشرك أو عدم الانقياد له تعالى ، باتباع ملة ابراهيم) (١)

وذكر الشهاب ، أن التعريف مستفاد من تقديم نحن المفيد للحصر (٢) .

ويبدو لي أنه مستفاد من كلا القصرين .

وكذلك ذكر الامام البيضاوي أن في الآية تعريضا ، فقال : ((ونحن له

عابدون) تعريضا بهم أي لا نشرك به كشرركم) (٣) .

أي ونحن له وحده عابدون دون غيره فلا نتخذ

أخبارنا وعلماؤنا أربابا يزيدون ديننا أو ينقصون ،

ويحلون لنا بأرائهم ، ويحرمون أو يمحون عن نفوسنا صفة الله

الموحية للتوحيد ويثبتون مكانها صفة البشر القاضية بالشرك

والتنديد (٤)

(١) روح المعاني ، ج١ ، ص ٣٩٨ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) البيضاوي ، ج١ ، ص ١٩٣ .

(٤) المنار ، ج١ ، ص ٤٨٦ .

﴿ قُلْ أَتَعَاذُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مَخْلُصُونَ ﴾ (١)

يظهر لى أن فى الآية الكريمة أربعة أساليب للقصر وكلها عن طريق
التقديم .

فالأول : فى قوله تعالى : (ولنا أعمالنا) قُدِّم المسند على المسند اليه

فالمقصود : الأعمال .

المقصود عليه : كونها لنا .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

أى ولنا أعمالنا التى تختص آثارها بنا دونكم ان خيرا فخير وان
شرا فشر .

والثانى : فى قوله تعالى : (ولكم اعمالكم) .

قُدِّم المسند على المسند اليه .

المقصود : الاعمال .

المقصود عليه : كونها لكم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

والقصر الثالث : فى قوله تعالى : (ونحن له مخلصون)

حيث قُدِّم الضمير على الخبر المشتق .

فالمقصود : الاخلاص .

المقصود عليه : نحن

قصر صفه على موصوف قصر افراد أى نحن مخلصون لا أنتم ويمكن
أن يكون قصر قلب اذا كان اعتقاد اليهود أنهم المخلصون دون المؤمنين

والقصر الرابع : عن طريق الجار والمجرور .

المقصور : الاخلاص .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

حيث قصر الاخلاص على الله وحده دون غيره ، فالمؤمنون يخلصون العبادة

ولا يشركون به شيئا وينفونها عن غيره والواقع يشهد بذلك .

سر القصر :

جادل الكفار الرسول صلى الله عليه وسلم في وحدانية الله عز

وجل . وارشادا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى كيفية

درا هذه المجادلة حين بالاستفهام الانكارى لتوبيخ وزجر المشركين ،

فقال تعالى : (قل أتجاجوننا) أى أتناظروننا فى الاله الواحد الأحد

ثم يعلو صوت تأكيد الاستسلام لله وألوهيته المطلقة . بقول (وهو

ربنا وربكم) فهذه هى الحقيقة ، وهذا هو الواقع ، على رغم

انكار المنكرين . فان لم يرد عنهم هذا التوبيخ ، فليس لهم الا البراءة

وجاءت البراءة منهم عن طريق القصر ، فقال تعالى (ولنا أعمالنا ولكم

أعمالكم) أى ان لم تثبتوا له تلك الوجدانية ، فنحن براء منكم ومما

تعبدون ، وأنتم براء منا ، ولا تجزى نفس الا بما عطلت .

وفى هذا القصر تبييس وقطع لآمالهم فى نجاتهم بأعمال غيرهم
وزيادة فى تحقيرهم ، عَرَّضَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْرِ ، فى قوله
تعالى : (ونحن له مخلصون) .

فالمؤمنون هم وحدهم الذين يخلصون العبادة لله وحده ولا
يشركون به شيئاً .

— (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ) (١) .

سبق بيان سر هذا القصر فى آية ١٣٤ ، من نفس السورة .

— (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَا هُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهِمْ
قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر . آية ١١٥ من نفس السورة

(١) آية : ١٤١ .

(٢) آية : ١٤٢ .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (١) .

اختلف في سر التقديم في هذه الآية ، فذهب أبو حيان الى أن سر

تقديم المفعول على العامل الاهتمام والتعظيم .

ولا يفيد عنده الحصر - كما هو مذهبه في عدم افادة تقديم المفعول

على العامل بالحصر - فقال (وايا هنا مفعول مقدم ، وقدم لكون

العامل فيه وقع رأس آية ، وللاهتمام به والتعظيم لشأنه ، لأنه عائد

على الله ، كما في قولك واياك نستعين . وهذا من المواضع التي يجب

فيها انفصال الضمير ، وهو اذا تقدم على العامل أو تأخر ، لم ينفصل

الا في ضرورة . قال - اليك حتى بلغت اياك . (٢)

ونذهب الامام الصاوي في شرحه للجلالين بأن المفعول هنا (قدم

رعاية للفوا صل وللحصر) (٣) .

ونذهب الامام الزمخشري (٤) ، والبيضاوي (٥) والشوكاني (٦) .

أن تقديم المفعول هنا للاختصاص على معنى إن كنتم تخصونه بالعبادة

فالمقصود في الآية : العبور .

المقصود عليه : اياه .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

(١) آية : ١٧٢ .

(٢) البحر المحيط ج ١ ، ص ٤٨٥ .

(٣) الصاوي ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٤) الكشف م ١ ، ص ٣٢٩ .

(٥) البيضاوي ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٦) فتح القدير ج ١ ، ص ١٦٩ .

سر القصر :

لما كان شكر النعم أمرا واجبا على كل مؤمن ، فقد قرنه المولى عز وجل بأمر العباد ، فمن كان يخص الله سبحانه وتعالى بالعبادة دون غيره فان عبادته لله تعالى لا تتم الا بالشكر . وذكر الامام الألويسي أنه (بمنزلة التعليل لطلب الشكر . كأنه قيل : واشكروا له لأنكم تخصصونه بالعبادة ، وتخصيصةكم اياه بالعبادة ، يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة ، تليق بكبريائه وهي لا تتم الا بالشكر لأنه من أجل العبادات ...) (١) .

— (كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢)

القصر في الآية عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر المثبت ، (والله يعلم) . وهو على رأى الشيخ عبد القاهر قد يفيد الاختصاص لأن ظاهر كلامه أن المَعْرِفَ اذالم يقع بعد النفي ، وخبره مثبت أو منفي قد يفيد الاختصاص ، ضمرا كان أو مظهرا . وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد الا المضمرة (٣)

(١) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٢) آية : ٢١٦ .

(٣) الايضاح ، تحقيق عبد المنعم خفاجي ، ج ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

أما قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) حيث قُدِّم الضمير على الخبر
المنفى ، وهو ما اتفق الشيخ عبد القاهر والسكاكي على احتمال افادته
التخصيص والتقوى .

ويبدو لي أنه في هذا الموضع يفيد التقوى لأنه ذكر قبله نفس
العلم عنهم . فقال تعالى : (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ، ثم
جاء " بالقصر وأثبت العلم لله وحده ، ثم جاء " بقوله تعالى :
(وأنتم لا تعلمون) لتقوية الحكم السابق وأنه يجوز أن يكون القصر
مستفادا من معنى الجمة ، لورود الاثبات في قوله تعالى : (والله
يعلم) ، والنفي في قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) . فيكون القصر
مستفادا من طريق غير اصطلاحى .

وان قلنا بافادة الجمة القصر (والله يعلم) .

يكون المقصور : العلم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف اما قصر افراد أو هو قصر حقيقى تحقيقى فهو
قصر افراد اذا كان نفي العلم عن المؤمن فقط كما هو المقام فكأن
المخاطبين كانوا يظنون أنهم على شيء من العلم . أو هو قصر حقيقى
تحقيقى : اذا نفينا العلم عن الجميع ، وأثبتناه لله سبحانه وتعالى .

سر القصر :

ان أمر القتال أمر شاق على النفس البشرية وهذا أمر " كونه شاقا " لم ينكره
القرآن على المؤمنين ولم يوبخهم عليه ، لأنه يحسب حساب الفطرة الانسانية

ولكن كيف يحب اليهم هذا الامر الشاق ويهونه في نفوسهم ؟
استطاع القرآن باعجازه ، أن يخضع الفطره لسلطانه حيث قصر العلم
على الله سبحانه وتعالى ، ونفى عن جميع الخلق ، فهو وحده يعلم
أنه قد يكون وراء المكروه خير ، ووراء المحبوب شر ، ففي اخضاع
الأمر لعلمه وحده ، ما يطمئن النفس البشرية ويجعلها تنجح الى
الطاعة والآداب في يقين ورضا .

— (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلْتُمْ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) .

المقصود : العلم .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصر افراد أو قصر حقيقي تحقيقى .
فقصر العلم على الله وأفرد به ، ونفى عن المؤمنين ، لتبنيهم الى
الامتثال لأمره ونهيه . وفي القصر ما يشعر بالترهيب من عدم الامتثال لأمره ،
ان أنه يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور .

فهو (يعلم بواطن الأمور ومآلها ، وأنتم لا تعلمون ذلك ، وإنما تعلمون ما ظهر ، أو يعلم من يعمل على وفق هذه التكاليف ، ومن لا يعمل بها ويكون المقصود بذلك تقرير الوعد والوعيد) (١) .

— (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند -
اليه .

المقصور : ما في السموات وما في الأرض .
المقصور عليه : كونه لله .

قصر ما في السموات والأرض على كونه لله وحده ، قصر موصوف على
صفه قصرًا حَقِيقًا حَقِيقًا .

سر القصر :

كانت الآيات السابقة تواجه العقائد المنكرة للوحدانية ، والتي تقف في
وجه عقيدة التوحيد ، فجاءت هذه الآيات الكريمة لتثبت وحدانية الله
وجاء هذا الإثبات عن طريق القصر ، لما يحمله من معاني التوكيد ،
فبدأت الآية بالقصر عن طريق النفي والاستثناء ، ثم جئنا بالقصر

(١) البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٢) آية : ٢٥٥ .

عن طريق التقديم ، وذلك لتقرير قيوميته والاحتجاج على تفرد
بالالوهية (ان لما كان ما في السموات وما في الأرض مختصا به
لا مدخل للغير بالتصرف فيهما ، لم يكن اله آخر ان لو
كان لكان له التصرف أيضا . (١) .

فان له ما في السموات وما في الأرض ، يدل على اختصاصهما به
فيكونان مختصين به تعالى من حيث الوجود ومن حيث الحفظ
لأن اختصاصهما به من غير وجه دون وجه ، ترجيح من غير
مرجح ، فيكون هو تعالى حافظا لهما دون غيره ، فيكون
قيوما (٢) .

فيستفاد من هذا القصر (نفى الالهية عن غير الله تعالى وأنه لا
ينبغي أن يعبد غيره : لأن ما عبد من دون الله من الأجرام
النيرة الأرضية التي في السموات كالشمس والقمر والشجر
والأشخاص الأرضية كالأصنام : وبعض بني آدم كل منهم ملك
لله تعالى مريب مخلوق (٣) .

(١) البيضاوى : ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٢) البيضاوى : حاشية الكازوني ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٣) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

— (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ (١) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أْتَاهُ اللَّيْلُ
 الْمَلِكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
 فَهَتَّ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢) .

القصر في الآية عن طريق تعريف الخبر بال ، في قوله تعالى : (ربي

الذي يحيي ويميت) .

المقصور : الاحياء والاماتة .

المقصور عليه : ربي .

قصر صفة على موصوف قصرافيا قصر افراد .

سر القصر :

لما خاصم نمرود ابراهيم عليه السلام في قدرة الله ، وتفرد به بأمر

الاحياء والاماتة رد ابراهيم عليه السلام عليه باسلوب القصر عن طريق

تعريف الخبر فقال : (ربي الذي يحيي ويميت) حيث قصر الاحياء

والاماتة على الله وحده ونفاه عن جميع من عداه .

(١) ذكر الامام الطبري أنه قيل : أن الذي حاج ابراهيم جبار كان ببابل

يقال له : نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . وقيل أنه نمرود

بن فالج بن عامر بن شامخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح / الطبري ٣٤٠

ج ٣ ، ص ١٦ .

(٢) آية : ٢٥٨ .

— (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً
وَلَا أُنزِيَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

قد سبق الحديث عن مثل هذا التقديم .

في نفس السورة آية : ٣٨ / ٣٦ / ١١٢ .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِوْا
فِيهِ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (٢) .

رأى الامام أبو السعود أن في قوله تعالى : (منه تنفقون) تخصيصاً
وأن التخصيص هنا لتويخهم . فقال : (الجار متعلق بتنفقون والضمير

للخبيث ، والتقديم للتخصيص ، والجلة حال من فاعل تيمموا ، أي لا
تقصداً والخبيث قاصرين الانفاق عليه ، أو من الخبيث أي مختصاً به

الانفاق ، وأياً ما كان فالتخصيص لتويخهم ، بما كانوا يتعاطونه من

انفاق الخبيث خاصة ، لا لتسويغ انفاقه مع الطيب) (٣) .

ويبدو لي أنه لا قصر ، لأنه يقتضى أن يكون تويخهم على تخصيص الخبيث

بالانفاق ، فيرتفع عنهم اللوم لو أشركوا معه الانفاق من الطيب

(١) آية : ٢٦٢ .

(٢) آية : ٢٦٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ١٤ ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

وهذا ليس مراداً بل المراد - والله أعلم - نهيهم عن الانفاق -
الخبث سواء اقتصروا على الانفاق منه وحده ، أو أنفقوا من الطيب
مع الانفاق منه .

ولما رأى أبو السعود أن القول بالقصر يفيد هذا المحذور الذي
أشرت إليه قال " وأياً ما كان " .

— (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) .

— (إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر في نفس السورة .

آية : ٣٨ / ٦٢ / ١١٢ .

(١) آية : ٢٧٤ .

(٢) آية : ٢٧٧ .

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ
يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (١) .

المقصود : الذى فى السموات والذى فى الأرض .

المقصود عليه : كونه لله

قصر موصوف على صفة قصر تحقيقيا تحقيقيا .

أى أن جميع ما فى السموات والأرض . (له تعالى خلقا وملكا وتصرفا

لا شركه لغيره فى شئ بوجه من الوجوه) (٢) .

سر القصر :

كانت الآية السابقة تقرر للخلائق تشريعا من تشريعات الحياة، وهو

طريقة المعاملات بين الأفراد ، وبدأت هذه الآية بأسلوب القصر لترتبط

بين التشريع المدنى البحت ، بهذا التوجيه الوجدانى البحت وبين

التشريعات للحياه وخالق الحياه ، بذلك الرباط الوثيق ، المؤلف من

الخوف والرجاء فى مالك الأرض والسماء ، فيضيف الى ضمانات التشريع

القانونيه ضمانات القلب الوجدانيه (٣)

وفى اشعار القلوب المؤمنه بتفرد الله بالوجدانيه وأن له جميع ما فى

السموات والأرض لا شركة لغيره فيها . ما يشير فى القلب الخضوع لله

والرضوخ والامتثال لا وامره والخوف من الخروج عن سلطان المالك المتصرف .

(١) آية ٢٨٤ .

(٢) تفسير أبى السعود ج ١ ص ٢٧٢ .

(٣) فى ظلال القرآن ، السيد قطب ج ١ ص ٣٣٨ .

■ (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : المصير .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيا .

سر القصر :

المتكلم في الآية الكريمه هم المؤمنون ، وهم يحسون احساسا عميقا بولائهم لله عز وجل ، ويؤمنون ايمانا كاملا بالبعث والرجوع فجاء القصر هنا ليُجسّد فكرة الولاة هذه ، حيث قصروا الرجوع والمصير على كونه لله سبحانه وتعالى دون غيره ، وفي هذا التخصيص اقرار منهم بالبعث .

(أى الرجوع بالموت والبعث اليك لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجه الى المغفرة ، لما أَنَّ الرجوع للحساب والجزاء) (٢) .

(١) آية : ٢٨٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(لا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَّعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (١)

فى الآية الكريمة ثلاثة أساليب للقصر .

الأول : عن طريق النفي والاستثناء ، وقد سبق الحديث عنه فى موضعه .

والثانى والثالث : عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

والمقصور فى الثانى : الذى اكتسبت أو اكتسابها .

المقصور عليه : كونه لها .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

القصر الثالث : فى قوله تعالى : (وعليها ما اكتسبت) .

المقصور : الذى اكتسبته ، أو اكتسابها .

المقصور عليه : كونه عليها .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

لما نزلت آية (لله ما فى السموات وما فى الأرض وان تبدوا ما فى

أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

شق ذلك على المسلمين فجاءت الآيات تبين لهم أن تكليف

الله للعباد ، إنما هو بحسب طاقاتهم ووسعهم ثم حى بأسلوب القصر

ليقرر ويؤكد فردية التبعة فلكل نفس ما كسبت من الخير لا يتعدها

التي غيرها ، ولكل نفس ما اكتسبت من الشر ، لا يتعدها التي غيرها .

وعبر عن الشر بالاكْتِسَاب ، والخير بالكسب لأن الاكْتِسَاب فيه اعْتِمَال
والشر تشتهيه النفس وتتجذب اليه ، فكانت أجد في تحصيله وأحرص (١)

وجي* بهذا القصر لاستنهاض هم المسلمين ، وليجِدَّ كل انسان في
طلب الخير اذا عَمَّ علما مؤكداً بفرديته في الحساب والجزاء .

(١) حاشية الشهاب ، ج٢ ، ص ٣٥٤ .

”آل عمران“

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الطُّكِّ تُوتِي الطُّكَّ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الطُّكَّ مِنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ) (١) .

ذكر الامام الطبري (٢) ، والزمخشري (٣) وأبو السعود (٤) والشوكاني (٥)
والألوسي (٦) ، أن التقديم في الآية مفيد للقصر . وجاء القصر هنا
عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الخير .

المقصور عليه : كونه بيد الله .

وهو قصر موصوف على صفة اما قصر حقيقيا ، فيه بالغة . اذا كان
النفى عن جميع من عداه ، أو هو قصر قلب لمن ظن ، أن الخير بيد غير
الله ، مما كان يعبد من غير الله . ويفهم هذا من قول الطبري
(بيدك الخير ، أي كل ذلك بيدك واليك لا يقدر على ذلك أحد
لأنك على كل شيء قدير ، دون سائر خلقك ، ودون من اتخذ المشركون

(١) آية : ٢٦ .

(٢) الطبري ، ٣ م ، ٣ ج ، ص ١٤٨ / ١٤٩ .

(٣) الكشاف ، ١ م ، ص ٣٣٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ٢ ج ، ص ٢١ .

(٥) فتح القدير ، ١ م ، ص ٣٣٠ .

(٦) روح المعاني ، ٣ ج ، ص ١١٥ .

من أهل الكتاب والأمين من العرب الها وريا ، يعبدونه من
دونك كالسيح والأنداد ، الذي اتخذها الأميون ربا (١) .
فيهم من قوله دون سائر خلقك القصر الحقيقي ، لأن النفي واقع
على جميع من عداه ، ومن قوله دون من اتخذ المشركون من أهل
الكتاب والأمين من العرب الها وريا . القصر الاضافي قصر قلب .

سر القصر :

لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وعد أمته بملك كسرى وقيصر (٢)
وهذا الوعد قد يستعظمه البعض ويستكثروه على الرسول صلى الله عليه
وسلم فكان لا بد من ازالة هذه الشكوك من النفوس ، فجاءه بأسلوب القصر
لتأكيد حدوث هذا الأمر ، وحثمية وقوعه حيث خصص الخير بيد الله
وقدرته دون غيره . (أى بقدرتك الخير كله لا بقدره أحد غيرك
تتصرف فيه قبضا وسطا حسبما تقتضيه مشيئتك) (٣)

(١) الطبرى ، ٣م ، ص ١٤٨ / ١٤٩ .

(٢) ذكر الامام الطبرى : (حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتاده ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، سأل ربه جل
ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته ، فأنزل الله عز وجل (قل
اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) الى (أنتك على كل شىء قدير) . /

الطبرى ، ٣م ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

(٣) تفسير أبى السعود ج ٢ ، ص ٢١ / ٢٢ .

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند اليه .

فالمقصود : المصير .

المقصود عليه : كونه السى الله .

قصر موصوف على صفة قصر ا حَصِيصًا كَعَصِيًّا .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمة للتحذير الشديد ، من موالاة أعداء الله ، لأنه

لا يمكن أن تجتمع محبة الله ومحبة أعدائه في قلب واحد ، وجاء

هذا التحذير عن طريق النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء ، ثم عن طريق براءة

الله منهم ، ثم جاء أسلوب القصر ليزيد اليقاع رهبة ومهابة فقصر

الرجوع والمصير على كونه لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره . وفى

هذا القصر (تهديد شديد ، وتخويف عظيم لعباده ، أن يتعرضوا لعقابه

بموالاة أعدائه) (٢)

(١) آية : ٢٨ .

(٢) فتح القدير ، ١٤ ، ص ٣٣١ .

وما يزيد الرعب في القلوب ، اظهار اسم الجلاله في مقام الاضرار فلم

يقول : اليه المصير ، وذلك (لتربية المهابة وادخال الروعة) (١) .

ومجىء القصر في موضع التذييل (مقرر لمضمون ما قبله ، ومحقق لوقوعه

حتما) (٢) .

وفى القاء الرعب في القلوب بهذه الطريقة ، استجاشه للخشية

من الله ، واتقاء التعرض لنقمته ، لأن المرجع اليه دون غيره .

— (اِنْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعِكَ إِلَىٰ مَطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ .) (٣)

ذكر الامام الشوكاني (٤) والألوسي (٥) ، أن تقديم الظرف في الآية

يفيد القصر أى تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : المرجع .

المقصود عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيا .

(١) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(٢) تفسير أبى السعود ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣) آية ٥٥ .

(٤) فتح القدير ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٥) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

سر القصر :

اختلف الناس في أمر عيسى عليه السلام فمنهم من اتبعه ومنهم من كفر به ، ولكل من الفريقين جزاؤه . عند الله سبحانه وتعالى ، ولتأكيد بلوغ هذا الجزاء لكل فريق ، قُدِّم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ وقُصِّرَ على كونه الى الله وحده لا الى غيره لتأكيد الوعد والوعيد .
وقد ذكر ذلك الامام الألويسي ، حيث قال : (وتقديم الظرف للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد) (١) .

(هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ مَا جَحْتُمْ بِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢) .

سبق أن ذكرت أن القصر هنا في قوله تعالى : (والله يعلم) وهو عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلي المثبت ، وهو يحتمل التخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ويكون للتقوى فقط عند السكاكي أما قوله تعالى : (وأنتم لا تعلمون) ، فيبدو لي أنه يفيد التقوى هنا وقد يكون القصر هنا استفادا من معنى الجطة ، فيكون القصر عن طريق غير اصطلاحى .

(١) روح المعاني ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢) آية : ٦٦ .

فالمقصور في الآية : العلم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف اما قصر افراد أو هو قصر قلب .

سر القصر :

لقد جادل اليهود فيما لهم به علم (مما يتعلق بأديانهم ، التي

شرعت لهم الى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .

وظنوا بذلك أنهم أهل علم ومعرفة مطلقة ، فجادلوا في أمر ابراهيم

عليه السلام في دينه وشرعه : فقالت اليهود : انه كان يهوديا وقالت

النصارى أنه كان نصرانيا ، وهذا مما ليس لهم به علم ، بل هو من علم

الله وحده فهو أمر سابق عليهم ، فابراهيم عليه السلام .

(كان قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين) (٢) .

ولكنهم ادعوا العلم والمعرفة ، وأشركوا أنفسهم في علم الله المطلق ،

وكل ذلك ابتغاء تكذيب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاءت

الآية تُنكر عليهم ما ادَّعَوْه ، فبدأت بحرف التنبيه (ها) لتبنيهم

الى الحالة ، التي غفلوا عنها .

ثم جاء الاستفهام الانكاري (فَلَمْ تَحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) .

ثم انتهت الآية بأسلوب القصر ، فقُدِّم الاسم الظاهر على الخبر

الفعلی ، لقصر العلم على الله وحده ونفيه عنهم ، وفي ذلك بيان لكمال

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

حماقتهم وسفه قولهم بتأكيد نفى العلم عنهم ، ثم جاءت الآية
التالية مَصْرَحًا بكذبهم ، مبينة علم الله المطلق ، فصرحت بأن ابراهيم
عليه السلام كان حنيفا مسلما (مَا كَانَ اِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١)

(اَفْتَرِدِينَ اللّٰهَ يٰۤاَكْفٰرًا وَلَهُۥ اَسْلَمَ مَنۡ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَاِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ) (٢) .

فى الآية الكريمة أشلوا قصر

الأول : فى قوله تعالى : (وله اسلم) .

والقصر هنا عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : إسلام من فى السموات والأرض .

المقصود عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

والثانية : فى قوله تعالى : (وإليه يرجعون) .

والقصر هنا عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : رجوعهم .

المقصود عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

(١) آل عمران آية : ٦٧ .

(٢) آية : ٨٣ .

سر القصر :

جاءت هذه الآية ضمن الآيات ، التي ترد على انكار أهل الكتاب
لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .
فبدأت بالتعجب من رغبتهم الأكيدة ، واصرارهم على عدم قبول دين الله .
وأمام هذا الاصرار لا بُدَّ من أسلوب يهز تلك القلوب الميتة ،
ويعيدها الى صوابها ، فجاء أسلوب القصر للتهديد والوعيد ، لمن
ابتغى غير دين الله . فقصر الرجوع على الله وحده دون غيره فلا مفر
إذاً من الرجوع اليه ، وملاقاته للحساب . وجاء هذا التهديد للتنبيه
على الالتزام بدين الله ، والايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

— (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (١) .

في الآية الكريمه أسلوبا قصر .

الأول : في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

والقصر هنا عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : ما في السموات وما في الأرض .

المقصود عليه : كونه لله .

(١) آية : ١٠٩ .

- قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا .
- والقصر الثاني : فى قوله تعالى : (والى الله ترجع الأمور) .
- وهو عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامه .
- والمقصور فى الأسلوب الثانى : رجوع الأمور .
- المقصور عليه : الله .
- قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

مما يلفت الانتباه مجيء الآية مفتحة بأسلوب القصر ، ومختتمه به كذلك ، فما السرفى ذلك ؟ .

أوضح الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة جزاء كل من الذين آمنوا وجزاء الكافرين . وليؤكد لهم بلوغ ذلك الجزاء الى كل فريق ، جاء بالقصر فقصر ما فى السموات والأرض على كونه له وحده دون غيره . وفى هذا تذكير وتنبيه لهم الى أن جميع ما فى الكون له وحده دون غيره والكل تحت سلطانه وقهره ، وهم واقعون تحت حكمة وقدره ، فكيف يتسنى لهم الكفر به ومعصيته ؟

ثم جاء بالاسلوب الثانى يحمل معنى التهديد والوعيد لمن كفر بعد ظهور حجة ألوهيته المطلقة ، والتبشير لمن آمن بالإيمانه بعدل الله سبحانه

- وتعالى ، فلكل انسان جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر .
- ذ (الجملة مقررة لمضمون ما ورد فى جزاء الفريقين) (١) .

(١) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

﴿ اِنْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ (١) مِنْكُمْ اَنْ تَفْشَلَا وَاللّٰهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامه .

المقصود : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا ، أو هو قصر قلب

وفيهما نُزِّلَ المؤمنون منزلة من ينكرون التوكل على الله وحده .

(١) وهاتان الطائفتان كما ورد فى الصحيح - من حديث سفیان بن عیینة - هما
بنو حارثة وبنو سلمة ، أثرت فيهما حركة عبد الله بن أبى ، وما أحدثته من رجة
فى الصف المسلم من أول خطوه فى المعركة ، فكادت تفشلان وتضعفان لولا أن -
أدركتهما رحمة الله وولايته وتثبيتته كما جاء فى النص القرآنى : (والله وليهما) .

قال عمرو رضى الله عنه - سمعت جابراً بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : فىنا
نزلت : اِنْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ اَنْ تَفْشَلَا وَاللّٰهُ وَلِيَهُمَا ، قال نحن الطائفتان بنو
حارثة وبنو سلمة ، وما نحب وقال سفیان مرّةً وما يسرنى أنها لم تنزل ، لقول الله :
(والله وليهما) / رواه البخارى ، كتاب التفسير ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٢) آية : ١٢٢ .

سر القصر :

لما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في الخروج الى غزوة أحد ، وكان رأيهم (١) المكوث في المدينة فاذا دخل أبو سفيان ومن معه الى المدينة قاتلهم المسلمون من أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ، ووافق على هذا الرأي عبد الله بن أبي ، ولكن جماعة من الصحابة ومعظمهم من الشباب . أشاروا عليه بالخروج وانتهى الأمر بعزمه صلى الله عليه وسلم على مواجهة الجيش والخروج لقتاله ولكن جماعة من المسلمين مالت الى رأي عبد الله بن أبي ، وميلهم هذا - يعنى عدم معرفتهم بحقيقة التوكل ، فعبد الله بن أبي ما قال قولته الا لخوفة من القتال ، وذلك لعدم ايمانه الحقيقي بالله ، وانما أراد شق الصف المسلم .

ولكن الله سبحانه وتعالى رأفة بتلك الفئة المؤمنة أظهر لهم حقيقة التوكل ، وجاء هذا الاظهار عن طريق الحصار وانزلهم منزلة من ينكر التوكل على الله وحده ، ليؤكد لهم أن الايمان لا يكمل الا بقصر التوكل على الله وحده دون غيره وكذلك النصر لا يتحقق الا بالتوكل على الله وحده قال الامام البيضاوى (أى فليتوكلوا عليه ، ولا يتوكلوا على غيره ، لينصرهم

كما نصرهم ببدر) (٢) .

(١) زاد المعاد ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٤١ .

﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) -

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على السند اليه .

المقصود : الذي في السموات والذي في الأرض .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر افراد ، كما يفهم من تفسير

ابن جرير حيث قال (يعني بذلك تعالى ذكره ليس

لك يا محمد من الأمر شيء والله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من

مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما شاء ، ويقضى

فيهم ما أحب ، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهييه

ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جريمه ، فينتقم منه) (٢) .

فقوله دونك ، وقوله ليس لك يا محمد يوضح أن النفس بالنسبة للرسول

صلى الله عليه وسلم ، فيكون القصر اضافة قصر افراد .

كما أشار الى ذلك البيضاوي ، (فله الأمر كله لا لك) (٣) .

فقوله لا لك يعني ، أن النفس بالنسبة الى معين .

(١) آية : ١٢٩ .

(٢) الطبري ، ٣م ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(٣) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أمر معركة أحد ، وما أصاب
المسلمين فيها من الهزيمة ، وذكر أمر معركة بدر ، وانتصار المسلمين
فيها ، وأن أمر الهزيمة والنصر بيده وحده ، أعقب هذا الاختصاص
باختصاص آخر ليقدر ملكية جميع الكائنات له وحده دون غيره ، فهو
اناً (كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل ،
اشربيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه ، تقريراً لما سبق
وتكملة له ، وتقديم الجار للقصر ، وكلمة "ما شاملة للعقلاء أيضاً
تغليباً له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً ، لا مدخل فيه لأحد أصلاً
فله الأمر كله) (١) .

(١) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٨٤ .

— (وَاللَّهُ يَهْدِي وَيُضِلُّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى وهو
محتمل للتخصيص والتقوى عند الشيخ عبد القاهر ، وللتقوى فقط عند
السكاكي .

المقصور : الاحياء والاماتة .

المقصور عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصر اضاфия قصر قلب .

سر القصر :

ظن الكفار أن أمر الاحياء والاماتة موقوف على الاقامة والسفر ، وهذا
معتقد باطل وانكار لربوبية الله سبحانه وتعالى فجئ بالقصر لقلب هذا
المعتقد ، بتأكيد أن أمر الاحياء والاماتة بيد الله وحده ، فهو المحي
والمميت ، لا الاقامة والسفر ، (فانه تعالى قد يحيى السافر والفارزى
ويميت المقيم والقاعد) (٢) .

وفى تأكيد هذه الحقيقة بهذا الاسلوب ما يحث المؤمنين ويرغبهم
فى الجهاد ، اذا ما عرفوا حقيقة الاحياء والاماتة ، ويمنعهم عن التخلف
عن الجهاد خشية القتل .

(١) آية : ١٥٦ .

(٢) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

﴿ وَلَٰكِن قَاتَلْتُمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّم لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ، وَلَٰكِن مُّتُّم أَوْ قَاتَلْتُم لِّإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

اختلف المفسرون في سر التقديم في الآية ، فذهب كثير منهم الى

أنه يفيد الاختصاص . ومن رأى ذلك الامام الزمخشري (٢) والفخر الرازي (٣)

والبيضاوي (٤) والشهاب في حاشيته على البيضاوي (٥) والشوكاني (٦) ،

والألوسي (٧) .

(١) آية : ١٥٧ - ١٥٨

(٢) الكشاف ، ج١ ، ص ٤٧٤ .

(٣) الفخر الرازي ، ج٤ ، ص ٦١ .

(٤) البيضاوي ، ج٣ ، ص ٥٥ .

(٥) حاشية الشهاب ، ج٣ ، ص ٧٥ .

(٦) فتح القدير ، ج١ ، ص ٣٩٣ .

(٧) روح المعاني ، ج٤ ، ص ١٠٥ .

أما أبو حيان فقد رأى أن التقديم هنا لا يفيد الاختصاص ، وإنما يفيد
الاعتناء بالشئ والاهتمام بذكره ورعاية الفاصله ،

فبعد أن ذكر رأى الزمخشري في تفسير هذه الآية وأن الخطاب فيها
للمؤمنين خاصة-أي (لآلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم
الثواب ، تحشرون .

ولوقوع اسم الله تعالى هذا النوقع ، مع تقديمه وادخال اللام على الحرف
المتصل به ، شأن ليس بالخفى) - (١) .

علق على قول الزمخشري بقوله : (...يشير بذلك إلى مذهبه من أن التقديم
يؤذن بالاختصاص ، فكان المعنى عنده فآلى الله لا غيره تحشرون ،
وهو عندنا لا يدل بالوضع على ذلك ، وإنما يدل التقديم على الاعتناء
بالشئ والاهتمام بذكره ، كما قال سيبويه : وزاده حسنا هنا ، أن تأخر
الفعل هنا فاصله ، فلو تأخر المجرور لقات هذا الغرض . (٢) .

ورأى الامام الألوسى أن مثل هذا القول من قبيل الادعاء ، فبعد
أن أوضح أن التقديم مفيد للحصر ، وأن ادخال لام القسم على المعمول
شعر بتأكيد الحصر والاختصاص . قال :

(وادعى بعضهم أن تقديم هذا المعمول لمجرد الاهتمام ، ويزيده ،

حسنا وقوع ما بعده فاصله ، وما أشرنا إليه أولا أولى) (٣) .

(١) الكشاف ، م ، ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

(٣) روح المعاني ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

ويبدو لى أن افادة التقديم الاهتمام بالشئ والاعتناء به لا يمنع افادته الحصر .

سر القصر :

ان بذل الروح أمر صعب على النفس البشرية . ولكن فى تخصيص الحشر بكونه الى الله ، حث وترغيب للمؤمنين فى بذل أرواحهم عن رضا واطمئنان ، فالله سبحانه وتعالى (رغب المجاهدين فى الآية الأولى ، بالحشر الى مغفرة الله ، وفى هذه الآية زاد فى اعلاء الدرجات فرغبهم . ههنا بالحشر الى الله) (١) .

أى (لى معبودكم الذى توجهتم اليه ، وبذلتهم مهجكم لوجهه ، لا الى غيره لا محاله تحشرون ، فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم) (٢) .
(فآثروا ما يقربكم اليه ، ويجر لكم رضاه ، من العمل بطاعته والجهاد فى سبيله ولا تركنوا الى الدنيا) (٣) .

ولقد ذكر الامام الفخر لطائف ودقائق فى هذه الآية : يبدو لى أنه من المستحسن الاشارة اليها :

أولها : أنه لم يقل تحشرون الى الله ، بل قال لى الله تحشرون وهذا يفيد الحصر ، ومعناه الى الله يحشر العالمون لا الى غيره . وهذا يدل على أنه لا حاكم فى ذلك اليوم ، ولا ضار ولا نافع الا هو .

قال تعالى : (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)

(١) الفخر الرازى ٤٠ ، ص ٦١ .

(٢) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٣) روح المعانى ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

وقال تعالى : (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) .

وثانيهما : انه ذكر من اسماء الله هذا الاسم (الله) ، وهذا الاسم أعظم الأسماء ، وهو دال على كمال الرحمة وكمال القهر ، فهو لدلالته على كمال الرحمة ، أعظم أنواع الوعد . ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد .

ثالثها : ادخال لام التأكيد في اسم الله حيث قال (إلى الله) وهذا ينبه على أن الالهية تقتضى هذا الحشر والنشر ، كما قال : (ان

الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) (١) .
ورابعها : أن قوله (تحشرون) مبنى للمجهول ، مع أن فاعل ذلك الحشر هو الله الذى بيدئ ويعيد ، ومنه الانشاء والاعادة . فترك التصريح في مثل هذا الموضع . أدل على العظمة ونظيره قوله تعالى . . (وقيل يا أرض ابلعى ما لك) (٢) .

وخامسها : أنه أضاف حشرهم إلى غيرهم ، بمعنى أنه في بعض الآيات ، أسند ما يفيد الحشر إلى الخلق مثل قوله تعالى : (يَوْمُ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ، أما هنا فقد بنى الفعل للمجهول والفاعل معروف ، فلم يكن للخلق في الحشر شيء حتى مجرد اسناده اليهم في الظاهر ، وذلك ينبه العقل على أن جميع الخلق مضطرون في قبضة قدره ونفاذ المشيئة ، فهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا لا يخرجون عن

قهر الربوبية وكبرياء الالهية .

(١) طه ، آية : ١٥ .

(٢) هود ، آية : ٤٤ .

(٣) المطففين ، آية ٦ .

وساندها : أن قوله (تحشرون) خطاب مع الكل ، فهو يدل على
أن جميع العالمين يحشرون ، ويوقفون في عرصة القيامة فيجتمع المظلوم
مع الظالم والمقتول مع القاتل ، والحق سبحانه وتعالى يحكم بين عبده
بالمعدل البرء عن الجور ، كما قال : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ)^(١) ، فمن تأمل في قوله تعالى : (لِإِلَهِ اللّهِ تَحْشَرُونَ) ،
وساعدهم التوفيق ، علم أن هذه الفوائد التي ذكرناها كالقطرة من بحار
الأسرار المودعة في هذه الآية (٢) .

(١) الأنبياء آية : ٤٧ .
(٢) الفخر الرازي ، م ، ٥ ، ج ، ٩ ، ص ، ٦٢ .

(فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَلِغْ لَكُمْ فَتَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ مَا ظَلَمْتُمْ لَتَفْتَنَنَّ اللَّهُ رِجْلَكُمْ وَيَكْفُرَ اللَّهُ بِكُم مَّا ظَلَمْتُمْ لَئِن لَّمْ يَكْفُرِ اللَّهُ بِكُم لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١) .

اختلف المفسرون في طريق القصر في هذه الآية ، هل هو عن طريق التقديم أو هو عن طريق التوكيد بمعونة المقام .

ذكر الامام الزمخشري وتبعه في ذلك الامام البيضاوي أن (ما : مزيدة للتوكيد ، والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه - فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم . . .) (٢) .
ففهم بعض العلماء أن في كلام الزمخشري حذفاً والمعنى ما : مزيدة والظرف مقدم : للتأكيد .

وممن ذكر ذلك الكازروني في حاشيته على البيضاوي . فيعد أن ذكر أن الامام البيضاوي ، قد تبع الزمخشري في عبارته ، ذكر ما فيها من (. . . توسع ، وحق العبارة أن يقال وما : مزيدة لتأكيد الدلالة . . الخ لأن أصل الدلالة على الحصر استغيد من تقديم الجار والمجرور ، ولذا قيل أن في كلام الكشاف حذفاً ، والمعنى ما : مزيدة ، والظرف مقدم للتأكيد والدلالة) (٣)

(١) آية : ١٥٩ .

(٢) الكشاف : ١ م ، ص ٤٧٤ .

(٣) البيضاوي : حاشية الكازروني ، ج ٢ ، ص ٥٠ / ٥١ .

ورد الشهاب في حاشيته على البيضاوي على من قال أن في كلام -
الزمخشري حذفاً لأن مثل هذا القول قد تكرر في مواضع
من كشافه ولا قرينة على ما ذكره ، ورأى أنه لا مانع من دلالة
(ما : المزيده للتوكيد) على الحصر ، فقال معلقاً على كلام الامام
البيضاوي (. . .) وقد تبع فيه الكشاف ، ولما كان مخالفاً لما تقرّر من أن
الحصر انما يستفاد من التقديم ، لا من التأكيد ، بما : الزائده ونحوه
ذهب شراحه الى أن الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة
« ما » انما يفيد تأكيد ذلك ، قالوا ففي كلامه حذف ، أى ما مزيدة
والظرف مقدم للتأكيد والدلاله على اللف والنشر التقديرى ولا يخفى
ما فيه من العناية . . .

وقد وقع من الزمخشري هذا في مواضع من كشافه ، ولا قرينة على
ما ذكره ولو قيل أن الحصر انما ، استفيد من التقديم لدلالته على
الاهتمام به ، والتأكيد أيضاً يدل على ذلك فلا مانع من دلالة على
الحصر أيضاً ، لأن تأكيد سببته يفيد أنه لا سبب غيرها ، ولعل
هذا مراده ، لكن الشراح لم يعولوا عليه ، لأنه لم يذكره أحد من
أهل المعانى ، وكم في كتابه من أمثاله ، وقد صرح به في بعض كتبه (١)

(١) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ٧٦ .

أما الامام الفخر فلا يرى في الآية أى دلالة على الحصر ، وأن (ما)
هنا للتعجب ، وليست زائدة للتأكيد لأن دخول اللفظ المهمل
الضائع في كلام الله غير جائز . قال : (ذهب الأكثرون الى أن (ما)
في قوله (فيما رحمة من الله) صلة زائدة ، ومثله في القرآن كثير
كقوله (عما قليل) ، و (جند ما هنالك . فيما نقضهم . مما خطاياهم)
قالوا : والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد ، ما يستغنى عنه قال
تعالى : (فلما أن جاء البشير) أراد : فلما جاء ، فأكد بأن
وقال المحققون : دخول اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين
غير جائز ، وههنا يجوز أن تكون (ما) استفهاما للتعجب .
تقديره : فبأى رحمة من الله لنت لهم ، وذلك لأن جنائيتهم لما كانت
عظيمة ثم أنه ما أظهر البتة تغليظا في القول ولا خشونة في الكلام
علموا أن هذا لا يتأتى الا بتأييد رباني وتسديد الهوى ، فكأن ذلك
موضع التعجب . من كمال ذلك التأييد والتسديد .
ف قيل : فبأى رحمة من الله لنت لهم ، وهذا الأصوب عندي (١) .
وذكر الامام الشوكاني أن كون (ما) في الآية استفهامية داله على
التعجب . أمر بعيد ، فلو كانت كذلك لحذفت الألف من " ما " ، وقيل :

(١) الفخر الرازي ، ٥٥ ، ج ٩ ، ص ٦٤ / ٦٥ .

فيم رحمة من الله لنتلهم ، فقال : (. . . والجار والمجرور متعلق بقوله (لنتلهم) ، وقُدِّم عليه لافادة القصر وتنوين رحمة للتعظيم والمعنى : أن لينه لهم ما كان ، الا بسبب الرحمة العظيمة منه ، وقيل أن ما استغفاهم ، والمعنى : فبأى رحمة من الله لنتلهم ، وفيه معنى التعجب وهو بعيد ، ولو كان كذلك لحذف الألف من ما ، وقيل
فيم رحمة من الله) (١) .

أما ابن كثير فيفهم من كلامه وإيقانه برأى قتاده أن (ط) قد تكون للتعجب وقد تكون (صله) ، فقال (. . . أى بأى شئ جملك الله لهم لينا ، لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال : قتاده (فيما رحمة من الله لنتلهم) ، يقول : فبرحمة من الله لنتلهم ، وما : صلة ، والمغرب تصلها بالمعرفة كقوله : (فيما نقضهم ميثاقهم) والنكرة كقوله (عما قليل) ، وهكذا ههنا . قال (فيما رحمة من الله لنتلهم) ،
أى برحمة من الله) (٢) .

ويبدو لى أن الآية تفيد القصر من الطريقتين طريق التقديم وطريق التوكيد بمعونة المقام .

ومجىء القصر فى الآية لتذكير المؤمنين ، ولفت أنظارهم الى رحمة الله الممثلة فى خلق الرسول الرحيم ويشعرهم بحقيقة المنه الالهية

(١) فتح القدير م ١ ، ص ٣٩٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ١٤١ .

التي منها الله سبحانه وتعالى على عباده . فقد رجع ثلث الجيش
قبل بدء معركة أحد ، واضطربت صفوفهم ، ثم ضعفوا أمام اغراء الغنائم
ثم ضعفوا أمام اشاعة مقتله صلى الله عليه وسلم وفرَّ الكثير من
أمامه وتركوه في النفر القليل . كل هذه الأمور المشيرة للغضب والحقن
في النفس البشرية ، لم تلقى مكانا في قلبه صلى الله عليه وسلم
والسرفي ذلك أن عطفه ولينه ما كان الا برحمة من الله .

فاذا كانت هذه رحمة الرسول ، فكيف برحمة من أمده بهذا اللين ؟
وفي اطلاع المؤمنين على حقيقة رحمته ومصدرها في هذا الموقف ما
يعيد ثقتهم بالله وبنبيه ، ويعيدهم الى لواء طاعته والابتعاد عن
معصيته .

(إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ
مَنْ بَعْدَهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقاً . أو هو قصر قلب أو أفراد .

ذهب الامام الزمخشري (٢) والفخر الرازي (٣) ، والبيضاوي (٤)

والشوكاني (٥) ، والالوسي (٦) ، ورشيد رضا (٧) ، إلى أن الآية مفيدة

للقصر ، واعترض على ذلك الامام أبو حيان لما أشرنا اليه من قبل من

ان مذهبه عدم افادة تقديم المعمول على العامل الحصر ، فقال معترضاً

على الزمخشري : (وقال الزمخشري في قوله : وعلى الله . وليخص المؤمنون

ربهم بالتوكل والتفويض اليه ، لعلمهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن ايمانهم

يوجب ذلك ويقتضيه (٨)

(١) آية : ١٦٠ .

(٢) الكشاف م ١ ، ص ٤٧٥ .

(٣) الفخر الرازي ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٤) البيضاوي ج ٢ ، ص ٥١ .

(٥) فتح القدير م ١ ، ص ٣٩٤ .

(٦) روح المعاني ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٧) المنار م ٤ ، ص ٧٠ .

(٨) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٧٥ .

انتهى كلامه ، وأخذ الاختصاص من تقديم الجار والمجرور وذلك على
طريقته ، بأن تقديم المفعول يوجب الحصر والاختصاص (١) .

سر القصر :

كان من سبب هزيمة المسلمين في غزوة أحد عدم توكل بعضهم على الله حق التوكل
فعندما أشيع أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قُتِل ، دَبَّ الرعب في
الصفوف وضمفت روحهم المعنوية : فجاءت الآيات لتعطيهم درسا
في العقيدة ، تُسَيِّم تلك الهزيمة الظاهرة ، فيبين لهم الله أن النصر
بيده وأن الخذلان بيده وأنه يجب عليهم ألا يتوكلوا في أى أمر من أمورهم
الا على الله وحده دون غيره ، فجىء بأسلوب القصر ليؤكد لهم
هذه الحقيقة ، وينبهم الى حقيقة التوكل ، حيث نُزِّل بعض المؤمنين منزلة
من يتوكل على غير الله أو من يتوكل على الله وعلى غيره - كالقوة
مثلا أو الكثرة في العدد - والا فالؤمنون جميعا لا يتوكلون الا على
الله - وانما نُزِّلوا هذه المنزلة لما كان من بعضهم من التخاذل
حين أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتِل .
وفي اظهار هذه الحقيقة على هذا الوجه : ترغيب في طاعة الله
وتحذير من معصيته بالتوكل على غيره .

(١) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .

ذكر الامام الفخر (يعنى لما ثبت أن الأمر كله بيد الله ، وأنه لا راد لقضائه ، ولا دافع لحكمه ، وجب أن لا يتوكل المؤمن الا عليه ، وقوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يفيد الحصر ، أى على الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره) (١) .

■ (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المضمرة ، الذى ولى حرف النفى : وهو يفيد التخصيص قطعاً عند الشيخ عبد القاهر وقد يفيد عند السكاكى بشرط تقدير التأخير فى الأصل .

المقصود : الحزن المنفى .

المقصود عليه : هم .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

أوهَم المنافقون بعض المسلمين بأن سبب فقدان أحبائهم وأرواحهم هو الجهاد ، وأنهم الآن فى حزن وكرب عظيم ، وحاولوا تأكيد هذه الفكرة بقولهم

(١) الفخر الرازى ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٢) آية : ١٧٠ .

(لو أطاعونا ما قتلوا) ، كل ذلك لتثبيط هم المسلمين عن القتال ،
فجاء الرد عليهم ببيان النعيم المقيم الذي فاز به المجاهدون ، وأنهم
أحياء عند ربهم يرزقون ولتأكيد ما هم فيه من النعيم ، نفى الحزن عنهم
وأشبهته لغيرهم من المنافقين والمتعاسين عن القتال ، (المراد ببيان
دوام انتفاء الخوف والحزن ، لا بيان انتفاء دوامهما ، كما يوهمهم كون
الخبر في الجملة الثانية مضارعا ، فان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام) (١) .
وفي ايضاح حقيقة الشهداء بنفى الحزن عنهم ترغيب للمؤمنين في القتال ،
والجد في طلب منازلهم . كما أن فيه تعريضا بالمتعاسين عن القتال

— (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ
فَأٰمِنُوٓا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ وَاِن تُوْمِنُوٓا وَتَتَّقُوٓا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ) (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم السند على السند اليه .

المقصور : الأجر العظيم .

المقصور عليه : كونه لكم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

(١) تفسير أبي السعود ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(٢) آية ١٧٩ .

سر القصر :

هذه الآية ختام لأحداث غزوة أحد وهي تبين أن الهزيمة التي وقعت بالمسلمين كانت لحكمة الهية ، وهي تمييز الخبيث من الطيب وأن هذا من علم الغيب ، كما بينت الآيات السابقة مصير العنصر الخبيث : وكانت تلك الآيات تُختم بقوله تعالى : (ولهم عذاب عظيم - ولهم عذاب مهين) .

أما الآيات التي تخص المسلمين فقد ختمت بقوله تعالى : (فلكم أجر عظيم) ، أي المختص بكم دون غيركم فقصر الأجر العظيم عليهم ، ونفى عن غيرهم من المنحسرين عن القتال : لتوجيههم وترغيبهم في الاستمرار في طاعة الله ورسوله .

وفيها تعريض بالمنافقين والمتعاسين عن القتال .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ

هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) وَلِلَّهِ مِيرَاتُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : الميراث .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

ورد في الآية أن هناك قوما ، قد آتاهم الله الفضل العظيم فأصابهم

الغرور ، ونسوا أن المال في الأصل مال الله سبحانه وتعالى فبخلوا

به ، ومنعوا زكاته . فجاء أسلوب القصر ، فقصر جميع ما في السموات والأرض

على كونه لله وحده دونهم ، وفي هذا عظيم توبيخ وتهديد وتقرير لمن تحدثه

(١) قال البخارى : حدثني عبد الله بن منير ، سمع أبو النضر يحدثنا عبد الرحمن

هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال

قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (من آتاه الله مالا ، فلم يؤد زكاته مثل له

ماله شجاعا أقرع ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزيمته - يعني بشدقيه

يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ولا يحسبن الذين يبخلون

بما آتاهم الله من فضله) الى آخر الآية . / البخارى ، كتاب التفسير ٢م ج ٦

ص ٤٩ .

(٢) آية : ١٨٠ .

نفسه بمنع الزكاة . (أى وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال وغيره
فما لهم ييخلون عليه بملكه ، ولا ينفقونه فى سبيله ونحوه . قوله) وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه) ، وقراً بما تعملون بالتاء والياء ، فالتاء
على طريقة الالتفات وهى أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر (١) .

— (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا
فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢) .

القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : ملك السموات والأرض .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر أحصياً كفضياً .

سر القصر :

حاول اليهود خداع الرسول صلى الله عليه وسلم : حين سأله عن

(١) الكشاف ، ١ م ، ص ٤٨٤ .

(٢) آية : ١٨٨ / ١٨٩ .

(٣) ورد فى روايه للبخارى باسناده - عن ابن عباس قال : انما دعا النبى صلى الله عليه وسلم

يهود : فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا

اليه ، بما أخبروه عنه فيما سألهم : وفرحوا بما أتوا من كتمانهم . ثم قرأ ابن

عباس : وان أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ، كذلك حتى قوله : يفرحون

بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا . / البخارى . كتاب التفسير

٢٢ ، ٦ ج ، ص ٥١ .

شيء فكتموه عنه وأخبروه بغيره ، فتوعدهم الله بالعذاب لهذه الفعله
وتأكيدا لوقوع العذاب بهم : وتحقيرا لأمرهم أمام من له ملك السموات
والأرض .

جاءت الآية بأسلوب القصر وقدم الجار والمجرور (لله) على
الابتداء (ملك السموات والأرض) لتقرير ما قبله من وقوع العذاب أى (لله)
خاصة (ملك السموات والأرض) ، أى السلطان القاهر فيهما ، بحيث
يتصرف فيهما كيفما شاء ، ويريد ايجادا واعداما ، احياء واماته ، تعذيبا
وإثابه من غير أن يكون لغيره شائبه دخل فى شيء من ذلك بوجه من
الوجوه . فالجملة - مقررة لما قبلها ، وقوله تعالى : (الله على كل
شيء قدير) تقرير لا اختصاص ملك العالم الجثمانى المعبر عنه بقطريه
سبحانه وتعالى ، فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذعن
ملكوته شيء من الأشياء يستدعى كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا
له ، ومن ضرورته اختصاص القدره به تعالى ، واستحالة أن يشاركه
شيء من الأشياء فى القدره على شيء من الأشياء . فضلا عن
المشاركه فى ملك السموات والأرض ، وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب
الآليم لهم ، وعدم نجاتهم منه أشر تقرير ، واظهار الاسم الجليل
فى موقع الاضمار ، لتربية المهابه والاشعار بمناط الحكم ، فإن
شمول القدره لجميع الأشياء من أحكام الألوهية ، مع ما فيه من
الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير (١) .

(١) تفسير أبى السعود ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ (١)

عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢) .

جاء القصر هنا عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : الأجر .

المقصود عليه : كونه لهم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

آمن فريق من أهل الكتاب بما أنزل اليهم على لسان رسلهم كما آمنوا

بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء لصدق ايمانهم أشارت

الآية اليهم باسم الاشارة (أولئك) ؛ للرفع من شأنهم وتعظيمهم ثم

جاء الوعد لهم بالأجر عن طريق القصر ؛ فقدم الجار والمجرور (لهم)

على الخبر (أجرهم) .

(١) وفي الكلام أوجه من الاعراب فقد قالوا : ان (أولئك : مبتدأ ، والظرف : خبره

وأجرهم : مرتفع بالظرف ، أو الظرف : خبر مقدم . (وأجرهم) : مبتدأ مؤخر

والجملة خبر المبتدأ . / روح المعاني ، ج٤ ، ص ١٢٤ .

(٢) آية : ١٩٩ .

أى لهم أجرهم المختص بهم ، الموعود لهم بقوله تعالى : (يوتئكم كفلين من
رحمته) (١) وقوله تعالى : (أولئك يوتئون أجرهم مرتين (٢)) (٣) .
فأجرهم مختص بهم وهم منفردون به دون غيرهم من أهل الكتاب
الذين كفروا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ف (تقديم الخبر
يفيد اختصاص ذلك الأجر بهم) (٤)

-
- (١) الحديد ، من الآية : ٢٨ .
 - (٢) القصص من الآية : ٥٤ .
 - (٣) تفسير أبى السعود ج ٢ ، ص ١٣٦ .
 - (٤) فتح القدير : م ١ ، ص ٤١٤ .

”النساء”

— (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ (١) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى...) (٢)

القصر فى الآية عن طريق تقديم المفعول به على عامه .

المقصور : وعد الله .

المقصور عليه : كلا .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً أو قصر قلب لمن قد يظن

أنه لا أجر لهم .

سر القصر :

أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض المؤمنين فى القعود عن الخروج

الى غزوة بدر اكتفاء^١ بغيرهم وكذلك أذن لأصحاب العاهات بعدم الخروج

ولما كان قعودهم عن استئذان ، وليس عن تقاعس ونفاق فطمئنتهم المولى

(١) وهم الذين أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى القعود عن الجهاد

اكتفاء^١ بغيرهم . روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هم

القاعدون عن بدر . قال : أن مقسماً مولى عبد الله بن الحارث أخبره :

أن ابن عباس رضى الله عنهما أخبره : لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن

بدر والخارجون الى بدر / البخارى ، كتاب التفسير م ٢ ، ج ٦ ، ص ٦٠ .

(٢) آية : ٩٥ .

عز وجل بوصول الثواب اليهم ، فقدم المفعول الأول على الفعل
الأول لتأكيد الوعد .

ذكر الامام الالوسي (مفعول أول لما يعقبه ، قدم عليه لافادة
القصر تأكيدا للوعد . وتنوينه عوض عن المضاف اليه . أى كل واحد
من الفريقين المجاهدين والقاعدين) (١) .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢) .

فى الآيتين الكريمتين ثلاثة أساليب للقصر وجميعها عن طريق تقديم
الجار والمجرور على المبتدأ
والمقصور فيها جميعا : ما فى السموات والأرض .
والمقصور عليه : كونه لله .
قصر موصوف على صفة قصره حقيقيا تحقيقيا .

(١) روح المعانى : ج ٥ ، ص ١٢٢ .

(٢) آية : ١٣١ - ١٣٢ .

سر القصر :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الأحكام والأمور التي يحتاج تطبيقها إلى التقوى والمخافة من الله ، جاء بأسلوب القصر لتنبههم وتذكيرهم بسلطانه وقدرته ليؤطّونا نفوسهم على مخافته ومهابته ولقد ذكر الامام الزمخشري : أن تكرير قوله لله ما في السموات وما في الأرض ، (تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله) (١) .

ولقد ذكر الامام الفخر بعض الدقائق في تكرير قوله تعالى : (والله ما في السموات والأرض) .

أوضحها ثلاثة أمور : أنه تعالى لما قال : (وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته) فالمراد منه كونه تعالى جوادا متفضلا ، ذكر عقيدة قوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) . والفرض من ذلك تقرير كونه واسع الجود والكرم .

وثانيها : أنه لما قال : وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الأرض (والمراد منه أنه تعالى مُنَزَّهٌ عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات . ذكر عقيدة قوله : (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) . لتقرير كونه غنيا لذاته عن الكل .

(١) الكشاف ، م ، ١ ، ص ٥٧٠ .

وشالهما : قال : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
ذَلِكَ قَدِيرًا) ، لبيان أنه تعالى قادر على الافناء والايجاد ، فان
عصيتموه فهو قادر على اعداءكم وافنائكم بالكلية ، وعلى أن يوجد قوما
آخريين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه ، فالفرض في هذا المقام تقدير
كونه سبحانه الواحد دليلا على مدلولات كثيره ، فانه يحسن ذكر
ذلك الدليل لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَحَدِ تِلْكَ الْمَدْلُولَاتِ ، ثم يذكره مرة أخرى
ليستدل به على الثاني : ثم يذكره ثالثا ليستدل به على المدلول
الثالث ، وهذه الاعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة ،
لأنه عند اعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول
فكان العلم الخاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى فظهر أن هذا التكرير
في غاية الحسن والكمال . وفي اعادة هذه الآية ثلاثة مرات مع
التفريع عليها كل مرة اثبات صفة أخرى من صفات جلال الله وتنبيه
للذهن حينئذ يكون تخليق السموات والأرض دالا على اسرار شريفة
ومطالب جليله . فعند ذلك يجتهد الانسان في التفكير فيهما
والاستدلال بأحوالها وصفاتها على صفات الخالق سبحانه وتعالى ،
ولما كان الفرض الكلي من هذا الكتاب الكريم صرف العقول
والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستفراق في معرفة الله
وكان هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد له لاجرم كان في غاية

الحسن والكمال (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا
لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^(١)

المقصود : ما في السموات وما في الأرض .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لقد قوبلت دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالانكار من اليهود ومن النصارى ، فحاولوا تشكيك المؤمنين في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً ، فجاءت الآية الكريمة تخاطب الناس عامة ، وثبتت لهم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من المولى عز وجل ، وأمرهم بالإيمان به ، فان كفروا فالوعيد لهم . وجاء هذا التهديد والتحذير بتقرير وتأكيد أن كل ما في السموات والأرض من مخلوقات الله وأن الناس من جملة تلك المخلوقات فمن كان خالقا كان بلا شك قادرا على المجازاة وفي تأكيد هذا الأمر ما يوجب عليهم القبول والانعان .

(١) آية : ١٧٠ .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى
بِاللَّهِ وَكِيلًا) (١) .

المقصود : ما في السموات والأرض .

المقصود عليه : كونه له .

قصر موصوف علم ، صفة قصر اضافة قصر افراد .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى انكار النصارى تفرده بالالوهية ، واشراكهم
لعيسى عليه السلام في الالوهية ، رد عليهم قولهم الباطل بأربعة أساليب
للقصر .

الأول : عن طريق النفي والاستثناء - وقد سبقت الاشارة اليه في موضعه -

وهو قوله : (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وفي هذا توبيخ لهم

والثاني : في قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) .

والثالث في قوله تعالى : (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ) .

(١) آية : ١٧١ .

وقد سبقت الاشارة اليهما في فصل (انما) .

والرابع - وهذا موضعه - عن طريق تقديم الجار والمجرور " له " . على

البتداء (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) .

فيعد أن نَزَّهَ الحق سبحانه وتعالى نفسه بقوله (سبحانه أن يكون

له ولد) ، ختم الآية بتعليل ذلك التنزيه وتأكيد به بقصر ملكية

الكون على الله . للتبنيه الى غناه عن أن يكون له ولد ، وأن من

كان له السلطان القاهر على جميع الكائنات خلقا وملكا وتصرفا : فلا -

ينبغي أن يكون له ولد ، لأنه داخل تحت ملكه ، ومما يلفت الانتباه

أنه (. .) في كل موضع نَزَّهَ نفسه عن الولد ، ذكر كونه ملكا وملكاً

لما في السموات وما في الأرض . فقال في مريم (ان كل من في

السموات والأرض الا آتى الرحمن عبداً) .

والمعنى من كان ملكا لكل السموات والأرض ولكل ما فيها ، كان

ملكاً لعيسى ومريم لأنهما كانا في السموات وفي الأرض ، وما كانا أعظم

من غيرهما في الذات والصفات ، وازا كان ملكا لما هو أعظم منهما

فيأن يكون مالكتا لهما أولى ، وازا كانا ملوكين له ، فكيف يعقل

مع هذا توهم كونهما له ولداً وزوجة (١)

(١) الفخر الرازي - م ٦ ، ج ١١ ، ص ١١٩ .

"المائدة"

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسُطُوا
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ (١) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ (٢) .

المقصود ، : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفه على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُ مَا مَرَّبَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ
وَتَخْلِيصِهِ لَهُمْ ، وَهَذِهِ الْيَمْنَةُ مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ لِتَقْوَاهُ وَشُكْرِهِ ، وَالتَّوَكُّلِ
عَلَيْهِ وَحَدِيثُهُ دُونَ غَيْرِهِ وَجَاءَ بَيَانُ هَذَا التَّوَكُّلِ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْرِ
لِيُؤَكِّدَ لَهُمْ وَجُوبَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ

(١) ذكر محمد بن اسحق بن يسار ومجاهد وعكرمه وغير واحد : أنها نزلت في

شأن بني النضير ، حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله

عليه وسلم الرحى ، لما جاءهم يستمعينهم في دية العامرين ،

ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك . وأمروه أن يجلس النبي صلى الله عليه وسلم

تحت الجدار ، واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحى من فوقه ، فأطاع الله

النبي صلى الله عليه وسلم على ما تمالئوا عليه . فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه

فأنزل الله في ذلك هذه الآية / ابن كثير ٢م : ص ٥٢٣ .

(٢) آية : (١) .

الامام أبى السعود : (" وعلين الله " أى عليه تعالى خاصة دون غيره
استقلالاً واشتراكاً " فليتوكل المؤمنون " فإنه يكفيهم فى اىصال كل
خير ، ودفع كل شر ، والجملة تذييل مقرر لما قبله ، واىثار صيغة
أمر الفاعل واسنادها الى المؤمنين ، لإيجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهانى ، وللايذان بأن ما وصفوا به من التوكل والتقوى
وازع عن الاجلال بهما ، واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضطر ، لتعليق
الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية) (١) .

(١) تفسير أبى السعود ، ٢م ، ج ٣ ، ص ١٣ / ١٤ .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (١) .

سبق الحديث عن مثل هذا القصر. (النساء آية (١٧١) ص ٤١٦ .

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامه .

المقصود : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر : ...

لما تباطأ بنو إسرائيل عن الدخول الى بيت المقدس خوفاً،

واعتمدوا على الأسباب : من اخراج القوم من البيت المقدس ، حيث قالوا

(إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) .

(١) آية : ١٧ .

(٢) آية : ٢٣ .

جاء القصر في الآية لقلب اعتقادهم ، أى (وعلى الله) تعالى خاصة
” فتوكلوا ” بعد ترتيب الأسباب ، ولا تعتمدوا عليها ، فإنها بمعزل من التأثير
وانما التأثير من عند الله العزيز القدير (١) .

— (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ
مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ
النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (٢)

المقصود : العذاب المقيم .

المقصود عليه : كونه لهم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

جاءت الآية الكريمة لتهديد الكفار وتخويفهم ، والمبالغة في اذلالهم

بتأكيد اقامتهم في النار ، فقال تعالى : (وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا) ، بدلا

من : وما يخرجون ، للمبالغة (٣) .

(فان : ما هم بخارجين ، فيه تكرر نفى نسبة الخروج اليهم ، وتأکید النفي

بالباء ، كما قالوا : زيد يضرب ، أبلغ من : يضرب زيد ، لأن فيه تقوى

النسبه) (٤) .

(١) تفسير أبى السعود ، م ٢ ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٢) آية : ٣٦ / ٣٧ .

(٣) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤) البيضاوى ، حاشية الكازونى ج ٢ ، ص ١٤٨ .

والإيمان في انزالهم وتقرير اقامتهم في النار ، قُصِرَ العذاب المقيم على
كونه لهم خاصة دون العصاة من المسلمين ، فان الله مخرجهم من النار بانه
ولقد ذكر الإمام الفخر سر القصر ، فقال : (احتج أصحابنا بهذه الآية
على أنه تعالى يخرج من النار من قال : (لا اله الا الله) على سبيل
الاخلاص . قالوا لأنه تعالى جعل هذا المعنى من تهديدات الكفار وأنواع
ما خوفهم به من الوعيد الشديد . ولولا أن هذا المعنى مختص بالكفار
والا لم يكن لتخصيص الكفار به معنى . والله أعلم .
ومما يؤيد هذا الذي قلناه قوله : (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) .
وهذا يفيد الحصر ، فكان المعنى : ولهم عذاب مقيم لا لغيرهم كما
أن قوله (لكم دينكم) ، أى لكم لا لغيركم ، فكذا ههنا (١) .

(١) الفخر الرازي م ٦ ، ج ١١ ، ص ٢٢٨ .

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

القصر في الآية جاء عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : ملك السموات والأرض .

المقصود عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصرًا حَقِيقًا كَقَمِيصًا .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا ، وجزاء السارق والسارقة ، وهي أحكام قد تثير الشكوك في نفوس الكثيرين ، فيرون أَنَّ في هذه الأحكام جُورًا وظُلْمًا في حق الانسان فدحضا لهذه الشبهات ، وقلبا لهذا الاعتقاد وتهديدا لمن تسول له نفسه بارتكاب هذه المحرمات جيء بأسلوب القصر للتنبيه بأن الله هو المالك المتصرف في كل ما في السموات والأرض ، فمن كان كذلك وجب أن يكون له التقرير والحكم دون غيره .

ذكر الإمام أبو حيان : (لما ذكر تعالى تصرفه في أحكام المحاربين وأحكام السَّرَاق ، ولم يحاب ما ذكر من العقوبات عليهم ، نبه على أن ذلك هو تصرف في ملكه ، وملكه لا معقب لحكته ، فيعذب من يشاء عذابه وهم المخالفون لأمره ويغفر لمن يشاء ، وهم التائبون) (٢)

(١) آية : ٤٠ .

٢٢ البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ / ٤٨٥ .

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبِّئُكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : المرجع .

المقصود عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

وذلك بانزالهم منزلة من ينكر كون المرجع الى الله . وذلك أشد في

الوعيد .

سر القصر :

تحدثت الآيات السابقة عن من يحكم بغير ما أنزل الله ، ثم توجه

الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم : وأمره بأن يحكم بين الناس

بكتاب الله ثم بين الحكمة في اخلاف الأديان والشرائع وهي

الابتلاء والاختبار ، ثم جاء الأمر بالحث على استباق الخيرات .

وهذا الأمر يحتاج الى نوع من الترغيب بالاستزادة من الخير

والترهيب من التباطؤ فيه . فجاء بأسلوب القصر للترغيب والترهيب

فقصر المرجع على كونه الى الله لترغيب الناس في العمل واستباق

الخيرات وترهيبهم من مخالفة المنهج ، والشريعة . ذكر الامام

البيضاوي : (استئناف فيه تقليل الأمر والاستباق ووعد ووعد للمبادرين

والمقصرين) (٢) .

(١) بعض الآية : ٤٨ .

(٢) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ

الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : الحشر .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا ، أو هو قصر قلب . وذلك بانزال

المخاطبين منزلة من ينكرون الحشر الى الله ، وذلك أبلغ في التحذير .

سر القصر :

لما كانت الآية الكريمة تتحدث عن تحليل بعض الأمور وتحريم بعضها .

كان لابد من ترغيب الناس في الطاعة ، وتحذيرهم من المعصية . فجنس

باسلوب القصر ، وقصر الحشر على كونه لله وحده دون غيره ، للتشديد

والمبالغة في التحذير . ذكر الامام أبو حيان : أن (هذا فيه تنبيه وتهديد

جاء عقيب تحليل وتحريم ، وذكر الحشر ، ان فيه يظهر من أطاع وعصى) (٢) .

(أى اتقوا الله فيما نهاكم عنه الذى اليه تحشرون لا الى غيره ، وفيه تشديد

والمبالغة في التحذير) (٣) .

(ليكون المرء مواظبا على الطاعة محترزا عن المعصية) (٤)

(١) آية : ٩٦ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤ .

(٣) الفخر الرازى ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٠٥ .

(٤) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٧٩ .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (١) .

جاء القصر في الآية الكريمة عن طريق تقديم المسند على المسند إليه

المقصود : المرجع .

المقصود عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيقا ، أد هو مَصْرَعَلِب .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة موقف الضالين من كتاب الله

ثم تلاها بحث المؤمنين على الاستمسك بايمانهم ، وأن لا يهتموا بمن ضل

فلكلّ جزاؤه . ولترغيبهم في التمسك بالإيمان ، وترهيبهم من الضلال . جيء

باسلوب القصر ، فقصر المرجع على كونه لله ، لا الى أحد سواه وفي هذا (وعد

ووعيد للفريقين ، وتنبيه على أن أحدا لا يؤخذ بذنب غيره) ^(٢) وبجزأ أن يكون المقدر مَصْرَعَلِب .

فليكون التنبيه أشد ، والوعيد أعظم : نزلهم منزلة من يعتقد أن المرجع

الى غيره . ثم جيء بأسلوب القصر لقلب هذا الاعتقاد .

(١) آية : ١٠٥ .

(٢) البيضاوي : ج ٢ : ص ١٧٢ .

— (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : ملك السموات والأرض .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

ذكر الامام الفخر تحقيقا جميلا في بيان سر ختام هذه السورة بهذه

الآية المشتمة على القصر . فذكر أن السرف في ذلك (أن السورة اشتملت

على أنواع كثيرة من العلوم . فمنها : بيان الشرائع والأحكام والتكاليف ، ومنها

: المناظرة مع اليهود في انكارهم شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ومنها

المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث ، فختم السورة بهذه الفكتة الوافية

بإثبات كل هذه المطالب . فانه قال : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ)

ومعناه أن كل ما سوى الحق سبحانه : فانه ممكن لذاته ، موجود بايجاده

تعالى : وانا كان الأمر كذلك ، كان مالكا لجميع الممكنات والكائنات موحدا

لجميع الأرواح والأجساد . وانا ثبت هذا لزم فيه ثبوت كل المطالب المذكوره

في هذه السوره . وأما حسن التكليف كيف شاء وأراد ، فذاك ثابت ، لأنه

سبحانه لما كان مالكا لكل : كان له أن يتصرف في الكل بالأمر

والنهي والثواب والعقاب كيف شاء أو أراد . فصح

القول بالتكليف على أى وجه أراد الحق سبحانه وتعالى - وأما الرد على اليهود ، فلأنه سبحانه لما كان مالك الملك ، فله بحكم المالكية أن ينسخ شرع موسى ، ويضع شرع محمد عليهما الصلاة والسلام . وأما الرد على النصارى فلأن عيسى ومريم داخلان فيما سوى الله ، لأتأبيننا أن الموجد اما أن يكون هو الله تعالى ، أو غيره . وعيسى ومريم لا شك فى كونهما داخلين فى هذا القسم . فاذا دللنا على أن كل ما سوى الله تعالى ممكن لذاته ، موجود بايجاد الله ، كان بتكوين الله كأن عيسى ومريم عليهما السلام كذلك ولا معنى للعبودية الا ذلك ، فثبت كونهما عبيد مخلوقين ، فظهر بالتقرير الذى ذكرناه ، أن هذه الآية التى جعلها الله خاتمة لهذه السورة برهان قاطع فى صحة جميع العلوم التى اشتملت هذه السورة عليها . والله أعلم بأسرار كلامه . (١) .

" الأنعام "

(وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه -

المقصود : ما سكن في الليل والنهار .

المقصود عليه : كونه له (أى لله) .

قصر موصوف على صفة قصر افراد . أى ما سكن في الليل والنهار له

وحده لا لألهمتكم أو هو قصر حقيقى تحقيقى أى له وحده دون غيره .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بمواجهة المشركين الذين اتخذوا مع الله الهيا

آخر ، وأنكروا وحدانيته ، بينما دلائل تلك الوجدانية منصوبة أمامهم

محيطه بهم . فأول دليل واجهتهم به اثبات خلق السموات والأرض لله

ثم اثبات أن الله خالقهم (هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل

سمى عنده ثم أنتم تمعترون) (٢) .

وبعد هذا الاثبات جئنا بأسلوب القصر للرد على مفترياتهم باثبات

ملكية الكون ظاهره وباطنه للمولى عز وجل ، فهذه الأشياء له لا لغيره وهذا

هو الحق لأن كل موجود فهو إما واجب لذاته ، وأما ممكن لذاته . فالواجب

لذاته ليس الا الواحد وبما سوى ذلك الواحد ممكن

(١) آية : ١٣ .

(٢) آية : ٢ .

والممكن لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ، وكل ما حصل بايجاده وتكوينه كان ملكا له ، فثبت أن ما سوى ذلك الموجود الواجب فهو ملكه ومالكه فلهذا

السبب قال : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) (١) .

(وخص الساكن بالذكر ، لأن ما يتصف بالسكون أكثر مما يتصف بالحركة

وقيل المعنى ما سكن فيهما ، أو تحرك ، فاكتفى بأحد الضدين عن

الآخر وهذا من جملة الاحتجاج على الكفرة) (٢) .

(٣) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

في الآية اسلوبا قصرا . الأول عن طريق إنما ، وقد سبق الحديث عنه

في فصله . والثاني عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

فالمقصود : رجوعهم .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرنا حقيقا تحقيقا .

سر القصر :

حين واجه المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بالانكار الشديد

حزن حزنا شديدا ، وكان يرغب في هدايتهم ، فجاءت هذه الآية

لتذكير الرسول الكريم ، بأن أمرهم بيد الله العالم بخبايا نفوسهم ،

(١) الفخر ، ٦م ، ج ١٢ ، ص ١٧٧ .

(٢) فتح القدير ، ٢م ، ص ١٠٤ .

(٣) آية : ٣٦ .

فَقَصِرَ الرَّجُوعُ عَلَى كَوْنِهِ لِلَّهِ : لِتَذْكَيرِ بَعْدَلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفِي هَذَا
تَهْدِيدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، وَتَطْمِينٍ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَتَسْلِيَتِهِ
وَاجْلَاءِ الْحُزْنِ عَنْهُ ، إِذَا مَا عُلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ وَالْمَرْجِعَ بِيَدِ اللَّهِ ، فَيَجَازِي
كُلًّا بِعَمَلِهِ : بِحَسَبِ عَمَلِهِ الْأَزْلَى .

— (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْشَاكُمْ مَا فَزَّطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : ربهم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما بين الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أن مرجع الكفار

لا يكون إلا إليه ، جاء بهذه الآية وقصر أمر الدواب والطيور ، وأن

رجوعهم ومحشرهم لا يكون إلا إلى الله وفي ذلك تهويل الخطب وتفطيع الحال

فإذا كانت الدواب تحشر إلى الله وتجازى ، فهذا تأكيد لمجازاة الكافرين على

أعمالهم لأنهم مكلفون ، وفي هذا شدة تهديد ووعيد لهم وأنهم لا محالة

محشورون ومجازون .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير على الخبر المنفي ، وقد سبق أن أشرت الى أن تقديم الضمير على الخبر المنفي ، يفيد الاختصاص قطعاً عند الشيخ عبد القاهر ، ولا يفيد عند السكاكي الا بشرط تقدير التأخير في الأصل .

المقصور في الآية : الحزن المنفي .

المقصور عليه : هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً ، أو هو قصر اضافي قصر افراد ، أي ولا هم يحزنون ، انما يحزن غيرهم ممن كفر وعصى .
سر القصر :

لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنهم قالوا : (لولا أنزل

عليه آية من ربه) (٢) وذكر في جوابهم ما تقدم من الوجوه الكثيرة .

ذكر هذه الآية لبيان مهمة الرسل من أنهم بعثوا مبشرين ومنذرين

ولا قدرة لهم على انزال المعجزات ، بل ذاك مفوض الى مشيئة الله

وقدرته وحكمته . فقال تعالى : (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)

أي مبشرين بالثواب على الطاعات ، ومنذرين بالعقاب على المعاصي (٣) .

(١) آية : ٤٨ .

(٢) آية : ٨ .

(٣) الفخر الرازي ، ٦م ، ج ١٢ ، ص ٢٤١ .

ولترغيب الخلق في الطاعات ، جئنا بأسلوب القصر لتبشير من قَبِلَ قولهم
وصدَّقه بالعمل . حيث نَفَسَ الحزن عنهم ، أى لا خوف عليهم من العذاب
الذى أنذروه دنيويا كان أو أخرويا ، ولا هم يحزنون بغوات ما بشروا به
من الثواب العاجل والآجل . أى لا يعترِبهم ما يوجب ذلك الحزن والخوف ،
لأنه يعترِبهم ، لكنهم لا يخافون ولا يحزنون . والمراد ببيان دوام -
انتفائهما ، لا ببيان انتفاء دوامهما ، كما يوهمه كون الخبر في الجملة
الثانية مضارعا ، لما تقرر في موضعه من أن النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام . ألا يرى أن الجملة الاسمية
تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت ، فإذا دخل عليها حرف النفي دلت
على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار ، كذلك المضارع الخالي
عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي ، يفيد
استمرار الانتفاء ، لا انتفاء الاستمرار ، ولا بَعْدَ في ذلك ، فان قولك :
ما زيدا ضربت ، مفيد لاختصاص النفي ، لا نفي الاختصاص . (١) .

(١) انظر تفسير أبي السمود ، ٢ م ، ٣ ج ، ص ١٣٥ / ١٣٦ .

روح المعاني ، ج ٧ ، ص ١٥٤ .

(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

ولقد ذكر الامام أبو السعود (٢) ، وتبعه الألويسي (٣) أن في الآية اختصاصا

أى رجوعكم بعد الموت اليه لا الى غيره أصلا .

المقصود : المرجع .

المقصود عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصرأ حَقِيقًا حَقِيقًا .

سر القصر :

لما تمادى كيفار قريش في كفرهم ، خوفهم الرسول صلى الله عليه وسلم

بانزال العذاب عليهم ، ولكن القوم لاصرارهم على الكفر ، كانوا يستعجلون

نزول ذلك العذاب فقالوا : (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ افْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٤) .

فانكارهم هذا واصرارهم على الكفر ، يثبت انكارهم ليوم البعث ، واعتقادهم

أنه لا حياة الا الحياة الدنيا .

لذا جاءت الآيات الكريمة لتهديدهم ووعدهم . فبعد أن أكد لهم المولى

عز وجل كمال علمه ، فقال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب . . .) .

(١) آية : ٦٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٢م ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٣) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ١٧٤ .

(٤) الانفال آية : ٣٢ .

أى من كان لديه كمال العلم ، فهو بلا شك محص لجميع أعمالكم فلا يغيب عنه
مثقال ذرة منها ، وزيادة في تهديدهم ووعيدهم ، أكد كمال قدرته
على نقل الذوات من الموت الى الحياة ، ومن النوم الى اليقظة واستقلاله
بحفظها في جميع الأحوال وتدبيرها على أحسن الوجوه في حالة
النوم واليقظة . ثم أكد قدرته على البعث بأسلوب القصر فقال تعالى :

(ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) (وأى من كان قادرا على بعثكم من حال النوم الى
اليقظة ، كان لا شك قادرا على احيائكم بعد الموت وفي تأكيد البعث
على هذا الوجه بالغ التهديد والوعيد لهم .

■ (قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا
بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ
أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُوْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُوتِنَا
لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (١) .

في الآية الكريمة ثلاثة أساليب للقصر .

الأول : عن طريق تعريف الطرفين ، وتوسط ضمير الفصل ، وسيأتى
الحديث عنه في موضعه .

والثاني : في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

وهو عن طريق تعريف الطرفين .

والثالث : في قوله تعالى (إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

وهو عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : حشرهم .

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صنفه على موصوف قصره حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

الخطاب في الآية السابقة للرسول صلى الله عليه وسلم لا طاعه
على حقائق الكافرين ، وأن عليه التبليغ ، والأمر بالصلاة والتقوى . وعند
ذكر هذا الأمر جيء بأسلوب القصر ، فقصر حشرهم على الله ، للتنبيه
على وجوب الامتثال بما أمر به الله من الاسلام ، والصلاة واتقاء الله
وتخويف وتهديد من ترك الامتثال بها ، لأن (ثمرات فعل هذه الأعمال
وحسرات تركها ، انما تظهر يوم الحشر والقيامة) (١) .

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ

الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (٢)

بيدولى أن في الآية الكريمة ثلاثة أساليب للقصر .

الأول في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

وهو قصر عن طريق تعريف الطرفين . وسيأتى الحديث عنه .

(١) البحر المحيط : ج ٤ / ص ١٦٠ .

(٢) آية : ٧٣ .

والقصر الثاني : وهذا موضعه في قوله تعالى : (وَلَهُ الْمُلْكُ) وهو

عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصود : الملك .

المقصود عليه : كونه له .

قصر موصوف على صفة قصر حَقِيقاً حَقِيقاً .

والسائل من قوله تعالى : (وَصَوِّبُوا الْحَبْرَ) وهو عن طريق تعريف (طرين) بـ (سيدر) في قوله
سر القصر :
- إن شاء الله -

المقام هنا مقام تذكير للخلق ، بأن يستسلموا لخالق السموات والأرض ، وأن

يمثلوا لأمره ويجتنبوا نهيه ، لأن مصائرهم بيده .

فجاء بالقصر في الآية لتذكيرهم بكمال قدرته ، وضعفهم يوم الوقوف بسين يديه

فالمعنى (أنه لا ملك في يوم ينفخ في الصور الا الحق سبحانه وتعالى

فالمراد بالكلام الثاني تقرير لحكم الحق المبرر عن العيب والباطل . والمراد

بهذا الكلام تقرير قدره التامه الكامله ، التي لا دافع لها ولا معارض فان

قال قائل : قول الله حق في كل وقت وقدرته كاملة في كل وقت ، فما

الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذين الوصفين ؟

قلنا لأن هذا اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد نفع ولا ضرر ، فكان

الأمر كما قال سبحانه : (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) ، فلهذا السبب حسن

هذا التخصيص (١) .

(١) الفخر الرازي ، ٧م ، ج ١٣ ، ص ٣٤ .

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ

زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند إليه .

المقصود : المرجع .

المقصود عليه : كونه الى الله .

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان المسلمون يحقرون آلهة المشركين ، ويشتمونها أمامهم (٢) .

وكان من تعظيم الكفار لآلهتهم رد هم هذا الشتم بشتم الله

- سبحانه وتعالى - ولعظم فعلهم هذا ، كان لا بد من وعيدهم وتهديدهم .

(١) آية : ١٠٨ .

(٢) روى ابن جرير قال : حدثني المثنى قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن

صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ولا تسبوا الذين يدعون من دون

الله ، فیسبوا الله عدوا بغیر علم . قال : قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا

أولنهنجون ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، فیسبوا الله عدوا بغیر علم .

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله : ولا تسبوا

الذين يدعون من دون الله ، فیسبوا الله عدوا بغیر علم ، كان المسلمون یسبون

أوثان الكفار ، فیردون ذلك علیهم . فنهاهم الله أن یستسبوا لربهم ، فانهم

قوم جهلة لا علم لهم بالله . الطبری / ٥٥ ، ج ٧ ، ص ٢٠٧ .

لذا جئنا بأسلوب القصر ، وقصر المرجع على الله وحده دون غيره .
أى أن (. . أمرهم مفوض الى الله ، وهو عالم بأحوالهم مطلع على ضمايرهم
ومقلبيهم يوم القيامه اليه فيجازى كل بمقتضى عمله .
وفى ذلك وعد جميل للمحسن ، ووعيد للمسيء) (١) .

— (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢) .

جاء القصر فى الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .
المقصود : دار السلام .
المقصود عليه : كونها للمؤمنين .
قصر موصوف على صفة قصر افراد .
ولقد ذكر الامام الفخر الرازى أن هذه الآية موجبة للحصر .
فمعناها لهم دار السلام ، لا لغيرهم من المكذبين بآيات الله . (٣)
سر القصر :

عرضت الآيات السابقة قبائح المشركين ، التى منها تكذيبهم للرسول

صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة تعجيزهم له ، وذلك بطلب المعجزات .
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا) (٤) .
(وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) (٥)

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٢) آية : ١٢٧ .

(٣) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٣ ، ص ١٩٨ .

(٤) آية : ١٠٩ من نفس السورة .

(٥) آية : ١٢٤ من نفس السورة .

وجاء الرد عليهم من وجوه عدة ، من ضمنها أنه ذكر تعالى جزاء المؤمنين
المصدقين ، وجاء بيان هذا الجزاء عن طريق التخصيص للتعظيم من شأن
المؤمنين والتعريض بأولئك المكذبين ، لبعث الحسره في قلوبهم ، حيث خصصت
دار السلام بكونها للمؤمنين دون غيرهم من المكذبين .
وزياده في بيان شرف مقامهم ورفعته ، أُضِيفَت الدار الى المولى عز وجل
للتشريف والتعظيم من شأنها ، أو أنها دار السلام من كل آفة وكدر (١) .

" الأعراف "

— (يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) .

سبق الاشارة الى مثل هذا القصر .

(١) الكشاف ، م ٢ ، ص ٤٩ .

(٢) آية : ٣٥ .

﴿ أَهْوَلًا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ إِذْ خُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ

وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم الضمير (المسند اليه) - المسبوق بحرف

النفى - على المسند...

المقصود : الحزن المنفى .

المقصود عليه : أنتم .

قصر صفه على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

كان المشركون يحقرون بعض المؤمنين الذين كانوا يرتكبون بعض الآثام ، ويستتهنون بهم ، ويستصفرون جميع أعمالهم ، وكانوا يقسمون قسما صريحا بأنهم لن يدخلوا الجنة ، ولن ينالهم الله برحمته ، وأنهم ما فعلوا ما ينهى عن دخولهم اياها . فلما أنكر هؤلاء المشركون دخول هؤلاء المؤمنين الجنة وأصرروا على انكارهم بقسمهم ، جن بأسلوب القصر لقلب اعتقادهم هذا ، بتأكيد نفس الحزن عن المؤمنين .

(قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

المتحدث في الآية هو نبي الله شعيب عليه السلام وهو يعلم حقيقة التوكل

وانما أكدها هنا عن طريق القصر . لأن الموقف موقف إمتثال بين يدي الله

وتضرع ودعاء . فقصر التوكل على الله لاظهار العجز والاعتماد على المولى عز وجل .

ذكر الفخر الرازي : (واعلم أنه عليه الصلاة والسلام ختم كلامه بأمرين

الأول : بالتوكل على الله ، فقال : على الله توكلنا ، فهذا يفيد الحصر

أى عليه توكلنا لا على غيره . وكأنه في هذا المقام عزل الأسباب ، وارتقى عنها

الى سبب الاسباب .

والثاني : الدعاء فقال : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) (٢) .

(١) آية : ٨٩ .

(٢) الفخر الرازي ، م ٧ ، ج ١٤ ، ص ١٨٨ .

— (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ

تَمَعَهُ) (١) .

المقصود : هذه .

المقصود عليه : كونها لنا .

قصر موصوف على صفة قصر قلب .

ذهب الامام البيضاوي الى أن اللام للاجل ، ولم يذكر معنى الاختصاص . أى

(لاجلنا ونحن مستحقوها) (٢٢) .

وعلق الشهاب على رأى البيضاوي قائلا :

(أى اللام لام الأجل ، ومع كونها لأجلهم : أنهم أهل لها ، مستحقون

بيئمن الذات لأنواع الحسنات ، حتى أنها اذا لم تصبهم كان ذلك بشؤم غيرهم وبه

ياخذ الكلام بعضه بحجز بعض ، ويلتئم أشد التئام . وقيل نحن مستحقوها بيان

لوجه كون الحسنه لأجلهم . ولو قال : أو نحن ، اشاره الى معنى آخر لللام

كان أولى - ثم ذكر أنه قد ورد فى الكشاف معنى الاختصاص (٣) .

فقيل أن اللام دلت على دعواهم استحقاق الحسنه . وأما دعوى اختصاصها بهم

حتى لا يشركهم فيها أحد ، فدل عليه تقديم الخبر ، الذى هو لنا .

وهذا تمشيا مع طريقة المصنف فى اسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر

كالمفعول والخبر ونحوه (٤) .

(١) آية : ١٣١ . (٢) تنوير البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٣) الشهاب ج ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٤) الكشاف ، (كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) ابن المنير - ٢م ، ص ١٠٦ .

سر القصر :

ادعى فرعون ومن معه أن الحسنات خاصة بهم ، وأكدوا ذلك الاستحقاق عن طريق الاختصاص بتقديم الجار والمجور ، وكل ذلك ابتغاء التعظيم من شأنهم والخط من مكانة موسى عليه السلام . ان نسبوا اصابتهم بالسيئات الى موسى ومن معه .

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

اسلوب القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الأسماء .

المقصور عليه : كونها لله .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

(٢)
حرف المشركون في أسماء الله ، فاشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز .

وهذا انكار لتوحيد الأسماء والصفات ، فجن بالقصر للرد على هذا الانكار

(١) آية : ١٨٠ .

(٢) قال : العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : (وذروا الذين يلحدون في أسماءه)

قال : الحاد الملحدون أن دعوا اللات في أسماء الله . وقال ابن جريج عن مجاهد :

(وذروا الذين يلحدون في أسماءه) قال : اشتقوا اللات من الله ، والعزى من

العزيز ، وقال قتاده : يلحدون يشركون في أسماءه . / ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

واشبات الأسماء الحسنى لله وحده وأنه المتفرد بها .

• (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) (١) .

جاء القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : السجود

المقصود عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرافيا قصرافراد .

سر القصر :

اختلف في سر التقديم في الآية ، فقيل : انه لرعاية الفاصله ، وان التخصيص

والتعريض مستفاد من المقام . وذكر هذا الاختلاف الشهاب في حاشيته فقال :

(. . .) وجعل التقديم للتخصيص الاضافي ليفيد التعريض المقصود . وقيل : انه

للفاصله والتخصيص من المقام ، وكذا التعريض ، لأنه تعليل لما قبله .

أى ائتوا بما أمرتم به ، والا فانا مستغني عنكم . وعن عادتكُم ، لأن لى عبادا

مكرمين من شأنهم ذلك) (٢) .

ومن ذهب الى أن التقديم لرعاية الفاصله الأمام أبو حيان ، فقال : (. . .)

قيل وتقديم المجرور يؤذن بالاختصاص . أى لا يسجدون الا له ، والذي يظهر

أنه انما قدم المجرور ، ليقع الفعل فاصله ، فأخبره لذلك ليناسب ما قبله

من رؤوس الآى (. . . .) (٣) .

وهذا المرأى غير مسلم به على الصلوات .

(١) آية : ٢٠٦ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

(٣) البحر المحيط ج ٤ ، ص ٤٥٤ .

وزهب الامام الفخر (١) والبيضاوى (٢) ، والشهاب فى حاشيته على البيضاوى (٣) وأبو السعود (٤) ، والالوسى (٥) ، الى أن التقديم فى الآية يفيد الحصر والسر فى مجيء التعريف بغيرهم من المكلفين الذين عبدوا غيره أى أنهم يخلصونه بفاية العبودية ، والخضوع والتذلل ولا يشركون معه غيره .

(١) الفخر ، ج٥ ، ص ١١٦ .

(٢) البيضاوى ، ج٣ ، ص ٤٠ .

(٣) الشهاب ، ج٤ ، ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

(٤) تفسير أبى السعود ، ج٢ ، ص ٣١٠ .

(٥) روح المعانى ، ج٩ ، ص ١٥٥ .

* الأنفال *

■ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (١) .

القصر هنا عن طريق تقديم الجار والمجرور على عاطفه .

المقصور : يتوكلون .

المقصور عليه : ربهم .

قصر صفه على موصوف قصره حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

اختلف (٢) المسلمون في أمر الغنائم ، وما كان اختلافهم هذا الا لأن أمر

الغنائم كان مرتبطاً بشهادة حسن البلاء من الله ورسوله . وكان المسلمون

حريصين على هذه الشهادة ، فجاء الامر الفصل من الله بأن أمر هذه -

الأنفال لله والرسول ، وحتى يستسلم المسلمون لحكم الله هذا ، ويقطع خوضهم

(١) آية : ٢

(١) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سلمه ، عن ابن اسحق عن عبد الرحمن

عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي امامه الباهلي قال : سألت

عباده بن الصامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين

اختلفنا في النفل وسنات فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا ، وجعله على

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن

فيه ذكرهم بتقوى الله وبتطاعته وطاعة رسوله ، وذكرهم بصفات المؤمنين الحقّة

بأنه اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وخضعت لأمره .

بإحدى أقوال علي السواء ، . / مسند الى الامام أحمد ، حديث عباد بن الصامت ، م ٥ ، ص ٣٢٢ .
وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا عبد الله : حدثني أبي ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو اسحق . عن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم : فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس ، فهزم الله تبارك وتعالى العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، فأكبت طائفة على العسكر يحورونه ويجمعونه ، وأحدت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم ، نحن حويناها وجمعناها ، فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم أحق بها منا ، نحن نغينا عنها العسود وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به . فنزلت يسألونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على فواق بين المسلمين قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، واذا أقبل راجعا وكل الناس نفل الثلث . وكان يكره الانفال ، ويقول ليرد قوى المؤمنين على ضعيفهم) . / مسند الامام أحمد ، حديث عباد بن الصامت م ٥ ، ص ٣٢٤ .

وليلفت الانتباه ، ويذكر المؤمنين بصفه يجب عليهم التمثل بها ، جرى بأسلوب
القصر عن طريق التقديم ، لتأكيد أن جماع الايمان وأعلاه مرتبه تفويض الأمر
الى الله والتوكل عليه لا على غيره ، (لا يرجون سواه ، ولا يقصدون
الا اياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون
الا اليه . ويعلمون أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه
المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ،
ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الايمان) (١) .

■ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِكُمْ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (٢) .

في الآية الكريمة اسلوبا قصر كلاهما عن طريق التقديم .
الأول : عن طريق تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلى المثبت في قوله تعالى
(أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) .
وهو قد يفيد الاختصاص عند الشيخ عبد القاهر ولا يفيد الا التقوى عند السكاكسي .
لأن ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر : أن المعرف اذا لم يقع بعد النفي ، وخبره
مثبت أو منفي قد يفيد الاختصاص مضرا كان أو مظهرا .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

(٢) آية : ٢٤ .

وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد الا المضمرة (١) .

ويبدو لى أن فى الآية اختصارا حيث قصرت الحيلولة بين المرء وقلبه

على الله وحده للتذكير والتنبية بشده .

فالمقصور فى الآية : الحيلولة .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرنا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر الثانى : فى قوله تعالى : (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

المقصور : الحشر .

المقصور عليه : ضمير الجلالة .

قصر صفة على موصوف قصرنا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

عرضت الآيات السابقة أحداث معركة بدر وأظهرت قدرة الله فى تلك المعركة

ومدده ونصره للمسلمين ، فبعد توكيد هذه النصره وهذا التأييد ، قد يفتر

المسلمون بهذا النصر ، فيتهاونون فى طاعة الله ورسوله ، فكان

لا بد من تنبيههم وتذكيرهم . فجاءت الآية بدوياً النداء لشد انتباههم

للأمر الذى سيذكر ، وهو وجوب الاستجابة لله وللرسول ، والطاعة المطلقة لله وللرسوله

ولترغيبهم فى الاستجابة والطاعة : بين لهم المولى عز وجل : أن ما يدعوههم

اليه الرسول فيه حياتهم وصلاحهم ، وبعد هذا الترغيب ، وهذا التلطف

فى النداء ، حيث قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) .

تعلو نبرة التذكير ، حيث نزل المؤمنون منزلة من يجهل قدرة الله .

فجئ بأسلوب القصر لتأكيد هذه القدرة ، وبيان أن الحيلولة بين المرء ومقاصد قلبه : من اختصاص الله وحده دون غيره . وفى انزالهم منزلة من يجهل ، أشد فى التنبيه والتذكير حتى لا يفتخر المؤمن بعمله : ويهمل فى الطاعة ، وأيضاً فيه تذكير ، بأن كمال الايمان الخوف والرجاء .

وتزداد نبذة التذكير شدة ، بمجئ أسلوب قصر آخر فى قوله تعالى :

(وانه اليه تحشرون وقصر الحشر على الله وحده دون غيره ، وفى هذا

غاية التنبيه لهم ، الى أن مرجعهم الى الله وحده ، فيجازيهم بحسب

أعمالهم وما تخفى صدورهم . وفى هذا ترغيب لهم فى الاسراع الى الاستجابة

لله ورسوله وطاعتها ، والترهيب من مخالفتها .

ذكر الامام الفخر (أى واعلموا أنكم اليه تحشرون ، أى الى الله ولا تتركون

مهملين معطلين . وفيه ترغيب فى العمل : وتحذير عن الكسل والغفلة) (١) .

(١) الفخر الرازي ج ٨ ص ٦١٥ ح ٦ ص ١٥٤ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (١) .

القصر في الآية مستفاد من تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : يحشرون .

المقصود عليه : جهنم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

كان المشركون ينفقون الأموال الطائلة للقضاء على دعوة الرسول صلى الله

عليه وسلم ، وهم بذلك الانفاق يظنون أنهم الغالبون المنصورون . فجاءت -

الآية لتبين لهم (أنهم لا يستفيدون من بذلهم أموالهم في تلك الانفاقات

الا الحسرة والخيبة في الدنيا) (٢) .

وبعد أن خبر عن حالهم في الدنيا وما يمسببهم من الحسرة . جئ

باسلوب القصر ليبين ما يوول اليه حالهم في الآخرة . وللتحقير من شأنهم وتكويهم

قصر رجوعهم على جهنم ، ولم يقل الى الله تحشرون ، أو اليه تحشرون . وإنما

قال : الى جهنم ، للمبالغة في تحقيرهم . وهذا (يوجب الزجر العظيم

عن ذلك الانفاق) (٣) .

(١) آية : ٣٦ .

(٢) الفخر الرازي ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

(٣) الفخر الرازي ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

— (وَإِذْ يُرِيكُوهُمْ إِذِ التَّيْتِمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالُ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (١) .

استفيد القصر في الآية من طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصور : ترجع الأمور .

المقصور عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ما زالت الآيات تذكّر المسلمين بقدرة الله وفضله عليهم ، حتى يتمسكوا

بطاعة الله ورسوله وفي الآية يصف لهم المولى عز وجل موقفا من مواقف

المعركة ، يظهر فيه التدبير الالهي ، فقد حدث في معركة بدر ، أن أغرَى

الله تعالى : (كَلَّا مِنْ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخِرِ وَقَلَّ فِي عَيْنِهِ لِيَطْمَعُ فِيهِ ، وَذَلِكَ

عند المواجهة . فلما التحم القتال ، وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة

مردفين : بقى حزب الكفار يرى حزب الايمان ضعفيه) (٢) .

وجاء التعقيب على هذا الموقف بأسلوب القصر ، فقصر رجوع الأمور

على الله وحده دون غيره ، لتقرير وتوكيد أن الأمور جميعها مرجعها إلى

الله وحده وهي من تدبيره وقضائه ، ولا راد لأمره وفي هذا تنبيه للمسلمين

ولفت لانظارهم بـ (. . ان أحوال الدنيا غير مقصود لذواتها ، وانما

المراد منها ما يصلح أن يكون زاداً ليوم الميعاد) (٣) .

(١) آية : ٤٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

(٣) الفخر الرازي ، ج ١٥ ، ص ١٧٥ .

التوبة

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (١)

القصر في الآية عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : التوكل .

المقصود عليه : الله .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا .

سر القصر :

كان المنافقون يعتمدون على الأسباب وحدها ، كما في قوله تعالى :

(وان تصبك مصيبة ، يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا وهم فرحون)

ويأخذون بظواهر الأمور ، ويحسبون أن البلاء شر في جميع الأحوال . وأن في

التخلف والقعود خير لهم ، فهذه عقيدة المنافق ، أما عقيدة المسلم فـجاء

بيانها عن طريق القصر ، لتأكيد وجوب التوكل على الله وحده . دون

الاعتماد على الأسباب وحدها ، (فقدم الظرف على الفعل لإفادة القصر ثم

ادخل الفاء للدلالة على استجابة تعالى للتوكل عليه ، كما في قوله

تعالى آي فارهون) (٢) .

وفي هذا تعريض بالمنافقين وتنبيه على أن حالهم بالضد ، في ذلك وأنهم

لا يتوكلون الا على الأسباب الدنيوية واللذات العاجلة الفانية (٣) .

(١) آية : ٥١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٢٣ ج ٤ ، ص ٧٣ .

(٣) الفخر الرازي ، ج ٦ ، ص ٨٩ .

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند اليه (الضمير) على الخبر
الفعلى المثبت ، وهو يحتمل التخصيص والتقوى عند الشيخين (عبد القاهر
السكاكي) .

المقصور في الآية : العلم (نعلمهم) .

المقصور عليه : نحن .

قصره على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

لما اعتذر المنافقون عن غزوة تبوك وخرجوا بمقعدهم مع المخلفين من المرضى
والنساء والصبيان ، كان لا بد من كشف حقيقتهم وخطرهم ، فنبه القرآن الرسول
صلى الله عليه وسلم على بعض أصنافهم وفئاتهم ، وأن أشد هم خطرا هم المنافقون
من الأعراب .

الا أن هناك فئة مردت على النفاق ، واستمرت فيه لخفاء أمرها ، ولتحذير
الرسول منها أبلغ تحذير ، وتنبيهه الى وجوب اتخاذ الحيطة نزل منزلة
من يدعى العلم بها وجيء بأسلوب القصر لنفي العلم عنه وقصره على
الله وحده دونه .

• (إِنْ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمَ الْجَنَّةَ) (١) .

القصر في الآية عن طريق تقديم المسند على المسند اليه .

المقصور : الجنة .

المقصور عليه : كونها لهم .

قصر موصوف على صفة قصر افراد .

سر القصر :

بعد بيان حال المتخلفين عن القتال وجزائهم ، جاءت الآية ترغيب

المؤمنين في الجهاد ، (ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه ، حيث أمر

عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله

تعالى ، وثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة

التبعية . ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفسهم

المؤمنين وأموالهم ، والتمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ، ولم

يجعل الأمر على العكس ، بأن يقال أن الله باع الجنة للمؤمنين بأنفسهم

وأموالهم ، ليدل على أن المقصد في القصر هو الجنة ، وما بذله المؤمنون

في مقابلها من الأنفس والأموال وسيلة اليها ، ايذانا بتعلق كمال العناية

بهم وأموالهم) (٢) .

(١) آية : ١١١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٢٣ ، ج ٤ ، ص ١٠٤ / ١٠٥ .

ثم جيء بأسلوب القصر فلم يقل بالجنة بل قال تعالى : (بأن لهم الجنة)
فقصرت الجنة على كونها لهم وحدهم ، دون غيرهم من المتخلفين عن القتال
(مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم : كأنه قيل بالجنة
الثابتة لهم المختصة بهم) (١) .

وفى تأكيد وتقرير وصول الثمن الى المجاهدين بهذا الأسلوب ، شحذ
لهم المسلمين ، بحيث لا يبقى للمؤمن رغبة في ماله وفى نفسه ، يحتجزها
دون الله تعالى . ودون الجهاد فى سبيله واعلاء كلمته .

— (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ) (٢) .

القصر فى الآية مستفاد من طريق تقديم المسند على المسند اليه .
المقصود : ملك السموات والأرض .
المقصود عليه : كونه لله .
قصر موصوف على صفه قصرا حقيقيا تحقيقيا .
سر القصر :

لما أمر الله سبحانه وتعالى بالبراءة من الكفار مطلقا فى أول السورة
أمرنا بالبراءة من الكفار أولى القربى والتجرد من هذه الصلات ثم قرر

(١) المرجع السابق ص ١٠٥ .

(٢) آية : ١١٦ .

المولى عز وجل بأن له القدرة الباهرة والتصرف المطلق ، فكل ما فى
السموات مختص به مقصور عليه ، وأن الحياة والموت والولاية والنصره
كلها بيد الله دون سواه من ذوى الصلات ، وفى مجىء هذا القصر
توكيد أن فى الصلة بالله وحده كفاية وغناء عن بقية الصلات ، وأن المسلم
يجب أن لا تكون له صلات الا صلات العقيدة .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) .

فى الآيتين الكريمتين أسلوبا قصر ، الأول فى قوله تعالى : (بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

حيث قَدَّمَ المسند على المسند اليه لافادة الاختصاص .

فالمقصود : رءوف رحيم .

المقصود عليه : المؤمنين .

قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا فيه مبالغة . (وهو صدر ملبس) .

أى رءوف رحيم بالمؤمنين لا بغيرهم ، حيث أنزلت رحمته بغير المؤمنين منزلة
العدم .

والقصر الثانى فى قوله تعالى : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) .

وهو قصر استفاد عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

المقصود : توكلت .

المقصود عليه : ضمير الجلالة فى عليه .

قصر صفه على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .
أو هو قصر اضافى قصر افراد . أى عليه توكلت لا عليكم .
سر القصر :

لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر قومه بالجهاد والقتال ، وهو
أمر صعب على النفس البشرية ، فقد يَظُنُّ ظان أن فى هذا قسوة منه صلى الله
عليه وسلم ، فجاءت الآية تبين صفاته صلى الله عليه وسلم بأنه رسول من أنفسكم
قريب الصلة منكم ومن قلوبكم ، وهو حريص عليكم ، لا يريد بكم الا الخير رؤوف رحيم
وبعد هذا البيان لا يبقى لأحد حجة فى معصيته والتردد فى تنفيذ أوامره
ثم يجسء أسلوب القصر لتهديد ووعيد من تولى وأعرض بعد هذا البيان -
الصريح من الله . فمن تولى (فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه
توكلت) .

فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتفويض أمره وقصر توكله على الله وحده لا
عليكم فان توليكم عنه لن يضره لأنه قد قصر توكله على الله وحده وفى
توكيد نصره الله لرسوله تسلية له عن تولى المتولين واعراض المعرضين .

الفصل الثالث

آ - ضمير الفصل
ب - تعريف الحرف فيه

مع بيان

- نوع القصر في كل آية

- اسرار الاستعمال في كل موضع

ظهر من خلال تحليل الآيات المفيدة للقصر ، عن طريق الفصل ، وتعريف
الجزئين ، أنه كثيرا ما يجتمع الطريقتان في آية واحدة ، فيكون القصر
مستفادا من الطريقتين زيادة في التأكيد ، ولذا آثرت تقسيم الآيات المفيدة
للقصر في هذا الباب ثلاثة أقسام :

- القسم الاول : الآيات المتضمنة للقصر عن طريق ضمير الفصل .
- القسم الثانى : الآيات المتضمنة للقصر عن طريق تعريف الجزئين .
- القسم الثالث : الآيات التى اجتمع فيها الطريقتان .

((الفاتحة))

١ - تعريف الجزئين :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) (١)

اختلف المفسرون في نوع (أل) ، فمنهم من قال أنها لتعريف الجنس ومنهم من قال أنها تفيد الاستغراق ، فذكر الامام الزمخشري ، أن اللام لتعريف الجنس . فقصر جنس الحمد على كونه لله فقال : (فان قلت : ما معنى التعريف فيه . قلت :

هو نحو التعريف في : أرسلها العراك . وهو تعريف الجنس . ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد ، من أن الحمد ما هو ، والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال ، والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس ، وهم منهم) (٢) .

وذكر ابن المنير أن الامام الزمخشري ، لا يقصد هنا بقوله (تعريف الجنس) أنه الجنس بمعنى الحقيقة ، وإنما يقصد معنى العهد الذهني ، لأن نوعي العهد (الذكرى والذهني) ، لا يوجب الاستغراق ، وإنما يوجب الجنس فقال : " قال محمود رحمه الله : (وتعريف الحمد هو نحو : التعريف في : أرسلها العراك ، وهو تعريف الجنس ، ومعناه ١٠٠ الخ) . قال احمد رحمه الله : تعريف التكرار باللام ، إما عهدي وإما جنسي . والعهدي : أما ان ينصرف فيه الى فرد معين من أفراد الجنس ، باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد ، كالتعريف في نحو : فعصى فزعون الرسول . وأما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية ، باعتبار تمييزها عن غيرها من الماهيات ، كالتعريف في نحو : أكلت الخبز وشربت الماء ، والجنسي هو الذي ينضم اليه شمول الآحاد . نحو : الرجل أفضل من المرأة . وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها ، وإنما يوجب الجنس خاصة . فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد ، وان كان قد عبر عنه بتعريف الجنس ، لعدم اعتناؤه باصطلاح أصول الفقه ، وغير الزمخشري جعله للجنس ، فقضى بافادته لاستغراق جميع انواع الحمد

وليس ببعيد) . (٣)

(٣) الكشاف ، حاشية ابن المنير ، م ١ ، ص ٤٩

(١) آية : ٢

(٢) الكشاف ، ١٢٦ ، ص ٤٩

ويرى الشريف الجرجاني في شرحه لحاشية الكشاف ، " أن اللام عند الامام الزمخشري للجنس ، وأن قوله ان الاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم " ، لايعنى نفي الاستغراق ، ولكن ينفي كون الاستغراق هو معنى تعريف الجنس ، ويرى أن الاستغراق هنا يستفاد من الأمور الخارجية ، واقتضاء المقام فقال : . (وما نقل عن المصنف من أن اللام لاتفيد سوى التعريف والاشارة ، والاسم لايدل على مسماه ، فاذاً لا يكون ثمة استغراق ، أراد به أن ليس ثمة استغراق : هو مدلول الاسم أو اللام ، لأنه لا استفادة له من الأمور الخارجيه واقتضاء المقام " . وذكر أن الزمخشري جعل الحمد محمولا على الجنس دون الاستغراق ، لأنه اقتصر ههنا على ذكر جنس الحمد به ، ولم يقل على اختصاص المحامد . وأنه قيل أن اختياره الجنس على الاستغراق ، مبنى على خلق الأعمال على طريقة الاعتزال ، لأن أفعال العباد ، لما كانت مخلوقة لهم ، كانت المحامد عليها راجعة اليهم ، فلا يصح جعل المحامد كلها مختصة به تعالى .

ورد الشريف الجرجاني على هذا القول ، بأنه ظاهر الفساد ، لأن اختصاص الجنس به تعالى مستلزم اختصاص أفراده أيضا . اذ لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له في ضمنه . وقيل مبنى على أن هذه المصادر نائبة مناب أفعالها ، سادة مسما ، والأفعال لاتعدو دلالتها على الحقيقة الى الاستغراق ورد بأن ذلك لاينافي قصد الاستغراق بمعونة المقام ، واقتضاء الحال . وقيل انما اختاره بناء على أن الجنس ، هو المتبادر الى الفهم الشائع فى الاستعمال ، لاسيما فى المصادر ، وعند خفاء قرائن الاستغراق ، وهو أيضا مردود ، لأن المحلى بلام الجنس فى المقامات الخطابية ، يتبادر منه الاستغراق ، وهو الشائع فى الاستعمال ، سواء كان هناك مصدر أو غيره وأى مقام أولى بملاحظة الشمول والاحاطة من مقام تخصيص الحمد بالله تعالى تعظيما له وتمجيذا ، فقرينة الاستغراق فيما نحن فيه كمنار على علم . وذكر أن السبب فى الاختياره ، هو أن اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ،

ومستلزم لاختصاص جميع الأفراد ، وأنه لا حاجة في تأدية المقصود ، الذى هو ثبوت الحمد لله تعالى وانتفاؤه عن غيره ، الى أن يلاحظ الشمول والاحاطة ويستعان فيه بأمر خارج عن اللفظ ، بل ان اختصاص جميع الأفراد ثابت بطريق برهانى ، وهو أقوى من اثباته ابتداءً .

ثم قال (فان قلت : فكيف صح على مذهبه تخصيص جنس الحمد بالله تعالى . قلت : صح ذلك بناء على أن أفعالهم الحسنة التى يستحقون بها الحمد عندهم انما هى بتمكين الله تعالى واقداره عليها . فمن هذا الوجه يمكنه جعل الحمد راجعاً اليه تعالى أيضا ، وقد أشار الى ذلك ، حيث قال فى سورة التغابن : قدم الطرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ، ثم قال : وأما حمد غيره ، فاعتداد بأن نعم الله تعالى جرت على يديه ، ولا يرد على ذلك أفعالهم القبيحة ، التى يستحقون بها الذم أيضا باقدار الله تعالى وتمكينه ، فتكون المذمة أيضا راجعة اليه ، لما تبين فى علم الكلام أن اقدار المختار على الأفعال الحسنه حسن ، وعلى القبيحة ليس بقبيح . وربما يجب بأن يجعل الجنس فى المقام الخطابى منصرفا الى الكامل ، كأنه كل الحقيقه من باب - ذلك الكتاب - وحاتم الجواد . قيل ومن ههنا يظهر أن الحمل على الجنس دون الاستغراق محافظة على مذهبه . وفيه نظر لجواز الحمل على الاستغراق دون الجنس أيضا ، بتنزيل محامد غيره تعالى منزلة العدم بالقياس الى محامده . فلا فرق بين اختصاص الجنس والاستغراق ، فى أنهما ينافيان ظاهرا طريقة الاعتزال ، وأن منافاتهما تندفع بأحد الوجهين المذكورين (١) .

وقد رد الشهاب على بعض ما جاء فى كلام الشريف الجرجانى ، فقال : (وفيه أن ملخص ما ذكر من أن اختصاص الجنس يستفاد من جوهر الكلام ، من غير حاجة

(١) الكشاف ج ١ م ١ ، ص ٥٢ .

الى الاستعانة فيه بأمر خارجية ، أن الجنس هو المتبادر الى الفهم لأنه
لامعنى للتبادر الا التسارع ، واذا كان فهمه من جوهره قبل ملاحظة أعراضه
فلاشبهة فى سرعته الى الفهم قبل كل شئ ، وقد رده أنفا . واذا كان
اختصاص جميع الأفراد بطريق برهاني ، فلاشبهة فى خفائه ، فكيف يقال
أنه كئار على علم" . ثم قال (ولما رأى المصنف رحمه الله ، أن كل ما ذكر
من الوجوه ، مقتضى لمرجوحية الاستغراق ، دون كونه وهما ، عدل عن عبارته
فى الكشاف ومبناه على معانى اللام ، كل منها أصل برأسه ، فاندفع عنه
ما قيل أنه ان أراد المصنف رحمه الله ، أن التعريف للاستغراق فى مقابلة
كونه للجنس ، فهو ظاهر البطلان اذ اللام لتعريف مدخولها فقط ، وليس
مدلول لام الجنس الاستغراق . وان أراد أن الحمد محمول على الاستغراق بمعونة
المقام فصحيح ، الا أنه لا يقابل قوله : والتعريف للجنس ، الا أن يحمل على
أن التعريف للجنس بلا انضمام استغراق معه) . (١)

وكذلك ذهب الامام ابوالسعود الى أن اللام هنا هى لام الحقيقة ، وأن
اختصاص الحقيقة به سبحانه ، لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني . (٢)
ونهب الامام الشوكانى الى أن المقصود باللام هنا الاستغراق ، فيكون
الصر ادعائيا ، على اعتبار أن افراد الحمد مختصة به ، وأن حمد غيره
لا اعتداد به ، أو أن حمده هو الفرد الكامل . فقال : " وتعريفه لاستغراق
أفراد الحمد ، وأنها مختصة بالرب سبحانه ، على معنى أن حمد غيره
لا اعتداد به ، لأن المنعم هو الله عز وجل ، أو على أن حمده هو الفرد
الكامل ، فيكون الصر ادعائيا . ورجح صاحب الكشاف : أن التعريف هنا
هو تعريف الجنس لا الاستغراق ، والصواب ما ذكرناه . (٣)

(١) حاشية الشهاب ، ج ١ ، ص ٨٤

(٢) تفسير ابوالسعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٤

(٣) فتح القدير ، م ١ ، ص ١٩

ونهب الامام البيضاوى الى أن اللام تفيد الجنس ، أو تفيد الاستغراق .
فقال : (والتعريف فيه للجنس ، ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد ،
أن الحمد ما هو ، أو للاستغراق ان الحمد فى الحقيقة كله له) (١)
والى مثل هذا نهب الامام أبوحيان ، فرأى ان اللام اما للعهد أى الحمد
المعروف بينكم لله ، أو لتعريف الماهية أو لتعريف الجنس ، فيدل على
استغراق الاحمدة كلها .

وذكر فى النهر العاد أن الأظهر أنها للجنس ، فتدل على الاستغراق ، وذكر
أن للحمد قراءتين ، احدها بالرفع ، وهى أمكن فى المعنى ، لأنها تدل
على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى ، فيكون قد أخبر بأنه مستقر لله
تعالى ، أى حمده وحمد غيره ، وعليها القراءات السبع ، وعلى قراءة
النصب لابد من تقدير عامل ، فيتخصص الحمد بتخصيص فاعله . (٢)

ويبدو لى أنه يقصد بقوله : (بتخصيص ٠٠٠) ، الاختصاص المفارق للصر
وهو تمييز شىء بصفة ، من غير النظر الى نفيه عن غيره ، فيرى الامام
الأوسى أن اللام هنا تفيد الجنس ، أو العهد ، أو الاستغراق ، فقال
(وأنا لو خلقت وطبعى ، لا أمتنع أن تكون أُل للحقيقة من حيث هى ، كما فى
قولهم : الرجل خير من المرأة . أولها من حيث وجودها فى فرد غير معين
كما فى : أدخل السوق . أولها فى جميع الأفراد وهو الاستغراق ، كما فى :
(ان الانسان لفى خسر) . ورد على من قال ان المقام يدل على كون اللام
للاستغراق ، لأن اختصاص حقيقة الحمد به تعالى أبلغ من اختصاص أفرادها .
جمعا وفرادى . ولاستلزام الأول الثانى ، وسلوك الطريق البرهانى اقضى لحق
البلاغة . وأيضاً أصل الكلام نحمد الله تعالى حمداً ، وحمدنا بعض لا كل . وفى
اختصاص الجنس اشعار بأن حمد كل حامد لكل محمود حمد لله تعالى على الحقيقة

(١) البيضاوى ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤

(٢) البحر المحيط ، البحر العار ، ج ١ ، ص ١٨

لأنه انما حمده على الصفات الكماليه المفاضة عليه من الفياض الحق جـ
وعلا ، فهو فعله على الحقيقة ، والحمد على الفعل الجميل . والمعتزلى وان
قال بالاستقلال ، لا يمنع أن الاقدار والتمكين منه تعالى ، فيمكنه من هذا
الوجه ، أن يعمم عند المقتضى له . وقد صرح بهذا الزمخشرى أول التغابن
فقال فى قوله تعالى : (له الملك وله الحمد) ، قدم الظرفان ، ليدل
بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى . ثم قال وأما
حمد غيره ، فاعتداد بأن نعمة الله تعالى جرت على يده . وقد يقال أيضا
على أصله : أن الحمد المستغرق لا يجوز أن يختص ، بل الحمد الحقيقى الكامل
الذى يقتضيه اجراء هذه الصفات . فاللام للحقيقة حتى كأنه كلها ، لأنها
للاستغراق فى المقام الخطابى ، وتنزيل غير ذلك منزلة العدم ، فانه تطويل
للمسافة مع قصرها كلام لا أقبله ، وان جل قائله ، ويعرف الرجال بالحق
لا الحق بالرجال ، كيف ومن سنة الله تعالى التى لا تبديل لها اجراء الكلام
على سبيل الخطابة ، وان كان برهانيا ، فهى أكثر تأثيرا فى النفوس ،
وأنتفع لعوام الناس ، فالتحرز عن الاستغراق اخترازا عن المقام الخطابى
نهول عن مقرئ كلام الله تعالى ، ثم لما كان المقام مقتضيا لدقائق النعم
ورواد فيها ، لم يكن تنزيل الحمد الغير الكامل منزلة العدم من مقتضيات
المقام . وتصريح الزمخشرى فى التغابن بالتعميم ممنوع ، للتفرقة بين
استغراق أفراد الحمد الخارجية ، والذهنية الحقيقية ، والمجازية الكاملة
وغير الكاملة ، وبين اختصاص حقيقة الحمد كما يشعر به قوله . وذلك لأن
الملك على الحقيقة له ، وكذلك الحمد ، فكما أنه لا ينفى الملك عن غيره
مطلقاً ، فكذلك لا ينفى الحمد عنه كذلك ، فان من أصل المعتزلة أن نعمة الله
تعالى جارية على يد العبد ، لكنه موجود لانضمامه ، فله حمد يليق بايجاده
ولله تعالى حمد يليق بتمكينه وافاضته ، وهو الحمد الكامل المختص
به عز شأنه لا ذاك ، وفى الكشاف ما يؤيد ما قلناه لمن أمعن النظر . وأما
حديث أن اختصاص حقيقة الحمد أبلغ من اختصاص الافراد ، لاستلزام الاول

الثانى ، فيجاب عنه بأن اختصاص الافراد الخارجية والذهنية - كما قررنا - مستلزم لاختصاص الحقيقة أيضا ، اذ لم يبق لها فرد غير مختص فأين توجد . فالاستلزام متعاكس ، على ان حقيقة الحمد يصدق عليها الحمد فهى فرد من أفراد .. (١).

ويبدو لى أن قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ) مفيد للقصر ، سواء كانت اللام للجنس أو للاستغراق . فاذا كانت اللام للاستغراق يكون القصر ادعائيا ، بتنزيل محامد غيره منزلة العدم .

واذا كانت اللام جنسية فيقصر جنس الحمد كله على كونه لله عز وجل دون غيره من العباد ، أو ممن أشركوا معه فى الالهية .

سر القصر :

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه رب العالمين ، والعالم عبارة عن كل موجود سوى الله ، كما ذكر أنه الرحمن الرحيم ، وأن بيده ملك يوم الدين ، وأن (كل موجود اما واجب الوجود لذاته ، واما ممكن الوجود لذاته . وواجب الوجود لذاته واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، وما سواه ممكن ، وكل ممكن فلا يمكن دخوله فى الوجود الا بايجاد الله تعالى وتكوينه ، والوجود نعمة ، فالايجاد انعام وتربية . فلهذا السبب قال الحمد لله رب العالمين (٢) فقصر الحمد على كونه لله وحده .

ومن أسرار قصر الحمد على الله تعالى (أن القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء اليها ، فاذا أمر الله تعالى العبد بالتحميد وكان الأمر بالتحميد مما يحمله على تذكر أنواع نعم الله تعالى ، صار ذلك التكليف حاملا للعبد على تذكر أنواع نعم الله عليه ، ولما كانت تلك

(١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٤

(٢) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ١٢ ، ص ١٥٤

النعم كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ، صار تذكر تلك النعم موجباً
لرسوخ حب الله تعالى في قلب العبد ، فثبت أن تذكير النعم يفيد هاتين
الفائدتين الشريفتين ، إحداهما الاستدلال بحدوثها عن الاقرار بوجود الله
تعالى . وثانيتهما : أن الشعور بكونهما نعماً ، يوجب ظهور حب الله في
القلب ، ولا مقصود من جميع العبادات الا هذان الامران . فلهذا السبب
وقع الابتداء في هذا الكتاب الكريم بهذه الكلمة ، فقال :

((الحمد لله رب العالمين)) . (١)

((البقرة))

١ - تعريف الجزين :

(المَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَأَرْبَبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) . (٢)

اختلف في تعريف المسند هنا ، هل هو للجنس أو للعهد . فيرى الامام
الزمخشري : أن أل هنا تفيد الجنس ، وذلك اذا اعتبرنا الكتاب خبراً
لذلك ، وكانت (الم) اسماً للسورة . أما اذا اعتبرنا الكتاب صفة
لذلك ، فالهنا عهدية . فقال :

(ان جعلت (الم) اسماً للسورة ، ففي التأليف وجوه : أن يكون (الم)
مبتدأ ، ذلك : مبتدأ ثانياً ، والكتاب : خبره ، والجملة : خبر
المبتدأ الاول . ومعناه : أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ما
عداه من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً ، كما
تقول هو الرجل : أي الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال
من مرضيات الخصال ، وكما قال : هم القوم كل القوم يا أم خالد . وأن يكون
الكتاب صفة . ومعناه : هو ذلك الكتاب الموعود ، وأن يكون
(الم) : خبر مبتدأ محذوف : أي هذه (الم) ، ويكون ذلك : خبراً ثانياً

(١) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٥٤-١٥٥

(٢) آية : ١-٢

أو بدلا ، على أن الكتاب صفة ، وأن يكون هذه (الم) جملة ، وذلك الكتاب جملة أخرى ، وإن جعلت (الم) بمنزلة الصوت كان ذلك : مبتدأ خبره الكتاب أى : ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل ، أو الكتاب : صفة والخبر : ما بعده . أو قدر مبتدأ محذوف ، أى : هو . يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب ، ..) (١)

وعلق الشريف الجرجاني على جعله اللام للعهد ، عند جعل الكتاب صفة ، فقال : (وجعل اللام فى الكتاب للعهد ، على تقدير كونه صفة . لذلك ، لأنه المتبادر عند الإشارة إليه ، وأيضا لا فائدة فى الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب عليها ، وإن قصد الحصر كان اسم الإشارة لغوا ..) (٢)

أما الامام ابوالسعود ففرق بينهما بحسب المقصود من المسمى . فاذا كان المقصود (السورة) ، كانت ال عهدية ، ولاوجه لافادتها الحصر . أما اذا كان المقصود بالكتاب (كل القرآن) ، فأل هنا جنسية مفيدة للحصر . قال : (واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما أن مآله الكتابة . والمراد به على تقدير كون المسمى ، هى السورة جميع القرآن الكريم ، وإن لم يتم نزوله جملة الى السماء الدنيا ، حسبما ذكر فى فاتحة الكتاب ، واللام للعهد والمعنى أن هذه السورة هو الكتاب ، أى العمدة القصى منه ، كأنه فى احرار الفضل كل الكتاب المعهود ، الغنى عن الوصف بالكمال ، لاشتهاره به فيما بين الكتب . على طريقة قول صلى الله عليه وسلم : (الحج عرفة) وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن . فالمراد بالكتاب الجنس ، واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب ، لغاية تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس ، كأن ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال : هو الرجل . أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مراضى الخصال . وعليه قول

(١) الكشاف ، ج ١ ، ص ١١١-١١٢

(٢) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجاني ، ج ١ ، ص ١١٣

من قال : (هم القوم كل القوم يا أم خالد) (١) فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من أفرادهم . وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء . ولما غاب هناك لحمل الكتاب على الجنس ، لما أن فرده المعهود هو مجموع القرآن ، المقابل لسائر أفراد من الكتب السماوية ، لابعضه الذى ينطلق عليه اسم الكتاب ، باعتبار كونه جزءاً لهذا الفرد ، لا باعتبار كونه جزئياً للجنس على حiale ، لأن حصر الكمال في السورة . مشعر بنقصان سائر السور . وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقيق المغايرة بينهما . هذا على تقدير كون الكتاب خبراً لذلك (٢)

ورد الشريف الجرجاني على القول الاخير ، بأنه لا مساع لحمل الكتاب على الجنس ، اذا كان المراد من المسمى السورة . لان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور ، فقال :

(فان قلت : اذا كان (الم) اسماً للسورة ، وذلك اشارة اليها ، كان حصر الكمال فيها اثباتاً للنقصان في سائر الصور (٣) فانها المقابلة لها لا الكتب المتقدمة ، قلت : هذا انما يلزم ، اذا لوحظ في الحصر السورة من حيث خصوصها . وأما اذا لوحظت من حيث أنها قرآن فلا ، لأن مقابلتها من هذه الحيثية هو الكتب المتقدمة لسائر السور ، وأيضاً يجوز ان يراد باسم السورة القرآن كله مجازاً (٤)

سر القصر :

ابتدئت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ، وفي هذا اشارة الى اعجاز القرآن الكريم . وبها كان التحدى للمشركين ، بمثل أقصر سورة من القرآن فهذه الحروف هي من جنس كلامهم ، وقد عجزوا عن معارضته .

(١) وهو عجز بيت للشهب بن رميله ، شطره (وان الذى حانت بفلج دماؤهم) / شرح شواهد المغنى ، ج ٢ ، ص ٥١٢ ، رقم الشاهد ٣٠٥ / ديوان الحماسة المرزوقى ، ج ١ ، ص ٣٤

(٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤

(٣) لعله خطأ مطبعي والمراد (السور) .

(٤) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجاني ، ج ١ ، ص ١١٢

ثم نزل البعد المعنوي منزلة البعد المكاني . وفي ذلك اشارة للبعيد الحسي، (ذَا : اسم اشارة . واللام : عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف : للخطاب والمشار اليه . هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى ، وما فيه من معنى البعد ، مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه ، وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف) (١) .

ثم جاء بعد قليل ذكر اليهود ، وهم أهل كتاب حرفوه ، ووصف القرآن بأنه لا ريب فيه ، وأنه هدى للمتقين . ولكل هذا كان لابد من تفخيم شأنه فى أول السورة ، وبيان أنه وحده الكامل من بين الكتب السماوية . (فانه لما نبه أولا على اعجاز المتحدى به ، من حيث أنه من جنس كلامهم ، وقد عجزوا عن معارضته بالمرّة ، ظهر أنه الكتاب البالغ أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه فى غاية النزاهة عن مظنة الريب ، اذ لا أنقص مما لم يعتريه الشك ، وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين) . (٢)

وفى مجيئ قوله تعالى (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) جعل كل جملة مستقلة برأسها ، متناسقة فيما بينها ، من غير حرف نسق تأكيدا لعظمته وكماله ، (وذلك لمجيئها متأخية ، آخذا بعضها بعنق بعض . فالثانية متحدة بالاولى ، معتنقة بها ، وهلم جرا الى الثانية ، والرابعة . بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ، فكان تقريراً لجهة التحدى وشداً من أعضاده . ثم نفى عنه أن يتشبه به ، طرف من الريب ، فكان شهادة وتسجيلا بكماله ، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين . ولا نقص أنقص مما للباطل والشبه) . (٣)

(١) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ١٢١ - ١٢٢

— (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . (١)

المقصود : الاشراء

المقصود عليه : أولئك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة . أو قصر افراد ، لأن المقام ورد فيه الحديث عن صفات المؤمنين . وعن صفات المنافقين ، فيكون قصر اشراء الضلالة على المنافقين دون المؤمنين .

سر القصر :

بينت الآيات السابقة أوصاف المنافقين وفضيع أعمالهم ، من ارادتهم خداع الله ، والذين آمنوا ، وادعائهم أنهم مقصرون على الاصلاح المحض لا يتعداهم الى غيرهم . مشيرين (بانما) الى أن ذلك من الوضوح ، بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه ، وهم في الحقيقة المفسدون . ورفضهم الايمان واطلاقهم السفة على المؤمنين - وهم السفهاء - ثم استهزأؤهم - وهم المستهزأؤ بهم في الحقيقة - فلإجتماع هذه الصفات الذميمة فيهم ، كان لابد من بيان كمالهم في الجهالة والضلال ، فبدئت الآية باسم الاشارة (أولئك) اشارة الى المذكورين ، باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم . وعن عداهم اكمل تمييز ، بحيث صاروا كأنهم حصار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايدان ببعده منزلتهم في الشر وسوء الحال . (٢)

ثم جيء بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر (الذين) ، (لكون تعريف الموصول للجنس ، بمنزلة تعريف اللام الجنسي ، وفيه حصر المسند على المسند اليه وهو ادعائي ، باعتبار كمالهم في ذلك الاشراء ، وان كان الكفار

(١) آية : ١٦

(٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ٤٨

الآخرون مشاركين لهم في ذلك لجمعهم هاتيك المساوي الشنيعة ، والخلال
الفظيعة ، فبذلك الاعتبار صرح تخصيصهم بذلك). (١)

فجملة الحر مسوقة لتقرير ما قبلها ، وبيان لكمال جهالتهم فيما
حكى عنهم من الأقوال والأفعال ؛ بإظهار غاية سماحتها ، وتصويرها بصورة
مالايكاد ، يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلا عن العقلاء. (٢) وللتقليل من شأنهم
والخط من قدرهم ، أبرز كمال جهلهم عن طريق القصر ، الذي جاء في صورة
الاستعارة ، ليكون أثبت وأوضح في إبراز صورتهم . فالضلالة هي الجور عن
القصد ، والهدى هو التوجه إليه ، واستعير الأول : للعدول عن الصواب
في الدين ، والثاني : للاستقامة عليه ، فاشترأ الضلالة بالهدى ، مستعار
لأخذها بدلا منه أذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ، ولما اقتضى ذلك
أن يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلًا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع
غير حاصل لهم إذ ذاك ، فلا ريب في أنهم بمعزل عن الهدى ، مستمررون
ودائبون على الضلال ، استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين. (٣)

— (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (٤)

المقصور : الخلق

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

-
- (١) روح المعاني ، ج ١ ، ص ١٦٠
(٢) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٤٨
(٣) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٤٨
(٤) آية : ٢٩

سر القصر:

ذكرت الآيات السابقة قبائح الفاسقين ، ونقضهم لعهد الله ، وقطعهم
لما أمرهم به أن يوصل ، وافسادهم في الأرض . وهذه الأفعال لا تصدر إلا من
منكر جاحد . فجيء بأسلوب الاستفهام للتعجب من حالهم في كفرهم بالله .
فقال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ثم إليه ترجعون) فلشدة انكارهم كان لا بد من جذب انتباههم ، ولفست
أنظارهم وتذكيرهم بما هو محسوس وموجود أمامهم ، فجيء بالخبر المعروف
(الاسم الموصول) . للدلالة على اختصاص المولى عز وجل بخلق ما في السموات
والأرض وحده دون غيره وذلك لجزهم وتربية المهابة في نفوسهم ، فمن
كانت هذه قدرته ، فهو الحقيق بالطاعة والخضوع والتذلل له .

— (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ) (١)

المقصود : الشراء

المقصود عليه : أولئك

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا فيه مبالغة

سر القصر :

بينت الآيات السابقة قبائح اليهود من نقضهم الميثاق ، الذي ينص
على عدم الاشراف بالله والاحسان الى الوالدين وذوي القربى ، واقامة
الصلاة وايتاء الزكاة وعدم سفك الدماء . فنقض هذا الميثاق العظيم من أقبح
الاعمال ولذا كان لا بد من بيان كمالهم في القبح ، فجيء باسم الاشارة

للإشارة الى بعد منزلتهم في الشر ، وعُرِّفَ الخبر (الاسم الموصول) لقصر
شراء الحياة الدنيا بالآخرة عليهم ، لبيان كمال جهلهم وغفلتهم . (الجمع
بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن ، والله سبحانه مَكَّنَّ
المكلف من تحصيل أيهما شاء وأراد ، فاذا اشتغل بتحصيل أحدهما فقد فوت
الآخرة على نفسه ، فجعل الله ما أعرض اليهود عنه من الايمان بما في كتبهم
وما حصل في أيديهم من الكفر ، ولذات الدنيا ، كالبيع والشراء . وذلك
من الله تعالى في نهاية الذم لهم ، لأن المغبون في البيع والشراء في
الدنيا ، مذموم حتى يوصف بأنه تغير في عقله ، فبأن يذم مشتري قبائح
الدنيا بالآخرة أولى) (١).

— (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٢)

المقصود : السميع العليم

المقصود عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا . تحقيقيا

والقصر هنا عن طريق تعريف الخبر .

سر القصر

لما ادعى اليهود والنصارى أنه لا دين ولا هداية الا باعتناق اليهودية
أو النصرانية (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٣).

(١) الفخر الرازي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٧

(٢) آية : ١٣٧

(٣) آية : ١٣٥

أجابهم القرآن بأن ما يدعونه ليس بهدى ، وأن الهدى هو ملة ابراهيم عليه السلام ، وهى ملة الاسلام ، وأن من تولى فهو فى ضلال. ثم ذكر الايمان وضده ، وكل منهما مشتمل على أقوال وأفعال ، وعلى عقائد تنشأ عنها تلك الأقوال والأفعال . لذا ناسب أن يختتم الآية بقوله (وهو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .
أى السميع لأقوالكم ، العليم بنياتكم واعتقادكم .

ولما كانت الأقوال هى الظاهرة لنا ، الذالة على ما فى الباطن ، قدمت صفة السميع على العليم ، ولأن العليم فاصلة أيضا . (١) وفى قصر هاتين الصفتين على المولى عز وجل عن طريق تعريف الخبر ، مبالغة فى بيان كمال اتصافه بهما دون غيره ، وفيها وعد ووعد . وعد للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يسمع دعاءه ويعلم نيته ، وهو يستجيب له ويوصله الى مراده . (٢) ووعد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ، ويعلم ما يخفون ، وهو معاقبهم عليه . (٣)

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ . (٤)

المقصود : الحق .

المقصود عليه : الضمير فى (أنه) الراجع الى التولى الى المسجد

الحرام .

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤١١

(٢) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٩٤

(٣) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٩٣

(٤) آية : ١٤٤ .

قصر صفة على موصوف أو هو قصر اضافى قصر افراد ، اذا كان النفسى
بالنسبة للتولى الى المسجد الأقصى ، أى أن الحق هو التولى الى المسجد
الحرام لا الى المسجد الأقصى .

سر القصر :

ان أمر تحويل القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام كان معلوما
عند أهل الكتاب ، لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه صلى الى القبلتين .
فكان لابد من توكيد هذا المعنى لرد افتراءات اليهود ، وتشكيكهم المسلمين
فى أمر تحويل القبلة ، فجى بأسلوب القصر فقصر الحق على تحويل القبلة
لاغير (أى التحويل أو التوجه المفهوم من التولية (الحق) لاغيره لعلمهم
بأن عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ، ومعاينتهم
لما هو مسطور فى كتبهم من أنه عليه الصلاة والسلام صلى الى القبلتين .
كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب ، وان مع اسمها
وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون ، أو مسد مفعوله الواحد ، على أن العلم
بمعنى المعرفة . (١)

(١) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا
مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) . (١)

يحتمل أن يكون الحق : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو الحق . أو مبتدأ
خبره : من ربك ، ويبدو لي أنه في كلا الحالتين يفيد القصر ، إلا أنه على
التقدير الأول يفيد القصر عن طريق تعريف المسند .

أى هو الحق لا غيره ، مما يدعيه أهل الكتاب فهو باطل . فيكون قصر افراد
من قصر الصفة على الموصوف .

والمقصور : الحق .

والمقصور عليه : هو .

وعلى التقدير الثاني يفهم لقصر عن طريق لفظ - أى - عن طريق خبر الموصوف ، أى الحق
من ربك لا من غيره ، كما فى (التوكل على الله) أى لا على غيره . فيكون
القصر حقيقيا تحقيقيا .

والمقصور : الحق

المقصور عليه : من ربك

قصر صفة على موصوف .

هذا على اعتبار كون (ال) هنا تفيد الجنس . فقد ذكر الامام الزمخشري
أنها قد تفيد العهد ، فقال (يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ،
أى هو الحق ، أو مبتدأ خبره : من ربك . وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد
والإشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الى الحق
الذى فى قوله ليكتُمون الحق ، أى هو الذى يكتُمونه هو الحق من ربك .
وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره ، يعنى أن الحق ما ثبت
أنه من الله ، كالذى أنت عليه ، وما لم يثبت أنه من الله ، كالذى عليه
أهل الكتاب فهو الباطل) . (٢)

(١) آية : ١٤٦ - ١٤٧

(٢) الكشاف ، ١٣ ، ص ٣٢١ .

سر القصر :

أنكر أهل الكتاب أمر تحويل القبلة ، مع علمهم الأكيد بصحة ذلك لوروده في كتبهم . وهذا اصرار على الانكار ، وما كان انكارهم هذا الا لعناد يقوده الهوى ، وتؤججه المصلحة فقد عز عليهم أن يتحول الرسول والامة الاسلامية عن قبلتهم ، فيفقدوا بذلك حجة تعاضمهم ، فانطلقوا يلقون بذور الشك والريب في قلوب المسلمين . ولهذا أنزل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة من ينكر . فالرسول صلى الله عليه وسلم من المعلوم أنه لم ينكر قط ، ولم يشك في كون هذا الأمر هو الحق ، وكونه من عند الله لامن عند غيره . ولكن في توجيه الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وانزاله منزلة من ينكر يحمل في طياته ايحاءاً قوياً ، وزجراً عظيماً الى من وراءه من المسلمين ، ممن كان يتأثر بأباطيل اليهود ، أو من يأتي بعدهم ممن تؤثر فيهم أباطيل اليهود وغيرهم .

— (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١).

المقصود : التواب الرحيم .

المقصود عليه : أنا

قصر صفة على موصوف قصر حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما بين الله سبحانه وتعالى عظيم الوعيد وبالغ التهديد للذين يكتفون ما أنزل الله ، كان من الممكن أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال ، وفي هذا ما يدعو الى اليأس من رحمة المولى عز وجل ، والصد عن العودة الى الأيمان به ، ولكن من عظيم رحمته ، بين لهم أنهم اذا تابوا

وأصلحوا تغير حكمهم . وليعيد الثقة في النفوس ، ويرغب في التوبة ، أكد قبوله لتوبة من تاب وأناب . وذلك بتعريف الخبر ، والمجئ به عن طريق صيغة المبالغة ، فقصر التوبة على ذاته العليا . فهو وحده القابل لتوبة كل ذي توبة ، ثم عقب هذا القصر بصفة الرحمن ، للتنبيه (على أنه لرحمته بالمكلفين من عباده ، يقبل توبتهم بعد التفريط العظيم منهم) . (١)

— (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) . (٢)

في الآية الكريمة أسلوبا قصر .

الاول عن طريق تعريف الجزئين في قوله تعالى : (اولئك الذين صدقوا) .

المقصود : الصدق .

المقصود عليه : أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا ، أو فيه مبالغة .

والقصر الثاني عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل في قوله تعالى :

(وأولئك هم المتقون) .

المقصود : المتقون

المقصود عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

(١) الفخر الرازي ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٢

(٢) آية : ١٧٧ .

سر القصر :

ان هذه الآية الكريمة حاوية جميع الكمالات البشرية برمتها تصريحاً وتلويحاً ، لأنها مع كثرت فنونها وتشعب شمولها منحصرة في ثلاثة خلال ، صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد ، وتهذيب النفس . وقد أشير الى الاولى بالايمان ، والى الثانية بايتاء المال ، والى الثالثة باقامة الصلاة . (١) ولأن هذه الصفات هي كمال الايمان ، رفع من شأن الحائزين لها ، بتكرير اسم الاشارة ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر ، لتأكيد انحصار التقوى فيهم وحدهم دون غيرهم . وفي وصف الحائزين على هذه الصفات بهذا الاسلوب ، ما يحث الانسان على الاجتهاد في طلب ما طلبوه ، ليفوز بما فازوا به .

ولقد ذكر الامام ابو السعود أن تكرير الاشارة هنا لزيادة تقوية شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم . (٢) فيفهم من كلامه أن القصر من توسط ضمير الفصل . أما الامام الشهاب فيظهر لى من كلامه ، أن القصر ناتج عن تعريف الخبر ، فقال : (وعمم التقوى ليصح الحرقيقة) . (٣) ولقد ذكرت سابقاً أنه يظهر لى أنه لا مانع من كون القصر مستفاد من التعريف مع ضمير الفصل .

— (وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) . (٤)

المقصود : خير الزاد .

المقصود عليه : التقوى .

(١) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

(٢) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

(٣) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢

(٤) بعض آيات : ١٩٧ .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً فيه مبالغة .

سر القصر :

تضمنت الآيات السابقة جملة من المنهيات في شهر الحج ، فنهت عن الرفث وعن الفسوق والجدال . ولما كانت هذه الامور من الرذائل ، التي يحتاج الانسان في مقاومتها ، الى أن يتزود بما يعينه على ذلك ، قصر خير الزاد على التقوى ، لا يتعدها الى غيرها ، لترغيب الناس في تعميير القلوب والنفوس بتقوى الله ، لما لها من الفضل في ردع النفس ، وتحذيرها من ركوب المعاصي .

٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

— (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . (١)

قد سبق أن بينت رأى البلاغيين فيما اذا اجتمع في الجملة ضمير فصل وخبر معرف بآل ، فرأى بعضهم أن القصر يستفاد من الخبر المعرف بآل فقط ، ورأى بعض آخر أنه يستفاد من كلا الطريقتين . ويبدو لي أنه يستفاد من كلا الطريقتين ، لأن في اجتماع الطريقتين ما يزيد الجملة تأكيداً على تأكيد .

ويفهم من كلام الزمخشري أن القصر في هذه الآية مستفاد من كلا الطريقتين ، اذ انه قال : (وهم) فصل ، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة والتوكيد ، وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو : مبتدأ ، والمفلحون : خبره ، والجملة : خبر أولئك (٢) ثم ذكر معنيين للام ، المعنى الاول يفيد القصر ، والثاني لا يفيدده ،

(١) آية : ٥

(٢) الكشاف ، م ١٠ ، ص ١٤٥

فذكر المعنى الأول فقال : (ومعنى التعريف فى المفلحون ، الدلالة على أن المتقين ، هم الناس الذين عنهم بلغك ، أنهم يفلحون فى الآخرة . كما اذا بُلِّغْتَ أن انسانا ، قد تاب من أهل بلدك ، فاستخبرت : من هو فقيل : زيد التائب . أى هو الذى اخبرت بتوبته) . وهذا ما ذكره الامام عبدالقاهر عند حديثه عن الفرق بين زيد المنطلق ، وزيد منطلق ، حيث قال :

(واذا قلت : زيد المنطلق ، كان كلامك مع من عرف ، أن انطلاقا كان ، إماما من زيد ، وإمّا من عمرو . فأنت تُعَلِّمه أنه كان من زيد دون غيره . فأنت تثبت فعلا قد علم السامع أنه كان ، ولكن لم يعلمه لزيد ، فأفدته ذلك ، فصار الذى كان معلوما على جهة الجواز ، معلوما على جهة الوجوب) . (١)

أما التعريف الثانى الذى ذكره (لأل) فقد قال فيه : (... أو على أنهم الذين ان حصلت صفة المفلحين ، وتحققوا ما هم ، وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة . كما تقول لصاحبك : هل عرفت الأسد ، وما جبل عليه من فرط الاقدام ؟ ان زيدا هو هو) .

وهذا ما ذكره الامام عبدالقاهر ، بعد أن بين وجوه افادة (أل) القصر ، فقال : (واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك ، وله مسلك ثم دقيق ، ولمحة كالخلس ، يكون المتأمل عنده ، كما يقال : يعرف وينكر . وذلك قولك : هو البطل المحامى ، وهو المتقى المرتجى . وأنت لا تقصد شيئا مما تقدم ، ولكنك تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل ، حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ . فان كنت قلته علما ، وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك وأشدد به يدك ، فهو ضالتك ، وعنده بغيتك . كطريق قولك : هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ما هو . فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه) . (٢)

فالامام الزمخشري لا يوجب افادة (أل) هنا للقصر ، على اعتبار المعنى

(١) دلائل الاعجاز ، ص ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

الثاني ، فيكون القصر مستفاداً من الفصل .
أما على المعنى الاول ، فهو مستفاد من آل . والضمير .
ونهب الامام أبوحيان الى أن الألف واللام في المفلحون ، لتعريف العهد
في الخارج ، أو في الذهن . وأنه جيء بضمير الفصل هنا لتأكيد النسبة ، فقال
(والألف واللام في المفلحون ، لتعريف العهد في الخارج ، أو في الذهن
وذلك أنك اذا قلت : زيد المنطلق . فالمخاطب يعرف وجود ذات ، صدر منها
انطلاق ، ويعرف زيدا ويجهل نسبة الانطلاق اليه ، وانت تعرف كل ذلك ، فتقول
له زيد المنطلق ، فتفيده معرفة النسبة التي كان يجهلها) . (١)
فقال : (ودخلت "هو" فيه ، اذ قلت : زيد هو المنطلق ، لتأكيد النسبة) . (٢)
وذكر الامام البيضاوي أن تعريف المفلحين اما أن يكون للدلالة ، على أن المتقين
هم الناس ، الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة . أو الاشارة الى ما يعرفه
كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم .
وأما أن تكون آل للجنس ، فيراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ، ويلزمه
عدم كمال الفلاح . فمن ليس على صفتهم ، لاعدم الفلاح له رأسا ، ويكون
القصر مستفادا من آل الجنسية . (٣) وقد لخص الامام الالوسي القول فقال :
(وهذه الجملة لاتخلو عن افادة الحصر ، كما لا يخفى وقد ذكر عنه غير واحد ان
اللام في - المفلحون - حرف تعريف ببناء على أن المراد الثبات على الفلاح ،
فهو حينئذ مما غلبت عليه الاسمية ، أو الحق بالصفة المشبهة . فهي اما
للعهد الخارجي للدلالة على أن المتقين ، هم الذين بلغك أنهم مفلحون في
العقبى ، وضمير الفصل اما للقصر ، أو لمجرد تأكيد النسبة . ولا استبعاد
في جريان القصر قلبا ، أو تعيينا ، بل افرادا أيضا . أو للجنس - فتشير
الى ما يعرفه كل أحد من هذا المفهوم ، فان أريد القصر ، كان الفصل

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٤

(٢) البيضاوي ، ج ١ ، ص ٦٥

لتأكيد النسبة، ولتأكيد الاختصاص ايضا . وان أريد الاتحاد كان لمجرد تأكيد النسبة). (١)

القول

وقد سبق هؤلاء جميعا الامام الطبرى فى/بافادة الآية القصر ، ولكن لم يشر من أى طريق استفيد . فقال (.. فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم .. وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار). (٢)

فعبارة الاخيرة تشير الى معنى التعريض بغير المفلحين .

فالمقصور فى الآية : الفلاح

المقصور عليه : أولئك/هم .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا وذكر الامام الأوسى أنه لا استبعاد فى جريان القصر قلبا أو تعيينا أو افرادا . (٣)

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المتقين وأنهم هم الذين يوقنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وحرضهم على الانفاق مما رزقوا . أشار الى أن من كانت هذه صفاتهم ، فهم أهل الهدى وأهل الفوز . ولبيان كمال العناية بتمييزهم (٤) واطهارا لمكانتهم ، وامتداحا لأفعالهم ، نبيده سبحانه وتعالى ، على اختصاصهم بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى ، منها تكرير اسم الاشارة ، تنبيها على أن اتصافهم بتلك الصفات ، يقتضى كل واحدة من الاثرتين ، وأن كلا منهما كاف فى تمييزهم بها عن غيرهم . (٥)

وفى تعريف المفلحين ، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ، اظهار لمراتبهم وترغيب فى طلب ما طلبوا ، وتنشيط للمتقاعسين عن تقديم ما قدموا ، وتثبيط

(١) روح المعانى ، ج ١ ، ص ١٢٥

(٢) الطبرى ، ج ١ ، ص ٨٢

(٣) روح المعانى ، ج ١ ، ص ١٢٥

(٤) المفتاح ، ص ٧٩ .

(٥) السبىاوى ، ج ١ ، ص ٦٥ .

عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب ، والتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ، ولم تسبق به كلمته . (١) وفي وصفهم بأنهم الكاملون في الفلاح . تعريـض بغيرهم كما ذكر الطبري ، حيث قال (فأخبر أنهم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار) . (٢)

— (وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَاتْمِيدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّيَشْعُرُونَ) . (٣)

المقصور : الافساد

المقصور عليه : الضمير في (انهم) / هم

قصر صفة على موصوف قصر قلب ، لأنهم لما قصروا أنفسهم على الصلاح قصر افراد ناسب هنا قصرهم على الافساد قصر قلب . أي هم مقصرون على الافساد ، لاحظ لهم في الاصلاح .

سر القصر :

لما ادعى المنافقون أنهم هم المصلحون ، وجاء ادعائهم مؤكدا ، وأخرجوه في صورة الأمر المعروف ، الذي لا سبيل لانكاره . وذلك عن طريق قصر الاصلاح على أنفسهم قصر افراد ، وذلك عن طريق انما . وفي هذا تعريض بالمؤمنين أيما تعريض . ولذا جاء الرد عليهم ردا مبالغا فيه حيث سلك فيه مسلك الاستثناف المؤدى الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع . مع تأكيد الحكم وتحقيقه ، (بأن المقررة للنسبة وألا) الاستغنائية ، المركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ، لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي ، تفيد تحقيق الاثبات قطعاً كقوله تعالى :

(١) الكشاف ، م ١ ، ص ١٤٥ / البيضاوي ، ج ١ ، ص ٦٥

(٢) الطبري ، م ١ ، ص ٨٢

(٣) آية : ١١ - ١٢ .

(أليس الله بكاف عبده) . وقوله (أليس ذلك بقادر) (١) ثم عرف الخبر
ووسط ضمير الفصل ، لعصر الفساد فيهم ، فكل فساد صادر منهم ، لا من غيرهم
من المؤمنين ، كما يدعون . وفي هذا مبالغة في قلب اعتقادهم ، ودفوع
تعريضهم بالمؤمنين . ثم ختمت الآية بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) ، فقوله
(لا يشعرون) ، للدلالة على أن كونهم مفسدين ، قد ظهر ظهور المحسوس ، لكن
لاحس لهم ليدركوه . (٢) وذكر بعض البلاغيين أن مجيء القصر لغرضين أحدهما :
المبالغة في وصفهم بالافساد ، وهذا ناظر الى ما فهم من كلامهم ، من قصرهم
أنفسهم على الاصلاح ، والغرض الثانى المبالغة في دفع تعريضهم بالمؤمنين
وهو أيضا مفهوم من كلامهم ، لكن هذا الغرض مستفاد من تعريف الخبر ، وتوسيط
الفصل . ذكر الشريف الجرجاني : (وأما وجه المبالغة في تعريف الخبر ،
وتوسيط الفصل . فقد قيل : الاول يفيد حصر المسند اليه على المسند والثانى
يفيد تأكيد هذا الحصر ، وهذا وان كان مناسبا لرد دعواهم الكاذبة ، فانهم
لما قصروا أنفسهم على الاصلاح قصر افراد ، ناسب في ردهم أن يقصروا على
الافساد قصر قلب أى هم مقصورون على الافساد لاحظ لهم فى الاصلاح ، لكن يرد
عليه أن تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصره فى المبتدأ كما هو المذكور فى
المفتاح ، والمشهور فى الاستعمال وأن ضمير الفصل يفيد هذا الحصر أيضا أو
بؤكده . . . وقيل المبالغة فى تعريف المفسدين على قياس ما مر فى المفلحين :
أى ان حصلت صفة المفسدين ، وتحققوا ما هم ، وتصوروا بصورتهم الحقيقية ،
فالمنافقون هم هم لا يعدون تلك الحقيقة فيكون الفصل مؤكدا لنسبة الاتحاد ،
الذى هو أقوى من القصر فى افادة المقصود . (٣)

وقد يقال أن توضيح المبالغة الحاصلة من تعريف الخبر ، أنه يدل على اتحاد
المبتدأ معه فى المفهوم والمعنى . وبهذا يحصل حصر المسند فى المسند اليه

(١) الكشاف ، ١م ، ص ١٨٠ / تفسير أبى السعود ، ج١ ، ص ٤٤

(٢) الكشاف ، ١م ، حاشية الجرجاني ، ص ١٨١

(٣) الكشاف ، حاشية الشريف الجرجاني ، ١م ، ص ١٨١

لأنه اذا اتحد شيئان كان كل منهما مقصورا على الآخر . وكما قصر المسند على المسند اليه ، كان المسند اليه مقصورا على المسند ، فكانوا مقصورين على الافساد ، لا يتجاوزونه الى الاصلاح ، وقصرهم على الافساد مبالغة في كونهم مفسدين . فان قيل ان الاتحاد لا يناسب القصر ، اذ قصر الشيء على الشيء يقتضى مغايرتهما ، اذ لوجه لقصر الانسان على نفسه ، ولا فائدة فيه ، أجيب على هذا الكلام ، بأن ادعاء الاتحاد بين شيئين متغايرين ، أمر غير مطابق ولا يجوز مثل هذا في كلام الله تعالى ، ولكن من الممكن أن يقال : قصر الافساد عليهم مستفاد من تحلية الخبر باللام ، يدل بحسب الظاهر ، على أن كل فساد صادر منهم ، وهذا مبالغة في اتصافهم بالافساد . (١)

— (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . (٢)

المقصور : الخسران .

المقصور عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات اليهود ، وصفات المنافقين من نقضهم لعهد الله وموآثيقه ، التي جاء بها على السنة رسله ، وأنهم يقطعون صلات القربى وصلات العقيدة ، ويفسدون في الأرض وفسادهم هذا نابغ من نقضهم لعهد الله ، وقطعهم الصلاته ولما كانت هذه الامور المذكورة في الآية من أهم أمور الاسلام ، وقد وقع منهم الاخلال بها . لذا جيء باسم

(١) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ١ ، ص ٨٣ - ٨٤

(٢) آية : ٢٧ .

الإشارة لما فيه من معنى البعد ، للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد (١)
ثم عرف الخبر بأل الجنسية ، وجى بضعير الفصل ، لبيان أنهم هم الكاملون
في الخسران ، ... مبالغة في الزجر والنهي عن ارتكاب هذه المعاصي .

— (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٢)

ذكر الامام البيضاوي أن (أنت) هنا فصل وقيل أنه تأكيد للكاف ، كما في
قولك : مررت بك أنت ، وان لم يجر ، مررت بأنت . ان التابع يسوغ فيه ،
ملا يسوغ في المتبوع . (٣) ويبدو لي من كلامه أنه يرجح كونه فصلا . وذكر
الامام ابوحيان الاحتمالات الثلاثة . فيحتمل أن يكون توكيدا للضمير ، فيكون
في موضع نصب ، أو مبتدأ ، فيكون في موضع رفع . والعليم : خبره ، أو فصلا
فلا يكون له موضع من الاعراب . على رأى البصريين ، أو له موضع من الاعراب
على رأى الكوفيين . (٤)

والمشهور أنه فصل لا محل له من الاعراب .

فالمقصور : العلم والحكمة .

المقصور عليه : الضمير في انك : انت

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما طلب المولى عز وجل من ملائكته ، أن ينبئوه بأسماء المخلوقات

جاء جوابهم بما هو قمة في التأدب مع المولى عز وجل ، حيث بدأوه

(١) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ٧٦

(٢) آية : ٣١ - ٣٢

(٣) البيضاوي ، ج ١ ، ص ١٣٩

(٤) البحر المحيظ ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

بالتنزيه والتقديس ، ثم جيء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ،
ليؤكدوا أن علمهم محدود . فقصروا علمهم على ما علمهم الله اياه ، لايتعداه
الى غير ذلك . ولبيان تسليمهم المطلق لالوهيته ، أنهوا كلامهم بقولهم
(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ، فصروا العلم والحكمة المطلقة له وحده ،
لايتعداه الى غيره . وفي ذلك اظهار لكمال عجز المخلوقات جميعها أمام علمه
المطلق ، وكمال العبودية لله وحده . وجيء بهاتين الصفتين بصيغة المبالغة
التامة ، لأن المبالغة التامة لا تتحقق الا عند الاحاطة بكل المعلومات ،
وما ذاك الا هو سبحانه وتعالى ، فلاجرم ليس العليم المطلق الا هو . فلذلك
قالوا " انك انت العليم الحكيم " . على سبيل الحر ، وفي قصر العلم
والحكمة المطلقة له بهذا الاسلوب ما يثير الخوف العظيم ، لانه لا يخفى عليه
شيء من أحوال الضمائر ، فيجب أن يجتهد المرء في تصفية باطنه ، وأن لا يكون
بحيث يترك المعصية لاطلاع الخلائق عليها ، ولا يتركها عند اطلاع الخالق عليها . (١)
وشرح الامام الطبري معنى القصر هنا ، فقال : " القول في تأويل (انك
انت العليم الحكيم) ، قال ابو جعفر أو تأويل ذلك أنك انت ياربنا العليم
من غير تعليم ، بجميع ما قد كان ، وما هو كائن ، والعالم للغيوب دون جميع
خلقك . وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم : لاعلم لنا الا ما علمتنا ،
أن يكون لهم علم الا ما علمهم ربهم واثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم
بقولهم : انك انت العليم ، يعنون بذلك العالم من غير تعليم ، اذ كان
من سواك لا يعلم شيئاً ، الا بتعليم غيره اياه ، والحكيم هو ذو الحكمة (٢)

(١) الفخر الرازي ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٢) الطبري ، م ١ ، ص ١٧٥ .

— (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١)

المقصود : التوبة والرحمة

المقصود عليه : الهاء في انه / هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما عصى آدم عليه السلام رب العزة والجلال ، بأكله من الشجرة المحرمة ،
باغواء من ابليس . ندم على فعلته ندماً شديداً ، وأتاب الى ربه ، وتاب
اليه توبة نصوحاً . فجاءت الآية لتقرر أنه لا ذنب مع الندم والتوبة ، وفي
ذلك تسلية لآدم عليه السلام ، وتبشير له بقبول توبته ، بل وتبشير لكل من
تاب . ففي مجيء الجملة الاسمية ما يقوى رجاء المذنبين ويجبر كسر قلوب
الخطائين ، حيث افتتحت بأن المؤكدة ، ثم عرف الخبر ، ووسط ضمير
الفصل ، لقصر التوبة على الله وحده دون غيره .

وجيء بها على صيغة المبالغة ، لتأكيد قبوله التوبة كلما تاب المذنب .
وقد يكون توسط الضمير هنا لتأكيد الحصر ، (وفي الجمع بين الوصفين
— أي كونه تواباً ورحيماً — وعد للتائب الاحسان مع العفو) . (٢)

— (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ
هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ) . (٣)

المقصود : الهدى

المقصود عليه : هدى الله / هو

(١) آية ٠ : ٣٧

(٢) البيضاوى ، ج ١ ، ص ١٤٤

(٣) آية : ١٢٠ .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

حيث قصر الهدى على هدى الله ، لا يتعداه الى ما عليه اليهود والنصارى من الشريعة المنسوخة . ويظهر لى من كلام الامام أبى حيان ، أن القصر مستفاد من ضمير الفصل ، وذكر احتمال كونه عن طريق التعريف ، مع ضعف فى ذلك فقال ؛ (وأكد الجملة بأن وبالفصل الذى قبل ، فدل على الاختصاص والحصـر ، وجاء الهدى معرفا بالألف واللام ، وهو مما قيل أن ذلك يدل على الحصر فاذا قلت : زيد العالم ، فكأنه قيل : هو المخصوص بالعلم والمصور فيه) (١) ويبدو لى أن القصر فى الآيه مستفاد من كلا الطريقتين (الفصل - تعريف الخبر) .

سر القصر :

أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بحقيقة ثابتة فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى لتحذيره من مكائدهم ، فأطلعه أنهم دائبون فى تدبير المكائد له ، ولن يرضوا عنه ، حتى يترك ما أمره الله به ، ويتبع ملتهم وذلك بزعمهم ولتأكيدهم أن ما هم عليه هو الحق والهدى ، وغيره هو الباطل . (فأجيبوا بالقصر القلبى ، أى دين الله هو الحق ، ودينكم هو الباطل ، وهدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى ، وما يدعون الى اتباعه ليس بهدى ، بل هو على أبلغ وجه لاضافة الهدى اليه تعالى ، وتأكيده "بأن" واعادة الهدى فى الخبر على حد شعرى شعرى ، وجعله نفس الهدى المصدرى وتوسيط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر) . (٢)

ثم اتبع هذا الأمر الحازم والتوجيه الصادق (بوعيد شديد للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ان اتبع أهواءهم ، وحاول رضاهم ، وأتعب نفسه فى طلب ما يوافقهم . ويحتمل أن يكون تعريضا لامته ، وتحذيرا لهم ان يوافقوا شيئا من ذلك ، أو يدخلوا فى أهوية أهل الملل ، ويطلبوا رضا أهل البدع) . (٣)

(١) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) فتح القدير ، م ١ ، ص ١٣٥ .

(١) — (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . (٢)

المقصور : الخسران

المقصور عليه : هم / اولئك

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

(وهم يحتمل أن يكون مبتدأ ، وأن يكون فصلا . وعلى كلا التقديرين يكون
في ذلك توكيد) . (٣)

سر القصر :

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى قبائح اليهود والنصارى ، وتمسكهم
بما هم عليه من الانحراف ، واعتقادهم أنه هو الهدى ، وأبطل الله زعمهم
هذا برد قوى مؤكد بأن مع القصر بتعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، فقصر
الهدى على هدى الله وحده . وزيادة في ترغيب المؤمنين بالتمسك بهدى الله ،
حذرهم ورهبهم من الرضا بغيره ، وشراء الكفر بالايمان . فقصر الخسران
وعدم الربح على الذين يكفرون به ، لايتعداهم الى غيرهم من الذين اتبعوا هدى الله .

(١) الخطاب فى الآية قيل: هو لمؤمنى أهل الكتاب وقد ذكر ذلك الامام الزمخشري
فى الكشاف م ١ ، ص ٣٠٨ (والدليل عليه ان الذين تقدم ذكرهم ، هم اهل الكتاب
فلما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء افعالهم ، اتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم
بل تأمل التوراة وترك تحريفها ، وعرف منها صحة نبوة محمد عليه السلام . وقيل
المقصود هنا بالذين آتيناهم الكتاب هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذين
آتاهم الله القرآن واحتجوا عليه من وجوه ، (احدها) ان قوله (يتلونه حق تلاوته)
حث وترغيب فى تلاوة هذا الكتاب ، ومدح على تلك التلاوة والكتاب الذى هذا
شأنه هو القرآن لا التوراة والانجيل . فان قراءتهما غير جائزة (وثانيها) ان قوله
تعالى (اولئك يؤمنون به) يدل على ان الايمان مقصور عليهم ، ولو كان المراد
اهل الكتاب ، لما كان كذلك (وثالثها) قوله (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)
والكتاب الذى يليق به هذا الوصف هو القرآن وذكر ذلك الامام الفخر ، م ٢ ، ج ٣ ص ٣٥
(٢) آية : ١٢١٣ (٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

— (وَإِذْ يَزْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) . (١)

المقصود : السميع العليم .

المقصود عليه : الكاف الراجع الى المولى / انت .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

والقصر فى الآيه عن طريق تعريف الخبر ، مع توسط ضمير الفصل . ويبدو لى

أن ضمير الفصل يفيد مع الحصر التوكيد أيضا .

سر القصر :

الموقف هنا موقف دعاء وتضرع ، وعمل من قبل ابراهيم واسماعيل عليهما

السلام ، فعملهم هذا واخلاصهم فيه ، نابع عن ايمانهم المطلق بالله ، وانهم

ما قاموا بذلك العمل الا ابتغاء مرضاته ، فلا أحد يطلع على سريرتهما ، ولا

أحد يسمع دعاءهما سوى الله سبحانه وتعالى . وأكدوا اختصاصه بالسمع

والعلم بدخول ضمير الفصل زيادة فى التضرع . ويرى البعض انه قصر حقيقى فيه مبالغة

لأنه جىء بهاتين الصفتين بصيغة المبالغة ، لبيان أنه لا يعتقد بسمع غيره

ولا بعلمه ، فكل سمع من غيره كلا سمع ، وكل علم من غيره كلا علم . (وتقدمت

صفة السمع - وان كان سؤال التقبل متأخرا - عن العمل للمجاورة . . . وتأخرت

صفة العليم ، لكونها فاصلة . ولعمومها ، اذ يشمل علم المسموعات وغير

المسموعات) (٢) قال الامام الفخر (انما عقب هذا الدعاء بقوله (إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، كأنه يقول تسمع دعاءنا وتضرعنا ، وتعلم ما فى

قلبنا من الاخلاص ، وترك الالتفات الى أحد سواك ، فان قيل : قوله (انك

انت السميع العليم) يفيد الحصر ، وليس الأمر كذلك ، فان غيره قد يكون

سميعا ، قلنا : انه سبحانه لكماله فى هذه الصفة ، يكون كأنه هو المختص

بها دون غيره) (٣) . ويبدو لى أن حمله على القصر الحقيقى التحقيقى أولى .

(١) آية : ١٢٧

(٢) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٨

(٣) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

المقصور : التواب الرحيم

المقصور عليه : الكاف العائدة للمولى عز وجل / أنت
قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقا او فيه مبالغة .
سر القصر :

ما زال الموقف موقف تضرع ودعاء ، فقد دعا ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام الله سبحانه وتعالى بأن يجعلهما مسلمين ، وأن يجعل ذريتهما أمة
مسلمة ، وسألوة التوبة والمغفرة ، واعتقالهم الجازم بقبوله التوبة ،
وايمانهم المطلق بأنه لا توبة ، يعتد بها أمام توبته ورحمته ، قصروا التوبة
والرحمة على الله وحده ، لاتعداه الى غيره ، وفي ذلك (٠٠ مزيد استدعاء
للإجابة . قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له ، فليدع الله عز وجل ، بما
يناسبه من أسمائه وصفاته) . (٢)

وقدم ذكر التوبة على الرحمة ، لمجاورة الدعاء الاخير في قوله : وتب
علينا . وتأخرت صفة الرحمة لعمومها ، لأن من الرحمة التوبة ، ولكنها فاصلة
والتواب لا يناسب أن يكون كذلك ، لأن قبلها انك انت السميع العليم ، وبعدها
انك انت العزيز الحكيم . (٣)

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤)

المقصور : العزيز الحكيم .

المقصور عليه : الكاف العائدة الى الذات العليا / أنت

(١) آية : ١٢٨

(٢) تفسير ابي السعود ، ج ١ ، ص ١٦١

(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٣٩٢

(٤) آية ١٢٩

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

طلب ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من الله سبحانه وتعالى ارسال
الرسل والنذرا الى البشرية ، ولما كان هذا الأمر لا يقدر عليه الا من كان له القهر
والغلبة المطلقة ، والحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ،
والذي لا يجهل شيئا من اسرار الخلق ، ولا يمانهم بأن هذا الأمر لا يقدر عليه
الا من يتصف بالعزة والحكمة ، قصروا صفتي العزيز والحكيم على الله عز وجل
وحده لاتعداه الى غيره ، لكماله في الاتصاف بهما .

— (وَلَنبَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ .
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) . (١)

المقصود : الهداية

المقصود عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا فيه مبالغة .

ذكر الامام الشهاب ، والامام الكازروني ، أن القصر في الآية مستفاد
من ضمير الفصل ، لأنه لو لم يكرر أولئك ، لم يلزم فرضا أن يكون الضمير
ضمير فصل ، والمراد بحصر الاهتداء هنا ليس حصر مطلق الاهتداء ، بل حصر الاهتداء
المخصوص . بما وجب عند المصائب ، على دعوى أنه لا يوجد الا منهم . (٢) وذكر
الامام ابوالسعود أن الاهتداء المقصود هنا ، هو مطلق الاهتداء ، فقال :

(١) نظر آية : ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧

(٢) / حاشية الشهاب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ / البيضاوي حاشية الكازروني ، ج ١

(المراد بالاهتداء فى قوله عز وجل : (هُمْ الْمَهْتَدُونَ) ، هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا ، لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة . . كأنه قيل وأولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب . ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى) . (١)

سر القصر :

لما أخبر الله سبحانه وتعالى ، أنه سيبلو المؤمنين بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال فى قوله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (٢) أكد أن هذه من المصائب الكبرى التى تحتاج الى الصبر ، وأن المؤمن الحق هو الذى اذا أصابته مصيبة ، أقر بمرجه الى الله تعالى .

ولترغيب المؤمنين فى الصبر ، أمتدح المولى عز وجل الصابرين ، وأبرز منزلتهم حيث كرر اسم الاشارة (أولئك) ، لظهار كمال العناية بهم . ثم جىء بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر بالالف واللام ، وتوسط ضمير الفصل ، فقصر الاهتداء عليهم . لا يتعداه الى غيرهم .

ذكر الامام ابوحيان (وأكد بقوله هم وبالألف واللام ، كأن الهداية انحصرت فيهم ، وباسم الفاعل ليدل على الثبوت ، لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة . وقتا بعد وقت ، فيخبر عنها بالفعل ، بل هى وصف ثابت) . (٣)

(١) تفسير أبى السعود ، ج ١ ، ص ١٨٠

(٢) آية : ١٥٥

(٣) البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٤٥٢

— (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا
حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيهَا إِذَا افْتَدَتْ بِهَا تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ (١) فَلَا تَعْتَدُوهَا
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢) .

المقصور : الظلم

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة .

سر القصر :

جاءت هذه الآية الكريمة في ضمن سلسلة من الآيات ، التي تتحدث
عن الأحكام الخاصة بأمور الزواج ، والمعاشرة والايلاء ، والطلاق والعدة ،
والنفقة والرضاعة والحضانة . ولم تذكر هذه الأحكام كما هي في كتب الفقه ، أي
مجرد أحكام فقط ، بل إنها جاءت في جو ، يشعر القلب البشري أنه يواجه
قاعده كبرى من قواعد العقيدة .

حيث أنهت بنهاية تنبؤ بضخامة هذه الأمور وخطورتها وعظمتها ، فوضع الاسم
الجليل في المواقع الثلاثة الأخيرة ، لتربية المهابة وإخال الروعة . (٣) ثم
جاء بالنهي عن تعدى حدود الله وتجاوزها ، ثم أعقب هذا النهي الوعيد الشديد
للمتخطئين لهذه الحدود . وذلك مبالغة في التهديد ، ثم جاء باسم الإشارة
للتنبية على بعد منزلتهم في الظلم ، وكمال اتصافهم به . وللتغليظ عليهم جاء
بأسلوب القصر ، فقصر الظلم عليهم لا يتعداهم إلى غيرهم .
وفي هذا الأسلوب ملاحقة للضمير الإنساني ملاحقة موقظة موحية ، لأن تنفيذ هذه

(١) تلك حدود الله أي التي مضت من نكاح الشركات الوثنيات ، وانكاح
المشركين المسلمات ، واتيان النساء في المحيض ، وما قد بين في
الآيات الماضية مثل قوله : تلك حدود الله مما أحل لعباده ، وحرم عليهم

وما أمر ونهى . الطبري ، م ٢ ، ص ٢٨٩

(٢) آية : ٢٢٩

(٣) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

هذه الأمور مرتبط بتقوى القلب وحساسية الضمير.

ويظهر لى أن الامام أبوالسعود حمل الآية على افادتها القصر مع المبالغة أو المبالغة فقط دون القصر. حيث قال : (فجمع وأكد بقوله هم . . بالألف واللام التى تفيد الحصر ، أو المبالغة) ، فلعله يريد بقوله (أو المبالغة) مجرد المبالغة ، فيكون معنى الأسلوب هكذا ، (تفيد الحصر الذى تضمه المبالغة ، أو تفيد مجرد المبالغة دون الحصر) .

— (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . (١)

المقصور : الظلم

المقصور عليه : هم / الكفر (تارك الزكاة)

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا ، فيه مبالغة .

جملة القصر فى الآية معرفة الطرفين بأل ، فيجوز أن يكون القصر من قصر المسند على المسند اليه ، أو المسند اليه على المسند ، لأن كلا الطرفين معرف بأل . وفضل السوقى أن يكون القصر من قبيل قصر المبتدأ على الخبر .

ويبدو لى أن تحديد المقصور والمقصور عليه فى الجملة المعرفة ، الطرفين يكون بحسب المقام وبحسب المعنى . فالقصر فى هذه الآية من قصر الخبر على المبتدأ . وهذا مايناسب معنى الآية ، فانه لو قصر الكفر على الظالمين لحكم على كل ظالم بالكفر ، ولم يخلص من مغبة الكفر الا من عصه الله . وهذا من عظيم رحمته بعباده . ولذا قال بعض المفسرين (الحمد لله الذى قال :

(وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، ولم يقل وَالظَّالِمُونَ هُمُ الْكَافِرُونَ) . (٢)

(١) آية : ٢٥٤

(٢) ذكر الامام الفخر أنه هذا القول نقل عن عطاء بن يسار . الفخر ، م ٣ ، ج ٢

ص ٢٢٣ . وذكره ايضا الامام الشوكانى / م ١ ، ص ٢٢١

سر القصر :

لما كان بذل الروح وبذل المال من الأمور التي تصعب على النفوس البشرية
كان لابد من تهذيب هذه النفوس وترويضها ، وتطهيرها باقرار الايمان فيها .
وأنه لا يصعب في سبيل الايمان شيء ، فكل مادونه رخيص . فجاء التخويف من
اليوم الآخر ، وانقطاع الأمل والعمل فيه وانتهت الآية بالوعيد الشديد
فقصر الظلم على الكافرين ، وبين أنهم (هم الكاملون في الظلم ، البالغون
المبلغ العظيم فيه . كما يقال العلماء هم المتكلمون ، أي هم الكاملون
في العلم فكذا ههنا) (١) .

قيل ان المقصود بالكافرين هنا هم تاركو الزكاة . وانما قال الكافرون
للتغليظ عليهم . ذكر الامام الزمخشري : (أراد والتاركون الزكاة هم
الظالمون ، فقال والكافرون للتغليظ . كما قال في آخر آية الحج : ومن كفر
مكان ، ومن لم يحج . ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار ، في قوله :
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) . (٢)

وذكر الكازروني أنه لو أريد بتارك الزكاة ، فليس هو بكامل في الظلم ،
بل الكامل فيه الكافر . ويمكن أن يقال الكمال مراتب ، منها مرتبة الظلم
الحاصل لمانع الزكاة ، وأن كان الكافر أشد ظلماً . (٣) ويبدو لي أن جعل
تاركى الزكاة هم الكاملون في الظلم ، مع أن الكفار هم الكاملون فيه ،
ولم يعتد بهم . فالقصر هنا قصر حقيقي ، فيه مبالغة .

أما اذا كان المقصود هنا الكفار على الحقيقة ، فالقصر حقيقى تحقيقى .

(١) الفخر الرازى ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ٢٢٤

(٢) الكشف ، م ١ ، ص ٢٨٤

(٣) البيضاوى ، حاشية الكازروني ، ج ١ ، ص ٢٥٧

((آل عمران))

١ - ضمير الفصل :

— (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ). (١)

ذكر الامام الأوسى أن هم : هنا يحتمل أن يكون مبتدأ ، ويحتمل أن يكون فصلاً. (٢)

المقصود : وقود النار

المقصود عليه : هم

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بمواجهة المنكرين فبدأت بالحروف المقطعة كما ذكرنا سابقاً ، للتحدى وبيان الإعجاز . ثم جيء بالأدلة الدالة على الوهية وقيومته ، حيث أثبت أنه هو منزل التوراة والانجيل ، ومنزل الفرقان وأنه المصور فى الأرحام ، وهكذا قامت الحجة ، فالكفر بعد إقامة تلك الحجج البالغة أمر بليغ العظم فى القبح ، ولذا أشار الى الكافرين بقوله : (أولئك) للايذان ببعد منزلتهم فى القبح والشر . ثم جيء بأسلوب القصر عن طريق توسط ضمير الفصل حيث قصر وقود النار عليهم وحدهم ، وكأن النار ليس لها ما يضرها الا هم . قال الامام أبوحيان (وأتى بلفظهم المشعره بالاختصاص ، وجعلهم نفس الوقود مبالغة فى الاحتراق ، كأن النار ليس لها ما يضرها الا هم). (٣)

(١) آية : ١٠

(٢) روح المعاني ، ج ٢ ، ص ٩٣

(٣) البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٨٨

٢ - تعريف الجزئين :

— (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١)

المقصود : الذي يصوركم في الارحام .

المقصود عليه : هو

قصر مفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

كان للنصارى تصورات منحرفة في أمر المسيح عليه السلام ، فقالوا أن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، واتخذوه وأمه الهين مزدون الله ، الى غير ذلك من التصورات الخاطئة ، ولذا كان لابد من بيان كمال قدرته في الخلق ، وهيمنته التامة عليه ، واختصاصه المطلق بايجاده . فقرر التصوير في الارحام على ذاته العليا ، فجملة القصر (جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى ، وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود ، وحسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة ، مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ، ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب . وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام ، وهو من جملة أبناء النواصيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة البارئ عز وجل ، وكمال ركافة عقولهم ما لا يخفى) (٢)

— (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

(١) آية : ٦

(٢) تفسير ابي السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٦

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ
كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١).

المقصود : الذي أنزل عليك الكتاب .

المقصود عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

قد سبقت الإشارة إلى سر القصر في هذه الآية في فصل النفي والاستثناء

ولا مانع من إيجازه هنا .

فقد أنكر أهل الكتاب نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا

اثبات ألوهية عيسى عليه السلام بالمتشابهة من الآيات زاعمين أنهم على علم
بكنهها . فكان لابد من مواجهة هذا الإنكار . فبدئت السورة بالحروف المقطعة

إشارة إلى إعجازه ، وأن هذا الكتاب مؤلف من أحرف وكلمات ، شأنه في ذلك

شأن الكتب السماوية السابقة ، وفي إثبات الانزال لله وحده دون غيره

تأكيد لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما هو الا وحى يوحى ، ولذا جئ

بالخبر معرفاً بالالف واللام ، لقصر الانزال على الله وحده دون غيره .

— (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ

الْأَعْلُونَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) (٢)

المقصود : العلو

المقصود عليه : أنتم

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

(١) آية : ٧

(٢) آية : ١٣٨ - ١٣٩

لما كان المسلمون بعرض الوهن والحزن كأنهم توهموا في أنفسهم الذلّة
والاستكبار فجيء بالقصر لقلب ما اعتقدوه .

سر القصر :

قصر العلو في الآية على الضمير الراجع للمؤمنين ، لتأكيد نصرتهم
والرفع من شأنهم ، ولتسليتهم وتصبيرهم عما أصابهم يوم أحد . (أى والحال
أنكم) الاعلون الغالبون دون أعدائكم ، فان مصيرهم مصير أسلافهم المكذبيين
فهو تصريح بعد الاشارة بالغلبة والنصر . (١)

وانتهت الآية بقوله تعالى : " ان كنتم مؤمنين " مع أن ايمانهم ثابت للتهيينج
والتحريض . ذكر الشهاب وقوله : ان كنتم مؤمنين . ليس على ظاهره ،
لأن ايمانهم مقرر ثابت ، ولكنه تهيينج وتحريض . (٢)

٣ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

— (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ) . (٣)

المقصود : الوهاب

المقصود عليه . : أنت أو الكاف

فيجوز في انت التوكيد للضمير ، والفصل والابتداء .

والقصر في الآية قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

أنكر اهل الكتاب نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولمواجهة هذا

الانكار ابتدئت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ، مشيرة الى اعجاز القرآن

(١) روح المعاني : ج ٤ ، ص ٦٧

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ٦٥

(٣) آية : ٨

الكريم . وتلاها اثبات الألوهية لله وحده دون غيره ، كل ذلك للاشارة الى أن هذا الكتاب منزل من الله ، وهو مؤلف من أحرف وكلمات ، شأنه فى ذلك شأن الكتب السماوية السابقة . ثم جاء التهديد للذين كفروا بآيات الله والانتقام الأكيد منهم ، وزيادة فى التهديد ، جاء قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) . كما تضمنت الآيات الرد على النصارى ، وتصوراتهم فى عيسى عليه السلام ، ثم جاء ذكر المتشابه والمحكم من الآيات ، وأن الذين فى قلوبهم زيغ ، يتبعون ما تشابه منه لاجل الفتنة . فالايمان بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب المشار اليه فى أول الآيات ، والايمان بوحدانية المولى عز وجل ، والنجاة من عذابه وسخطه الذى أعده للمنكرين . كل ذلك لا يكون الا برحمة من الله ، ولذا اتجه الراسخون فى العلم والمؤمنون بالله الى التماس رحمته ، فهم بوحى ايمانهم يعرفون أنهم لا يقدرّون على شىء الا بفضل الله ورحمته ، وأن قلوبهم بيده ، ولذا اتجهوا اليه فى ضراعة ، أن يعدهم بالعون والنجاة وللمبالغة فى التضرع والدعاء قصرّوا صفة الوهاب على المولى عز وجل ، (وفيه دليل على أن الهدى والظلال من الله ، وأنه متفضل بما ينعم على عباده ، لا يجب عليه شىء) . (١)

— (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . (٢)

ذكر الامام الزمخشري أن (هُوَ) : هنا اما فصل بين اسم ان وخبرها ، واما مبتدأ . والقصص الحق : خبره ، والجملة : خبر ان ، فان قلت : لم جاز دخول اللام على الفصل . قلت : اذا جاز دخولها على الخبر ، كان دخولها

(١) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٥

(٢) آية : ٦٢

على الفصل أقوى . لأنه أقرب الى المبتدأ منه ، وأصلها ان تدخل على المبتدأ (١)

والقصر هنا مستفاد من ضمير الفصل . وتعريف الطرفين . ذكر الامام اللوسى والشهاب أنه قيل أن الضمير للقصر والتأكيد ، لو لم يكن فى الكلام ما يفيد ذلك . وان كان كما هو هنا ، فهو لمجرد التأكيد . وردا على ذلك بأن الأوجه والمشهور هو كون القصر من الضمير وتعريف الطرفين (٢) ويبدو لى أن هذا أقوى فى افادة الضر .

فالمقصود : القصص الحق

المقصود عليه : هذا / هو

قصر صفة على موصوف قصر اضايفاً

قصر قلب ، فهو اضايفى للاحقيقى . ان ليس الحق منحصر فىما ذكر حقيقة ،

بل بالاضافة الى ما ذكره من أمر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (٣)

وفى الآية مصرنا فى خبره تعالى : (ان الله هو العزيز الحكيم)
المصنوع : العزيز الحكيم ١٠٠٤ المصنوع عليه : الله / هو ... تصريفه على موصوفه مصرنا فراد .
القصر :

كان موقف النصارى من عيسى عليه السلام موقفاً مليئاً بالكاذيب

والافتراءات ، فادعوا أنه وأمه الهان من دون الله ، ومنهم من قال أنه

ابن الله ، واعتقدوا أن ما قالوه هو الحق .

فسرد السياق القرآنى قصة عيسى عليه السلام وقصة أمه مريم ، وبين حقيقة

وجودهما ، وأنها مخلوقات من مخلوقات الله ، ثم جئ بأسلوب القصر عن

طريق ضمير الفصل وتعريف الخبر ، لتأكيد حقيقة ما حكاه القرآن ، أى أن ما

قصه (من نبأ عيسى وأمه عليهما السلام ،) لهو القصص الحق دون ما عدها

من أكاذيب النصارى (٤) وما ادعوه من كونه الهان أو ابنا لله .

(١) الكشاف ، ١م ، ص ٤٣٤

(٢) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١٩٠

حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ٣٢

(٣) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٢٢

(٤) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٤٧

ولزيادة الجزم والتأكيد والمبالغة في رد دعوى النصارى ، أدخلت اللام على ضمير الفصل ، قال الامام الشوكاني (وضمير الفصل للصر ، ودخول اللام عليه لزيادة تأكيده) . (١)

ثم جيء بأسلوب قصر آخر عن طريق النفي والاستثناء ، لاثبات الالهية لله وحده ونفيها عن عيسى وأمه عليهما السلام . وزيادة في ابطال ما ادعوه وبياننا لفساده على أكمل وجه ، جيء بعد قصرى القلب بقصر ثالث ، عن طريق قصر الافراد ، فقصرت صفتا العزيز والحكيم على المولى عز وجل ، وأكد هذا القصر بدخول اللام . ف (لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركة في الالهية) . (٢)

وفي قصر هاتين الصفتين اللتين تبينان أنه الغالب وحده ، والقادر وحده والحكيم وحده مبالغة في التهديد والوعيد للمنكرين ، بعد اثبات الدلائل ، ووضوح الجيج . قال الامام الالوسى (أى الغالب غلبة تامة ، أو القادر قدرة كذلك أو الذى لانظير له (الحكيم) أى المتقن فيما صنع ، أو المحيط بالمعلومات والجملة تذييل لما قبلها ، والمقصود منها أيضا قصر الالهية عليه تعالى ردا على النصارى ، أى قصر افراد . فالفصل والتعريف هنا ، كالفصل والتعريف هناك - أى فى قوله لهو القصص الحق - فما قيل أنها ليسا للصر ، اذ الغالب على الأغيار ، لايتكون الا واحدا . فيلغو القصر فيه الا أن يجعل قصر قلب ، والمقام لا يلائمه ، مما لا عصام له كما لا يخفى) . (٣)

فلا يجوز أن يكون قصر قلب لانه لايجوز أن تكون آلهة متفاوتا قدرهم وحكمتهم لأن الالهية وهى المعبود بالحق ، تقتضى أن يكون المعبود على أكمل حال ، ولو كان أحد أكمل منه لكان ذلك الأكمل هو المعبود ، لا من هو ناقص عنه . (٤)

(١) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٤٧

(٢) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٢٣

(٣) روح المعانى ، ج ٣ ، ص ١٩١

(٤) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٢٣

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ . (١)

المقصود : الضلال

المقصود عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

جاء في سياق الآيات السابقة انكار أهل الكتاب لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على الرغم من أخذه عز وجل الموثق الغليظ من كل رسول ، أنه مهما آتاه الله من العلم والحكمة والنبوة ، ثم جاء رسول بعده صدقا لما معه ، أن يؤمن به وينصره . ثم أخذ هذا الموثق الاكيد من النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ، أن يؤمنوا بالله ورسله في قوله تعالى :

(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) . (٢)

فبعد هذا الاقرار والاستسلام ، وأخذ البارئ الموثق بنفسه من النبيين عامة ثم من الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته خاصة . فمن يكفر ويصر على كفره وانكاره ، فهو الجدير بأن يقصر الضلال عليه ، لبيان وتأكيد كماله في الضلال ، وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : (أولئك هم الضالون) بمعنى الثابتون في الضلال ، لأن مطلق الضلال ليس مخصوصا بهم ، بل يشملهم وغيرهم ويظهر لى أن السياق يوجب اختصاصهم بالضلال ، وكما لهم فيه ، للمبالغة في اتصافهم بهذه الصفة لما يفيد ضمير الفصل ، وتعريف الخبر .

ذكر الامام الكازروني في شرحه لقول الامام البيضاوي (الثابتون على الضلال) (٣)

(٢) آل عمران آية : ٨٤

(١) آية : ٩٠

(٣) البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٣٠

(انما فسره بذلك لأن مطلق الضلال ، ليس مخصوصا بهم ، بل يشملهم وغيرهم لكن الترتيب يدل على الاختصاص بسبب ضمير الفصل ، وكون الخبر محلي بالسلام فوجب أن يفسر بما ذكر ، حتى يصح الاختصاص ولك أن تقول الثبات على الضلال ليس مخصوصا بهم ، لأن غيرهم قد يكون ثابت الضلال ، والاولى أن يفسر بكامل الضلال لأن لهم كمال الضلال ، لارتدادهم بعد الايمان ، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لكفرهم بعيسى والانجيل ، وبمحمد والقرآن ، وحملة الضلال على كماله ذكره العلامة النيسابورى (١) ويمكن أن يقال الثبات على الضلال ، مستفاد من عدم قبول التوبة ، ويكون القصر اضافيا احترازا ممن تقبل توبتهم). (٢)

— (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ (٣) قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤).

المقصور : الظلم

المقصور عليه : هم / أولئك

(١) الطبرى ، تفسير القمى النيسابورى ، م ٣ ، ج ٣ ، ص ٢٤٦

(٢) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٣

(٣) قال الامام احمد: حدثنا عبدالله ، حدثنى أبى ، ثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد ، ثنا شهر ، قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهن الا نبى قال: سلونى عما شئتم، ولكن اجعلوا لى ذممة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه ، لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام ، قالوا: فذلك لك . قال: فسلونى عما شئتم . قالوا اخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن : أخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه ، من قبل أن تنزل التوراة . واخبرنا كيف ماء المرأة وما الرجل كيف يكون الذكر منه ، واخبرنا كيف هذا النبى الامى فى القوم ، ومن وليه من الملائكة ، قال فعليكم عهد الله وميثاقه ، ولئن انا اخبرتكم لتتابعنى قال

(٤) آية : ٩٣ - ٩٤

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أن ماجاء به هو تصديق
لما جاء في التوراة والانجيل ، بدأ اليهود ينسجون الحيل ، ويوردون الشبهات
لينفذوا منها الى الطعن فيما جاء به . فقالوا لو أن ماجاء به محمد - صلى
الله عليه وسلم - مطابق للتوراة ، فليم أحل القرآن ما كان محرما على بنى
اسرائيل؟ وكان الفصل في القضية هو الاحتكام الى كتاب الله ، ومراجعة ماجاء
في التوراة . ولكن صدر منهم الاصرار على الافتراء والكذب ، على الرغم من
ثبات الحجة عليهم .

لذا جيء باسم الاشارة ل (ما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الضلال والطغيان ، أى فأولئك المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة
الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال) (١).

ثم جي بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل لبيان أنهم
(.. المفرطون في الظلم المتبالغون فيه ، فانه لا أظلم ممن حوكم الى كتابة
وما يعتقد شرعا صحيحا ، ثم جادل من بعد ذلك مفتريا على الله الكذب ،
ثم لما كان ما يفترونه من الكذب ، بعد قيام الحجة عليهم بكتابتهم باطلا

فاعطوه ماشاء من عهد وميثاق . قال : فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على
موسى صلى الله عليه وسلم ، هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب عليه السلام
مرض مرضا شديدا ، وطال سقمه ، فنذر لله نذرا ، لئن شفاه الله تعالى
من سقمه ، ليحرم من أحب الشراب ، وأحب الطعام اليه ، وكان أحب
الطعام اليه لحمان الابل ، وأحب الشراب اليه البانها ، وقالوا : اللهم
نعم ، قال اللهم اشهد عليهم .. الخ /

مسند الامام احمد ، مسند ابن عباس ، م ١ ، ص ٢٧٨

(١) تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ٥٩

مدفوعا ، وكان ما قصه الله سبحانه في القرآن وصدقته التوراة صحيحا صادقا
وكان ثبوت هذا الصدق بالبرهان الذي لا يستطيع الخصم دفعه (١) وبعد تسجيل
الكذب عليهم ، وتأكيدهم المفرطون في الظلم ، أخبر المولى عز وجل
بصدقته فقال تعالى (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢)
وذلك للتعريض بهم وبكذبهم. (٣)

— (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (٤)

المقصود : الفلاح

المقصود عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ورد في سياق الآيات الأمر بتقوى الله والاعتصام بحبل الله ، والحث
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كان لابد من الترغيب ، والحث
على التسابق في الانصاف بهذه الأمور . ولذا وصف المتمثلون بها ، بأنهم
الكاملون في الفلاح . (أي هم الاخفاء بكمال الفلاح دون غيرهم) (٥) .

واستفيد هذا القصر من توسط ضمير الفصل ، وتعريف الخبر كما صرح بذلك
الامام الشهاب فقال :

(... اشارة الى الحصر المستفاد من الفصل ، وتعريف الطرفين ، أو أنه

باعتبار الكمال ، أو قد يوجد الفلاح في غيرهم .) (٦)

(١) فتح القدير ، م ١ ، ص ٣٦١

(٢) آية : ٩٥

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٤٦

(٤) آية : ١٠٤

(٥) الكشاف ، م ١ ، ص ٤٥٢

(٦) حاشية الشهاب ، ح ٣ ، ص ٥٣

ويظهر لى أن قوله (أو انه باعتبار الكمال) يشعر أن هذا المعنى غير
الخصه ، وأنه قسيم له . ويبدو لى أن اعتبار الكمال استفاد من الحصر .
كما عبر عن ذلك الأونى فقال : (أى الكاملون فى الفلاح ، وبهذا صـ
الحصر المستفاد من الفصل وتعريف الطرفين) (١) .

أما الامام (ابوالسعود) فيرى أن القصر استفاد من توسط ضمير الفصل فقط
وأن اللام فى المفلحين للعهد ، أو للإشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة
المفلحين . (٢) .

وفى هذا القصر تبشير عظيم ووعد كريم ، لمن اتصف بما قبل هذه الجملة
من التقوى والاعتصام بحبل الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٣) .

(١) روح المعاني ، ج ٤ ، ص ٢٢
(٢) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٦٨
(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٢١

((النساء))

٤ - تعريف الجزئين :

— (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . (١)

المقصود : الفوز العظيم

المقصود عليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً وتحقيقياً .

سر القصر :

بدأت السورة الكريمة بأسلوب النداء القوى المؤثر ، والأمر بتقوى الله ، لتذكير الناس بمصدرهم ، وردهم الى خالقهم ، لأن في تذكيرهم بحقيقتهم كسراً للعناد ، والكبر الجاثم في نفوسهم .

وفي هذا تمهيد وتهية لهذه النفس ، لتقبل التشريعات الآتية لأن

التشريعات الواردة في السياق لاحتاج الى رقابة قانونية خارجية ، ولكنها تحتاج الى رقابة داخلية ، والى ضمير حي يقظ ، حيث ورد فيها رعاية حقوق اليتامى والضعفاء ، وصيانة حقوق المرأة وكرامتها ، والمحافظة على أموال الفرد والجماعة ، بذكر أمر الميراث . ولأهمية هذه الأمور سماها الله بالحدود ، للتعظيم من شأنها ، ولأن هذه الحدود صعبة على النفس البشرية ، وأنها تحتاج الى الرقابة الداخلية - كما ذكرنا - جـى بأسلوب يرغب النفوس في الجد والسعى في تنفيذها ، بأن وعدها الجنة وزيادة في الترغيب قصر الفوز العظيم على هذا الوعد من التبشير بالجنة والخلود فيها . وجى باسم الاشارة (ذَلِكَ) لما (فيه من معنى البعد للايدان بكمال علو درجته) (٢) .

كل ذلك ليحفز النفوس على تقبل هذه الحدود ، والاسراع في الاستجابة لها .

(١) آية : ١٣

(٢) تفسير أبي السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٢٧

— (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ (١) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) . (٢)

المقصود : الذين لعنهم الله

المقصود عليه : أولئك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً فيه مبالغة .

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة عدداً من قبائح اليهود وافتراءاتهم التي منها :
شراؤهم الضلالة بالهدى . وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، وتزكيتهم أنفسهم
بإدعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم قوم مغفور لهم ، ويفترون على
الله الكذب . ومن عظيم قبائحهم إيمانهم بغير الله ، وإصرارهم على
كفرهم ، وإيمانهم بالجبت والطاغوت ، وقولهم للذين كفروا : (هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) .

ولارتكابهم هذه القبائح العظام ، جيء باسم الإشارة وما فيه من معنى
البعد مع قرب ذكرهم ، للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال . ثم جيء بأسلوب
القصر عن طريق تعريف الخبر (الذين) ، فقصر اللعن عليهم دون غيرهم ،
للتقبيح من شأنهم .

(١) روى أن حى بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين ، خرجا إلى مكة فمضى
سبعين راكباً من اليهود ليحالفوا قريشاً عن محاربة رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم . وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول صلى
الله عليه وسلم . فقالوا أنتم أهل كتاب ، وأنتم أقرب إلى محمد منكم
الينا ، فلان آمن مكرم ، فاسجدوا لآلهتنا نطمئن اليكم ، ففعلوا فهذا
إيمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للأصنام ، وأطاعوا إبليس فيما
فعلوا أو قال ابوسفیان لكعب ، انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ، ونحن
أميون لا نعلم ، فأينا أهدى طريقاً ، نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد؟
قال : يا مريم عبادة الله وحده وينهى عن الشرك . قال : وما دينكم قالوا
نحن ولاية البيت نسق الحاج ونقرى الضيف . ونفك العاني . وذكروا أفعالهم
فقال : أنتم أهدى سبيلاً . تفسير ابى السعود ، ج ٢ ، ص ١٨٩

(٢) آية : ٥٢ / ٥١

— (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا) (١)

ذلك : مبتدأ ، (الفضل) : صفة ، (من الله) : خبره . أو الفضل : خبر .
ومن الله : حال ، والعامل فيه معنى : لشارة . (٢)

ذكر الامام ابوالسعود أن ذلك : مبتدأ . وقوله تعالى : (من الله)

خبره . أى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره . (٣)

ويبدو لى أنه على هذا الاعراب ، يكون معنى الحصر استفادا من المقام .
وليس من الطرق الاصطلاحية الستة المعروفة . أما اذا اعتبرنا (ذلك) مبتدأ ،
و (الفضل من الله) : خبره ، فيكون القصر استفادا من تعريف المسند .
(الفضل) . أى ذلك الفضل لاغيره من الله .

كما أشار الى ذلك الكشاف ، فقال (ويجوز أن يكون ذلك : مبتدأ ، والفضل :
خبره) . (٤)

سر القصر :

ذكر السياق جملة من الاحكام والأوامر الالهية ، التى منها تأديبة
الامانة ، والحكم بالعدل وطاعة الله ورسوله وولاية الامر ، والتحاكم الى
كتاب الله . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) . (٥)

وجاء الامر بتحكيم الله ورسوله ، ونفى الايمان عمن يعرض عن ذلك (فَلَا وَرَبِّكَ
لَأَيُّؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) . (٦) ولما كانت طريقة القرآن فى تربية النفس على الطاعة

(١) آية : ٧٠

(٢) انظر الكشاف ، م ١ ، ص ٥٤١

البيضاوى ، ج ٢ ، ص ٩٩

(٣) تفسير ابى السعود ، م ١ ، ج ٢ ، ص ١٩٩

(٤) الكشاف ، م ١ ، ص ٥٤١

(٥) آية : ٥٩ من نفس السورة .

(٦) آية : ٦٥ من نفس السورة

تسير على اسلوب الترغيب والترهيب ، جاء الترغيب من الله عز وجل والوعد
للذين يطيعون الله ورسوله ، بأن مقامهم مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين . وهذه أعلى مراتب الفضل .

ولتأكيد هذا الترغيب جيء بأسلوب القصر ، لبيان كمال ذلك الفضل ، فيكون
القصر حقيقيا فيه مبالغة أو لبيان أن الفضل من الله لا من غيره . فاذا علم
الانسان أن الفضل منه ، تأكد لديه تحقق هذا الوعد ، فيكون بذلك قصرا
حقيقيا تحقيقيا . أو على اعتبار أن الفضل من الله ، لأنه بسبب أعمال
المكلفين . فيكون قصر قلب .

٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾. (١)

المقصود : الكفر .

المقصود عليه : هم / أولئك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

من أقبح القبائح هو التفريق بين الرسل ، والايان ببعضهم والكفر
بالبعض الآخر . فقد آمنت اليهود بالانبياء ، الا عيسى ومحمد عليهما السلام ،
والنصارى آمنوا بالانبياء جميعهم وكفروا بخاتمهم واشرفهم محمد صلى الله
عليه وسلم ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران ،
والمجوس يقال انهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زراشت ، ثم كفروا
بشرعه فرفع بين أظهرهم . (٢)

ولعظيم هذا الأمر ، وأنه مغاير للعقيدة ، جاء قوله تعالى (أولئك
هم الكافرون حقا) ، فقصر الكفر عليهم لايتعداهم الى غيرهم ، لبيان أنهم
هم الكاملون في الكفر . قال الامام الزمخشري (أي هم الكاملون في الكفر ،
وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبدالله حقا : أي حق ذلك حقا ،
وهو كونهم كاملين في الكفر) ، أو هو صفة لمصدر الكافرين . أي هم الذين
كفروا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه . (٣)

وذكر الشهاب في حاشيته : (اعتبار الكمال ليكون الخبر مفيدا وليصح

الصر ، وقد يقال هو استفاد من توسط الفصل ، وتعريف الجنس) . (٤)

وجاء القصر هنا وبين أنهم الكاملون في الكفر ، لتفطيع هذا الأمر ،

وتنفير النفوس من التفرقة بين الأنبياء ، وأنه كفر يخرج عن ملة الاسلام .

(٣) الكشاف ، م ١ ، ص ٥٧٦

(٤) حاشية الشهاب ، ج ٣ ، ص ١٩٥

(١) آية : ١٥١

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٢٥

((المائدة))

١ - ضمير الفصل :

— (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) . (١)

المقصود : علام الغيوب

المقصود عليه : أنت .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً . أو هو قصر افراد .

سر القصر :

عرضت السورة الكريمة ما تعرضت له الرسالات السماوية من الإنكار والجحود من قبل المرسل اليهم ، وما دخل عليها من التبديل والتحريف ، الذي أخرجها عن أصلها السماوي ، فجاءت هذه الآية الكريمة لتهديد ووعيد كل من تعرض لهذه الرسالات السماوية بالإنكار والجحود ، يوم يجمع الله الرسل في ذلك اليوم الرهيب ، فيسألهم عن حال أقوامهم ، فيكون الرد من جانب الرسل في غاية التأب ، ومطلق الاستسلام ، بأنه لا علم لهم بجانب علمه الشامل . فينفون عن أنفسهم العلم الا الظاهر منه ، ويقصرونه على الله عز وجل ، أي (لا علم لنا لأنك تعلم ما أظهرنا وما أضمرنا ، ونحن لانعلم الا ما أظهرنا فعلمك منهم أبعد من علمنا ، فلهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم ، لأن علمهم عند الله كلا علم) . (٢)

فقصرهم العلم على الله وحده وأن علمهم كلا علم تفويض وتوكيل لأمرهم الذي علمه واحاطته . وفي هذا اظهار للتشكى واللجوء الى ربهم في الانتقام من أقوامهم ، لما كابدوا من سوء اجاباتهم ومعاملتهم ، وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضائهم ، وأصلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم ، اذ اجتمع توبيخ الله ، وتشكى انبيائه عليهم . (٣)

(١) آية : ١٠٩

(٢) الفخر الرازي ، م ٦٦ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠

(٣) الكشاف ، م ١٦ ، ص ٦٥٢

— (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّسِي
إِلَهِمَّيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ
فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) . (١)

المقصود : علام الغيوب

المقصود عليه : أنت

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً أو قصر أفراد ، إذا كان
النفى بالنسبة الى علم عيسى عليه السلام ، أى انك أنت علام الغيوب ، لا أنا .
سر القصر :

ان القول بأن عيسى بن مريم وأمه إلهان من دون الله ، معناه
الإشراك بالله ، فجاء السؤال هنا لعيسى عليه السلام ، على جهة توبيخ عبادة
المسيح وأمه من النصارى ، ان يبين لهم المولى عز وجل اقرار المسيح بأنه
متبرئ من فعلتهم هذه ، ويبدأ العبد المنيب جوابه بقوله : سبحانك . أى
تنزهت وعلوت علوا كبيرا عما يقولون . وبعد هذا التنزيه والاجلال ، يقرر أنه
ما ينبغي له أن يدعى لنفسه ما ليس بحقها ، ثم يأتي أسلوب القصر ليؤكد
الضعف البشرى ، أمام العظمة الالهية باقرار العلم لله وحده ، فقصر علم
الغيب على الله وحده دون غيره ، وفي هذا الاقرار مطلق التسليم بالوهيئة
لله عز وجل ، وفى هذا أبلغ رد على المؤلّمين لعيسى وأمه ، فاذا كان
عيسى عليه السلام يعترف بأن العلم كله بيد الله ، وأن علمه بجانبه كلاً علم
فوجب أن يكون المتفرد بالالوهية هو الله عز وجل ، وما عداه فهو تحت علمه
وسلطانه . ذكر الامام الالوسى ان قوله : (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ، (تقرير
لمضمون الجملتين ، منطوقاً ومفهوماً لما فيه من الحصر ، ومدلوله الاثبات .
فيقرر (تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي) لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ، ويلزمه
النفى ، فيقرر لا أعلم ما فى نفسك لانه غيب أيضا ، ومدلول النفى أنه
لا يعلم الغيب غيره تعالى شأنه) . (٢)

(١) آية : ١١٦

(٢) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ٦٧

٢ - تعريف الجزئين :

— (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١)

المقصود : الفوز العظيم

المقصود عليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً والقصر هنا عن طريق تعريف الخبر . أى هو الفوز الكامل ، الذى دونه كل فوز .

سر القصر :

عرضت السورة الكريمة المفتريات حول حقيقة الألوهية ، وكان الرد عليهم دائما مؤكدا لتفرد المولى عز وجل بها . دون غيره ، وتوعده وتهدد المنكرين لهذه الحقيقة . ولما كان أسلوب القرآن الترغيب والترهيب ، ختمت السورة الكريمة بتوعد المشركين والجاحدين ، بأنه لن ينجو من ذلك اليوم الا الصادقون . ولترغيب البشر فى توحيد الله وتطهير العقيدة ، كان لابد من بيان كمال الوعد للصادقين ، فقصر الفوز العظيم الكامل على دخول الجنة ، والحصول على رضى الله عز وجل فلا فوز الا ذلك الفوز العظيم .

٣ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . (١)

ذكر الامام الالوسي أن القصر في الآية من قصر المسند اليه على المسند .
كما يقال : الكرم هو التقوى ، وأن الله تعالى هو الدهر ، أى الجالب
للحوادث لاغير الجالب . (٢)

فالمقصور : الله

المقصور عليه : هو / المسيح

قصر صفة على موصوف . قصر قلب .

لأن قصر النصارى الالهية على المسيح ، كان ردا وقلبا لمن أعتقد خلاف ذلك .

سر القصر :

أصر النصارى على ادعائهم بكون الله هو المسيح لاغيره ، وأكدوا ذلك
على الرغم من أنه قد تقدم لهم أن المسيح هو عبدالله ورسوله ، وأن أول كلمة
نطق بها فى المهد ، قوله انى عبدالله ، ولم يقل أنى أنا الله ، ولا ابن
الله ، بل قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) الى قوله
(وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) . (٣) ولكنهم لاصرارهم
وعنادهم ، جاءوا بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين ، وتوسط ضمير
الفصل ، وفي هذا (بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لاغيره) . (٤)

ولاصرارهم على هذا الكفر ، وتأكيدهم لادعائهم ، أعلن المولى عز وجل ثبوت
كفرهم ، ثم برهن لهم عن خطأ نظرتهم وادعائهم بأنه لاراد لأمره ، أن اراد
انزال الهلاك بالمسيح وأمه ومن فى الارض جميعا فهذا بيان لكمال قدرته
وسيطرته التامه على الكون ومن فيه .

(١) آية : ١٧ (٣) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦١٤

(٢) روح المعاني ، ج ٦ ، ص ٩٨ (٤) الكشف ، م ١ ، ص ٦٠١

(وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . (١)

المقصود : الكفر / الظلم / الفسق

المقصود عليه : أولئك / هم

سر القصر

هذه الآيات الثلاث نزلت في قوم من اليهود ، ارتكبوا جرائم - اختلفت الروايات في تحديدها ، فقتل الزنا ، وقيل السرقة (٢) - وما ارتكبه كان من جرائم الحدود المذكورة في التوراة ، ولكن رفض هؤلاء القوم تطبيقها على الشرفاء منهم ، فأصلحوا على تغييرها ، وأحلوا مكانها بعض عقوبات التعازير ، واتفقوا فيما بينهم أن يعرضوا أمرهم على الرسول ، فان قضى بما اصطالحوا عليه اتبعوا رأيه ، وان خالفهم وقضى بغير ما رأوه تركوه وانصرفوا عنه . وفي تغيير ما أنزل الله بحسب الأهواء انكار لحكم الله

(١) آية : ٤٤ / ٤٥ / ٤٧

(٢) روى الامام احمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة منهم قد زنيا . فقال : ماتجدون فيى كتابكم فقالوا : نسخم وجوههما ويخزيان . فقال : كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بالتوراة و جاؤا بقارئ لهم أعور يقال له ابن صوريا ، فقرأ حتى اذا انتهى الى موضع منها . وضع يده عليه ، فقتل له ارفع يدك فرفع يده ، فاذا هي تلوح فقال : أوقالوا : يا محمد ان فيها الرجم ، ولكننا كنا نتكاتفه بيننا ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال : فلقد رأيت يجانى عليها يقبها الحجارة بنفسه / مسند الامام احمد ، مسند عبد الله بن عمر ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

وروى الامام احمد باسناده عن ابن عباس قال : انزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت احدهما قد قهرت الاخرى في الجاهلية حتى ارتضوا أو اصطالحوا على ان كل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم . فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا ، فأرسلت العزيزة الى الذليلة ان ابعثوا لنا مائة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان هذا في حين قط دينهما واحد ونسبهما واحد ، ويلدهما واحد ، دية بعضهم نصف دية بعض . انما اعطيناكم هذا ضيما منكم لنا ، وفرقا منكم ، فأما اذا قدم محمد فلا نعطيكم ذلك ، فكادت الحرب تهيج بينهما ، ثم ارتضوا على ان يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم ذكرت العزيزة ، فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضمت

واستهانة بأوامره ، فلقبيح فعلهم وفداحة أمرهم ، جيء بثلاث آيات كلها تشمل معنى القصر ، لتهديهم وتوبيخهم في اقدامهم على تحريف حكم الله والتمرد عليه ، فقصر الآية الاولى الكفر عليهم ، ف (الجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ، أبلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به أشد تحذير). (١) وذكر الامام الفخر (أن المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود في اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن ، يعنى أنهم لما أنكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة ، وقالوا : انه غير واجب ، فهم كافرون على الاطلاق لا يستحقون اسم الايمان بموسى ، ولا بمحمد والقرآن). (٢)

وقصرت الآية الثانية الظلم عليهم ، قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا ، فيه مبالغة . فعجى (ضمير الفصل مع اسم الاشارة ، وتعريف الخبر يستفاد منها أن هذا الظلم الصائر منهم ظلم عظيم بالغ الى الغاية) (٣) أى هم (المبالغون في الظلم ، المتعدون لحدوده تعالى ، الواضعون للشيء في غير موضعه . والجملة تذييل مقرر لاجاب العمل بالاحكام المذكورة). (٤)

ثم قصرت الآية الثالثة الفسق عليهم قصر حقيقيا فيه مبالغة لخروجهم عن منهج الله . فقصر الكفر في الآية الاولى عليهم ، وهو أعظم التهديدات ، ثم ذكر الظلم وهو أخف من الكفر ، لأن الكفر من حيث انه انكار لنعمة المولى ، وجود بها فهو كفر ، ومن حيث أنه يقتضي ابقاء النفس في العقاب الدائم الشديد ، فهو ظلم على النفس . ففي الآية الاولى ذكر ما يتعلق بالتقصير في حق الخالق سبحانه ، وفي الآية الثانية ذكر ما يتعلق بالتقصير في حق النفس (٥)

ما يصطبر منكم ، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا الاضيما منا ، وقهرا لهم ، ففسوا الى
الى محفد من يخبر لكم رأيه ان اعطاكم ما تريدون حكتموه ، وان لم يعطكم
حذرتم فلم تحكموه ، ففسوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ناسا من
الفناقين ليخبروا لهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما جاءوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم - اخبر الله رسوله بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل
الله عز وجل : (يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله
(الفاسقون) ثم قال فيهما ، والله نزلت وايهما عنى الله عز وجل / مسندا لامام

احمد ، مسندا بن عباس ، م ١ ، ص ٢٤٦ .

(١) روح المعاني ، ج ٦ ، ص ١٤٥ (٢) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١٢ ، ص ٦

(٣) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٤٧ (٤) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣

(٥) الفخر الرازي ، م ٦ ، ج ١٣ ، ص ٦

وكذلك ذكر الامام البيضاوى أنه لاستهانتهم وتمردهم ، بأن حكموا بغير
ما أنزل الله ، وصفهم المولى عز وجل بقوله : الكافرون ، والظالمون
والفاسقون . فكفرهم لانكاره ، وظلمهم بالحكم على خلافه ، وفسقهم بالخروج
عنه . ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث ، باعتبار حال انضمت
الى الامتناع عن الحكم به . ملائمة لها ، أو لطائفة كما قيل أن صفة
(الكافرون) متعلقة بالمسلمين لاتصالها بخطابهم ، والظالمون فى اليهود
والفاسقون فى النصارى . (١)

(وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٢)

المقصور : الغلبة .

المقصور عليه : هم / حزب الله

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

أى أن حزب الله هم الغالبون لحزب يهود . وهم هنا (يحتمل أن يكون فصلا
ويحتمل أن يكون مبتدأ) (٣) .

سر القصر :

جاء فى السياق النهى عن موالة اليهود والنصارى ، الذين هم أعداء
الاسلام وأهله . فهم أولياء بعض ، ولا يوالون غيرهم ، الا على سبيل الخداع .
ثم وصفهم المولى عز وجل بأن فى قلوبهم مرض وحقد للاسلام والمسلمين .
ولترغيب الخلق فى موالة الله ، وتحذيرهم من موالة أعدائه ،

(١) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ١٥١

(٢) آية : ٥٦

(٣) البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٥١٤

كان لابد من تعظيم شأن أولياء الله . فجيء بالقصر عن طريق ضمير
الفصل ، وتعريف الطرفين . فقصرت الغلبة والنصرة على الله وحده ، ونفيت
عن حزب أعدائه . وفي ذلك تعريض بحزب الأعداء ، وفي جملة القصر لطائف
بلاغية تلفت الأنظار ، وتشد القلوب ، وترغب النفوس في الانضمام الى حزب
المولى عز وجل ، فأقيم الظاهر مقام المضمرة ، ومعناه فانهم هم الغالبون
ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله . (١)

وفي اضافة الحزب الى الله تعالى خاصة - وهو أيضا من باب وضع الظاهر
موضع المضمرة - تنويه بذكرهم ، وتعظيم لشأنهم ، وتشريف لهم بهذا
الاسم ، وإثبات لغبتهم . كأنه قيل : ومن يتولى هؤلاء فهم حزب الله ،
وحزب الله هم الغالبون ، وفي هذا تعريض لمن يوالى غيرهم بأنه حزب
الشیطان . (٢)

(١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٦٢٤ .

(٢) البیضاوی ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ. (١)

قد سبق بيان القصر في هذه الآية . في الآية (١٧) من نفس السورة .

(٢) . قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (٢)

المقصود : السميع العليم

المقصود عليه : الله / هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر /

اعتقد النصارى أن عيسى وأمه الهان من دون الله ، ومنهم من اعتقد أنه ابن الله وأنه أحد الاقائيم الثلاثة (الأب - الابن - روح القدس) . الى غير ذلك ، من التصورات الباطلة ، ولخطأ هذه المعتقدات لما فيها من الانكار لتوحيد الرب ، وتفرد بالعبودية . ورد المولى عز وجل عليهم ، بأسلوب القصر ، عن طريق النفي والاستثناء ، لتأكيد الالهية لله وحده ، دون ما يدعوه ، فقال تعالى (مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) ، (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) . ثم جاء التعجيب من حالهم (قل اتعبدون من دون الله ، ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) .

ثم جىء بأسلوب قصر آخر عن طريق ضمير الفصل ، وتعريف الخبر لتوبيخهم وتهديدهم ، حيث قصر السمع والعلم على الله وحده دون غيره ، (أى ، اتعبدون غير الله تعالى وتشركون به سبحانه ما لا يقدر على شئ ، ولا تخشونه والحال أنه سبحانه وتعالى ، المختص بالاحاطة التامة بجميع السموعات ، والمعلومات ، التي من جملتها ما أنتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائفة) . (٣)

(١) آية : ٧٢

(٢) آية : ٧٦

(٣) روح المعاني ، ج ٦ ، ص ٢١٠

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) . (١)

المقصود : الرقيب

المقصود عليه : الضمير في كنت / أنت

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

ولقد ذكر الامام ابن السبكي ، أن القصر هنا عن طريق ضمير الفصل . ولم يذكر احتمال كونه من تعريف الجزئين . ويبدو لي أنه من كلا الطريقتين ويلاحظ أن تحديد نوع القصر هنا من حيث الحقيقة والاضافة لم يعتمد فيه على حال المخاطب ، لأن المخاطب هنا هو الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن القول أنه قد صدر منه انكار أو غيره . ويبدو لي أن تحديد نوع القصر هنا ، اعتمد فيه على حال المتكلم ، أي كنت أنت الرقيب ، لا أنا .

سر القصر :

سبق أن أشرت الى سر القصر في الآية في فصل النفي والاستثناء ، عند الحديث عن قوله تعالى : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) . الا أن الحديث هناك كان منصبا على النفي والاستثناء ، ويبدو لي أنه لانكرار في اعادة بيان سر القصر ، لأن توجيه الحديث هنا الى قوله تعالى : (كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ) لما وجه الله سبحانه وتعالى الى عيسى عليه السلام سؤالا بصيغة الاستنكار : (يَا عِيسَى أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ، أي هل ادعت الألوهية من دون الله . والغرض من هذا السؤال ليس طلب الجواب ، بل توبيخ المؤلهين وذلك باثبات اقرار عيسى عليه السلام بعبوديته المطلقه وانعانه وتسليمه لله عز وجل ، حيث أكد أن ماتلفظ الا بما أمر به ، وأكد هذا الاعتراف باستعمال أسلوب القصر .

وزيادة في اقراره وتبرئة نفسه ، ذكر أنه كان شاهدا على أقوالهم ،
أثناء حياته فقال : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ) . أي (رقيباً كالشاهد
على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به)^(١) . وزيادة في
تأكيد التبرئة استعمل أسلوب القصر ، فقال : (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ) أي كنت أنت الحافظ لأعمالهم والمراقب ، فمنعت من أردت عصيته
عن المخالفة ، بالارشاد الى الدلائل الواضحة ، والتغيبه عليها بارسال
الرسل ، وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا .^(٢)

(١) الكشاف ٦ ١٣ ٦ ص ٦٥٧ .

(٢) انظر الكشاف ٦ ١٣ ٦ ص ٦٥٧ / تفسير ابي السعود ، ٤ م ٦ ص ٣٥٦ .

— (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . (١)

المقصور : العزيز الحكيم

المقصور عليه : الكاف في (فانك) / أنت

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

بعد أن أثبت عيسى عليه السلام براءته ، مما ارتكبه قومه من تأليههم له وأمه ، وأن ما فعلوه من وحى أنفسهم ، وَكَلَّ الْأَمْرَ وَفَوَّضَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فقصر صفتي العزيز والحكيم على المولى عز وجل . أي أنت القوى القادر على جميع المقدورات ، ومن جملة الثواب والعقاب (الحكيم) الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة ، فد (هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عز وجل ، فانه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويتضمن التبرئة من النصارى ، الذين كذبوا على الله وعلى رسوله ، وجعلوا لله ندا وصاحبة وولدا . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب) (٢) لأن في تقرير المشيئة ، والتصرف المطلق في مصير العباد ، بهذا الأسلوب تأكيد لألوهيته وتفرد بهادون المسيح ، ودون كل من عبد من دونه .

(١) آية : ١١٨

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٨٨

((الأنعام))

١ - ضمير الفصل :

(وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (١)

المقصود : العلم .

المقصود عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

أى (ان ربك هو أعلم من كل أحد يعلم من يضل عن سبيله) . (٢)

سر القصر :

لما أخبر الله عز وجل عن حال أكثر أهل الأرض ، وهو الضلال ، مع
الادعاء والجزم بأنهم على حق ويقين . وفى هذا اضلال واغواء للمهتدين .
لذا أكد الله سبحانه وتعالى ، أنه هو العالم وحده بخبايا النفوس ، وفى
هذا غاية التهديد والوعيد لهم . حيث قصر العلم على ذاته العليا ، ونفاه
عن كل ما عداه .

وأيضاً فى القصر تحذير للرسول وللمؤمنين من اتباعهم واطاعتهم بعد كشف
حقيقتهم فالجملة (تقرير لمضمون الشرطيه وما بعدها ، وتأکید لما يفيد من
التحذير . أى هو أعلم بالفريقين ، فاحذر أن تكون من الأولين) . (٣)

(١) آية : ١١٦ - ١١٧

(٢) البيضاوى ، حاشية الكازرونى ، ج ٢ ، ص ٢٠٥

(٣) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٩

— (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) . (١)

المقصود : العلم .

المقصود عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما كانت الآية الكريمة تتضمن أمر الله باتباع ما جاء فيها من شأن المأكل والمشرب ، ثم أنه تعالى ذكر أن كثيراً من الناس يضلون لاتباعهم أهوائهم وأغراضهم ، لهذا كان لابد من التحذير من اتباع الهوى . فجاء أسلوب القصر عن طريق توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ، فأكد علم الله عز وجل بالمعتدين ، أي المجاوزين الحد في الاعتداء والطغيان ، فيحللون ويحرمون من غير إذن الله ، وهذا إخبار يتضمن الوعيد الشديد لمن اعتدى . أي فيجازيهم على اعتدائهم (٢) لأنه إذا كان عالماً بأحوالهم فلا شك أنه قادر على مجازاتهم .

(١) آية : ١١٩

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢١٢

٢ - تعريف الجزئين :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ . (١)

سبق أن بينت - في سورة الفاتحة (٢) - اختلاف العلماء في افادة (أل) هنا القصر ، فذهب بعضهم الى أنها للجنس ، فتفيد الحصر . وذهب بعضهم الى أنها للاستغراق ، فلا تفيده .

ويبدو لي أنها سواء كانت للجنس أو للاستغراق ، فهي مفيدة للحصر .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة المائدة ، ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما الهين من دون الله ، وجرت تلك المحاوره ، وذكر ثواب ما للصادقين ، وأعقب ذلك بأن له ملك السموات والارض وما فيهن ، وأنه قادر على كل شيء (٣) ولما كان موضوع سورة الانعام الاساسى هو اثبات الالهية لله وحده ، والرد على المشركين . ذكر بأن الحمد مختص به دون غيره مستغرق لجميع المعامد . ومن كان كذلك فلا يمكن ان يثبت معه شريك فى الالهيه فيحمد . ثم وصف المولى عز وجل ذاته العليا ، بأنه الذى خلق السموات والارض وعدد دلائل قدرته ، فذكر أنه خلق السموات والارض ، وانه جعل الظلمات والنور ، وخلق الانسان من طين ، وأن اليه الآجال ، وذكر علمه بالسروالجهر . كل ذلك اخبارا عن قدرته الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المعامد ، فان من اخترع ذلك وأوجده هو الحقيق بالافراد بالثناء وتخصيصه بالحمد . وخص خلق السموات والارض بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية ، وعامة الآراء الجليلة والخفية التى من أجلها نعمة الوجود الكافية فى ايجاب حمده تعالى على كل موجود . (٤) فبدأت السورة بقصر الحمد كله لله عز وجل ، لإقامة الحجة على الذين هم بربهم يعدلون .

(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٦٧

(١) آية : ١
(٢) آية : ٢

— (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١).

المقصور : السميع العليم

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ذكرت الآيات السابقة محاورات الكفار المكذبين ، ومجادلاتهم في حقيقة
الالهية ، واستهزاءهم بالرسول ، كما ذكرت الحشر الذي فيه الجزاء والحساب
لذا ، ناسب قصر صفتي السمع والعلم على المولى عز وجل ، مبالغة في
الوعيد والتهديد . وهو قصر حقيقي تحقيقي ، لأنه وحده السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم . ذكر الامام ابوحيان : (لما تقدم ذكر محاورات الكفار
المكذبين ، وذكر الحشر الذي فيه الجزاء ، ناسب ذكر صفة السمع ، لما
وقعت فيه المحاورة ، وصفة العلم لتضمنها معنى الجزاء ، اذ ذلك يدل
على الوعيد والتهديد) . (٢)

— (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) . (٣)

المقصور : الفوز المبين .

المقصور عليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ذكر السياق انكار المنكرين لتوحيد الله وألوهيته ، وجاء الرد
عليهم من طرق عدة ، كلها تثبت أنه اله متفرد في الالهية حيث بدأت

(١) آية : ١٣

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٨٣

(٣) آية : ١٥ ، ١٦

السورة بالحمد والثناء على الله ، فلتفرده استحق قصر الحمد والشكر عليه وحده .

وتوالت الادله لاثبات هذه الوجدانية ثم جاء التهديد والوعيد ، لمن يعصى هذا الاله المتفرد ، بعد ثبوت الادلة ووضوحها .

ولترغيب الخلق في الابتعاد عن المعاصي الجالبة للعذاب العظيم ، قُصِرَ الفوز المبين على صرف العذاب والنجاة من الهلكة ، مبالغة في عظم النعمة .

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ . (١)

المقصور : القاهر / الحكيم / الخبير

المقصور عليه : هو

في الآية أربعة أساليب للقصر ، ثلاثة منها عن طريق التعريف بأل ، والرابع عن طريق النفي والاستثناء . وقد بيناه في موضعه . والقصر هنا قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

جى بالصر هنا لتأكيد الرد على المنكرين فلما ذكر سبحانه وتعالى انفراده في التصرف بما يريد جىء بقوله : (وهو القاهر فوق عباده) تصويراً لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة . ثم جىء بقوله تعالى : (هو الحكيم) ، فسى كل ما يفعله ويأمر به : (الخبير) بأحوال عباده وخفايا أمورهم ، واللام فسى الثلاثة مواضع للصر . (٢) فأفادت أن صفات الكمال مصورة في العلم والقدرة ومعناه أنه لا موصوف بكمال القدرة وكمال العلم الا الحق سبحانه ، وعند هذا يظهر أنه لا كامل الا هو ، وكل من سواه فهو ناقص . (٣) وفي هذا التأكيد لقدرته وعلمه ، عظيم التهديد والوعيد للمنكرين .

(١) آية : ١٧ - ١٨

(٢) وقد ذكر ذلك الإمام ابو السعود ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١١٧ وتبعه الالوسي ج ٧ ، ص ١١٧

(٣)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

المقصود : التوفى بالليل والعلم بما جرح فى النهار .

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

جاءت هذه الآية فى ضمن سلسلة من الآيات التى ترد على منكرى الالهية .
وجاء الرد على هذا الانكار عن طريق القصر ، بتعريف الخبر (الاسم الموصول) .
وكان الدليل السابق عن طريق النفى والاستثناء والتقديم (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) . فلما ذكر استئنائه بالعلم التام للكليات والجزئيات عن طريق القصر ذكر أيضا استئنائه بالقدرة التامة ، فقصر التوفى بالليل والبعث بالنهار على المولى عز وجل دون غيره ، وهو أمر محسوس قاهر للانام ، وكلا الامرين ليس للانسان فيه قدرة ، بل هو أمر يوقعه الله تعالى بالانسان . (٢)

وذكر هنا القصر الدال على كمال قدرته ، تنبيها على ما تختص به الالهية .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ﴾ (٣)

المقصود : القاهر

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

(١) آية : ٦٠

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٤٦

(٣) آية : ٦١

سر القصر :

بينت الآية السابقة كمال قدرته عز وجل ، ولتأكيد هذا الكمال جئنا
بالقصر هنا ، فقصر القهر والغلبة على الله وحده دون غيره ، فهو المتصرف
فى أمور عباده لاغيره ، يفعل مايشاء ، ايجادا واعداما ، احياء واماته
وتعذيبا واثابة الى غير ذلك . (١) فهو صاحب السلطان القاهر . وهم
مقهورون تحت سلطانه ، فهم عباد ضعاف لا قوة لهم ، ولا ناصر الا هذا المولى
المتصف بكمال القدرة .

فالقصر هنا لإدخال الروعة والرعب فى قلوب المنكرين ، ولتحقيق العبودية
المطلقة لاله القاهر المسيطر .

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلَبِّسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ . (٢)

المقصود : القادر .

المقصود عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر:

فى هذه الآية الكريمة يقرر المولى ألوهيته ، فيحكّم الفطر الانسانية
تلك الفطرة التى تهرع الى الهها الحق ، فى ساعة الشدة والهول والكرب . فتكون
النجاة بقدرته ثم يأتى بعد ذلك أسلوب القصر ، عن طريق تعريف الخبر ، لتهديد
المنكرين . لأن القادر على انجائهم مع اعترافهم بهذه القدرة ، قادر أيضا على
انزال العذاب بهم ، ذلك العذاب القاهر المزلزل ، الذى يأتىهم من فوقهم ،

() تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٤٤

(٢) آية : ٦٥

ومن تحتهم بل الأشد من ذلك يذيق بعضهم بأس بعض ، فيجعلهم شيعة وأحزابا فهو (استئناف مسوق لبيان أنه تعالى القادر على القائهم في المهالك ، اثر بيان أنه هو المنجى لهم منها ، وفيه وعيد ضمنى بالعذاب ، لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل : أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، الى قوله تعالى : أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) . (١)

— (وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) . (٢)

في الآية اسلوبا ، قصر الأول عن طريق تعريف الخبر ، والثاني عن طريق التقديم وقد سبق ذكره في بابه .

المقصور في الاسلوب الاول : الحشر .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

جىء بالقصر في هذه الآية ، عن طريق تعريف الخبر (الاسم الموصول) .

وجىء بجملته الصلة عن طريق التقديم والتأخير المفيد للحرص . لأنه لما أمر المولى عز وجل بالاستسلام له ، جاء بالتكاليف التعبدية ، فأمر باقامة الصلاة وتقوى الله ، ولما كانت ثمرات فعل هذه الاعمال ، وحشرات تركها ، انما يظهر يوم الحشر والقيامة . (٣)

جىء بالقصر لتأكيد الحشر ، واختصاص أمره به وفي هذا تهديد بالغ ، ووعيد شديد ، حيث نبه أن مرجع الامور مقصور على الله وحده دون غيره ، فلا مفر لهم من الحساب .

(١) تفسير ابي السعود ، ج ٣ ، ص ١٤٦

(٢) آية ٧٣ :

(٣) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ١٦٠

— (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ
وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ). (١)
في الآية الكريمة ثلاثة أساليب للقصر .

الاول : في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) وهو عن طريق
تعريف الجزئين .

فالمقصور فيه : خلق السموات والارض .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

والثاني : في قوله تعالى : (وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) . وهو عن

طريق تقديم المسند على المسند اليه .

والمقصور فيه : الملك .

المقصور عليه : كونه لله .

قصر موصوف على صفة قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

والقصر الثالث : في قوله تعالى : (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) .

والمقصور هنا : الحكيم الخبير .

المقصور عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما بين الله سبحانه وتعالى في الآيات المتقدمة فساد طريقة عبدة
الاصنام ، وأمر باقامة الصلاة واتباع أوامره . وهدد التاركين لهذه الاوامر
بالجزاء . نبه على ما يؤكد الحشر ، حيث قصر خلق السموات والارض عليه وحده ،
فمن كانت لديه هذه القدرة على الخلق ، فلاشك أن بيده منتهى هذا العلم ،

وفى هذا القصر تقرير لأوهيته .

ثم قصر الملك يوم النفخ فى الصور على المولى عز وجل دون غيره ، زيادة فى الترهيب والوعيد . ثم ختمت الآية بأسلوب قصر ثالث ، لتأكيد أن له كمال الحكمة والعلم .

— (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (١)

(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتَرًا كَيْبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

المقصور فى هذه الآيات الثلاث .

(١) الذى جعل النجوم للاهتداء .

(٢) الذى انشأكم من نفس واحدة .

(٣) الذى أنزل من السماء ماء .

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

ان موضوع السورة الاساسى ، هو مواجهة المنكرين لوحداية الله عز وجل ، وهذه الآيات جئ بها بأسلوب القصر ، لتشد الانتباه ، وتلفت الانظار

الى صفحة الوجود ، التي يمر بها الغافلون فى كل لحظة ، ولا يستشعرون
منها سر الوجود . فأول تلك المشاهد هى دورة الفلك العجيبة ، ذات النظام
الدقيق ، والتي ترتبط بها حياة الفرد من حيث الانتفاع فى الاهتداء ، فقصر
هذا الامر المبدع على المولى عز وجل ، لبيان كمال قدرته ورحمته وحكمته
وانتهت الآية بقوله تعالى : (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) .

فختمت الآية بهذه الخاتمة ، للفت أنظارهم الى التأمل والاستدلال بالمحسوس
على المعقول ، والانتقال من الشاهد الى الغائب .
فهذه النجوم كما يمكن أن يستدل بها على الطرقات فى ظلمات البر والبحر
فكذلك يمكن أن يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم ، وكمال قدرته وعلمه . (١)
ولتأكيد الوهيته جاء بآيات تشد العقول الى مشهد أكثر قربا الى العقل ، ذلك
هو تكوين النفس البشرية ، ولفت الانظار الى قصة هذه النفس وعجائب صنعها ،
وأن كل ذلك مقصور عليه وحده . فمن كانت له القدرة على خلقها وبعثها ،
فهو الحقيق بالتفرد والوحدانية . وختم الآية بقوله : لقوم يفقهون . مع
ختمه الآية السابقة بقوله : يعلمون . لأن انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم
بين أحوال مختلفة . أطف وأدق صنعة وتدبيرا . فكان ذكر الفقه ههنا لأجل
أن الفقيه يفيد مزيد فطنة وقوة ذكاء وفهم . (٢)

وبعد أن قصر خلق النفس على ذاته العليا ، جاء بقوله تعالى : (هو الذى
أنزل من السماء ماء) ، فقصر رزق هذه النفس على ذاته العليا أيضا ، ليبين
أن وجود هذه النفس واحياءها كله بيده تعالى . وختم هذه الآيات الدالة على
كمال قدرته بقوله : (لقوم يؤمنون) ، لأن فهم الغرض من عرض هذه الحقائق
المؤدية الى توحيد الله لن يلتفت اليها الا القوم المؤمنون . فهذه الآيات
الدالة على كمال قدرته ، فيها (خطاب الكينونة البشرية بحقيقة
الالهية ، وفى بيان موقف العبودية منها ، يجعل حقيقة الخلق والانشاء

(١) الفخر الرازى ، م ٢ ، ج ١٣ ، ص ١٠٢
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ١١٠

للكون ، وحقيقة الخلق والانشاء للحياة ، وحقيقة كفالة الحياة بالرزق ،
الذى ييسره لها الله فى ملكه ، وحقيقة السلطان الذى يخلق ويرزق ويتصرف
فى عالم الأسباب بلا شريك ٠٠٠ يجعل من هذه الحقائق مؤثرا موحيا ، وبرهاننا
قويا على ضرورة ما يدعو اليه البشر، من العبودية لله وحده ، واخلاص
الاعتقاد ، والعبادة والطاعة والخضوع له وحده . وكذلك يجيء فى السياق بعد
استعراض صفحة الوجود ، وانكشاف حقيقة الخلق ، والانشاء والرزق والكفالة
والسلطان . الدعوة الى عبادة الله وحده ، أى الى افراده سبحانه بالالوهية
وخصائصها فى حياة العباد كلها ، وجعل الحاكمية والتحاكم اليه وحده فى
شئون الحياة كافة ، واستنكار ادعاء الالوهية أو احدى خصائصها). (١)

— (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). (٢)

المقصود : السميع العليم

المقصود عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى اختصاصه بالحكمية والاستقلال بما يوجب
ذلك من انزال الكتاب الفاصل بين الحق والباطل ، وتمام صدق كلامه ، وكمال
عدله فى أحكامه (٣) . خص كمال السمع والعلم به ، لبيان كمال احاطته
بجميع المسموعات والمعلومات ، وفى ذلك تهديد ووعيد لمن يخالف ما جاء
فى الكتاب المنزل بعد تمامه وكماله .

(١) فى ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ١١٥٣ (٢) آية : ١١٥

(٣) روح المعانى ، ج ٨ ، ص ١٠

٣ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

— (قَلَّ إِنَّهُ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُنَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) . (١)

المقصود : الهدى

المقصود عليه : هدى الله

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

ذكر الامام الشهاب (٢) ، والالوسي (٣) ، أن القصر هنا مستفاد اما من ضمير الفصل ، واما من تعريف الطرفين ، قال الامام الشهاب : " وقوله (اى الامام البيضاوى) : هو الهدى وحده (٤) ، الحصر من تعريف الطرفين ، أو ضمير الفصل (٥) .

ويبدو لى أنه مستفاد من كليهما .

سر القصر :

أظهر السياق أن هناك دعوى الى غير دين الله ، ومحاولة اضلال للمسلمين ، باغرائهم بترك دين محمد صلى الله عليه وسلم ، بادعاء أن ما عليه المشركون هو الهدى والايمان . فجاءت الآية بأسلوب القصر لقلب هذا الاعتقاد ، فقصر الهدى على هدى الله . لتأكيد أن ما عداه ضلال ، وليكون أبلغ فى الزجر والتحذير من الاعتداد بغيره ، قال الامام الزمخشري (٦) هو الهدى وحده ، وما وراءه ضلال وغى ، ومن يتبع غير الاسلام دينا - فماذا بعد الحق الا الضلال . (٦) .

والقصر هنا (٠٠ توطئة لما بعده ، فان اختصاص الهدى بهداه تعالى ، مما يوجب الامتثال بالأوامر الواردة به) حيث جاء بعده الامر بالاستسلام لرب العالمين ،

(١) بعض آية : ٧١

(٢) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٨٢

(٣) روح المعاني ، ج ٧ ، ص ١٨١

(٤) البيضاوى ، ج ٢ ، ص ١٩٤

(٥) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٨٢

(٦) الكشاف ، م ٢ ، ص ٢٨

(٧) تيسر ايجاعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٠

والامر باقامة الصلاة والامر بالتقوى .

وفسر الامام الفخر القصر هنا بمعنى الكمال ، فقال (يعنى هو الهدى
الكامل النافع الشريف ، كما اذا قلت : عِلْمٌ زيد هو العلم ، وملك عمرو
هو الملك ، كان معناه ما ذكرناه من تقرير أمر الكمال والشرف) (١).

(١) الفخر الرازى ، م ٧ ، ج ١٣ ، ص ٣٢

« الدُّعْرَافُ »

١- تعريف الجزئين :

« وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ». (١)

المقصور : ارسال الرياح

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما كان موضوع السورة الاساسي ، هو اثبات العقيدة في نفوس البشر ولما ذكر سبحانه وتعالى أنه خالق السموات والارض ، المتفرد بالحكم ، المدبر لجميع الامور ، فله كمال العلم والقدرة ، وهذه من آثار العلم العلوي ذكر في هذه الآية أنه أيضا المختص والمتفرد بالدلائل والآثار السفلية ، فقصر ارسال الرياح ، وانزال المطر على ذاته العليا ، وفي هذا اثبات لالوهيته . فجاء القصر هنا عن طريق تعريف الخبر ، (الاسم الموصول) . وذكر الامام أبويحان أن اللام هنا للعهد . قال : (دلالة على كون ذلك معهودا عند السامع ، مفروغا من تحقق النسبة فيه والعلم به ، ولم يأت التركيب أن ربكم خلق ، ولا وهو يرسل الرياح) . (٢)

(١) آية : ٥٧

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .

٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين

((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١))

المقصور : الفلاح .

المقصور عليه : اولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً . وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ، ويؤكد النسبة ، ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه . أو مبتدأ خبره : المفلحون ، والجملة : خبر لأولئك ، وتعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس ، الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة ، أو إشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم (٢) .

سر القصر :

ان ما يطلبه القران من البشر ، لهو مطلب ضخم عظيم ، اذ يتضمن التغيير الاساسى والجزرى لتصورات البشر . وأفكارهم وقيمهم وأخلاقهم ، وتقاليدهم وعاداتهم ، ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولأن هذا التغيير مطلب ضخم ، يأتى السياق بما يهز الضمائر هزا عنيفاً مؤثراً . فبدأت الصورة الكريمة بالحروف المقطعة ، دلالة على اعجاز القرآن ، ثم بين أن هذا القرآن المعجز انما أنزل للانذار ، ولترهيب الناس من الكفر ، بما جاء فيه . ذكر أن من أحوال يوم القيامة السؤال والحساب ، ووزن الأعمال ، وبعد هذا الترهيب يأتى أسلوب القصر ، ليرغب الناس فى الايمان بهذا القرآن المعجز . فقصر الفلاح على من ثقلت موازينه ، فهو الفلاح الكامل والفوز العظيم . وفى مجىء الترغيب بهذا الأسلوب شحذ للهمم ودفع لها الى الايمان بهذا القرآن الذى أشار اليه فى بداية افتتاح السورة ، بأنه معجز .

(١) آية : ٨

(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ح ٣ ، ص ٢١٣ .

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ^(١) إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٢)

المقصور : الغلبة .

المقصور عليه : نحن أو الضمير في كنا

قصر صفة على موصوف قصر قلب ، فهم يَرُدُّونَ على موسى عليه السلام الذي يعتقده

أنه الغالب . فتوسط ضمير الفصل ، وتحلية الخبر باللام للقصر .

أى كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام (٣) .

سر القصر :

لما ألقى موسى عليه السلام عصاه ، وكانت المفاجأة ، وكانت المعجزة التي

عجز عن ادراكها قوم فرعون ، فتمادوا في طغيانهم فأذكروها . وجاء السحرة في

محاولة لاثبات أن موسى ما هو الاساحر له خبرة ، لا يعتد بها في مجال

الكهانة ، فقصرُوا الغلبة على أنفسهم ، لتأكيد قدرتهم وغلبيتهم ، وكان

نصرهم أمر مفروغ منه ، لا مجال للشك فيه ، وأن ما أتى به موسى عليه السلام

لا يساوي شيئاً بجانب خبرتهم . وفي هذا استصغار لشأن معجزته .

ولشقتهم بفوزهم ، أشرطوا الأجر على فرعون وأوجبوه .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (٤)

المقصور : اللقاء .

المقصور عليه : نحن / الضمير في نكون .

قصر صفة على موصوف قصر قلب . أى نحن الملقيين لأنت

(١) والمقصود من الاخبار ، ايجاب الأمر واشتراطه ، كأنهم قالوا : بشرط

أن تجعل لنا أجراً ان غلبنا ، ويحتمل أن يكون الكلام على حذف أداة

الاستفهام ، وهو مطرد ويؤيد ذلك ، أنه قرأ ابن عامر وغيره (اثن) باثبات

الهمزة ، وتوافق القراءتين أولى في تخالفهما / روح المعاني ، ج ٩ ، ص ٢٤ .

(٢) آية : ١١٣ .

(٣) روح المعاني ، ج ٩ ، ص ٢٤ .

(٤) آية ١١٥

سر القصر :

خَيْرَ السِّحْرِ ، موسى عليه السلام في اللقاء ، وذلك من باب الادلال لما يعلمونه من السحر ، وايهام الغلبة والثقة بأنفسهم ، وعدم الاكتراث والابتهاال بأمر موسى (١) . ثم جىء بأسلوب القصر لتأكيد غلبتهم ، وللتعاطف بمقدرتهم ، وقيل أن تخييرهم كان من باب التأدب ، ثم أظهروا رغبتهم في التقديم بتغيير النظم ، عن طريق تعريف الخبر ، وتوسيط ضمير الفصل ، وتأکید الضمير المتصل (٢) ويبدو لى أن مجىء القصر هنا ، يضعف كون التخيير للتأدب ، فقصر اللقاء على أنفسهم ، دليل على تصميمهم على البدء باللقاء ، وانما خيروه استهانة بأمره واستغفارا لشأنه .

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٣) .

المقصور : الفلاح .

المقصور عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما نعت الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بالرسول - من أهل الكتاب ، الذين وجدوه مكتوبا في التوراة والانجيل أو غيرهم - بنعوت جلييلة ، منها الايمان به ونصرته واتباعه وتعزيزه ، ولاتصافهم بهذه الصفات ، كان لابد من تعظيم شأنهم ، واجلال قدرهم . فجىء باسم الاشارة (وما فيه من معنى البعد ، للايذان بعلو درجتهم ، وسمو طبقتهم في الفضل والشرف) . ثم جىء بأسلوب

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .

(٢) الكشاف ، م ٢ ، ج ١٠٣ ، / تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٣) آية : ١٥٧ .

القصر ، فَقَصِرُوا عَلَى الْفَلَاحِ ، أَيْ (هُم الْفَائِزُونَ بِالْمَطْلُوبِ ، النَّاجُونَ عَنِ الْمَكْرُوبِ لَا غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ) (١) .

— (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّاهُمْ أَصْلًا أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (٢) .

المقصور : الغفلة .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا فيه مبالغة .

سر القصر :

لقد منح الله الناس القلوب ، ليفقهوا بها دلائل وجوده ، ومنحهم الأعين ليبصروا بها آيات الكون ، وزوهم بالأسماع ليصغوا الى آياته ، ولكن الكثير منهم عطل هذه الأجهزة ، ولم يستخدمها ، ففقد القدرة على الإدراك والتصوير الصحيح .

لذا حقر من شأنهم وجعلهم في مرتبة أدنى من مرتبة الأنعام ، لأن للأنعام استعدادات فطرية تهديها . ولاتصافهم بهذه الصفات الشنيعة ، استحقوا قصر الغفلة عليهم ، وبيان أنهم الكاملون فيها . (اذ الغفلة في كثير عداهم ، لكنها كلاغفلة بالنسبة الى غفلتهم ، وكما لغفلتهم يعلم مما أسلفه من عدم الإدراك) (٣) . وكذلك ذكر الإمام أبو السعود (٤) والإمام الألويسي (٥) أن القصر هنا لبيان أنهم الكاملون في الغفلة عما فيه صلاحهم .

(١) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ح ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٢) آية : ١٧٩ .

(٣) الشهاب ، ح ٤ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ح ٣ ، ص ٢٩٦ .

(٥) روح المعاني ، ح ٩ ، ص ١٢٠ .

■ (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (١).

المقصور : الخلق من نفس واحدة

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

ذكر السياق انكار المنكرين لوجود الله ، والتعجب من حال هؤلاء المنكرين ، لأن توحيد الله أمر فطرى فى البشر ، ولكنه العناد والتكبر والجبروت ، الذى أعمى الأبصار . فأخذت الآيات تُذكر الخلق بالميثاق الذى أخذه الله منهم وشهد عليه ، وهم بعد فى مرحلة الذر . ثم أخذت الآيات تذكرهم بآيات الله ، وآلائه وتصرفه الكامل فى شأن خلقه . ثم جىء بهذه الآية ، لتفلى الانتباه وتشد الانهان الى قصة الخلق العجيبة ، التى لا يقدر عليها الا من كانت له القدرة الكاملة والتصرف التام . وجىء بها عن طريق القصر (. . لبيان كمال عظم جناية الكفرة فى جرائمهم على الاشراك ، بتذكير مبادئ أحوالهم المنافية له ، وايقاع الموصول خبراً ، لتفخيم شأن المبتدأ . أى هو ذلك العظيم الشأن ، الذى خلقكم جميعاً وحده ، من غير أن يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه) (٢) فمن كانت له هذه القدرة العجيبة على الخلق ، فهو المستحق للعبادة والتوحيد وحده دون غيره .

(١) آية : ١٨٩

(٢) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٢

((الأنفال))

١ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين .

— (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (١) .

المقصود : المؤمنون .

المقصود عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا ، تحقيقيًا .

سر القصر :

لما وقع الاختلاف بين الصحابة في أمر الأنفال ، خاطبهم الله بقوله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)^(٢) . ثم ذكرهم بخصال المؤمنين الحميدة وصفاتهم الجليلة ، من مخافة الله عند ذكره ، وأنهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا ، وأنهم لا يتوكلون إلا على ربهم ، ويقومون الصلاة ويحرصون على الأنفاق مما رزقهم الله . وجاء التذكير بهذه الصفات عن طريق انما ، للتعريض بمن يخالفهم ، ومبالغة في تعظيم شأنهم ، وتفخيم أمرهم .

جاء باسم الإشارة لما فيه من معنى البعد ، للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف ، ثم وسط ضمير الفصل بين الابتداء ، والخبر المحلى بأل ، فقصر الإيمان عليهم ، للدلالة على أنهم متميزون بذلك عن عداهم أكمل تمييزًا ، (أى أن هؤلاء هم الكاملون في الإيمان ، البالغون فيه إلى أعلى درجاته وأقصى غاياته) . (٣)

وأكد هذا القصر بقوله تعالى : " حقا " (لأنهم حققوا إيمانهم ، بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص ، والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة) (٤) .

وفي بيان صفات المؤمنين بهذه الطريقة ، وتأکید أنهم هم المؤمنون ، ترغيب

(١) آية : (٤) . (٢) آية : ١ .

(٣) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٤) البيضاوى ، ج ٣ ، ص ٤١ .

للمختلفين في أمر الأفعال وغيرهم ، بالتمثل بهذه الصفات حتى ينالوا الايمان الكامل ، وتذكيرهم بضرورة اطاعة الله ورسوله ، ليستحقوا هذه الصفة العظيمة واثارة لأظلماعهم في الوصول الى هذه المرتبة ، ثم ذكر بعد ذلك ما أعد من الكرامة والفضل للجامعين بين هذه الصفات . فقال تعالى : (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ (١) مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٢) .

اختلف المفسرون في مدلول اللام في كلمة (الْحَقُّ) ، ففهم البعض من كلام الزمخشري أنها للجنس ، بدليل أن قوله تعالى : (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ) ، تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين ، هذا هو الحق .

وقيل أن الامام البيضاوي عدل عن مسلك الامام الزمخشري في كون اللام للجنس ، وأن كلامه لا يدل على عهد ولا على حصر . واستدل على عدم ارادته الحصر أنه قال في تعريف الآية : (ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر (٣) حيث ذكر لفظ (حقا) مع تعريفه في النظم ، ف قيل : أنه اشارة الى أن ما ذكره الزمخشري من التخصيص والتعيين ، انما هو على سبيل المجازاة لقولهم : أنه هو الحق لاعلى قصد الحصر ، وإلا كان المنكر انحصار الحقيقة فيه ، لاحقيته من أصلها وليس مراده . بل مراده أن حقيقته محال من أصلها ، فلذا نكره وترك الفصل في بيان المعنى وتقريره ، ليدل على عدم قصده للحصر . وذكر الامام الشهاب أنه قيل : (وانما عدل عن مسلك الكشاف ، لعدم ثبوت قول قائل : أو لا على وجه التخصيص ، ولا يخفى أنه ليس في كلامه ما يدل على العهد ، ولا على الحصر) (٤) . وأن هذا القائل حمل كلام البيضاوي على أن اللام للعهد الخارجي ، لا للجنس

(١) قائل ذلك أبو جهل / البخاري ، م ٢ ، ج ٦ كتاب التفسير ، ص ٧٧ - ٧٨ . وقال

الجمهور قائل ذلك كفار قريش / البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤٨٨ .

(٢) آية : ٣٢ .

(٣) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٤) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .

كما فى الكشاف وفسره بقوله : أى الحق المعهود المنزل من عند الله ، هذا
لأساطير الأولين . فأفاد تخصيص المسند اليه بالمسند فإنه يأتى له أيضا
، وأكد الفصل كما حقق فى قولهم ألا انهم هم المفسدون (١) .

ورد الامام الشهاب (٢) والأوسى (٣) بأن فى هذا الاعتراض على مسلك الكشاف
بعدم ثبوت قائل أولا على وجه التخصيص ، يتهمكم به ، وكون الأولى حمل اللام
على العهد دون الجنس قول ظاهر التعسف .

ويرى الامام الشهاب أن كلام الزمخشري ، لا يحتمل كون اللام للجنس ، بل انها
للعهد . فقال (ان القول بأن الامام البيضاوى ، عدل عن مسلك الكشاف لعدم
ثبوت قائل أولا على وجه التخصيص . فليس بشئ لأن قول النبي صلى الله عليه
وسلم أنه كلام الله ، ليس معناه الا ذلك عند التأمل ، وكون الزمخشري قال :
ان التعريف للجنس لا وجه له ، بل ظاهر كلامه أنه للعهد ، اذ المجازاة تقتضية
، فما اختاره تعسف ظاهر) (٤) .

ويبدو لى أن الآفة مفيدة للقصر ، سواء كانت أل للجنس أو للعهد ، لوجود
ضمير الفصل المفيد للتخصيص . هذا على قراءة نصب (الحق) ، على أنه خبر
كان ، فيكون الضمير للفصل (٥) . وهذه هى قراءة الجمهور (٦) . أما على
قراءة الرفع فيكون هو : مبتدأ ، لافصل (٧) .

سر القصر :

لما عرض الله سبحانه وتعالى مكائد المضلين والمنكرين لوحدانيتها ، بين
فى هذه الآفة عظيم اصرارهم على الانكار والجحود .

-
- (١) الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .
 - (٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
 - (٣) روح المعاني ، ج ٩ ، ص ١٩٩ .
 - (٤) حاشية الشهاب ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .
 - (٥) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٣٠٣ .
 - (٦) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص .
 - (٧) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ١٩ .

حيث قصروا الحق على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، (وهذا أسلوب من الجحود بليغ) (١) . لأن المراد منه التهمك ، وإظهار اليقين ، والجزم التام على كونه باطلاً . (٢) . وجزموا بكونه باطلاً ، لأن انتفاء كونه حقا لا يوجب على منكره عذاباً . فكان تعليق العذاب بكونه حقا ، مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال . (٣)

— (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . (٤)

المقصود : الخاسرون

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المشركين ، وما ارتكبوه من القبائح في حق الرسالة المحمدية ، من وصفهم إياها بأنها أساطير الأولين ، وحثمهم على الصد عن المسجد الحرام ، وانفاقهم الأموال الطائلة ، وتجنيدهم أنفسهم للصد عن سبيل الله ، وإقامة العقبات في وجه هذه الرسالة الطاهرة . ولشنع هذه الأفعال وصفهم بالشيء الخبيث ، ثم بالغ في تحقيرهم ، وجعل الخبيث كأنه كومة من الاقدار ، يركم بعضها فوق بعض ، ويقذف بها في النار دون أدنى اعتبار أو اهتمام . ومبالغة في ذمهم ، جيء باسم الإشارة للإيذان ببعدهم درجتهم في الخبيث ، ثم قصر الخسران عليهم ، لبيان أنهم (الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم) . (٥)

(١) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٥٥

(٢) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٤٨ - ٤٩

(٣) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٥٥

(٤) آية : ٣٧

(٥) البيضاوي ، ج ٣ ، ص ٥٠

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

المقصور : السميع العليم .

المقصور عليه : هو / الضمير في (انه) .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً

سر القصر :

جاء في السياق القرآني ذكر العهود التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه ، ونقضهم لتلك العهود ، واتصافهم بالخيانة . وجاء ذكر المنافقين وخفاء أمر بعضهم . ثم جاء الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجنح للصلح ، إن طلب أعداؤه ذلك . ولما كان هؤلاء الأعداء لا يؤمنون بانجذابهم في تنفيذ العهود والعقود ، جيء بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، لِيُطْمَئِنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ وَالسَّمِيعُ لِكُلِّ قَوْلٍ ، وَالْعَلِيمُ بِكُلِّ دَقَائِقِ الْأُمُورِ ، فلا يخشى منهم شيئاً .

وأيضاً في قصر السمع والعلم عليه وحده ، تهديد وتخويف لمن يحاول نقض العهود أو الخيانة ، وتدبير المكائد في الخفاء .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢)

المقصور : المؤمنون .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً. كما هو استفاد من المقام ، ومن كلمة حقا ، فهو قصر حقيقي تحقيقى ، لأنه لا يوجد من هو مؤمن حق الايمان غيرهم .

سر القصر :

لما ذكر الله فضل المهاجرين الذين آمنوا بالله ورسوله ، وبذلوا أنفسهم رخيصة في سبيله ، وصدقوا ايمانهم وحققوه ، بتحصيل مقتضياته ، من هجرة الوطن ، ومفارقة الأهل ، والانسلاخ من المال لأجل الدين (٣) . وجاء أيضاً ذكر

(٢) آية : ٧٤

(١) آية : ٦١ .

(٣) الكداف ، م ٢ ، ص ١٧٠ .

عظيم فعال الأنصار من ايوائهم للمهاجرين ، ونصرهم للرسول صلى الله عليه وسلم . كان لا بد من الاعلاء من شأنهم ، والرفع من قدرهم ، فجئ بأسلوب القصر عن طريق تعريف الخبر ، وتوسط ضمير الفصل ، لبيان أنهم هم الكاملون في الايمان ، والبالغون فيه أعلى الدرجات وأقصى المراتب دون غيرهم وزيادة في تشريفهم . أكد هذا القصر بقوله : (حقا) ، مع بيان ما آل اليه مآلهم من المغفرة والرزق الكريم . ذكر الامام أبو حيان أن (هذه الآية فيها تعظيم المهاجرين والأنصار ، وهي مختصرة ، اذ حذف منها بأموالهم وأنفسهم ، وليس تكرارا لأن السابقة تضمنت ولاية بعضهم بعضا ، وتقسيم المؤمنين الى الأقسام الثلاثة ، وبيان حكمهم في ولايتهم ونصرهم ، وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص ، وما آل اليه مآلهم من المغفرة والرزق الكريم) (١) .

((التوبة))

١ - تعريف الجزئين

— (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٢) .

المقصود : ارسال رسوله .

المقصود عليه : هو .

قصر صفة على موصوف قضا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

لما حكى الله سبحانه وتعالى ما كان عليه من أمر المشركين ، وعزمهم وتصميمهم على اطفاء نور الرسالة المحمدية في قوله تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) بين المولى عز وجل أنه يأبى ذلك الاطفاء ، وأنه

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٥٢٣ .

(٢) آية : ٣٣ .

متم أمره وليوكره الكافرون . وأكد ذلك عن طريق قصر الإرسال على ذاته العليا ، وأن ما أرسله انما هو الهدى والحق . فهو ليس من كلام البشر ، حتى يستطيعون ابطاله . وفي هذا القصر تأكيد لعجزهم ، لأن تأكيد كون الإرسال من الله معناه استحالة الإبطال .

— (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) (١) .

المقصور : الخزي

المقصور عليه : ذلك

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

عدد السياق القرآني مخازي المنافقين وأفعالهم الشنيعة ، وأقوالهم السيئة ، ومكائدهم للرسالة المحمدية ، التي منها التخلف عن الجهاد ، وتحريض بعض ضعاف النفوس من المسلمين على ذلك ، وفرحهم العظيم إن أصاب المسلمين مصيبة ، وحننهم العميق إن أصابتهم حسنة ، (ان تصبك حسنة تسوءهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) . (٢) ومن رذائلهم حلفهم بالكذب أنهم من المسلمين ، ليستروا انفسهم ، ويتمكنوا من الكيد في الخفاء ، ومنها لمزهم في الصدقات ، ومنها ايذاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومحادة الله ورسوله الى غير ذلك ، ولكثرة قبائحهم وتعدد مخازيهم ، كان لابد من المبالغة في اهانتهم فجيء بالاستفهام للتأنيب والتوبيخ ، ثم جيء بأسلوب القصر ، فقصر الخزي على أعمالهم ، لبيان أنهم هم الكاملون فيه . أي هو (الخزي البالغ الى الغاية التي لا يبلغ اليها غيره ، وهو الذل والهوان) . (٣)

(١) آية : ٦٣ (٢) أيضاً ٥٠

(٣) فتح القدير ، ٢م ، ص ٣٧٦

— (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١).

المقصود : الفوز .

المقصود عليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون
قربات عند الله ، وما أعد لهم من الثواب ، بين أن فوق منزلتهم منازل
أعلى وأعظم منها ، وهى منازل السابقين الأولين . فالسبق الى الهجرة
صفة عظيمة ، من حيث كونها شاقة على النفس ، ومخالفة للطبع .

فمن أقدم أو لا صار قدوة لغيره فيها .

وكان ذلك متربا لقلب الرسول وسببا لزوال وحشته ، وكذلك السابقون
فى النصرة لهم فضل كبير (٢) لذا ذكر الله ما أعد لهم من الثواب العظيم
وقصر الفوز على الثواب المعد لهم ، فشتان بين ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين
وما أعد له لأولئك الأعراب المؤمنين ، فهناك قال : الا أنها قرية لهم . وهنا
رضى الله عنهم ، وهناك سيدخلهم الله فى رحمته ، وهنا وأعد لهم جنات
تجرى ، وهناك ختمت الآية بـ (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وهنا (ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ) . (٣)

(١) آية : ١٠٠

(٢) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ٦ ص ١٧٣

(٣) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٩٢ .

٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين .

— (لَا يُرْفَبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) . (١)

المقصور : المعتدون .

المقصور عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة .

سر القصر :

ان من صفات المشركين عدم مراعاة العهود ، والتزام الحدود القائمة بينهم وبين المسلمين . وفي هذا مجاوزة للحدود ، وتعدى على القيم والمثل ولذا بدأت السورة الكريمة بالبراءة من الله ورسوله من المشركين وفي هذا عظيم توبيخ لهم ، وتحقير لأفعالهم ، وزيادة في ذمهم جيء بأسلوب القصر ، فأكد أنهم هم المعتدون ، حيث قصر الاعتداء عليهم وهو المبالغة في مجاوزة الحد والتمرد ، أي هم المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة . (٢)

— (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ

دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٣)

المقصور : الفوز .

المقصور عليه : هم / أولئك .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة . اذا كان نفي الفوز بالنسبة الى جميع من عداهم ، وهذا ما فضله الامام الفخر ، فقال : (واعلم أنه تعالى لم يقل أعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة ، لأنه لو عين ذكرهم ، لأوهم أن فضيلتهم انما حصلت بالنسبة اليهم ، ولما ترك ذكر المرجوح دل ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الاطلاق ، لانه لا يعقل

(٣) آية : ٢٠

(١) آية ١٠

(٢) الكشاف ، م ٢٠ ، ص ١٧٧

حصول سعادة وفضيلة للانسان أعلى وأكمل من هذه الصفات). (١)

ويفهم من كلام الامام الزمخشري أن القصر قصر افراد ، لأنه أوقع
النفى بالنسبة الى أهل السقاية والعمارة فقال (هم أعظم درجة عند الله)
من أهل السقاية والعمارة عندكم ، (وأولئك هم الفائزون). لأنتم والمختصون
بالفوز دونكم) (٢)

وذكر الامام ابوالسعود وتبعه الالوسي (٣) أن القصر في الآية اما حقيقى
ادعائى ، أو قصر افراد . فقال : (والقصر فى قوله تعالى وأولئك هم
الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثانى ، أو الى الفوز المطلق ادعاء) (٤)
سر القصر :

لما نعت الله سبحانه وتعالى المؤمنين بتلك النعوت الفاضلة ، من
الايمان والهجرة والجهاد فى سبيله بالمال والنفس ، ذكر أنهم أعظم درجة
عند الله من الذين يفضلون السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد ، أو أعظم
درجة من كل من عداهم . ولإتصافهم بهذه الصفات الجليلة ، عظم من شأنهم
ورفع من قدرهم ، فجئى باسم الاشارة للدلالة على بعد منزلتهم فى الرفعة ،
ثم قصر الفوز عليهم ، فهم (المختصون بالفوز العظيم ، أو بالفوز المطلق .
كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم . وفيه تعريض وتوبيخ
لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد) (٥).

(١) الفخر الرازى ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٥ .

(٢) الكشاف ، م ٢ ، ص ١٨٠ .

(٣) روح المعانى ، ج ١٠ ، ص ٦٩ .

(٤) تفسير أبى السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . (١)

المقصود : الظلم .

المقصود عليه : أولئك / هم .

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً ، فيه مبالغة .

سر القصر :

ان ولاية الله وولاية المشركين ، لا يمكن أن تجتمع في قلب واحد . لذا
جاء النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء ، فهذه أوامر العقيدة التي تقطع أوامر
الدم والنسب ، ولا تعترف إلا بأصرة الإيمان وحب الله .
ثم جاء التهديد والوعيد لمن يخالف هذا الحكم ، ويضع الموالاتة في غير
موضعها ، فجاء باسم الإشارة للإيذان ببعد درجاتهم في الشر ، ثم قصر الظلم
الذي هو مجاوزة الحد - على الذين يتولونهم بعد هذا النهي الأكيد - فجعل
ظلم غيرهم كإيذاء الظالم ، بالنسبة إلى ظلمهم ، وفي هذا زجر وتوبيخ عن موالاتة
الكافرين . ذكر الامام ابو السعود في توجيه هذا القصر :

((فأولئك) أى أولئك المتولون (هم الظالمون) ، بوضعهم الموالاتة في غير

موضعها ، كأن ظلم غيرهم كإيذاء الظالم عند ظلمهم) (٢)

وذكر الامام الأوسى ان القصر هنا ادعائى ، جىء به للزجر عن موالاتة الكافرين

فقال : (والحصار ادعائى كأن ظلم غيرهم كإيذاء الظالم عند ظلمهم . وفي ذلك من

الزجر عن الموالاتة ما فيه) . (٣)

(١) آية : ٢٣

(٢) تفسير ابى السعود ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٤

(٣) روح المعانى ، الأوسى ، ج ١٠ ، ص ٢٠

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

المقصود : العليا .

المقصود عليه : كلمة الله / هي .

قصر صفة على موصوف قصر افراد .

سر القصر :

ذكر السياق عزم الكافرين على اطفاء كلمة الله (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ، وهنا يشير الموقف الى تقاعس البعض عن غزوة تبوك ، وفي هذا التقاعس عدم نصره لكلمة الله .

لهذا كان لابد من بيان فضل كلمة الله ، وأنها على الرغم من كيد الكافرين ستظل هي النافذة المنتصرة ، وجيء بأسلوب القصر لتأكيد فضلها وبيان كمال علوها ، وأنها المختصة به دون غيره . قال الامام الزمخشري : ((هي) فصل أو مبتدأ ، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم) (٢)

ومما يزيد من رفعة شأن هذه الكلمة وعلو قدرها ، تغيير الأسلوب حيث جيء بقوله تعالى : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) ، عن طريق الجملة الفعلية من غير توسط ضمير الفصل ، أما قوله تعالى (كلمة الله هي العليا) فجيء به عن طريق الجملة الاسمية مع توسط ضمير الفصل ، للدلالة على أنها في نفسها كذلك . لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ، لأن الجعل

(١) آية : ٤٠

(٢) الكشف ، م ٢ ، ص ١٩١

لم يتطرق لها ، وأنها في نفسها عالية ، بخلاف علو غيرها ، فانه غير ذاتي بل يجعل وتكلف فهو عرض زائل وامر غير قار . (١)

— (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٢)

المقصود : الفسق .

المقصود عليه : المنافقين / هم .

قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا ، فيه مبالغة . كأن فسق غيرهم ، كلا فسق بجانب فسقهم .

أو هو قصر قلب ، لأنهم ادعوا الايمان وأكدوه ، وفي هذا ما يدعوا المسلمين الى الاعتقاد ، بأنهم مؤمنين . فجاء القصر هنا لقلب ذلك الاعتقاد وتأكيدهم فسقهم .

سر القصر :

وَوَضَّحَ السِّيَاقَ الْقُرْآنِيَّ مَخَازِيِ الْمُنَافِقِينَ ، وَقَبَائِحِهِمُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا وَصَفَتْ بِأَنَّهَا الْكَامِلَةُ فِي الذَّلِّ وَالْهَوَانِ . وَأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْقَبَائِحِ ادْعَاءَهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَأْكِيدَهُمْ ذَلِكَ بِالْحَلْفِ وَالْقَسَمِ . (وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ، وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) (٣)

ثم جيء بقوله تعالى : (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) ، لتقرير حقيقتهم و تقرير الصفة التي تميزهم عن المسلمين الحقيقيين ، وهي الامر بالمنكر ، والنهي عن المعروف وهذا أعظم قبح لانه قلب لمنهج القرآن ، الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ،

(١) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧ / روح المعاني ، ج ١٠ ، ص ٩٩

(٢) آية : ٦٧

(٣) آية : ٥٦

والذى يحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولذا جىء بأسلوب القصر للمبالغة فى ذمهم ، ببيان أنهم (هم الكاملون فى التمرد والفسق ، الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير) ، وفى هذا زجر لمن يحاول اتباعهم من المسلمين . قال الامام الزمخشري : وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش ، الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم . (١)

— (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١) .

المقصور : الخسران .

المقصور عليه : اولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصرها حقيقيا ، فيه مبالغة .

سر القصر :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أن المنافقين عدلوا عن طاعته ، وسعوا فى طلب ملذات الدنيا ، وغفلوا عن الآخرة ، شبههم بمن قبلهم فى الغفلة عن الآخرة ، وكان الغرض من هذا التشبيه ذم هؤلاء المنافقين ، وللمبالغة فى ذمهم ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين أولا ، ثم فى حق المنافقين ثانيا . ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا ، والفائدة من ذلك أنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع ، بما أوتوا من حظوظ الدنيا ، وحرمانهم من سعادة الآخرة ، بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ ، فلما قرر تعالى هذا ، عاد فشبه حال المنافقين بحالهم ، فيكون ذلك نهاية فى المبالغة .

(١) الكشاف ، م ٢ ، ص ٢٠١

(٢) آية : ٦٩

(٣) الخلاق : النصيب ، أى ما قدر لهم من ملاذ الدنيا .

ولاتصافهم بهذه الاوصاف الذميمة ، التي أوجبت حبوط أعمالهم ، جيء
باسم الاشارة للايذان ببعد منزلتهم في الشر ، ثم جيء بأسلوب القصر ، لبيان
أنهم هم) الكاملون في الخسران في الدارين ، الجامعون لمبادئه واسبابه
طرا ، فانه قد نهبت رؤوس أموالهم التي هي أعمالهم فيمَا ضَرَّهم ولم
ينفعهم قط ، ولو أنها نهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسران . وايراد
اسم الاشارة في الموضعين للشعار بعليّة الاوصاف المشار اليها للحبوط
والخسران) . (١)

■ (وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)

المقصود : الفوز العظيم .

المقصود عليه : ذلك / هو .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

ذكر السياق أن المشركين والمنافقين هم الكاملون في الخسران ، لغفلتهم
عن الآخرة ، ثم ذكر صفات المؤمنين التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ولعظيم فعلهم هذا ، عظم أجرهم ووعودوا
بجنت تجري من تحتها الانهار ، وأكبر من ذلك رضوان الله عزوجل ، وزيادة في
اجلال قدرهم وتعظيمهم ، ببولغ في تعظيم هذا الأجر ، حيث جيء باسم الاشارة
ل (ما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفقامة) هو الفوز
العظيم) . دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا ، فانها مع قطع النظر

(١) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٨١ - ٨٢

(٢) آية : ٧٢

عن فنائها وتغيرها ، وتنقصها وتكدرها ، ليست بالنسبة الى أدنى شيء من نعيم الآخرة . بمثابة جناح بعوضة) . (١)

أو كما قال الامام الفخر : (ان هذا هو الفوز العظيم ، لا ما يطالبه المنافقون والكفار من التنعيم بطيبات الدنيا) . (٢)

— (لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ
الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣) .

المقصور في الآية الاولى : الفلاح

المقصور عليه : أولئك / هم

قصر صفة على موصوف قصر قلب

المقصور في الآية الثانية : الفوز العظيم .

المقصور عليه : ذلك .

قصر صفة على موصوف قصر قلب .

سر القصر :

جاء في السياق ذكر المنافقين الذين اختاروا الدعة ، وكرهوا الجهاد ،
وفروا من القتال ، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وفي هذا ضعف ومهانة ،
ولذا وصفهم القرآن بأنهم قوم لا يفقهون ، ثم جيء بالصورة المقابلة لهم ،
وهي صورة الرسول والمؤمنين الذين بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ،
ولانصافهم بهذه الصفة الجليلة رفع الله من مكانتهم ، بأن قصر الفلاح عليهم ،
دون غيرهم من المنافقين الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، فلمهم الفلاح

(١) تفسير أبي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٣

(٢) الفخر الرازي ، م ٨ ، ج ١٦ ، ص ١٣٧

(٣) آية : ٨٨-٨٩

فى الدنيا بالعيش الكرىم ، والفلاح فى الآخرة بالاجر العظىم . أى هم
الفائزون بالمطلوب ، لامن حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل ، وكرر
اسم الاشارة تنويها لشأنهم وربهم لمكانتهم (١) .
وزيادة فى تكريمهم قصر الفوز ، ووصفه بأنه عظيم . على ما وعدهم به من جنات
عدن ، التى تجرى من تحتها الأنهار ، وأن كل فوز عداها كلاً فوز وفى هذا
تعريض بالمنافقين ، الذين رضوا بالمكوث مع الخوالم ووطنوا أن فى ذلك
فوزهم .

(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٢)

ذكر الامام الزمخشرى أن فى قوله تعالى : (ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده) .

أسلوب قصر عن طريق توسط ضمير الفصل ، فقال : (وهو للتخصىص والتأكيد ،
وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين ، وقيل معنى التخصىص فى
هو ، أن ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما الله سبحانه
هو الذى يقبل التوبة ويردها ، فاقصدوه بها ووجهوها اليه) (٣)

والى مثل هذا ذهب الامام ابوحيان (٤) والامام الفخر (٥) والامام ابوالسعود (٦)
وذكر الامام الالوسى أن الضمير هنا يحتمل أن يكون للتأكيد فقط ، أو للتأكيد
مع التخصىص . فقال :

(والضمير إما للتأكيد ، أو له مع التخصىص ، بمعنى أن الله سبحانه

(١) تفسير ابى السعود ، ٢م ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(٢) آية ، ١٠٤ .

(٣) الكشاف ، ٢م ، ص ٢١٢ .

(٤) البحر المحيطة ، ج ٥ ، ص ٩٦ .

(٥) الفخر ، ٨م ، ج ١٦ ، ص ١٩٠ .

(٦) تفسير ابى السعود ، ٢م ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

يقبل التوبة لاغيره ، أى أنه تعالى يفعل ذلك البتة ، لما قرر أن ضمير
الفعل يفيد ذلك ، والخبر المضارع من واقعة ، وجعل بعضهم التخصيص
بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم . أى أنه جل وعلا يقبل التوبة
لارسوله عليه الصلاة والسلام .(١)

فقول الامام الالوسى : أن ضمير الفعل يفيد القصر ، والخبر المضارع من
واقعه ، ماهو الا رأى الامام عبدالقاهر الجرجانى والزحخشري ، والامام
الخطيب القزوينى . ويبدو لى أن ضمير الفعل هنا للتوكيد فقط ، وأن الحصر
هنا مستفاد إماما من المعنى والمقام ، أو من تقدم الضمير على الخبر الفعلى
وذلك لان من شروط ضمير الفصل أن لا يقع بعده فعل وهنا وقع كذلك .

ورد ابن السبكي على من قال أن الضمير هنا فصل ، فقال : (ومثّل فى الايضاح
بقولك : زيد هو يقوم ، وليس بصحيح ، لأنه ليس بفصل ، لأن بعده فعلا مضارعا .
وأما المصنف والبيانون فاتبعوا فيه الجرجانى ، فانه ذكر ذلك فى شرح
الايضاح والجمهور على خلافه) (٢).

وفى الآية قصر فى قوله تعالى (وان الله هو التواب الرحيم).

المقصود : التواب

المقصود عليه : الله / هو

قصر صفه على موصوف قصر حقيقيا تحقيا أو فيه مبالغة .

سر القصر :

ان سياق الآيات يبين أن هناك قوما اخطأوا ثم اعترفوا بخطئهم ، والانسان
المخطىء يُحسُّ فى قرارة نفسه بالاسى والندم والخوف ، وبخاصة اذا كان الخطأ
فى جانب المولى عز وجل ، ولصدق توبتهم جى بأسلوب القصر ، فقصرت
التوبة والرحمة على الله سبحانه وتعالى ، لبيان أنه المختص المتأثر
ببلوغ الغاية القصوى ، من قبول التوبة والرحمة . وأن ذلك سنته المستمرة
وشأنه الدائم .(٣)

(١) روح المعاني، ج ١١ ، ص ١٥ .

(٢) شروح التلخيص ، ج ١ ، عروس الافراح ، ص ٣٨٧ .

(٣) تفسير ابي السعود ، م ٢ ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

ففي صيغة المبالغة في التواب والرحيم مع توسط ضمير الفصل والتأكيد من التبشير والترغيب للعباد ما لا يخفى (١).

— (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢).

المقصور : الفوز العظيم .

المقصور عليه : هو

قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً .

سر القصر :

في الآية الكريمة عقد بيع وشراء بين الله وبين المؤمنين ، ونص هذا العقد على بيع النفس والمال في سبيل الله . وهذا العقد تستثقله النفس البشرية لحبها للحياة ، ولكن هناك فئة خاصة ترحب بقبول هذا العقد ، وهي الفئة المؤمنة المستسلمة لله . لذا وعدها المولى عز وجل وأكد وعده ، بأن عظم لها الثمن ، وجاء عرضه بالتبشير (فاستبشروا ببيعكم) ، ثم جرى باسم الإشارة لما فيه من معنى البعد ، وعلو منزلة المشار إليه ، وسمو رتبته في الكمال ، ثم جرى بأسلوب القصر لبيان عظم ثوابهم ، حيث قصر الفوز الذي لا فوز أعظم منه ، على وعد الله لهم . وفي هذا ترغيب وتطمين للنفس بفوزها وربحها ، وفيه الهاب حماسة الخلق على بذل النفس ليفوزوا بما فازت به هذه الفئة .

(١) فتح القدير ، م ٢ ، ص ٤٠٠ .

(٢) آية ١١١

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾. (١)

المقصود : التواب الرحيم

المقصود عليه : الله / هو

قصر صفة على موصوف قصر حقيقيا تحقيقيا .

سر القصر :

سبق أن أشرت الى ان هناك قوما قد تخلفوا عن غزوة تبوك ، ثم
ندموا على فعلتهم ، واعترفوا بذنبيهم ، وصدقت توبتهم ، ولصدقهم فيها
جئ بأسلوب القصر لتفريغ همهم وكرههم ، بتبشيرهم بقبول توبتهم
حيث قصرت صفة التواب الرحيم على المولى عز وجل دون غيره .

خاتمة

بعد أن انتهيت بفضل الله تعالى من هذا البحث المتواضع سألخص
- ان شاء الله - أهم النتائج التي ظهرت أو أظهرتها في هذا
البحث فمنها :

- أن حظ مبحث القصر من الدراسات الحديثة ضئيل جدا وأن ما قام
به المحدثون ينحصر في ثلاثة أشياء :

١ - افراد بعض العلوم بالتأليف .

٢ - نقل فصل من الفصول أو الأبواب من علم الى علم آخر .

٣ - الاكثار من الشواهد .

- لقد ادعى بعضهم وجود فرق بين القصر والاختصاص منهم ابن
السبكي - نقلا عن والده - ، والسيوطي ، والامام الشهاب .

وهذا ما دعاني الى تتبع المعنى اللغوي لهذه الالفاظ في كثير
من المعاجم مع ملاحظة تطور كل لفظ .

فظهر لي :

أن الالفاظ الثلاثة بمعنى لغوي واحد .

وأن هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

للقصر مما ترتب عليه القول بأن لها معنى اصطلاحيا واحدا .

ويبدو لي أن الفرق بينها في التعدية فقط فقولنا :

تخصيص شيء بشيء يكون المقصور عليه هو الشيء الأول والبـ

داخلة على لفظ شيء الثاني ، وهو المقصور . أما قولنا قصرت

كذا على كذا فالعكس يكون المقصور هو الشيء الأول ، والمقصور

عليه هو الشيء الثاني .

- اعترض بعض المحدثين منهم الشيخ سليمان نوار على قول العلماء في تعريف القصر (بطريق مخصوص) ووضع له تعريفا يدخل فيه كل ما يؤدى معنى القصر ، ويظهر لى أن فى تعريفه توسعا وتعميما وفتحا لمجال الفوضى فى علوم اللغة ، وأن اقتصار العلماء على الطرق الاصلاحيه المذكورة لما يترتب عليها من لطائف وأحكام هو الأمثل .

- ان موضوع القصر موضوع له جذور ضاربة فى القدم ترجع الى القرن الثانى الهجرى حيث ظهر بمعناه عند سيبويه ولكنه لم يظهر مصطلحا بلاغيا الا فى القرن الخامس الهجرى عند الامام عبدالقاهر الجرجانى .

- ان قول العلماء فى قصر الموصوف على الصفة من القصر الحقيقى التحقيقى (لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشئ) بنوه على النظر الى نفي جميع الصفات على الاطلاق ويظهر لى (من خلال تحليلى للآيات) أنه من الممكن وجوده ، اذا نظرنا الى النفى ليس بالنسبة الى جميع الصفات على الاطلاق - بل الى جميع الصفات المقابلة للصفة المنفيه ، بشرط الا تكون معينة فقولنا :

(ما محمد الا شاعر)

قصرنا محمدا على الشاعرية ونفيناعنه جميع الصفات المقابلة للشاعرية ان كان فى الحقيقة لايجيد غيرها ، وليس القصد نفى جميع الصفات من الأكل والشرب والطول والقصر ، فهذا ليس فى

قصد المتكلم نفيه ، وانما القصد في النفي الى جميع الصفات
المقابلة للشاعريه على الحقيقه .

أما اذا كان يجيد الشاعرية والخطابة والكتابه وأردنا أن نبين كماله
في الشاعريه ، فاننا ننفي عنه الخطابة والكتابة وغيرها من الصفات
المقابلة على سبيل الادعاء .

وقد أشار الى هذا الامام عبدالقاهر فقال :

(واعلم أن قولنا في الخبر اذا أخر نحو (ما زيد الا قائم)
انك اختصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها
ونفيت ما عدا القيام عنه فانما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي
تنافي القيام نحو : (أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متكئا أو ما
شاكل ذلك ، ولم نرد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل اذ لمنا
ننفي عنه بقولنا : ما هو الا قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا
أو قصيرا أو عالما أو جاهلا كما أنا اذا قلنا : ما قائم الا زيد
لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وانما نعني ما قائم حيث
نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك) . (١)

- بنى العلماء القصر الاضافي على حال المخاطب فقط ويظهر لى
أن هناك آيات لاتعتمد على حال المخاطب كأن يكون المخاطب هو

(١) دلائل الاعجاز ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط ٦ ، ص ٢٢٥

المولى عز وجل أو أن يكون المتكلم يعبر عن فكرة تدور في داخله
فينبني القصر على حال المتكلم وهناك آيات ليس فيها مخاطب وانما
يفهم كون القصر اضافيا من السياق .

- أن حصول القصر الحقيقي لا يمنع كون القصر الاضافى مقصودا مثال
ذلك قوله تعالى " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند
ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (١) لأنه لما كان التعريض بقوم
معينين وهم اليهود والنصارى مراعىً كان ذلك ايماءً الى قصد
الاضافة من القصر الحقيقي ، أى أن التعريض كان بمعين فجاءت
الاضافة .

- ان مجيء القصر فيما من شأنه أن يكون معلوماً أو غير منكر ، أو ما
ينزل هذه المنزلة ليس خاصا بانما .
وكذلك مجيء القصر فيما من شأنه أن يكون منكرا أو مجهولا أو ما ينزل
هذه المنزلة ليس خاصا بالنفى والاستثناء فقد يأتى فى القصر عن
طريق التقديم وضمير الفصل وتعريف الجزئين .

- ذكر العلماء أن النفى والاستثناء يأتى فيما من شأنه أن ينكره
المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة . ولكن الامام أبى السعود يلفتنا
الى نوع جديد وهو كون المخاطب عالما مقرا بالأمر غير منكر له
فيأتى القصر لزيادة التعيين وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :
(وما يخدعون الا أنفسهم) . (٢)

(١) البقرة آية ١١٢ (٢) البقرة آية ٩

- قد يجتمع في الآية أسلوبا التقديم وإنشا مثل قوله تعالى : (غلغلا عليك البدرغ) . (١) وقد اختلف العلماء في طريق القصر هنا هل هو التقديم أو إنشا ؟
ويظهر لي أن نقدم ما يقتضيه المقام .

- لقد ذكر الامام عبدالقاهر أن من أبرز مواضع انما التعريض ، وهذا ليس خاصا بهافان من أبرز مواضع التقديم التعريض وكذلك ضمير الفصل وتعريف الجزئين . وقد يأتي في النفي والاستثناء .

- ان أسلوب القصر عن طريق العطف (لا - بل - لكن) لم يرد في الثلث الأول من القرآن .

- ان لطرق القصر عامة أغراضا بلاغية كثيرة منها :

- الوعد والوعيد .
- الزجر والتقريع .
- التخويف .
- قطع الاطماع
- التهوين من الشأن والتحقير .
- التوبيخ .
- التنبيه ولفت الأنظار .
- التذكير .

(١) آل عمران آية (٢)

- الاستهزاء .
- العتاب بشده .
- تحفيز الهمم .
- الهاب الحماسه .
- الحث والترغيب، وكثيرا ما تجمع الأداة بين الترهيب والترغيب .
- البشاره .
- الاشعار بالعفو والصفح والرحمه .

وأخيرا أقول :

ان من أهم ما فى هذه الرسالة أنها عالجت القصر من الناحية التطبيقية، وفى مجال أفصح كلام وأبلغه وهذا بحث جديد لـم يسبقنى به أحد فيما أظن . ، وقد لقيت عننا شديدا وتحملت مشقة بالغه فى التوفيق. بين قواعد القصر التى ذكرها العلماء وبين الأساليب التى ورد فيها القصر .

وأحمد الله تعالى أن وفقنى الى إتمام هذه الرسالة وأسأله سبحانه أن ينفع بها ، وان يتقبلها منى خالصة وهو حسبي ونعم الوكيل .

المصادر والمراجع

مصادر ومراجع البلاغة :

- ١ - الايضاح فى علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى ، شرح وتعليق
محمد عبدالمنعم خفاجى ، دار الكتاب اللبنانى .
- ٢ - بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ، عبدالمتعال المعيدى ، ط ٧
مكتبة الآداب ، المطبعة النمونجية ،
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٣ - البلاغة فى ثوبها الجديد " علم المعانى " بكرى شيخ أمين ،
ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ٤ - البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، " وأثرها فى الدراسات
البلاغية " محمد حسين ابوموسى ، دار الفكر
العربى .
- ٥ - البلاغة الواضحة (البيان والمعانى والبديع) على الجارم
و مصطفى أمين .
- ٦ - التلخيص فى علوم البلاغة ، جلال الدين القزوينى ، ضبطه
وشرحه عبدالرحمن البرقوتى ، ط ٢ ، دار
الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
- ٧ - توضيح المعانى فى البلاغة ، د . على محمد حسن ، ط ٦ ، مكتبة
الجامعة الأزهرية ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٨ - جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ، احمد الهاشمى ،
ط ١٢ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت
لبنان .

٩ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبدالخالق عظيمه ، ط ١
مطبعة السلطنة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٠ - دلالات التراكيب " دراسة بلاغية " محمد أبو موسى ، ط ١ ، مكتبة
وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١١ - دلائل الاعجاز ، عبدالقاهر الجرجانى ، وقف على تصحيحه
وطبعه وعلق حواشيه ناشره محمد رشيد رضا ،
ط ٦ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ،
١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

١٢ - شرح العمري - على هامش عقود الجمان - ط ٢ ، شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، مصر
١٩٧٤هـ - ١٩٥٥م .

شروح التلخيص :

١٣ - حاشية السوقى على شرح السعد .

١٤ - عروس الأفرح فى شرح تلخيص المفتاح ، بها الدين السبكي .

١٥ - مختصر سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح .

- ١٦ - مواهب الفتح فى شرح تلخيص المفتاح . مطبعة عيسى البابى
الخلبى وشركاه ، مصر .
- ١٧ - الطراز " المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز " ،
يحيى بن حمزه بن على بن ابراهيم العلوى
أشرفت على مراجعته وتدقيقه جماعة من العلماء
باشراف الناشرة دارالكتب العلمية ، بيروت
لبنان .
- ١٨ - عقود الجمان " فى المعانى والبيان " ، السيوطى ، ج ٢ ، شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الخلبى وأولاده ،
مصر ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- ١٩ - علم المعانى ، درويش الجندى ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- ٢٠ - علم المعانى ، عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت ١٩٧٤م .
- ٢١ - علوم البلاغة " البيان والمعانى والبديع " احمد مصطفى المراغى
صححه ابوالوفا مصطفى المراغى ، ط ٥ ،
المكتبة المحمودية التجارية .
- ٢٢ - المثل السائر " فى أدب الكاتب والشاعر " ضياء الدين بن الاثير ،
قدم له وحققه وعلق عليه احمد الحوفى وآخرون
ط ١ ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ،
١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .
- ٢٣ - مذكرات الشيخ سليمان نوار .
- ٢٤ - مفتاح العلوم ، السكاكى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

مصادر ومراجع التفسير :

- ١ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود محمد العمادى ، دار احياء التراث العربى بيروت ، لبنان .
- ٢ - املاء ما من به الرحمن" من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن " ، أبى البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى ، تصحيح وتحقيق ، ابراهيم عطوه عوض ، ط ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، مصر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٣ - أنوار التنزيل من أسرار التأويل ، ناصر الدين أبى سعيد البيضاوى ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت .
- ٤ - البحر المحيط ، أثير الدين أبى عبدالله بن حيان الاندلسى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .
- ٥ - تفسير ابن كثير ، عماد الدين ابى الفداء بن كثير ، ط ١ ، دار الاندلسى ، بيروت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- ٦ - تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن احمد المحلى ، جلال الدين السيوطى ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٧ - تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا
ط ٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان .

٨ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١ هـ .

٩ - تفسير النسفي ، عبدالله بن احمد بن محمود النسفي ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، لبنان .

١٠ - الجامع لأحكام القرآن ، عبدالله محمد الانصاري القرطبي ، دار
احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،
١٩٦٥ - ١٩٦٦ م .

١١ - جامع البيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر جرير الطبري ، ط ٣
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،
لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٢ - حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الكازروني - علي هامش
البيضاوي - مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع
بيروت .

١٣ - حاشية الجمل على الجلالين " السماء بالفتوحات الالهية بتوضيح
تفسير الجلالين للدقائق الخفية " ، سليمان
الجمل ، المكتبة الاسلامية .

١٤ - حاشية الشهاب" عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي"
دار صادر ، بيروت .

١٥ - حاشية الشريف الجرجاني - على هامش الكشاف . ، آفتاب ،
تهران .

١٦ - حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد الصاوي
المكي ، دار الفكر العربي ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

١٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" ،
الأوسى البغدادي ، دار احياء التراث العربي
بيروت ، لبنان .

١٨ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان - على هامش جامع البيان ،
نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري
ط ٣ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٩ - فتح القدير " الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٠ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت
القاهرة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- ٢١ - كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - علي هامش الكشاف - ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندري ، آفتاب ، تهران .
- ٢٢ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن احمد بن جزى الكلبى ، ط ٢ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٢٣ - كتاب الدر اللقيط - على هامش البحر المحيط - ، تاج الدين محمد بن عبدالقادر القيسى الحنفى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .
- ٢٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل - أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري آفتاب ، تهران .
- ٢٥ - لباب التأويل فى معانى التنزيل ، علاء الدين على بن محمد بن الصوفى المعروف بالخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- ٢٦ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، أبى محمد عبدالحق بن عطية الغرناطى ، تحقيق احمد صادق الملاح وزارة الاوقاف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لجنة القرآن والسنة ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٢٧ - مجاز القرآن ، أبي عبده معمر بن المثنى التيمي ، عارضه
بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين ، مكتبة
الخانجي ، مصر .

٢٨ - معاني القرآن أبي زكرياء يحيى الفراء ، تحقيق عبدالفتاح
اسماعيل شلبي وآخرون ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

٢٩ - النهر المعاد - على هامش البحر المحيط - مكتبة ومطابع النصر
الحديثة ، المملكة العربية السعودية ،
الرياض .

الحديث :

(١) أسباب النزول الواحدى النيسابورى ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد ، شمس الدين أبى عبدالله محمد بن قيم الجوزيه ، ط ٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، مصر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

(٣) سنن أبى داود ، أبى داود سليمان السجستاني ، راجعه وضبطه محمد محى الدين عبدالحميد ، دار احياء السنه النبويه ، دار الفكر

(٤) سنن الترمذى " الجامع الصحيح " ، ابى عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، حققه وصححه عبدالوهاب عبداللطيف دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

(٥) صحيح البخارى ، دار مطابع الشعب

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ، ط ١ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م

(٧) لباب النقول فى أسباب النزول ، جلال الدين السيوطى ، دار احياء العلوم ، بيروت ، ١٩٧٨م

٨ (المستدرك على الصحيحين ، ابي عبدالله الحاكم النيسابوري ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٩ (مسند الامام احمد بن حنبل ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي ، بيروت
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

مصادر ومراجع النحو :

١ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، محمد محي الدين
عبد الحميد ، ط ٥ ، دار احياء التراث
العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦م .

٢ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام الانصاري
محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١١ ، المكتبة
التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٣ - شرح شواهد المغني ، جلال الدين السيوطي ، تصحيح محمد محمود
الشنقيطي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت
لبنان .

٤ - شرح الكافية الشافية ، جمال الدين ابي عبدالله بن مالك
الطائي ، حققه وقدم له عبدالمنعم احمد
هريدي ، دار المأمون للتراث .

٥ - شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش النحوي
عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المثنى ،
القاهرة .

٦ - الصاحبي ، ابن فارس ، تحقيق السيد احمد صقر ، طبع بمطبعة
يحيى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٧م .

٧ - الكتاب ، ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح
عبدالسلام هارون ، ط ٢ ، الهيئة المصرية
العامه للكتاب ، ١٩٧٩م .

٨ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام الانصاري ، حققه
محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، لبنان .

المعاجم :

١ - أساس البلاغة ، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢ - تاج العروس ، الزبيدي ، م ٣ ، م ٤ ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت ، لبنان .

٣ - جهرة اللغة ، ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ط ١ ، مجلس
دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ،
الدكن ، ١٣٤٥ هـ .

٤ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري ،
تحقيق ، احمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ ،
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٥ - القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،
دار الجيل .

٦ - لسان العرب ، ابي الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صادر
بيروت .

٧ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، على بن اسماعيل بن سيده ،
تحقيق عبدالستار احمد فراج ، ط ١ ، معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ١٣٨٨ هـ
٠ ١٩٦٨ م

٨ - مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي ، عنى
بترتيبه ، السيد محمود خاطر ، دار التراث
العربي للطباعة والنشر .

٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الرافي احمد بن
محمد بن على المقرئ الفيومي ، صححه مصطفى
السقا ، دار الفكر .

كتب التراجم :

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر تحقيق علي محمد البيجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، مصر .

٢ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٥ - فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاعر الكتبي ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٩٧٣م .

٦ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٧ - معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله ، م ١ ، مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٨ - نزهة الالباء فى طبقات الأدباء ، أبى البركات كمال الدين
عبدالرحمن الانبارى ، تحقيق محمدابوالفضل
ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،
القاهرة .

٩ - وفيات الأعيان وانبياء ابناؤ الزمان ، أبى العباس شمس الدين
احمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : احسان
عباس ، دار صادر ، بيروت .

الدواوين :

- ١ - ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ،
ضبطه وصححه مصطفى السقا وآخرون ، دار
المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م
- ٢ - ديوان الأعشى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٣ - ديوان التبحري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٤ - ديوان الحماسة ، المرزوقي ، نشره احمد امين - عبدالسلام
هارون ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٧م .
- ٥ - ديوان كثير عزة ، حققه احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت
لبنان ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٦ - شرح ديوان جرير ، محمد اسماعيل عبدالله الصاوي ، دار
الاندلس ، بيروت .

مصادر ومراجع متفرقة :

- كتب الفقه :

١ - المختصر في أصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل
على بن محمد بن علي بن شيبان المعروف
بابن اللحام .

- كتب التوحيد :

مجموعة التوحيد ، ابن تيميه ، محمد بن عبدالوهاب ، طبعة
منقحه ومصححه ، دار التراث العربى
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- كتب علوم القرآن :

الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ،
ط ٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي
واولاده ، مصر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- كتب فقه اللغة :

من أسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، ط ٦ ، مكتبة الانجلو
المصريه ، مصر ، ١٩٧٨ م .

- كتب تاريخ :

السيره النبويه ، ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ،
ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- المجلات :

مجلة الفيصل « الحركة الثقافية في الوطن العربى » ، العدد (٧١)
جمادى الاولى ١٤٠٢ هـ .

الفهارس

فهرس الآيات

((سورة الفاتحة))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
<u>الآيات الواردة في التقديم :</u>		
٣١٩	١	• بسم الله الرحمن الرحيم
	٥	• اياك نعبد و اياك نستعين
<u>الآيات الواردة في تعريف الجزئين :</u>		
٤٨١	٢	• الحمد لله

((سورة البقرة))

رقمها الصفحة

الآية

الآيات الواردة في النفس والاستثناء :

٨٤	٩	يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم .
٨٤	٢٦	ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا . . وما يضل به الا الفاسقين
٨٥	٢٨	ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون
٨٧	٨٠	وقالوا لن نؤمن النار الا أياما معدودة .
٨٧	٨٣	واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل . . لا تعبدون الا الله .
٨٩	٨٥-٨٤	واذ أخذنا ميثاقكم . . فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
٩٠	٩٩	ولقد أنزلنا اليك آيات . . وما يكفر بها الا الفاسقون
٩١	١٠٢	واتبعوا ما تتلو الشياطين . . وما هم بضارين به من احد الا باذن الله . .
٩٢	١١١	وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى .
٩٣	١١٤	ومن أظلم ممن منع مساجد الله . . ولثك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين . .
٩٤	١٣٠	ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه .
٩٥	١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطا . . وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم . .
٩٦	١٦٣	والهكم اله واحد لا اله الا هو . .
٩٧	١٧١	ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء . .
٩٨	١٧٤	ان الذين يكتُمون ما أنزل الله . . ولثك ما يأكلون فى بطونهم الا النار . .
٩٨	١٩٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . . فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . .

رقمها	رقمها	الآية
٩٩	٢١٣	كان الناس أمة واحدة .. وما اختلف فيه الا الذين أوتوه ..
١٠١	٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهن .. لا تكلف نفس الا وسعها ..
١٠١	٢٢٥	الله لا اله الا هو الحي القيوم ..
١٠٥	٢٦٧	ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخديه الا أن تغضوا فيه ..
١٠٧	٢٦٩	يؤتى الحكمة من يشاء .. وما يذكر الا اولوا الالباب ..
١٠٨	٢٧٢	وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ..
١٠٩	٢٨٦	لا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

الآيات الواردة في ((انما)) :

٢٤١	١١	واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ..
٢٤٢	١٤	واذا لقوا الذين آمنوا .. انما نحن مستهزون ..
٢٤٤	١٠٢	واتبعوا ما تتلوا الشياطين .. انما نحن فتنة ..
٢٤٦	١١٧	بديع السموات والأرض اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ..
٢٤٧	١٦٩	انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ..
٢٤٨	١٧٣	انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ..
٢٥٠	١٨١	فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ..

رقم الصفحة	الآية
٣٣٢	٤ الذين يؤمنون بما أنزل اليك .. وبالأخرة هم يوقنون ..
٣٤٠	٧ ختم الله على قلوبهم .. ولهم عذاب عظيم ..
٣٤٢	١٥-١٤ واذا لقوا الذين آمنوا .. الله يستهزئ بهم ..
٣٤٤	٢٨ كيف تكفرون بالله ... ثم اليه ترجعون ..
٣٤٥	٣٠ واذا قال ربك للملائكة .. ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ..
٣٤٦	٣٨ قلنا اهبطوا منها جميعا .. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..
٣٤٨	٤٠ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي .. واياي فارهبون ..
٣٥٣	٤١ وآمنوا بما أنزلت مصدقا ... واياي فاتقون ..
٣٥٤	٥٧ وظللنا عليكم الغمام ... ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ..
٣٥٧	٦٢ ان الذين آمنوا والذين هادوا .. فلهم أجرهم .. ولا هم يحزنون ..
٣٥٨	٩٠ بثسما اشتروا به ... وللكافرين عذاب مهين ..
٣٦٠	٩٤ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة ..
٣٦٢	١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا .. وللكافرين عذاب اليم ..
٣٦٣	١٠٧ الم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض ...
٣٦٤	١١٢ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره .. ولا هم يحزنون ..
٣٦٦	١١٣ وقالست اليهود ليست النصارى ... وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم ..
٣٦٩	١١٥ والله المشرق والمغرب ...

رقمها الصفحة	رقمها	الآية
٣٧٠	١١٦	وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض ..
٣٧١	١١٩	انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ..
٣٧٢	١٢١	الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به
٣٧٤	١٢٣	واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا .. ولاهم ينصرون
٣٧٥	١٢٤	واذا ابتلى ابراهيم ربه .. انى جاعلك للناس اماما
٣٧٦	١٣٣	أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت .. ونحن له مسلمون
٣٧٧	١٣٤	تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ..
٣٧٨	١٣٦	قولوا آمنا بالله .. ونحن له مسلمون ..
٣٧٩	١٣٨	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون
٣٨١	١٣٩	قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ..
٣٨٣	١٤١	تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ..
٣٨٣	١٤٢	سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم .. قل لله المشرق والمغرب ..
٣٨٤	١٧٢	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .. ان كنتم اياه تعبدون ..
٣٨٥	٢١٦	كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. والله يعلم وانتم لا تعلمون ..
٣٨٧	٢٣٢	واذا طلقتم النساء .. والله يعلم وانتم لاتعلمون ..
٣٨٨	٢٥٥	الله لا اله الا هو .. له ما فى السموات وما فى الارض ..

رقمها	الآية	الصفحة
٢٥٨	الم تر الى الذى حاج.. اذ قال ابراهيم ربي الذى يحى ويميت ..	٣٩٠
٢٦٢	الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله .. ولا هم يحزنون ..	٣٩١
٢٦٧	يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم .. ولا تيمموا الخبث منه تنفقون ..	٣٩١
٢٧٤	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار .. ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون ..	٣٩٢
٢٧٧	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون ..	٣٩٢
٢٨٤	لله ما فى السموات وما فى الارض ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ..	٣٩٣
٢٨٥	وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك العصير ..	٣٩٤
٢٨٦	لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ..	٣٩٥

الآيات الواردة فى تعريف الجزئين :

٩	الم ذلك الكتاب ..	٤٨٨
١٦	اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ..	٤٩٢
٢٩	هو الذى خلق لكم ما فى الارض ..	٤٩٣
٨٦	اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ..	٤٩٤
١٣٧	فان آمنوا بمثل ما آمنتم به .. وهو السميع العليم ..	٤٩٥

رقمها	الآية	الصفحة
٤٩٦	١٤٤	قد نرى تقلب وجهك في السماء .. وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ..
٤٩٨	١٤٧-١٤٦	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .. وهم يعلمون الحق من ربك ..
٤٩٩	١٦٠	الا الذين تابوا واصلحوا .. وانا التواب الرحيم ..
٥٠٠	١٧٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم .. أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ..
٥٠١	١٩٧	وتزودوا فان خير الزاد التقوى ..

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

٥٠٢	٥	أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ..
٥٠٦	١٣-١١	واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض .. الا انهم هم المفسدون ..
٥٠٨	٢٧	الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .. أولئك هم الخاسرون
٥٠٩	٣٢-٣١	وعلم آدم الأسماء كلها .. انك انت العليم الحكيم ..
٥١١	٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ..
٥١١	١٣٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى .. قل ان هدى الله هو الهدى
٥١٣	١٢١	الذين آتيناهم الكتاب .. ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
٥١٤	١٣٧	واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ..
٥١٥	١٣٨	ربنا واجعلنا مسلمين لك .. انك انت التواب الرحيم ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥١٦	١٥٦-١٥٥ ١٥٧	ولنبيلونكم بشيء من الخوف .. وأولئك هم المهتدون ..
٥١٨	٢٢٩	الطلاق مرتان فامسك بمعروف .. فأولئك هم الظالمون .. يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم .. والكافرون
٥١٩	٢٥٤	هم الظالمون ..

((آل عمران))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>الآيات الواردة في النفي والاستثناء :</u>
١١٠	٢	الله لا اله الا هو الحي القيوم ..
١١١	٦	هو الذي يصوركم في الارحام .. لا اله الا هو العزيز الحكيم .. هو الذي أنزل عليك .. وما يعلم تأويله الا الله .. وما يذكر الا اولوا الالباب ..
١١٢	٧	
١١٤	١٨	شهد الله أنه لا اله الا هو .. لا اله الا هو العزيز الحكيم .. ان الدين عند الله الاسلام .. وما اختلف الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم ..
١١٥	١٩	
١١٦	٢٤	ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات ..
١١٦	٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة .. الا نعبد الا الله .. يا أهل الكتاب لم تحاجون .. وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده
١١٧	٦٥	
		ومن أهل الكتاب من ان تأمنه .. ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤوده اليك الا ما دمت عليه قائما ..
١١٩	٧٥	
١٢٠	١١١	لن يضروكم الا أذى ..
١٢١	٦٩	ودت طائفة من أهل الكتاب .. وما يظنون الا أنفسهم ..
١٢٣	١٢٦	وما جعله الله الا بشرى لكم .. وما النصر الا من عند الله .. والذين اذا فعلوا فاحشة .. ومن يغفر الذنوب الا الله ..
١٢٦	١٣٥	
١٢٧	١٤٤	وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ..
١٢٩	١٤٥	وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ..
١٣٠	١٤٧	وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ..

رقمها الصفحة

الآية

الآيات الواردة في " انما " :

٢٥٢	٢٠	فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله .. فانما عليك البلاغ
٢٥٣	٤٧	قالت ربى أنى يكون لى ولد .. فانما يقول له كن فيكون
٢٥٤	١٥٥	ان الذين تولوا منكم .. انما استزلهم الشيطان
٢٥٥	١٧٥	انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه ..
٢٥٨	١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ..
٢٦١	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ..

الآيات الواردة في التقديم :

٣٩٧	٢٦	قل اللهم مالك الملك .. بيدك الخير ..
٣٩٩	٢٨	لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء .. والى الله المصير ..
٤٠٠	٥٥	اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك .. ثم الى مرجعكم ..
٤٠١	٦٦	هانتم هؤلاء حاجتكم .. والله يعلم وانتم لاتعلمون ..
٤٠٣	٨٣	أفغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والأرض ..
٤٠٤	١٠٩	ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الأمور ..
٤٠٦	١٢٢	اذ همت طائفتان .. وعلى الله فليتوكل المؤمنون ..
٤٠٨	١٣٩	ولله ما فى السموات وما فى الأرض ..
٤١٠	١٥٦	والله يحي ويميت ..
٤١١	١٥٨-١٥٧	ولئن قتلتم فى سبيل الله .. لالى الله تحشرون ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤١٦	١٥٩	فيما رحمة من الله لنت لهم ..
٤٢١	١٦٠	ان ينصركم الله فلا غالب لكم .. وعلى الله فليتوكل المؤمنون
٤٢٣	١٧٠	فرحين بما آتاهم الله من فضله .. ولا هم يحزنون ..
٤٢٤	١٧٩	ما كان الله ليذر المؤمنين .. فلکم أجر عظيم ..
٤٢٦	١٨٠	ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله .. ولله ميراث السموات والأرض ..
٤٢٧	١٨٨-١٨٩	ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا .. ولله ملك السموات والارض
٤٢٩	١٩٩	وان من أهل الكتاب لعن يؤمن بالله .. أولئك لهم أجرهم ..

ضمير الفصل :

ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم .. وأولئك هم وقود
النار

٥٢١ ١٠

تعريف الجزئين :

هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ..

هو الذى أنزل عليك الكتاب ..

٥٢٣ ٧

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

رينا لاتزع قلوبنا .. انك انت الوهاب ..

٥٢٤ ٨

ان هذا لهو القصص الحق ..

٥٢٥ ٦٢

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٢٨	٩٠	ان الذين كفروا بعد ايمانهم .. واولئك هم الضالون ..
٥٢٩	٩٤-٩٣	كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل .. فأولئك هم الظالمون ..
٥٣١	١٠٤	ولتكن منكم آية يدعون الى الخير .. وأولئك هم المفلحون ..

((النساء))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>الآيات الواردة في النفي والاستثناء :</u>
١٣١	١٩	يا أيها الذين آمنوا .. ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما اتيتوهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة .
١٣٣	٤٣	يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة .. ولاجنبوا الاعابري سبيل من الذين هادوا يحرفون الكلم .. فلا يؤمنون الا قليلا ..
١٣٦	٦٤	وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ..
١٣٧	٦٦	ولو أنا كتبنا عليهم .. ما فعلوه الا قليل منهم ..
١٣٩	٨٤	فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك ..
١٤٠	٨٧	الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة .. ودوا لو تكفرون كما كفروا .. ولاتتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم ..
١٤١	٨٩-٩٠	ولولا فضل الله عليك .. وما يضلون الا أنفسهم ..
١٤٢	١١٣	ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ..
١٤٣	١١٧	ان المنافقين يخادعون الله .. ولايذكرون الله الا قليلا ..
١٤٤	١٢٠	
١٤٥	١٤٢	

الآيات الواردة في " انما " :

٢٦٢	١٠	ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فسى بطونهم نارا ..
٢٦٤	١٧	انما التوبة على الله ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٦٥	١١١	ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ..
٥٦٧	١٧١	يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم .. انما المسيح عيسى بن مريم انما الله اله واحد ..

الآيات الواردة في التقديم :

٤٣١	٩٥	لا يستوى القاعدون من المؤمنين .. وكلا وعد الله الحسنى ولله ما في السموات وما في الارض .. فان لله ما في السموات وما في الارض .. ولله ما في السموات وما في الارض ..
٤٣٢	١٣٢-١٣١	يا أيها الناس قد جاءكم الرسول .. فان لله ما في السموات والارض ..
٤٣٥	١٧٠	يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم .. له ما في السموات وما في الارض ..
٤٣٦	١٧١	يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم .. له ما في السموات وما في الارض ..

الآيات الواردة في تعريف الجزئين :

٥٣٣	١٣	تلك حدود الله .. وذلك الفوز العظيم ..
٥٣٤	٥٢-٥١	الم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب .. أولئك الذين لعنهم الله ..
٥٣٥	٧٠	ذلك الغضل من الله

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

٥٣٧	١٥١	اولئك هم الكافرون حقا ..
-----	-----	--------------------------

((المائدة))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>الآيات الواردة في النفي والاستثناء :</u>
١٤٦	٢٥	قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى ..
		لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا
١٤٨	٧٣	اله واحد ..
١٥٠	٧٥	ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ..
١٥٢	٩٩	ما على الرسول الا البلاغ ..
١٥٣	١١٧	ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ..

الآيات الواردة في (انما) :

٢٦٩	٢٧	واتل عليهم نبأ ابني آدم .. انما يتقبل الله من المتقين ..
٢٧١	٣٣	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ..
٢٧٣	٥٥	انما وليكم الله ورسوله ..
		يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
٢٧٤	٩٠	رجس ..
٢٧٦	٩١	انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ..
٢٧٧	٩٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول .. أنما على رسولنا البلاغ المبين

الآيات الواردة في التقييس :

٤٣٨	١١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم .. وعلى الله
		فليتوكل المؤمنون ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٤٠	١٧	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم .. والله ملك السموات والارض ..
٤٤١	٣٧-٣٦	ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض .. وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ..
٤٤٣	٤٠	الم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ..
٤٤٤	٤٨	ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة .. الى الله مرجعكم ..
٤٤٥	٩٦	أحل لكم صيد البحر وطعامه .. واتقوا الله الذى اليه تحشرون
٤٤٦	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم .. الى الله مرجعكم ..
٤٤٧	١٢٠	لله ملك السموات والأرض ..

الآيات الواردة فى ضمير الفصل :

٥٣٨	١٠٩	يوم يجمع الله الرسل .. انك انت علام الغيوب ..
٥٣٩	١١٦	واذ قال الله يا عيسى بن مريم ، أنت قلت للناس .. انك انت علام الغيوب ..
٥٤٠	١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم .. ذلك الفوز العظيم ..

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

٥٤١	١٧	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ..
-----	----	---

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٤٢	٤٤-٤٥-٤٦	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - فأولئك الظالمون فأولئك هم الفاسقون ..
٥٤٤	٥٦	ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ..
٥٤٦	٧٢	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ..
٥٤٦	٧٦	قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ..
٥٤٧	١١٧	ما قلت لهم الا ما أمرتني به .. فلما توفيتني كنت انت الرقيب
٥٤٩	١١٨	ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ..

((الأنعام))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>الآيات الواردة في النفي والاستثناء :</u>
١٥٦	٤	ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ..
١٥٧	٧	ولو نزلنا عليك كتابا .. ان هذا الاسحر مبين ..
١٥٩	١٧	وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ..
١٦٠	٢٣	ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ..
١٦١	٢٥	ومنهم من يستمع اليك .. ان هذا الاساطير الاولين ..
١٦٣	٢٦	وهم ينهون عنه .. وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ..
١٦٤	٢٩	وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ..
١٦٥	٣٢	وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ..
١٦٦	٣٨	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم . قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله .. هل يهلك الا القوم الظالمون ..
١٦٨	٤٧	
١٦٩	٤٨	وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ..
١٧٠	٥٠	قل لا اقول لكم عندى خزائن الله .. ان اتبع الا ما يوحى الى
١٧١	٥٧	قل انى على بينة من ربي .. ان الحكم الا لله .. وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو .. وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين .
١٧٣	٥٩	
١٧٥	٨٠	وحاجه قومه .. ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي ..
١٧٧	٩٠	اولئك الذين هدى الله .. ان هو الا ذكرى للعالمين ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧٨	١٠٢	ذلكم الله ربكم لا اله الا هو ...
١٨٠	١٠٦	اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو ..
١٨١	١١١	ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة .. ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ..
١٨٤	١٢٣	وكذلك جعلنا في كل قرية .. وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون
١٨٥	١٣٨	وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء ..
١٨٦	١٤٨	سيقول الذين أشركوا .. ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ..
١٨٧	١٥١	قل تعالوا اتلها حرم ربكم .. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ..
١٨٨	١٥٣	ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن .. لانكلف نفسا الا وسعها ..
١٩٠	١٦٠	ومن جاء بالحسنة ... فلا يجزى الا مثلها ..
١٩١	١٦٤	قل أغير الله أبغى ربا .. ولا تكسب كل نفس الا عليها ..

الآيات الواردة في " انما " :

٢٨٠	١٩	قل أي شيء أكبر .. قل انما هو اله واحد ..
٢٨٥	٣٦-٣٥	وان كان كبير عليك اعراضهم .. انما يستجيب الذين يسمعون
٢٨٧	١٠٩	واقسموا بالله جهدايمانهم .. انما الآيات عند الله ..
٢٨٩	١٥٦-١٥٥	وهذا كتاب أنزلناه .. انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٩٠	١٥٩	ان الذين فرقوا دينهم .. انما أمرهم الى الله ..
<u>الآيات الواردة في التقديس :</u>		
٤٤٩	١٣	وله ما سكن في الليل والنهار ...
٤٥٠	٣٦	انما يستجيب الذين يسمعون .. ثم اليه يرجعون ..
٤٥١	٣٨	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه .. ثم الى ربهم يحشرون ..
٤٥٢	٤٨	وما نرسل المرسلين الا مبشرين .. ولاهم يحزنون ..
٤٥٤	٦٠	وهو الذي يتوفاكم بالليل .. ثم اليه مرجعكم ..
٤٥٥	٧٢-٧١	قل أندعوا من دون الله .. ان هدى الله هو الهدى .. وهو الذي اليه تحشرون ..
٤٥٦	٧٣	وهو الذي خلق السموات والأرض .. وله الملك يوم ينفخ فى الصور ...
٤٥٨	١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله .. ثم الى ربهم مرجعهم ..
٤٥٩	١٢٧	لهم دار السلام عند ربهم ..

الآيات الواردة في ضمير الفصل :

٥٥٠	١١٧-١١٦	وان تطع أكثر من فى الأرض يظلوك .. وهو اعلم بالمهتدين ..
٥٥١	١١٩	وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه .. ان ربك هو اعلم بالمعتدين ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>تعريف الجزئين :</u>
٥٥٢	١	الحمد لله ..
٥٥٣	١٢	وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم .. قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم .. وذلك الفوز المبين ..
٥٥٣	١٦-١٥	وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو .. وهو الحكيم الخبير ..
٥٥٥	٦٠	وهو الذى يتوفاكم بالليل ..
٥٥٥	٦١	وهو القاهر فوق عباده ..
٥٥٦	٦٥	قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا ..
٥٥٧	٧٢	وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون ..
٥٥٨	٧٣	وهو الذى خلق السموات والأرض .. وهو الحكيم الخبير .. وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها .. وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة .. وهو الذى أنزل من السماء ماء ..
٥٥٩	٩٨-٩٧	وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .. وهو السميع العليم ..
٥٦١	١١٥	
		<u>ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :</u>
٥٦٢	٧١	قل ان هدى الله هو الهدى ..

((الاعراف))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
------------	-------	-------

الآيات الواردة في النفي والاستثناء :

١٩٢	٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا الا وسعها ..
١٩٤	٥٨	والبلد الطيب .. والذي خبث لا يخرج الا نكدا ..
١٩٥	٨٢	وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم .. وما أرسلنا في قريه من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء ..
١٩٦	٩٤	وقال موسى يا فرعون انى رسول .. حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ..
١٩٧	١٠٥-١٠٤	وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا ..
١٩٩	١٢٦	واختار موسى قومه سبعين رجلا .. ان هي الا فتنتك ..
٢٠١	١٥٥	فخلف من بعدهم خلف .. ان لا يقولوا على الله الا الحق ..
٢٠٢	١٦٩	أو لم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ..
٢٠٤	١٨٤	يسئلونك عن الساعة .. قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو .. لاتأتىكم الا بغته .. قل انما علمها عند الله ..
٢٠٦	١٨٧	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله .. ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ...

الآيات الواردة في " انما " :

٢٩١	٢٣	قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ..
٢٩٤	١٣١-١٣٠	ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين .. الا انما طائرهم عند الله ..
٢٩٥	١٧٣-١٧٢	واذ أخذ ربك من بنى آدم .. انما أشرك آباؤنا من قبل

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٩٧	٢٠٣	واذا لم تأتيتهم بآيه .. قل انما اتبع ما يوحى الى ..
٤٦٠	٣٥	يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم .. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..
٤٦١	٤٩	أهؤلاء الذين أقسمتم .. لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ..
٤٦٢	٨٩	قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم . على الله توكلنا
٤٦٣	١٣١	فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه ..
٤٦٤	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ..
٤٦٥	٢٠٦	ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ..

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

٥٦٤	٨	والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون .
٥٦٥	٥٧	وهو الذى يرسل الرياح بشرا ..
٥٦٦	١١٣	وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين .
٥٦٧	١٥٧	الذين يتبعون الرسول النبى الأمى .. أولئك هم المفلحون ..
٥٦٨	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس .. أولئك هم الغافلون
٥٦٩	١٨٩	هو الذى خلقكم من نفس واحدة ...

((الأنفال))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
------------	-------	-------

الآيات الواردة في النفس والاستثناء :

٢١٣	١٠-٩	اذ تستغيثون ربكم .. وما النصر الا من عند الله
٢١٥	٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصدياً

الآيات الواردة في (انما) :

٢٩٩	٢	انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. يا أيها الذين آمنوا لا تخوفوا الله .. انما اموالكم وأولادكم فتنة ..
٣٠١	٢٨-٢٧	
٣٠٢	١٨	انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ..

الآيات الواردة في التقديم :

٤٦٧	٢	انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. وعلى ربهم يتوكلون .. يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيلكم واعلم ان الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ..
٤٦٩	٢٤	
٤٧٣	٣٦	ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ... والذين كفروا الى جهنم يحشرون ..
٤٧٣	٤٤	واذ يريكم وهم اذ التقيتم .. والى الله ترجع الامور ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<u>الآيات الواردة في ضمير الفصل - تعريف الجزئين :</u>
		<u>ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :</u>
٥٧٠	٤	اولئك هم المؤمنون حقا ..
٥٧١	٣٢	واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ..
٥٧٣	٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب .. اولئك هم الخاسرون ..
٥٧٤	٧٤	وان جنحوا للسلم فاجنح لها .. انه هو السميع العليم ..
٥٧٤	٩١	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا .. اولئكم المؤمنون حقا ..

((التوبة))

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢١٦	١٨	انما يعمر مساجد الله ولم يخش الا الله ..
٢١٩	٣١	اتخذوا ابحارهم ورهبانهم .. وما أمروا الا ليعبدوا لها واحد لا اله الا هو ..
٢٢٠	٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ..
٢٢٣	٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم . فماتع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ..
٢٢٤	٤٧ - ٤٨	لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ..
٢٢٦	٥١	قل لن يصيبنا الا ما كتب الله ..
٢٢٧	٥٤	وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ..
٢٢٩	٧٤	يحلفون بالله ما قالوا .. وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله
٢٣٠	٧٩	الذين يلتمزون المطوعين .. والذين لا يجدون الا جهدهم
٢٣٢	١٠٧	والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا .. ان أردنا الا الحسن
٢٣٤	١١٤	وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة ..
٢٣٥	١١٨	وعلى الثلاثة الذين خلفوا .. أن لاملجأ من الله الا اليه ..
٢٣٧	١٢٠	ما كان لأهل المدينة .. ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بما أنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا خصمة فى سبيل الله ولا يبطئون موطئا .. الا كتب لهم به عمل صالح ..
٢٣٨	١٢١	ولا ينفقون نفقة .. ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم ..
٢٣٩	١٢٩	فان تولوا . فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت ..

رقم الصفحة	رقمها	الآية
------------	-------	-------

الآيات الواردة في " انما " :

٣٠٣	٢٨	يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس ..
٣٠٤	٣٧	انما النسيء زيادة في الكفر ..
٣٠٦	٤٥	انما يستأذنتك الذين لا يؤمنون بالله ..
٣٠٧	٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها
٣٠٩	٦٠	انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ..
٣١١	٦٥	ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ..
٣١٣	٨٥	ولان تعجبك أموالهم واولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها
٣١٥	٩٣	انما السبيل على الذين يستئذنونك وهم اغنيا ..

الآيات الواردة في التقديس :

٤٧٤	٥١	قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ..
٤٧٥	١٠١	وممن حولكم من الاعراب منافقون .. لاتعلمهم نحن نعلمهم .. ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ..
٤٧٦	١١١	ان الله له ملك السموات والارض يحي ويميت ..
٤٧٧	١١٦	لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. بالمؤمنين رؤوف رحيم .. فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت ..
٤٧٨	١٢٨-١٢٩	

رقم الصفحة	رقمها	الآية
---------------	-------	-------

الآيات الواردة في ضمير الفصل - تعريف الجزئين :

تعريف الجزئين :

٥٧٥	٣٣	هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ..
٥٧٦	٦٣	ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله .. ذلك الخزي العظيم
٥٧٧	١٠٠	والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار .. ذلك الفوز العظيم

ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين :

٥٧٨	١٠	لا يرقبون فى مؤمن الا ولا زمه واولئك هم المعتدون ..
٥٧٨	٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا .. واولئك هم الفائزون ..
٥٨٠	٢٣	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم .. فأولئك هم الظالمون
٥٨١	٤٠	الا تنصروه فقد نصره الله .. وكلمة الله هى العليا ..
٥٨٢	٦٧	المنافقون والمنافقات .. ان المنافقين هم الفاسقون ..
٥٨٣	٦٩	كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة .. واولئك هم الخاسرون
٥٨٤	٧٢	وعدا لله المؤمنین والمؤمنات .. وذلك هو الفوز العظيم ..
٥٨٥	٨٩-٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا معه .. ذلك الفوز العظيم ..
		الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده .. وان الله
٥٨٦	١٠٤	هو التواب الرحيم ..
٥٨٨	١١١	ان الله اشترى من المؤمنین انفسهم .. وذلك هو الفوز العظيم
٥٨٩	١١٨	وعلى الثلاثة الذين خلفوا .. ان الله هو التواب الرحيم ..

فهرس الموضوعات

((فهرس الموضوعات))

أ ز مقدمة

تمهيد :

٤ - ١ - خط مبحث القصر من الدراسات الحديثه

أ - معنى القصر لغة واصطلاحا .

ب - معنى القصر لغة واصطلاحا .

ج - معنى الاختصاص لغة واصطلاحا .

٢٠ - ٥ د - أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المصطلحات

٢٤ - ٢١ - تأريخ مصطلح القصر استخداما وتقييدا .

- الباب الأول -

الفصل الاول :

تقسيمات القصر :

٢٩ - ٢٦ حقيقي - اضافي

٣١ - ٣٠ تقسيم القصر الحقيقي

٣٢ - ٣١ القصر الاضافي :

٣٣ - ٣٢ قصر الافراد .

٣٤ - ٣٣ قصر القلب .

٣٥ - ٣٤ قصر التعيين

أ - قصر الموصوف على الصفه

٤٠ - ٣٥ ب - قصر الصفه على الموصوف .

الفصل الثاني :

طرق القصر :

٤٤ - ٤١ - ١ - اساليب غير اصطلاحية تفيد معنى القصر.

٢ - الاساليب الاصطلاحية :

٥١ - ٤٥ - ١ - العطف .

٥٤ - ٥١ - ٢ - النفي والاستثناء .

٥٧ - ٥٤ - ٣ - انما .

٥٧ - ٤ - التقديم

التقديم بين جزئي الجملة :

٥٩ - ٥٨ - تقديم المسند اليه .

٦١ - ٦٠ - التقديم على الخبر المشتق .

٦٣ - ٦٢ - تقديم المسند .

٦٦ - ٦٣ - تقديم المتعلقات على العامل .

٦٨ - ٦٧ - تقديم بعض المعمولات على بعض

٧٢ - ٦٨ - ٥ - تعريف المسند .

٧٨ - ٧٢ - ٦ - تعريف ضمير الفصل .

٨٢ - ٧٩ - أوجه الاتفاق والاختلاف بين الطرق الاصطلاحية .

- الباب الثاني -

النفي والاستثناء :-

١١٠ - ٨٤ - ١ - البقرة ...

١٣١ - ١١٠ - ٢ - آل عمران ..

١٤٦ - ١٣١ - ٣ - النساء ..

١٥٦ - ١٤٦ - ٤ - المائدة .

١٥٦ - ١٩٢ - ٥ - الأنعام .

٢١٣-١٩٢

٢١٧-٢١٣

٢٤٠-٢١٦

٦ - الاعراف ...

٧ - الانفال ...

٨ - التوبة ...

انمنا :

٢٥٢-٢٤١

٢٦٢-٢٥٢

٢٦٩-٢٦٢

٢٨٠-٢٦٩

٢٩١-٢٨٠

٢٩٨-٢٩١

٣٠٢-٢٩٩

٣١٧-٣٠٢

١ - البقرة ...

٢ - آل عمران ...

٣ - النساء ...

٤ - المائدة ...

٥ - الانعام ...

٦ - الاعراف ...

٧ - الانفال ...

٨ - التوبة ...

الفصل الثاني :

٣١٨

أ - العطف

ب - التقديم :

٣٩١-٣٦٩

٣٩٦-٣٦٢

٤٣٠-٣٩٧

٤٣٧-٤٣١

٤٤٨-٤٣٨

٤٦٠-٤٤٩

٤٦٧-٤٦٠

٤٧٣-٤٦٧

٤٧٩-٤٧٤

١ - الفاتحة ...

٢ - البقرة ...

٣ - آل عمران ...

٤ - النساء ...

٥ - المائدة ...

٦ - الانعام ...

٧ - الاعراف ...

٨ - الانفال ...

٩ - التوبة ...

الفصل الثالث :

- تعريف الجزئين - ضمير الفصل :

- ١ - الفاتحة .
تعريف الجزئين .
٤٨٨-٤٨١
- ٢ - البقرة .
تعريف الجزئين .
٥٠٢-٤٨٨
- ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
٥٢٠-٥٠٢
- ٣ - آل عمران :
أ - ضمير الفصل .
٥٢١
ب - تعريف الجزئين .
٥٢٤-٥٢٢
ج - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
٥٢٤-٥٣١
- ٤ - النساء :
أ - تعريف الجزئين .
٥٣٢-٥٣٣
ب - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
٥٣٧
- ٥ - المائدة :
ضمير الفصل .
٥٣٩-٥٣٨
تعريف الجزئين .
٥٤٠
ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين .
٥٤٩-٥٤١
- ٦ - الانعام :
ضمير الفصل .
٥٥١-٥٥٠
تعريف الجزئين
٥٦١-٥٥٢
ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين .
٥٦٣-٥٦٢

- ٧ - الاعراف :
٥٦٩-٥٦٤ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
- ٨ - الانفال :
٥٧٥-٥٧٠ ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
- ٩ - التوبة :
٥٧٧-٥٧٥ ١ - تعريف الجزئين
٥٨٩-٥٧٨ ٢ - ما اجتمع فيه ضمير الفصل وتعريف الجزئين
- ٥٩٥-٥٩٠ الخاتمة
- ٦١٣-٥٩٦ المصادر والمراجع
- الفهارس
- ٦٤٤-٦١٤ فهرس الآيات
- ٦٤٦-٦٤٢ فهرس الموضوعات